الدراسات الإسلامية

مجلة

مجمع البحوث الاسلامية

اسلام آباد - باكستان

المجلد الرابع عشر العدد الثاني

[illegible]

الدراسات الاسلامية

مجلة مجمع البحوث الاسلامية

اسلام آباد - باكستان

المجلد الرابع عشر، العدد الثاني

يونيو ١٩٧٩م جمادى الاخرى ١٣٩٩هـ

ليس من الضرورى ان تتفق ادارة المجمع مع جميع الآراء والبحوث التي ينشرها الكتاب فى هذه المجلة

المحتوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيه

ان الاسلام دين الله الوحيد ، يحب النظام ولا يحب الفساد ، يفضل مصلحه العامه على مصلحه الخاصه ، يراعي الفرد و يربيه على الخير والتفكير ، ليكوّن مجتمعا أفضل ، المجتمع الذى يسود فيه الخير و يعم العدل والقسط بين الناس ، ويستبق فيه كل فرد الى الخيرات ، فالاسلام يطلب من معتنقيه ان يعيشوا عيشه اجتماعيه ، و لو كانا اثنين اختارا واحدا منهما اماما . ولا يقتصر هذا على المساجد للصلوات، و انما هو نظام لحياة الامه الاسلاميه جمعاء.

و ليكن لكل امام مجلسه الاستشارى يتكون من خيار ذلك البلد من العلماء والفقهاء والساسه والاساتذة والمحامين والقضاة والتقنيين الخبراء وممثلى العمال المهرة من كل طبقه ، كما يكون للمسلمين مجلسا مركزيا دوليا لحل المسائل الدوليه، يكون فيه امام دولي يشترك في اختياره اعضاء المجالس كلها ، ولتكن في الامه أئمه أكفاء كنجوم السماء كلما انقض كوكب بدا كوكب يأوى اليه كواكبه.

و يجب على الأمه الاسلاميه أن تساير الزمن في سرعه تقدمه وتغيره. وأن يحكموا فيما تنتجه العلوم الحديثه من النظريات والمخترعات النافعه للانسانيه بعد الشورى والعزم واتخاذ الموقف الموحد، وان لا يعقدوا المسائل بالحكم الانفرادى، وان لا يشددوا على انفسهم بالتزام مالا لزوم له ، فالنظام الاستشارى اذا أخطأ في حكم مرة يمكن تلافيه في المرة الثانيه بالشورى نفسها، وبذلك تبقى للأمه فسحه الرد و القبول. أما اذا سلمنا المسائل لفتوى عالم أو فقيه فان حكمه لاجل ماله من السلطه الدينيه والشعبيه لا ينفذ في حياته فحسب بل بعد و فاته ايضا، الى أن يعد الاعراض عن حكمه وفتواه الاعراض عن الدين، وما هو من الدين في شئ.

ان الشورى هي العمل بكتاب الله ، وهي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي الاجماع الحقيقي والاجتهاد الاجتماعي، و فيها مصلحة الامة كلها، ان الشورى تتطلب استخدام العقل والتفكير والبحث والدراسة بصورة جماعية، ان الشورى تسد باب الافتاء الفردي الذي كثيرا ما يكون نتيجة ضيق النظر و عدم الخبرة، كما يعطي مجالا واسعا للخبراء في مجالاتهم ليعرضوا ما عندهم من المعرفة والتجربة في الموضوع المدروس ، حتى تتجلى نواحي الموضوع كلها ، و تتخذ الاجراءات على بصيرة و علم وخبرة ، ولا يريد الله أن يجعل أمر المسلمين تحت تصرف فرد من الافراد ولو بلغ من العلم والخبرة أي مبلغ ، لأنه يؤدي الى التمرد والفساد.

أمامنا عشرون من المسائل الحديثة نكتفي في حلها بفتاوى العلماء والفقهاء بصورة فردية ، يحللها بعضهم ويحرمها بعضهم ، ولا نصل فيها الى حكم بات ، بل نزداد لأجل فتاويهم وآرائهم كل يوم في خلاف و نزاع، وتبقى عامة الناس في حيرة وضلال. ألم يقل الله تعالى : وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله. (الشورى : ١٠)

أليس حكم الله في مثل هذه النزاعات والخلافات ان نجعل الامر شورى بيننا؟ ان انتشار المسلمين في كافة انحاء العالم، سواء كانت بلادا اسلامية أم غيرها، يقتضي منا ان نعيد النظر في أنظمة الشورى ونختار لنا نظاما استشاريا جديدا مناسبا، يمثل فيه المسلمون من جميع البلاد تمثيلا كاملا ، ويكون لهذه الشورى نفوذا وقوة لتوجيه الأمة الاسلامية، حتى لا يبقى الخلاف ، ولا يتمادى المسلمون في ضلال ، ويتخلصوا من اتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله.

عبدالرحمن الطاهر السورتي

دينا ميكية العبادة ! !

جاسم محمد تقى

اسلام آباد

تمهيد :

عندما طالعت العدد الخاص عن العبادة لمجلة الدراسات الاسلاميه رقم ٣ و ٤ للفترة فيما بين سبتمبر ١٩٧٨م . و مارس ١٩٧٩م . لفت انتباهي ان معظم الباحثين قد تطرقوا الى الآيه الكريمه (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)(١) ولكننى لم اجد ضالتى فى تفسير مقنع لهذه الآيه الكريمه التى اعتبرها منطلقا اساسيا لايه دراسه عن العبادة . و كان تركيز الدراسه على الصوم و الصلاة والحج والزكاة بل وحتى الدعاء ! ولا انكر اهميه ماذكر فى هذا الصدد و لكنني اعتقد انه كان يتحتم القاء المزيد من الضوء على موضوع العبادة و سبر غوره بصورة اعمق مما كتبه السلفيون والمفسرون(٢) .

وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون :

وانني احاول فى مقالتى هذه التركيز على هذه الآيه الكريمه لانها تشير بشكل قاطع الى ان الغايه من خلق الجن والانس هى العبادة(٣) و هناك ثلاثه امور فى هذه الآيه اريد ان اركز عليها بشكل واضح لان هذه الدراسه مبنيه عليها :-

١ - ان العبادة حق على الجن والانس .

٢ - تفسير معنى "الجن" .

٣ - لما ذا تقدمت كلمه "الجن" على كلمه "الانس" ؟

و لكى نفهم هذه الآيه لابد لنا من ان نفسر كلمه "الجن" لنرى دلالة الآيه

الكريمه. فى القاموس "جن،، : استتر، و الجن: الواحد جني والواحدة جنيه. والجني مخلوق مزعوم بين الانس والارواح سمي بذلك لاستتاره واختفائه عن الابصار(٤).

وانني ارى ان الجن هى اشارة رمزيه مفعمه بالمعنى وان ارتبطت هذه الكلمه بظواهر خرافيه عند بعض العامه ولكن معناها واضح فى القرآن الكريم. ونعتقد ان معنى الجن فى هذه الآيه هو: كل المخلوقات غير المرئيه سواء أكانت احياء ام جمادا ام قوات كامنه فى اشياء ظاهرة، سواء أكانت قوات شر أم قوات خير، فالملائكه وهم اخيار جن، كما ان الشياطين و هم اشرار جن .(٥) اما اذا اراد بعض الناس الاصرار على ان المعنى التقليدى للكلمه خاص ببعض المخلوق الروحانى فلا باس بذلك اما تقديرنا فلها معنى الشموليه التامه.

و هكذا نرى ان الجن: كافه المخلوقات غير المرئيه حيه كانت ام غير حيه، عاقله كانت ام غير عاقله، المتحركه منها والساكنه(٦) و سيكون هذا هو المدلول للكلمه كلما ذكرناها فى هذه الدراسه.

فأبسط شئ فى المادة هى الذرة المتكونه من النواة فى المركز التي تحمل البروتونات (Protons) والنيترونات (Neutrons) و من الالكترونات فى المدارات الخارجيه تسير بسرعة هائله جدا (٧) وفي الوقت الذى نجد فيه ان النيترونات متعادله الشحنه فان البروتونات مشحونه بالشحنه الموجبه تعادلها بذلك الالكترونات المشحونه بالشحنه السالبه. و هذا يعني انه فى حاله فقدان الطاقه الالكترونيه فانها ستسقط فى النواة بالنهايه و يعنى ذلك فناء الذرة اى فناء الكون بأسره(٨)! و لكن شيئا من ذلك لا يحدث ، لان الالكترون يطيع الاوامر طاعه عمياء و يمتثل لها بدقه متناهيه. هكذا هو الامر اذن—ببساطه متناهيه— فى عالم الجماد انه "يتبع سنن الله واحكامه و ينفذ اوامره و تعليماته،، (٩)

و ليس له خيار في ذلك، و من هنا نرى سبب رفض العالم الفيلسوف عبدالكرم الزنجاني السكون والقول بالحركة و نظرية الحركة الجوهرية. و ذهب الزنجانى الى ابعد من ذلك عندما اعلن ايمانه بالاساس الفلسفي لنظرية التطور العضوى لدارون و اعتبرها جزءا لنظريته: ''الحركة الجوهرية''، و دافع عنها بكل ثقة و ايمان لأنه رأى فيها عدم تناقض مع الايمان بالله على الرغم من ان علماء عصره كفروه على اقل تقدير ! !

و هكذا نجد ان كل المخلوقات غير العاقلة تتبع سنن الله واحكامه و على هذا الاساس كل ما ينطبق على الذرة ينطبق على جميع المخلوقات، و هذا يكفينا من الاسترسال في هذا الباب .

اما الانس اى بنى الانسان فانه عاقل و مخير فهو اذن مكون من جزئين :

أ ـ الجزء غير العاقل فيه ، و اساسه الذرة، و هذا يقع ضمن ما اصطلح القرآن على تسميته بـ ''الجن''، فهو فى عبادة تامة لله، يسير على سننه و تعاليمه .

ب ـ الجزء العاقل وهو الذى ترك له الله تعالى الخيار فى اتباع سننه فى الكون(١٠) و فيه بيت القصيد .

ومن هنا ندرك سبب تقديم ''الجن'' على ''الانس'' فى هذا الموضوع لانه لاخلاف فى موضوع عبادة الجن لله. انه يعبده عبادة خالصة ثابتة و يسير على سننه فى الكون اما الانسان فهو موضوع البحث، لان الله ترك له الخيار واعطاه الدلائل العظيمة التى تمكنه من العبادة . والقرآن الكريم ملئ بالآيات التى تشير الى سنن الله والى مخلوقاته و نظامه و خلقه باسلوب بسيط و مفهوم لكافة المستويات، و لعل القرآن بذلك يشير الى : ان أى انسان يمكن ان يتوصل الى عبادة الله سواء

اكان مسلما أم غير مسلم لأن آثار الله و دلالاته موجودة في كل مكان و اينما وجد الانسان.

اذن فالعبادة هي وحدة فكريه تامه للانسان. انها الحريه من كل القيود التي تفرض على الانسان لانها القاسم المشترك لكل بني الانسان الذى يشترك في عبادته لله وحده دون سواه، و بذلك يقول القرآن الكريم: ""قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمه سواء بيننا و بينكم الانعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله،،. (١١) وارى ان كمه ""أهل الكتاب،، يمكن ان نفسرها في هذه الآيه بانها أهل العلم لما في الكتاب من معنى العلم، وان الكتاب لا يعطى الا لمن يعرف القراءة و الكتابه و فهمه و عقله، واذن فالآيه مطلقه جامعه غير مقتصرة على فئه من الذين اوتوا الكتاب دون اخرى، التي اوتيت العلم .

والسبيل الوحيد لاعلام الانسان بالعبادة هي الحركه، فالحركه تصنع المعجزات. الحركه الذهنيه والنفسيه والفكريه والعضليه والعلميه و في كل مجالات الحياة. و تقول النظريه العالم آينشتاين النسبيه بتحرر الكتله من كل قيود المادة اذا سارت بسرعه الضوء !! لذلك فاننا لم نغال عندما قلنا ان الحركه تصنع المعجزات و تحتم علينا هذا الامر أحكام عقلنا في كل الامور، و تحررنا من كل رواسب التعصب والانتماء السلفي، وفهم الدين فهما عصريا ضمن المبادئ الاساسيه التي يقوم عليها. و متى تحررنا من هذه القيود المفروضه وانعتقنا عنها فاننا نكون قد وصلنا الى طريق الله الذى اراده لنا . فمعرفه عبادة الله تحطم الحواجز التي خلقها الانسان مع اخيه الانسان بسبب اللون والعنصر والاصل والاعتقاد وما اليها.

وينبغي على المسلم العابد ان يكون مثالاً اعلى في التسامح الفكرى ورحابه الصدر و وسع الافق، و احترام وجهات نظر الآخرين، مهما كانت لأن هذه

الصفات هي الاساس الصلب للاسلام لعدة اعتبارات :

ا - ان الله تعالى ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم للناس كافة : ''وما ارسلناك الا رحمة للعالمين''(١٢) .

ب - قال الله تعالى ''ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك'' (١٣) و ''وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل''(١٤)

و ''ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن''(١٥) وقال الله تعالى لرسوله: ''قل انما أنا بشر مثلكم''(١٦). و هذه الامور كلها تشير الى تواضع الرسول صلى الله عليه وسلم والى حكمته واسلوبه اللين والمرن في نشر رسالة السماء، وما احرى بنا ان ينتحلى بهذه الصفات لاسيما والقرآن الحكيم يقول : ''لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة''(١٧)

ج - العبادة تمكن الانسان في عصر المتغيرات من التكيف التام للظروف الطارئة و مستلزمات العصر. واذا كان اساس اعتقادنا ان كل المخلوقات محتاجة الى الله و كل تطور يحصل في دنيا المادة انما هو جزء من سنن الله في خلقه . فلابأس من أن نكيف انفسنا و مفاهيمنا و قوانيننا لنتماشى مع العصر، لكي نسير مع عجلة الزمن و ليس خلفها. و يرى المجتهد العلامة محمد باقر الصدر وجود ''منطقة الفراغ في التشريع الاسلامي''، وان هذه المنطقة قد تركها الشارع مفتوحة لتستوعب ماشاء لها من القوانين و التشريعات التي تستلزمها تطورات الزمن (١٨) وان مهمة الانسان المسلم ان يملأ هذه المنطقة حسب متطلباته فمهمة الدين ليست التنبؤ فيما يحصل في المستقبل وادراج تفاصيله و استنباط قوانينه بصورة مسبقة، والا لم خلق الله العقل ؟ ولم طلب من الانسان التفكر والتدبر و طلب العلم؟ ولم بدأ كتابه المجيد بـ'' اقرأ''؟ بل ان وجود هذه

المنطقة الخالية في التشريع ضرورة ملحة لكي يكون الاسلام دينا صالحا في كل زمان و مكان(١٩) .

و بذلك نرى ان العبادة دعوة للحرية من القيود والاغلال والمفاهيم الفاسدة القديمة البالية، و وحدة بين بني البشر تجمعهم في مفهوم واحد وهو اتباع سنن الله في الكون و تعاليمه و معرفة الغرض من الخلق و مرونة تامة في الفكر، ورحابة في الصدر، و احترام لمبادئ وافكار الآخرين، والتعايش السلمي القائم على اساس احترام حقوق الجميع دون تفريق او تمييز مهما كانت الاعتبارات . فشعائر العبادة اى الصوم والصلوة والحج والزكاة والدعاء والجهاد في سبيل الله و غيرها انما تؤدي الى خدمة هذا الغرض السامي والا فما الفائدة من ممارستها؟ والقرآن المجيد ملئ بالادلة على ذلك(٢٠).

و يذهب البعض الى ان الايمان وحده كاف لتحقيق تقدم المسلمين و نهضتهم مجددا، وان ذلك يتم بالاكثار من قراءة القرآن والنسك والزهد والتقشف والتركيز على القيم الروحية دون التقدم المادي والعلمي، وان الدعوة الى العلم انما هي مقصورة على علوم الاسلام الدينية وليست العلوم الاخرى و نسى هؤلاء انه لارهبانية في الاسلام وان الله تعالى قال : "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لايحب المفسدين"(٢١) نعم ان الله يدعو الى ابتغاء الآخرة اى مخافة الله و العمل ضمن تعاليمه و اتباع سننه وارشاداته باقامة العدل والخير والاحسان، و لكنه تعالى ذكرنا بان لاننسى نصيبنا من الدنيا، اى مقدار ما يجب ان يبذله كل فرد منا في هذه الحياة من عمل صالح . و هذا العمل وضحته الآية الكريمة

نفسها بشكل لالبس فيه اذ طلبت من الانسان ان يحسن بنفس مقدار ما أحسن الله اليه. و تلك لعمرى مهمه" فى غايه" الصعوبه" فرضها الله على الانسان. انها مهمه" شاقه" و صعبه" للغايه". فكيف للانسان ان يحسن بنفس احسان الله! أو يمكن هذا ؟ !! انه فى تقديرى نوع من التعجيز والمبالغه" القصوى فى طلب الله تعالى من الانسان أن يعمل بلا نهايه" و بلا كلل ولا ملل وان لا يفارق هذه الحياة الا بعد ان يؤدى اقصى ما يمكنه من العمل الصالح المثمر الذى اسماه الشارع جل و علا "الاحسان"(٢٢)

و من ناحيه" اخرى فاننا مهما ركزنا على الشعائر دون التطبيق العملى فاننا نكون و كأننا لم نفعل شيئا لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول "الايمان ما وقر فى القلب و صدقه العمل".

اذن فالامر ليس مجرد ايمان بالقلب و انما المهم هو التطبيق العملى لما نؤمن به على بينه"، وبهذا الطريق وحده يمكننا ان نقول بعبادتنا لله، لأن الله تعالى— كما ترى — رفض ان تكون العبادة مجرد طقوس وانما قرنها بالاحسان و عرف هذا الاحسان باحسانه تعالى وربطه بذاته الابديه" العارفه" والعاقله" .

ملاحظات و مراجع

(١) الذاريات : ٥٦

(٢) مثال ذلك ان مجاهدا وهو مفسر كبير لم يتطرق تفسير هذه الآيه" على الاطلاق انظر تفسير مجاهد ص : ٦١٥ - ٦٢١، تحقيق الاستاذ عبدالرحمن الطاهر السورتى مطابع الدوحه" الحديثه"، الطبعه" الاولى ١٩٧٦م.

(٣) "الا" هنا اداة حصر لانها وقعت بعد اداة نافيه" "ما" .

(٤) المنجد – لويس معلوف–الطبعة السابعة عشرة المطبعة الكاثوليكية في بيروت .

(٥) راجع المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني، مادة جن.

(٦) السكون والحركة هما امران نسبيان هنا! لان العالم البحاثة عبدالكريم الزنجاني (رح) يرى ان كل شئ في الوجود متحرك وان الحركة تهدف الى التشبه بالذات الالهية ضمن نظرية (الحركة الجوهرية) و هذا ما يقره العلم الحديث.

(٧) سرعة الالكترون حوالى ٢ – ١٩ سم بالثانية .

(٨) هكذا كان يعتقد حتى جاء العالم اى. رذرفورد والعالم لجوهر (Erutherfold) وتجنبا هذا الامر بادخال نظرية الكم (Quantam Theory) مستفيدين من بحوث العالم بلانك (Plank) واد خال ثابت بلانك المعروف بـ (Plank Constant)

(٩) انظر "العبادة عند اقبال"، الاستاذ عبدالرحمن الطاهر السورتى الدراسات الاسلامية، المجلد الثالث عشر العدد ٣، ٤ عام ١٩٧٩ الخاص عن العبادة .

(١٠) قال تعالى : "انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا . (الانسان : ٣) وقال تعالى : و هديناه النجدين (البلد : ١٠)

(١١) آل عمران : ٦٣

(١٢) الانبياء : ١٠٧

(١٣) آل عمران : ١٥٩

(١٤) آل عمران : ١٤٤

(١٥) النحل : ١٢٥

(١٦) الكهف : ١١٠

(١٧) الاحزاب : ٢١

(١٨) انظر ''اقتصادنا،، للاستاذ محمد باقر الصدر، ''النجف الاشرف،، الجمهوريه العراقيه ١٩٦٨م، و طبع الكتاب في بيروت ايضا عدة طبعات كما يمكن التعرف على العديد من آراء هذا المفكر العظيم في كتبه الاخرى لاسيما ''فلسفتنا،، و ''البنك اللاربوى في الاسلام،، و غير ها .

(١٩) لان الله تعالى يقول : ''اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا،، (المائدة : ٣) .

(٢٠) قال تعالى في العنكبوت : ٤٥ '' . . . واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ماتصنعون .

(٢١) القصص : ٧٧

(٢٢) لا بد من ملاحظة ان الاحسان جاء في الآية بفعل امر ولكن الخالق حبب الاحسان للانسان عندما قرنه بذاته العارفة لكي يكون هذا الامر تلقائيا و ذاتيا ولا يكون قسريا، بينما نجد ان الموضوع يتخذ شكل الامر في النحل : ٩٠ اذ قال تعالى : ''ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى و ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون،، والقرآن ملئ بآيات اخرى عن الاحسان.

★★★

رموز السالكين و اسرار العارفين

الدكتور امير محمود انوار
الاستاذ المساعد فى كليه" الآداب
بجامعه" طهران

للشعراء العرفاء فى بيان الحقائق العرفانيه" وأسرار الدقائق الربانيه" طريقه" خاصه" فهؤلاء يريدون من ذكر آلات اللهو واللعب فى أشعارهم معانى أخرى غير المعانى الظاهريه" :

هاتف أرباب معرفت كه گهى — مست خوانند شان وگه هشيار
ازمى و جام و ساقى و مطرب — وزمغ و دير و شاهد و زنار
قصد ايشان نهفته اسراريست — كه به ايما كنند گاه اظهار
پى برى گربه راز شان دانى — كه همين است سر آن اسرار
كه يكى هست و هيچ نيست جزاو
وحده لا الـه الا هو (۱)

فالشاعر العارف الهاتف الاصفهانى يخاطب نفسه فى هذه الابيات قائلاً : ان العرفاء الذين يطلق الناس عليهم حينا صفه" السكر و حينا صفه" الصحو — والوعى، يستعملون كلمات "كالخمر والساقى والمطرب والمغ والدير والشاهد والزنار"، ويقصدون فى ذلك الى الاشارة الى أسرار عميقه" عرفانيه" ربانيه" . واذا أطلعت على سرهم لعلمت أن سر هذه الاسرار : (الله تعالى واحد أحد و ليس شى سواه وحده لا اله الا هو) .

واذا أرادوا أن يوصلوا المعاني العاليه" العرفانيه" الى أذهان طالبي هذا العلم وسالكي هذا الطريق يستفيدون من اسماء المحسوسات.

و في العرفان تستعمل الالفاظ وأسماء الاشياء الظاهريه" في المجاز والاستعارة والتشبيه للمعاني الباطنيه" المستترة وهذا من باب اشارات أرباب الكشف. فمثلا كلمات: ''العين،، و شعر الحبيب،، أوردوها في اشعارهم وأحاديثهم واستفادوا منها بعض المعاني الرمزيه" كاطلاق كلمه" ''العين،، على ذات الله تبارك و تعالى و ''الشعر،، على صفاته وأسمائه. و لهذا حينما يسأل ''مير حسيني سادات الهروى في رسالته الى الشيخ محمود الشبستري. (٢)

چه خواهد مرد معنى زان عبارت — كه دارد سوى چشم ولب اشارت؟

چه جويد ازرخ وزلف وخط وخال — كسى كاندر مقامات است واحوال؟

(ماذا يريد رجل المعنى العارف من تلك العبارة التي يشيرفيها الى العين والحاجب؟ و ماذا يبغى من هو سالك سبيل المقامات والاحوال من الخد والشعر والوجه والصدغ والحاجب والخال؟) يجيب الشبستري (٣)

هرآن چيزى كه در عالم عيانست — چو عكسى زآفتاب آن جهانست

جهان چون‌خط و خال وزلف وأبروست — كه هر چيزى بجاى خويش‌نيكويست

تجلى گه جمال و گه جلال است — رخ و زلف آن معانى را مثال است

صفات حق تعالى لطف و قهر است — رخ و زلف بتان را زان دوبهر است

(كل شئى ظاهر في هذه الدنيا هو انعكاس عن شمس العالم الآخر)

الدنيا كالعارض والخال والشعر والصدغ والحاجب و هذه كلها جميلة اذا

كانت في مواضعها. التجلى تارة يمثل الجمال وتارة يمثل الجلال فالوجه والخد والشعر يرمز الى تلك المعانى الجماليه والجلاليه.

واللطف والقهر من صفاته تبارك و تعالى. ولكل من وجوه الملاح وذوائبهن نصيب من تلك الصفات الالهيه.

و يقول الشيخ محمد اللاهيجى في شرح گلشن راز:(٤)

ان وجه الملاح الجميلات الذى هو كالقمر المنير لما فيه من لطف و نور ورحمه يشابه تجلى الجمال. ولشعر رأس الفاتنات الظريفات الرائعات، مناسبه تامه مع التجلى الجلالى لما فيه من ظاهر الظلمه والتشتت والحجاب، ووجه الحبيب و شعره مثال لتجلى الجمال والجلال، بل في الحقيقه عين تجلى الجمال والجلال .

ولما كان الاحتجاب والقهر يلازمان الجلال، والنور واللطف والرحمه تلازم الجمال، لهذا أجاب الشيخ الشبسترى :

صفات حق تعالى لطف و قهر است رخ وزلف بتان را زان دوبهراست

اللطف والقهر من صفات الله تعالى ولوجوه الملاح الجميلات و ذوائبهن نصيب منها،لكن يجب أن نلاحظ بأن وجه الشبه بين المعانى المحسوسه والمعقوله العرفانيه او بين المعانى الظاهريه والباطنيه ليس شبها كليا لان بين المحسوس والمعقول مسافه بعيدة ولا يجوز للعارف أن يبحث و يتفحص التشابه التام بين المحسوس والمعقول، و كما قيل يكفى في التشبيه أدنى ملابسه . ولهذا قال الشيخ الشبسترى :(٥)

و لى تشبيه كلى نيست ممكن زجستجوى آن مى باش ساكن

"ولكن التشبيه التام غير ممكن ولا تذهب في طلب المشابهه التامه"."
فالمقصود من الوجه في العرفان (هو ظهور التجلى الجمالى الذى يكون سبب وجود الاعيان و ظهور أسماء الحق سبحانه(٦)

والشعر، في مصطلحات العرفاء "كنايه عن المرتبه الامكانيه من الكليات والجزئيات والمعقولات والمحسوسات والارواح والاجسام والجواهر والاعراض أو كنايه عن ظلمه الكفر،،(٧) وما أحسن قول السنائى :

زلف‌را شانه زدى بازچه رسم آوردى   كفر درهم‌شده راپرده ايمان كردى

(مشطت شعرك بالمشط ثم أيه سنه جديدة اتيت بها ؟ جعلت الكفر الشعث ستارا للايمان وأسدلته على وجهك).

و كما يقول محمد اللاهيجى (ان المقصود من الوجه صفات الله اللطيفه والمراد من الشعر صفاته القهريه عزوجل(٨)

وللمغربى في الوجه والشعر ابيات عرفانيه رائعه(٩)

مرا از روى هر دلبر تجلى ميكند رويش
نه از يكسوش مى بينم كه مى بينم زهر سويش

كشد هردم مرا سوئى كمند زلف مهروئى
كه اندر هر سر موئى نمى بينم بجز مويش

ندانم چشم جادويش چه افسون خواندبر چشمم
كه در چشمم نمى آيد بغير از چشمم جادويش

فروغ نور رخسارش مراشد رهنما ورنه
کجاره برد می سویش زتاریکی گیسویش

از آن در أبروی خوبان نظر پیوسته میدارم
که در ابروی هرمه‌رو نمی بینم جز ابرویش

به پیش مغربی هر ذره زان رو مشرقی باشد
که از هر ذره خورشیدی نماید پرتو نورش

''يتجلى تبارك و تعالى لى من وجه كل حبيب ولا ارى الله تعالى من جانب واحد بل يتجلى لى من كل الجوانب .

تجذبنى كل لحظه شرك غدائر جميل الوجه الى جانبه لانى ولا أرى فى رأس كل شعرة الا شعره يعنى شأنا من شؤنه الجماليه .

لست أدرى أى رقيه نفثت عينه الفاتنه فى عينى حتى لا يتمثل فى عينى سوى عينه الساحرة .

دلتنى لمعات وجهه اليه والا كيف يمكننى ان اهتدى اليه من ظلمات شعره.

و ارنو الى حواجب الملاح لانى لا أرى فى حاجب كل جميل الوجه الا حاجبه .

كل ذرة عند ''المغربى،، من ذلك الوجه مشرق، لأن كل ذرة من تجليات وجهه تمثل شمسا.

و من الالفاظ التی یستعملها العرفاء كثيرا فی أشعارهم وأقوالهم ''المدام والخمر،، و فی الادب الفارسی (باده) و (می)، و علی هذا الاساس توجد لدينا قصائد و أشعار من اكابر عرفاء العرب والفرس كابن الفارض المصری، والمولوی، والحافظ والسعدی الشيرازيين، يصفون خمر الحب و سكر الوجد و نشوته . و فی هذا البيان نبتدئ بشرح بيت معروف من القصيدة الخمرية لا بن الفارض المصری و نبين بعض معانی الخمرة العرفانية فی خلاله.

قال ابو حفض عمر بن الحسن المعروف بابن الفارض المصری فی مطلع قصيدته الخمرية(۱۰) .

شربنا علی ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

و الشاعر العارف الايرانی نور الدين عبدالرحمن الجامی نقل القصيدة بتمامها الی الفارسية وشرحها فی رسالته العرفانية المسماة باللوامع وهو فی هذه الرسالة بعد ترجمة كل بيت من القصيدة ينشد ابياتا بالفارسية يشرح فيها الغوامض العرفانية المندرجة فی شعر ابن الفارض فمثلا يقول فی شرح مطلع قصيدة ابن الفارض :(۱۱)

''نوش كرديم و بايكديگر به دوستكامی خورديم، برياد حضرت دوست كه روی محبت همه بدوست، شرابی كه بدان مست شديم، بلكه به بوئی از آن از دست شديم. واين پيش از آفريدن كرم بود كه درخت انگور است، و مادهٔ شراب پر شر و شور،، و يضيف الی ذلك الشرح:

روزے كه مدار چرخ و أفلاك نبود
آميزش آب و آتش و خاك نبود
برياد تو مست بودم و باده پرست
هر چند نشان باده و تاك نبود

(كنت سكران من ذكراك، مغرما بخمر حبك منذ ذلك اليوم الذى لم تكن الافلاك تدور، و قبل امتزاج الماء والنار والتراب على انه لم يكن يومئذ أثر لخمر او كرم . وما أجمل شعره عندما يقول :(١٢)

مائيم زجام عشق تو جرعه كشان
بر جرعه كشان خود گذر جرعه فشان
برياد تو آن صبح صبوحى زده ايم
كزتاك نشان نبود و از تاك نشان

و ابن الفارض حينما يقول (شربنا على ذكر الحبيب وسكرنا و كان هذا الشراب قبل خلق الكرم) يشير الى أن الانسان خلق فى مرحلتين، المرحلة الاولى هى قبل الابدان والاجسام، والابدان كما جاء فى الحديث: ''خلق الارواح قبل الابدان،، و : ''كنت نبيا و آدم بين الماء والطين،، .

والمرحلة الثانية هى الخلقة العنصرية الناسوتية أنشاها الله تبارك و تعالى بكلمة ''كن،، فهبط طائر روح الانسان على الارض والى الممكنات. و يقول استاذى المرحوم الشيخ محى‌الدين مهدى الهى قمشه اى فى قصيدة بالفارسية (١٣)

كيست صياد وچه داميست نهان كزهمه سو
ما كه سيمرغ وجو ديم شكار آمده ايم

من هو الصياد وأى شرك أخبألنا، حتى نقع فى الاحبولة من كل جهة و نحن الرخ بوجودنا و بأسنا،،

و يقول الله عزو جل فى هذا المعنى :

ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون. (١٤)

وما أحسن و أجمل قول مولانا جلال الدين الرومي فى تفسير هذا المعنى(١٥)

جرعه اے چون ريخت ساقى ألست
برسر اين خاك شد هر ذره مست
جوش كرد آن خاك و ما زان جوششيم
جرعه ديگر كه بس بى كوششيم
تافت نور صبح ما از نور تو
در صبوحى باسے منصور تو
دادهٔ تو چون چنين دارد مرا
باده كبود كه طرب آرد مرا ؟
باده در گوشش گدائے جوش ماست
چرخ در گردش گدائے هوش ماست
باده از ماهست شد نى ما از او
قالب از ما هست شد نى ما از او
ما اگر قلاش اگر ديوانه ايم
مست آن ساقى وآن پيمانه ايم
بر خط فرمان او سر مى نهيم
جان شيرين را گروگان ميدهيم

اشتران بختی ایم اندر سبق
مست و بیخود زیر محملهای حق

مست حق هشیار نبود از دبور
مست حق بیخود بود تا نفخ صور

خاصه آن باده کز خم نبی است
نه مے که مستی او یکشبی است

و يقول الشيخ الرئيس ابو على بن سينا ، فى قصيدته العينيه" الغراء، مشيرا الى هذا المعنى :(١٦)

هبطت اليك من المحل الارفع	ورقاء ذات تعزز و تمنع
محجوبه" عن كل مقلة" عارف	وهى التى سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما	كرهت فراقك وهى ذات تفجع
أنفت وما أنست فلما واصلت	ألفت مجاورة الخراب البلقع

وقول ابن الفارض ,,من قبل أن يخلق الكرم،، أنه قبل ان تخلق الممكنات، و يجوز ان نقول ان المدامه" المذكورة هى كنايه" عن ,, عهد ألست،،؟ كما جاء فى القرآن الكريم(١٧) (اذ آخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمه" انا كنا عن هذا غافلين،، .

و يقول خواجه عبدالله الانصارى فى تفسير هذه الآيه" الشريفه" :(١٨)

,,فاذا تأمل الانسان فى هذه الآيه" دقيقا يتجلى له معان أخرى، ويذوق منها حلاوة وذوقا، و يبدوله و معنى غير المعنى الظاهرى، هي اشارة

الى بدايه" أحوال الأصدقاء، و عقد العهد، وأخذ يمين الصداقه" منهم اليوم الاول في عهد الأزل حيث كان الحق حاضرا والحقيقه" حاصله". أحسن و أجمل بيوم كان يوم بناء الصداقه" وأعزز بوقت كان وقت أخذ عهد الوفاء والاخلاص . لاينسى المريدون والمشتاقون أول يوم اتصلو بشيخهم ومرشدهم و يحسبون يوم الوصال تاج العمر و قبله" الأيام وقال الله تبارك و تعالى لنبيه الكريم. أن اذكر لعبادنا الذين نسوا عهدنا و شغلوا بغيرنا ذلك اليوم الذى عاهد فيه روحهم الطاهر الطيب مع الله عهد الصداقه" وتمسح عين اشتياقهم هذا التوتيا الذى ألست بربكم قل تذكر أيها المسكين ذلك اليوم الذى كان الاصدقاء يشربون فى مجلس الانس خمرا ودنا من كأس المحبه" و كان مقربو الملا الأعلى يقولون ما أعلاهم همه"! نحن لم نذق من هذا الخمر قط ولا وجدنا رائحه" منها و أصوات هولاء الفقراء وضوضاؤهم وصلت العيوق قائلين : هل من مزيد .

زان مى كه حرام نيست در مذهب ما
تا كه عدم خشك نيابى لب ما

"من تلك الخمرة التى ليست بمحرمه" فى مذهبنا ترى دائما شفتنا ريا منها.

والى هذا المعنى يشير الشيخ الرئيس أبو على سينا فى قصيدته العينيه":

وأظنها نسيت عهودا بالحمى ... و منازلا بفراقها لم تقنع
تبكى وقد ذكرت عهودا بالحمى ... بمدا مع تهمى ولم تتقطع

و يقول الامام فخرالدين الرازى :(١٩)

شر بنا على الصوت القديم قديمه" ... لكل قديم أول هى أول
فلو لم تكن فى حيز قلت انما ... هى العله" الا ولى التى لا تعلل

المعانی المجازیه‌ العرفانیه‌ للشراب و الخمر:

لا بد أن نذکر أولا أن منبع هذا الاستعمال المجازی هو من الاسلام و فی القرآن الکریم آیات نحو: ”ألست بربکم قالوا بلی،، و: ”علم آدم الاسماء کلها،، وکما ذکرنا فی المباحث الآنفه‌ کان نظر العرفاء فی استعمال لفظ الشراب الی تلک الآیات والمعانی، و نحن أیضا، فی هذا البحث، نرید بیان و تطبیق عقائد عرفاء العربیه‌ والفارسیه‌ حول شراب الحقیقه‌ .

و یجب أن لاننسی أن فی القرآن المجید آیات ذکر فیها عن شراب الحقیقه‌ والله تبارك و تعالی بعد ما ینهی المسلمین عن شرب الخمر المفسدة فی هذه الدنیا قائلا: ”انما الخمر والمیسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشیطان فاجتنبوه لعلکم تفلحون،،(٢٠) یعد المؤمنین المفلحین شرب الشراب الطاهر الحلال الطهور.(٢١) و یقول جل جلاله . ”الا عباد الله المخلصین، أولئك لهم رزق معلوم فواکه وهم مکرمون فی جنات النعیم . علی سرر متقابلین . یطاف علیهم بکأس من معین، بیضاء لذة للشاربین. لا فیها غول ولاهم عنها ینزفون.،،(٢٢) ویو عد الکافرین والعاصین بأن لهم الحمیم .(٢٣) و یقول: ”والذین کفروا لهم شراب من حمیم و عذاب الیم،،(٢٤)

خمر الحقیقه‌ و شراب السالکین فی الادب العربی والفارسی:

للشیخ أبی الحسن و عبدالغنی النابلسی علی دیوان ابن الفارض شرح قیم عظیم و فی شرح القصیدة الخمریه‌ حینما یصفان خمر العرفان یقولان: ”ان الصوفیه‌ یذکرون فی عباراتهم الخمرة باسمائها و أوصافها و یریدون بها ما اراد الله تعالی علی ألبابهم من المعرفه‌ أو من الشوق والمحبه‌،، .(٢٥)

و يقول المولى محسن الفيض الكاشاني في رسالته ''گلزار قدس'' المطبوعهٔ في مقدمهٔ ديوانه و في كتاب المشواق حول خمر العرفانيهٔ :

''الشراب'' هو الذوق والوجد والحال الذى يرد على قلب السالك العاشق من قبل المعشوق والمحبوب في أوان غلبهٔ المحبهٔ و يسكره و يغير حالته لان غلبتها تهدم القواعد العقليهٔ و تنقض المعاقد الوهميهٔ التي هما مبدا انتشاء الكثرة الرسميهٔ والنسبهٔ الاعتباريهٔ. ''والساقى'' هو عبارة عن الحقيقهٔ باعتبار ظهور ها في كل مظهر تجلت فيه وسقاة محفل العشق (ساقيان بزمٌ عشق) كنايهٔ عن السمع والبصر في الانسان لان اكثر علل السكر يولد من هذين الطريقين. و يعبرون عن تجليات الافعال ''بالكأس'' و في الفارسيهٔ ''بجام'' و عن تجليات الاسماء والصفات ''بالقدح'' ''والكوز'' و في الفارسيهٔ ''بسبو و خم'' والتجليات الذاتيهٔ التي توجب الفناء لله والبقاء في الله ''بالبحر والقلزم''. و في الفارسيهٔ ب ''دريا'' و تلك الذوق والبهجهٔ التي تنشأ من تجلى الذات وتلذ السالك و تطهره عن ملاهى الحياة و تفنيه في قلزم الوجود هى شراب طهور. (٢٦)

پيش از اين كاندر جهان باغ ورز وانگور بود
از شراب لا يزالى جان ما مخمور بود(٢٧)

العرفاء يعتقدون بأن جميع العالم من الغيب والشهادة كبيت خمر فيه شراب الحياة و محبهٔ الله تبارك و تعالى، و كل ذرة من ذرات العالم بحسب امكانياتها واستعداداتها الخاصهٔ هى كأس شراب محبهٔ الله تعالى و قدح كل الموجودات مملوء من هذا الشراب.

همه عالم چو يك خمخانه اوست
دل هر ذره اى پيمانهٔ اوست

خرد مست و ملائك مست وجان مست
هوا مست و زمين مست آسمان مست

شده ذو عقل كل حيران و مدهوش
فتاده نفس كل را حلقه در گوش

ملائك خورده صاف از كوزهٔ پاك
بجرعه ريخته دردی براين خاك

عناصر گشته زان يك جرعه سرخوش
فتاده گه در آب وگه در آتش

و لهذا اكثر الافراد حائرون و يهيمون فی باديهٔ العشق والطلب و يطلبون المحبوب الحقيقی والمرشد والهادی لكی يهديهم الی طريق وصاله سبحانه و ينجيهم من قيد أنفسهم .

يكی از بوی دردش عاقل آمد
يكی از رنگ زردش ناقل آمد

يكی از نيم جرعه گشته صادق
يكی از يك صراحی گشته عاشق

يكی ديگر فرو برده بيكبار
خم و خمخانه و ساقی و خمار

وجاء فی شرح گلشن راز(٢٨) : أن ''الشراب،، كنايهٔ عن السكر بصورة مطلقهٔ وهو محبهٔ الحق و جذبته فی العشق و شبهوا الذوق والسكر بالشراب كما

يقول الشاعر:

پرشد ز شراب پیش جام دل ما
وز لوح وجود شست نام دل ما

"الشراب" عبارة عن الذوق والبهجة والحال الذى يتوجه فجأة الى قلب السالك من تجلى المحبوب الحقيقى و يسكره و يغير حالته .(٢٩)

ریخت ساقی جرعه ها در کام دل
هم نشد سیراب درد آشام دل
هفت دریا را بیك دم در کشید
میزند او نعرهٔ هل من مزید
در حقیقت زانکه دل شد جام جم
مینماید اندر او هر بیش و کم
ساقیا می ده که هشیارم کند
مستی اش زین خواب بیدارم کند
زان می کارد خمارش نیستی
فارغ از هستی و پندارم کند

حبذا وما أحسن تلك الشربة الحلوة الطيبة التى هى ماء الشراب الطهور تسقى من يد الساقى الباقى الأبدى، ويا طيب اللذة التى يجدها العارف من مشاهدة جمال المحبوب وتلك المدامة.

از می عشقت عناصر سر خوشند
از هوای روی تو در آتشند(٣٠)

والمقصود من شراب التوحيد هو الفناء فی الذات والتبریٔ من جمیع الشواغل الباطله ۔(٣١)

چون زمستی می توان رستن زهستی، لا جرم
عاشقاں راسے پرستے به زطاعت آمده

وما أجمل قول الشیخ شهاب الدین السهروردی فی قصیدته الحائیه العرفانیه التی تعتبر من ألطف وأعلی القصائد التی أنشدت فی هذا الموضوع ۔(٣٢)

قم یا ندیم الی المدام و هاتها
فی کأسها قد دارت الاُقداح
من کرم اکرام بدن دیانه
لا خمرة قد داسها الفلاح
هی خمرة الحب القدیم و منتهی
غرض الندیم فنعم ذاك الراح

و فی کتاب "المعارف و هو مجموعه من مواعظ و کلمات سلطان العلماء بهاء الدین محمد بن حسین الخطیبی البلخی المشهور ببهاء ولد، جاء هکذا،،(٣٣) ذاك الذی یری الجنه والنار و قصده من العبادة دخول الجنه والابتعاد عن النار و یری نفسه هو عارف لنفسه لا عارف لربه، ایس عمل الانبیاء عقلیا، بل شراب کأسه الروح والعقل مجنون لهذا الشراب ۔

زان می خوردم که روح پیمانه اوست
زان مست شدم که عقل دیوانهاوست
روزی بمن آمد آتشی در من زد
آن شمع که آفتاب پروانه اوست

السكر و مقامه في العرفان

يقول عزالدين محمود بن على الكاشاني في كتاب مصباح الهدايه" و مفتاح الكفايه": (٤ ٢) ان لفظ السكر في عرف المتصوفه" عبارة عن رفع التمييز بين الاحكام الظاهريه" والباطنيه" بسبب اختطاف نور العقل في أشعه" نور الذات، والصوفيه" يسمون تلك الوجود والبهجه" التي تولد من الذات باعتبار تواترها وقوة غلبتها بالحال، و باعتبار رفع التمييز بالسكر . و قال أبوبكر الواسطى من مشائخ القرن الرابع : ”مقامات الواجدين أربعه" الذهول ثم الحيرة ثم السكر ثم الصحو . كمن سمع بالبحر ثم دنامنه ثم دخل فيه ثم أخذته الاموا‌ج .

ومثلما يكون التواجد مقدمه" الوجد فيكون التساكر مقدمه" السكر، والمتاسكر الصادق هو الواجد الذى لما يصل الى مقام السكر . والمشتاق والمتطلع هو الذي تصرف غلبه" الحال، بخطفه" يخرجه من يد التفرقه و يغرقه في الجمع اذن فالمتساكر هو أهل الوجد، والسكران هو أهل غلبه" الوجد. والصاحى هو اهل الوجود، و بعبارة أخرى يدعون المتساكر أهل الذوق والسكران أهل الشرب والصاحي أهل الرى. الذائق هو الواجد الذى تنطفئ نار وجده بسرعه" كمثل الذى لم يذق من الشراب الا حسوة. الشارب هو الواجد الذى أمداد وجده متواتر و متلاحق، و قوة عقله من غلبات ذلك الوجد مغلوبه" مثل أدوار كأسات شرابه متعاقبه"، ورأس حبل التمييز من يد تصرفه مسلوب .

والريان هو الواجد الذى من غايه" تمكنه وقوة حاله لايتغير ولا يتأثر من تواتر أمداد الوجد كشارب مدمن أصبحت طبيعه" الشراب من جمله" وجوده و مهما شرب لا يسكر ولا يخرج من حد التمييز.

شربت الحب كأسا بعد كأس فما نفد الشراب ولا رويت

يقول السهروردى فى كتاب ''عوارف المعارف،، فى جملهٔ أصطلاحات اهل التصوف(٣٥) : و منها الذوق والشرب والرى . فالذوق ايمان والشرب علم والرى حال. فالذوق لأرباب البواده والشرب لأرباب الطوالع واللوائح واللوامع والرى لارباب الاحوال .

و فى كتاب طبقات الصوفيهٔ(٣٦) من قول حبش بن داؤود من مشائخ بغداد هكذا منقولهٔ: ''من أسكرته أنوار التوحيد حجبته عن عبارة التجريد لأن السكران هو الذى ينطق بكل مكتوم،،.

وما أحسن مانظمه الحافظ الشيرازى شأن اباحهٔ السر قائلا : ان سكران الحقيقهٔ قد يعلن و يظهر المخفيات المكتومهٔ و اذا أظهر سر الحق و أعلنه أبيح دمه و هدر .(٣٧)

گفت آن يار کزو گشت سردار بلند
جرمش اين بود که اسرار هويدا ميکرد

و الشيخ شهاب الدين السهروردى يقول فى هذا :(٣٨)

وا رحمتا للعاشقين تكلفوا
ستر المحبهٔ والهوى فضاح
بالسر ان باحوا تباح دماؤ هم
و كذا دماء العاشقين تباح

و اذا هم كتموا تحدث عنهم
عند الوشاة المدمع السفاح

و فى ختام هذه المقالة يلزمنى أن أذكر اشعارا من الشيخ شهاب الدين السهروردى يذكر فيها مجلس شراب الحقيقة و يصف فيها شمس تلك الخمرة التى أشرقت و أنارت قلب جميع العارفين الحاضرين فى ذلك المجلس .(٣٩)

لأنوار نور الله فى القلب أنوار
وللسر فى سر المحبين أسرار
و لما حضرنا للسرور بمجلس
وحف بنا من عالم الغيب أسرار
و دارت علينا للمعارف قهوة
يطوف بها من عالم الغيب خمار
فلما شربناها بأفواه دنها
أضاءت لنا منها شموس و أقمار
و كاشفنا حتى رأيناه جهرة
بأبصار صدق لا تواريه أستار
و خالقنا فى سكرنا عند محونا
قديم عليم دائم العفو جبار
سجدنا سجودا حين قال تمتعوا
برؤيتنا انى لكم جار

و شيخ الاشراق فى هذه الابيات يذكر فى الحقيقة اتحاد العاشق والمعشوق يصف تجلى الصديق والمحبوب . و مقصود العرفاء من شرب هذه المدامة

هو الوصول الى هذه المقامات والفناء فى ذات المحبوب الحقيقى يعنى الله عزوجل(١٤)

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها و تشاكل الأمر
فكأنه خمر ولا قدح و كأنها قدح ولا خمر

المراجع

(١) ديوان الهاتف الاصفهانى ص ٩١، طبع مجله‌ٔ أرمغان، مطبعه‌ٔ شرق، سنه‌ٔ ١٣٣٢ .

(٢،٣) كلشن راز، الشيخ محمود الشبسترى، ص ٤٦ و ٤٧ مكتبه‌ٔ تاييد، اصفهان، سنه‌ٔ ١٣٤٦ .

(٤) شرح گلشن راز، الشيخ محمد اللاهيجى، ص ٥٥٣، محمودى، مطبعه‌ٔ حيدرى .

(٥) گلشن راز، ص ٤٧، تأييد، اصفهان .

(٦) معجم مصطلحات العرفاء، الدكتور سيد جعفر السجادى، ص ١٩٤

(٧) معجم مصطلحات العرفاء، الدكتور سيد جعفر السجادى، ص ٢٠٦.

(٨) شرح گلشن راز، اللاهيجى، ص ٥٥٤.

(٩) ديوان المغربى، الطبع الحجرى، ص ٦٧،و ٦٨ .

(١٠) ديوان ابن الفارض، طبع مصر، محمود توفيق، ص ٨٢ .

(١١) كتاب اللوامع، مولانا عبد الرحمن الجامى، ص ٢٧، من منشورات بنياد مهر.

(١٢) كتاب اللوامع، مولانا عبدالرحمن الجامى، ص ٢٧ من منشورات بنياد مهر.

(١٣) ديوان محيى الدين مهدى الهى قمشه اى (نغمه‌ٔ الهى) ص ٤٠١ طبع مطبعه‌ٔ علمى .

(١٤) آيه‌ٔ ٥٢ من سورة آل عمران .

(١٥) المشنوى، لجلال الدين محمد المولوى . لب لباب مثنوى، مولى محسن واعظ كشفى ص ٥١٤، نسخه‌ء الحاج سيد نصر الله تقوى مع مقدمه‌ء الدكتور سعيد النفيسى.

(١٦) راجع ترجمه‌ء الشيخ الرئيس ابى على السينا فى كتاب وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان للقاضى ابن خلكان.

(١٧) آيه‌ء ١٨١ من سورة الأعراف.

(١٨) التفسير الادبى والعرفانى من القرآن المجيد، خواجه عبدالله الأنصارى ص ٣٦٠، تلخيص حبيب الله آموزگار .

(١٩) منقول من شرح ديوان ابن الفارض، النابلسى والبورينى، المجلد الثانى ص ٥٤ .

(٢٠) من آيه‌ء ٨٩ سورة المائدة .

(٢١) راجع آيه‌ء ٢٠ و ٢١ من سورة الدهر (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) .

(٢٢) آيات ٣٩ حتى ٤٧ من سورة الصافات.

(٢٣) راجع آيات ٥٤ و ٥٥ من سورة الواقعه‌ء .

(٢٤) آيه‌ء ٤ من سورة يونس.

(٢٥) شرح ديوان ابن الفارض، لابى الحسن البورينى و عبد الغنى النابلسى، ج ٢، ص ١٤٤.

(٢٦) كليات ديوان فيض الكاشانى، ص ٢٠ و ٢١ من منشورات مكتبه‌ء شمس، تهران، اسلاميه‌ء.

(٢٧) من اشعار الشيخ فريد الدين العطار النيشابورى .

(٢٨) شرح گلشن راز — اللاهيجى ٣٤، طبع مطبعه‌ء محمودى.

(۲۹) شرح گلشن راز – اللاهیجی ص ۶۰۱ طبع مطبعهٔ محمودی.

(۳۰ شرح گلشن راز – اللاهیجی ص ۵۳۲ طبع مطبعهٔ محمودی .

(۳۱) شرح گلشن راز – اللاهیجی ص ۶۱۳ طبع مطبعهٔ محمودی.

(۳۲) راجع ترجمهٔ الشیخ شهاب الدین السهروردی فی کتاب وفیات الاعیان.

(۳۳) کتاب المعارف، لبهاء ولد، بتصحیح الاستاذ بدیع الزمان فروز انفز.

(۳٤) راجع مصباح الهدایهٔ، بتصحیح و مقدمهٔ الاستاذ جلال الدین الهمائی، مکتبهٔ سنائی ج ۲ ص ۱۳۶.

(۳۵) نقله الاستاذ جلال الدین الهمائی، فی حاشیهٔ صفحهٔ ۳۷ ,کتاب المعارف .

(۳۶) طبقات الصوفیهٔ، الشیخ ابو اسمعیل عبد الله الهروی الانصاری، صفحهٔ ۳۲۳.

(۳۷) دیوان الحافظ الشیرازی، طبع علمی، ص ٦٤.

(۳۸) راجع ترجمهٔ السهروردی فی کتاب وفیات الاعیان .

(۳۹) راجع ترجمهٔ السهروردی فی کتاب وفیات الاعیان .

(٤۰) راجع ترجمهٔ صاحب بن عباد فی کتاب وفیات الاعیان . للقاضی ابن خلکان.

حفظ القرآن عن طريق الصدور

د . سيد سعيد الله
استاذ بقسم الاسلاميات
جامعه‌ٔ بشاور، بشاور

(٢)

خامسا تقسيم القرآن الى سور و اجزاء، : قسم القرآن الى السور ليكون ابعث للقارئ، و الحافظ على الدرس و الحفظ كما قال الزمخشرى فى بيان فوائد تقطيع القرآن سورا : ”و منها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم أخذ فى آخر كان انشط له و أهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه لواستمر على الكتب بطوله. و مثله المسافر اذا علم انه، قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى رأس بريد نفس ذلك و نشطه للسير ، و من ثم جزأ القراء القرآن اسباعا و اجزاء و عشورا و اخماسا .

و منها الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله طائفه‌ٔ مستقله‌ٔ بنفسها، لها فاتحه‌ٔ و خاتمه‌ٔ، فيعظم عنده ما حفظه، و يجل فى نفسه، و يغتبط به، و منه حديث انس رضي الله عنه : ”كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا و من ثمه‌ٔ كانت القراءة فى الصلاة بسورة تامه‌ٔ افضل(١٩) .

و قال السيوطى فى بيان حكم تسوير القرآن سورا : ثم ظهرت لذلك حكمه‌ٔ فى التعليم و تدريج الاطفال من السور القصار الى مافوقها تيسيرا من الله على عباده لحفظ كتابه ، و ذكر فى تاييد ذلك قول الزركشى : ”ان فيه تيسيرا للحفظ،،(٢٠) .

سادسا : تنزيل القرآن منجما: لم ينزل القرآن دفعة واحدة بل نزل منجما كما قال الله تعالى : "و قرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث و نزلناه تنزيلا (٢١)

وكان من الحكمة في تنزيله منجما ان سهل على الصحابة حفظ ما نزل من القرآن، كما قال الآلوسي في تفسير الآية: دال على تدريج نزوله ليسهل حفظه و فهمه .(٢٢) وقال موسى جار الله في تأليفه تاريخ القرآن و المصاحف : "وكلما نزل عليه عليه الصلاة والسلام آية او سورة و سرى عنه كان يقرئ الصحابة ما نزل ويستحفظهم، فيحفظونه على الفور عن ظهر قلب ويعتنون بذلك كل الاعتناء، لان الحفظ الحرفي في عصر الرسالة وزمن النزول كان من اعظم العبادات واقرب القرب، و كانوا اذا حفظوا آية من النبي صلى الله عليه وسلم يرددونها عليه غير مرة ويتلونها امامه، حتى يزداد تثبتهم من حفظها وادائها، و يسئلونه هل حفظت كما انزلت حتى يقرهم عليها، و بعد اتقان الحفظ والتثبت في تمام الضبط اخذ كل واحد منهم ينشر ما حفظ، كانوا يعلمونه للاولاد والصبيان والذين لم يشهدوا النزول ساعة الوحي من اهل مكة والمدينة و من حولهم من الناس، فلا يمضي يوم او يومان الا وما نزل محفوظ في صدور جماعة غير محصورين .

وقد قال العلامة محمد زاهد الكوثري: "و سهل حفظ القرآن على الصحابة ما آتاهم الله من قوة الذاكرة و سرعة الحفظ، وما حفظه العرب من القصائد والخطب والشواهد والامثال مما يدهش الامم .(٢٣)

و مما يؤيد ما ذكر موسى جار الله والعلامة الكوثري رواية ذكرها صاحب المشكوة عن عمرو بن سلمة انه قال: "كنا بماء ممرالناس يمر بنا الركبان نسئلهم ما للناس؟ ما للناس؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون : "يزعم ان الله ارسله و اوحى

اليه، او حي اليه كذا،، . فكنت احفظ ذلك الكلام، فكانما يغرى في صدرى، و كانت العرب تلوم باسلامهم الفتح، فيقولون اتركوه وقومه، فانه ان ظهر عليهم فهو نبي صادق ، فلما كانت وقعة الفتح بادر كل قوم باسلامهم، وبدأبى قومى باسلامهم فلما قدم قال : جئتكم والله ﷺ عند النبى حقا، فقال : صلوا صلوة كذا في حين كذا و صلوة كذا في حين كذا، فاذا حضرت الصلوة فليؤذن احدكم فليؤمكم اكثركم قرآنا، فنظروا فلم يكن احد اكثر قرآنا منى، لما كنت اتلقى من الركبان، فقدمونى بين ايديهم وانا ابن ست او سبع سنين و كانت على بردة، كنت اذا سجدت تقلصت عنى، فقالت امرأة من الحي الا تغطون عنا است قارئكم، فاشتروا فقطعوا لى قميصا فما فرحت بشئ فرحي بذلك القميص .(٢٤)

وكان العرب اقوى الناس ذاكرة كما انهم كانوا احرص الناس على حفظ القطع الادبية من الشعر والنثر و حفظ الانساب. فلما نزل القرآن رأوا ان القرآن اولى بالحفظ من هذا كله، لانه اعلى درجة في البلاغة من منثورهم و منظومهم. ولا ادل على ذلك من قول هذا الصحابى عمرو بن سلمة انه كان يسأل الركبان كلما مروا عليه عما نزل جديدا من القرآن، فكان يحفظ حتى اصبح احفظ قومه لكتاب الله تعالى، وهو ما يزال صبيا صغيرا . و هذا نموذج واحد من نماذج كثيرة كانت موجودة في العرب و بين الصحابة بالذات .

سابعا — معارضة جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن: كان جبريل عليه السلام يعارض رسول الله صلى الله عليه وسلم بما نزل من القرآن كل سنة في رمضان، وفي السنة التي توفى فيه عارضه مرتين، كما قالت فاطمة الزهراء رضي الله عنها : اسر الى النبى صلى الله عليه وسلم ان جبريل كان يعارضنى بالقرآن كل سنة، وانه عارضنى العام مرتين، ولااراه الا حضر اجلى(٢٥).

قال ابن حجر العسقلانی: ''والمعارضة مفاعلة من الجانبین، کأن کلا منهما کان تارة یقرأ والآخر یستمع.(٢٦)

وقال الشیخ محمد زاهد الکوثری'' والمعارضة تکون بمعارضة هذا مرة واستماع ذاك، ثم قراءة ذاك واستماع هذا، تحقیقا لمعنی المشارکة، فتکون القراءة بینهما فی کل سنة مرتین، وفی سنة وفاته اربع مرات،،(٢٧).

وما کانت معارضة ما نزل من القرآن فی کل رمضان الا للتثبت بالالفاظ واللهجة اللتین کان قد اخذهما رسول الله صلی الله علیه وسلم من جبریل علیه السلام وقت النزول، فکانت هذه ایضا وسیلة لحفظ القرآن کما انزل .

ثامنا — ایجاب القراءة فی الصلواة : اوجب الله تعالی قراءة القرآن فی الصلاة وجوبا لازبا حتی انه ، عبر عن صلواة الفجر بـ ''قرآن الفجر،، فی قوله عزو جل : ''أقم الصلواة لدلوك الشمس الی غسق اللیل و قرآن الفجر(٢٨)،، . کأنها اشارة الی انه یطلب فیها من تطویل القراءة مالم یطلب فی غیرها . و عبر عن القراءة بالصلواة فی قوله تعالی : ولا تجهر بصلاتك،،(٢٩) .

قال البخاری فی تفسیر هذه الآیة: ''ای بقراءتك، فیسمع المشرکون فیسبوا القرآن ولا تخافت بها عن اصحابك فلا تسمعهم،،(٣٠) .

وقال العلامة ابن حجر العسقلانی: ''وفی روایة الطبری،، ولاتجهر بصلاتك،، ای لاتعلن بقراءة القرآن اعلانا شدیدا فیسمعك المشرکون فیؤذونك ،، (٣١)

وروی ابن مسعود رضی الله تعالی عنه فی حدیث طویل عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال : انما الصلوة لقراءة القرآن و ذکر الله(٣٢) .

فبایجاب القراءة فی الصلوة اوجب الله تعالی علی کل فرد من افراد الأمة ان یکون هو حافظا لحصة من القرآن ان لم یستطع ان یحفظ القرآن کله، لیقرأ القرآن

من ذاكرته فيما بين اوقات الصلوات كل يوم خمس مرات في خمس صلوات.

وقد رغبت الآيات والاحاديث في النوافل في الاوقات كلها وبالليل خاصة (٣٣) حيث تكون النفس فارغة عن المشوشات، متوجهة الى مايقرأ من القرآن، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم بالليل حتى انتفخت قدماه(٣٤) وقدرآه حذيفة رضى الله تعالى عنه انه صلى من الليل اربع ركعات قرأ فيهن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة(٣٥) .

وقد تابع الصحابة رجالهم ونساؤهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا العمل حتى ان منهم من كانوا لاينامون ليلهم فامرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالاقتصاد في العمل(٣٦) .

وقد ارشد الى ذلك بقوله تعالى : "ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل و نصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسر من القرآن علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله، وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرأوا ما تيسر منه واقيموا الصلوة(٣٧) .

و ذكر في تعليله ثلاثة اشياء: المرض وابتغاء الرزق والقتال في سبيل الله، لان قصد المؤمن حفظ القرآن واشاعته. ولايتيسر له هذا الا بسلامة الآلات من عقل كامل وصحة كاملة و فراغ من قتال الاعداء و طلب الرزق. و من هنا خفف الله تعالى قراءة القرآن في هذه الاحوال الثلاثة، وانكر على من يشق على نفسه وهو مريض او يجاهد او يبتغي الرزق فقال : "فاقرأواما تيسر منه" .

تاسعا — الترغيب فى التلاوة خارج الصلواة : امر النبى الكريم صلى الله عليه وسلم بتعليم القرآن و تعلمه وتفقده و محافظته والمداومة على تلاوته خارج الصلواة . فقد قال عثمان بن عفان : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خيركم من تعلم القرآن وعلمه،،(٣٨) .

وقال ابوهريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعلموا القرآن فاقرأوه فان مثل القرآن لمن تعلم فقرأ وقام به كمثل جراب محشو مسكا تفوح ريحه كل مكان، و مثل من تعلمه فرقد وهو فى جوفه كمثل جراب وكئ على مسك،،(٣٩).

قال على بن سلطان محمد القارى الهروى فى شرح قوله عليه الصلواة والسلام : ''تعلموا القرآن،، : ''اى لفظه ومعناه،، قال ابو محمد الجوينى : ''تعلم القرآن و تعليمه فرض كفاية لئلا ينقطع عدد التواتر فيه فلا يتطرق اليه تبديل و تحريف،، . قال الزركشى: ''واذا لم يكن فى البلد او القرية من يتلو القرآن اثموا بأسرهم،، . و ظاهر كلام الزركشى ان كل بلد لابد فيه ان يكون من يتلو القرآن فى الجملة، لان تعلم بعض القرآن فرض عين على الكل . فاذا لم يوجد هناك احد يقرأ اثموا جميعا، كما لا يحصل عدد التواتر الا بما قاله الزركشى(٤٠).

وعن ابى موسى الاشعرى انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ''تعاهدوا القرآن، فو الذى نفسى بيده لهو اشد تفصيا من الابل فى عقلها،،(٤١) و مثله عن ابن مسعود. (٤٢) وروى ابو سعيد عنه عليه الصلاة والسلام : ''يقول الرب تبارك و تعالى: ''من شغله القرآن عن ذكرى و مسئلتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين، و فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه،،(٤٣) .

وروى ابوذر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه : اى الناس اغنى ؟ قالوا : ''ابو سفيان بن حرب،،: قال آخر : ''عبدالرحمن بن عوف،، . قال آخر : عثمان بن عفان،، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ''اغنى الناس حملة القرآن من جعله الله فى جوفه،،(٤٤) .

عاشرا — جعل المساجد مدارس لتعليم القرآن : كما انه فرضت قراءة القرآن فى الصلواة ورغب فى قراءته خارج الصلواة، كذلك اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوته الحسنة للمؤمنين بأن جعل من اغراض اقامة المساجد ان تكون مدارس لتعليم القرآن وتعلمه. فقد جعل صلى الله عليه وسلم صفة مسجده لمدارسة القرآن و حفظه حيث كان نحو من اربعمائة رجل من فقراء المهاجرين(٤٥) يستغرقون اوقاتهم لتعلم القرآن ليلا والجهاد نهارا(٤٦) . و كان ابو هريرة ناظرهم ونقيبهم و متفقد حالهم ورقيبهم.(٤٧) و كان عددهم يتفاوت، فاذا قدمت جماعة من الخارج وانضمت اليهم كثروا، واذا مات منهم واحد او سافر او تزوج قلوا(٤٨) . كما قال ابو سعيد الخدرى: جلست فى عصابة من ضعفاء المهاجرين، يعنى اصحاب الصفة (٤٩) وان بعضهم ليستتر ببعض من العرى، وقارئ يقرأ علينا اذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم سكن القارئ فسلم ثم قال: ''ماكنتم تصنعون ؟ قال : كنا نستمع الى كتاب الله، فقال : الحمد الله الذى جعل من أمتى من أمرت ان اصبر نفسى معهم . قال : فجلس وسطنا ليعدل بنفسه فينا، ثم قال بيده هكذا، فتحلقوا و برزت وجوههم له، فقال: أبشروا يا معاشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم و ذلك خمسمائة سنة،، .(٥٠)

و قال عقبة بن عامر: خرج رسول الله صلى الله عليه و نحن فى الصفة، فقال: ايكم يحب ان يغدو كل يوم الى بطحان أو العقيق فياتي بناقتين كوماوين في غير اثم ولا قطع رحم؟ فقلنا: "يا رسول الله: كلنا نحب ذلك". قال: "افلا يغدو احدكم الى المسجد فيعلم او يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، واربع خير له من اربع، ومن اعدادهن من الابل". (٥١)

وروى ابوهريرة في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم "وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة و حفتهم الملئكة و ذكرهم الله فيمن عنده." (٥٢)

قال الملا على القارى فى شرح قوله صلى الله عليه وسلم "يتدارسونه بينهم": "والتدارس قراءة بعضهم على بعض تصحيحا لالفاظه او كشفا لمعانيه كذا قاله عبدالملك. و يمكن ان يكون المراد بالتدارس المدارسة المتعارفة بان يقرأ بعضهم عشرا مثلا و بعضهم عشرا آخر و هكذا فيكون اخص من التلاوة او مقابلا لها، والاظهر انه شامل لجميع ما يناط بالقرآن من التعليم والتعلم (٥٣) الحادى عشر – مكاتب التحفيظ: و كما انه جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعراض اقامة المساجد ان تكون مدارس لتعليم القرآن و تعلمه كذلك اقام اسوته الحسنة بان كان هناك في المدينة دار لقراء، وهي دار مخرمة بن نوفل ينزلها القراء ويستخرج منه اتخاذ المدارس،(٥٤) وقد نزلها عبدالله بن ام مكتوم الأعمى القرشى العامرى لما قدم المدينة مهاجرا بعد بدربيسير. (٥٥)

وكما انه فضل الله المساجد و شرفها على الاماكن كلها، كذلك شرف الامكنة التى بنيت لتلاوة كتاب الله تعالى وتدارسه، كما قال الملا على القارى

في شرح كلمة "من بيوت الله" في الحديث السابق الذى ذكرناه : "والعدول عن المساجد الى بيوت الله ليشمل كل ما يبنى تقربا الى الله تعالى من المساجد والمدارس والربط .(٥٦)

الثاني عشر — بعث القراء والبعث الى القراء : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث قراء لتعليم القرآن الى ناحية خاصة، كما كان يبعث رجالا الى قارئ ليتعلموا منه . كما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من القوم الذين بايعوه في العقبة الاولى بعث معهم مصعب بن عمير، وامره ان يقرئهم القرآن، ويعلمهم الاسلام، ويفقههم في الدين، وكان رضى الله عنه يسمى في المدينة المقرئ (٥٧) و كان يصلى بهم، ولما قدم المدينة نزل على اسعد بن زرارة فكان يطوف به على دور الانصار يقرئهم القرآن، ويدعوهم الى الله عزوجل، فاسلم على يديهما جماعة، منهم سعد بن معاذ واسيد بن حضير و غيرهما . وقد ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه عمرو بن ام مكتوم . (٥٨)قال البراء رضى الله عنه : "اول من قدم علينا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير و ابن ام مكتوم فجعلا يقرءاننا القرآن" .(٥٩)

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصحاب الصفة سبعين من القراء الى اهل نجد ليقرئوا عليهم القرآن. فلما نزلوا بئر معونة قتلوا خداعا .(٦٠)

وكان معاذ بن جبل قد بعثه النبى صلى الله عليه وسلم قاضيا الى الجند من اليمن ليعلم الناس القرآن و شرائع الاسلام و يقضى بينهم وجعل اليه قبض الصدقات من العمال الذين باليمن .(٦١)

واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن اسيد على مكة، و خلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس ويعلمهم القرآن .(٦٢)

واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على نجران عمرو بن حزم بن زيد الانصاری و هو ابن سبع عشرة سنة" ليفقهم فى الدين ويعلمهم القرآن ويأخذ صدقاتهم، وذلك سنة" عشر بعد ان بعث اليهم خالد بن الوليد فاسلموا .(٦٣)

و قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم بن جابر الى اسيد ابن حضير ان يمونه و يعلمه .(٦٤)

وقد سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الارزق بن عقبة" الثقفى لخالد بن سعيد ليمونه و يعلمه، و كان الازرق من عبيد الحارث بن كلدة الثقفى و كان ممن نزل على النبى صلى الله عليه وسلم، واسلم، واعتقه .(٦٥)

تواتر الاعتناء بحفظ القرآن المجيد عن طريق الصدور: لقد عرف المسلمون قاطبة" ان كتاب الله عزوجل هو دستورهم الاول والآخر لم يترك صغيرة ولا كبيرة الااحصاها، و تحدث عنها ، و أخبر عن خباياها، و حق لله سبحانه ان يقول ما فرطنا فى الكتاب من شئ،، .(٦٦) ولهذه الاسباب اعتنى به المسلمون عن طريق التعلم والتعليم، فكانوا كلما دخلوا بلدا فاتحين او عمروا قرية" او بلدا كان اول عملهم بناء المساجد (٦٧) التى من اغراضها حفظ القرآن و تعليمه و مدارسته سواء كانت هذه عن طريق الصلواة او عن طريق التعليم بعد الصلواة، كما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسس مسجد قباء قبل دخوله المدينة" المنورة .(٦٨) ولما دخلها كان اول عمله بناء(٦٩) المسجد النبوى على صاحبه افضل الصلوات واكمل التحيات. وقد عين فيه مكان سمى بالصفة" كان يجلس فيها القراء حتى اطلق عليهم اصحاب الصفة" تسمية" باسم هذا المكان .

وصارت هذه سنة" مجيدة لنا نحن المسلمين ورثناها عنهم، حتى اصبح فى هذا العصر لايكاد يخلو مسجد من مساجد المسلمين الا وفيه مكان لتحفيظ القرآن

وتعليمه .

كما لاتكاد تخلو قريه ولا مدينه الا و فيها أكثر من مكتب او مدرسه لقراءة القرآن و تحفيظه و تعليمه وتعلمه، يرسل المسلمون اولادهم الصغار الى هذه المكاتب والمدارس سواء كانوا ذكورا او اناثا اصحاء ام معلولين معذورين، يكون شغلهم الشاغل قراءة القرآن و تعلمه. و قد وكل نظام هذا الامر الى المسلمين، فهم ينشئون هذه المدارس والمكاتب من اموالهم الخاصه سواء عاونتهم الحكومات أم لم تعاونهم ، سواء كانت هذه البلاد من الدول الاسلاميه او التى يحكمها حكام غير مسلمين، وسواء كانوا قله أو كثرة اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث جعل دار مخرمه بن نوفل دارا للقراء في المدينه المنورة.(٧٠) وقد صارت هذه سنه حكيمه توارثنا ها جيلا بعد جيل .

كما لا يكاد يخلو بيت من بيوت المسلمين الاوفيه ذوات الخدور و صاحبات الشرف والكرامه يقرأن القرآن و يتعلمن و يعلمن فى بيوتهن اقتداء بأمهات المؤمنين حيث امر هن الله تعالى بقوله عزوجل : و قرن فى بيوتكن،، . (٧١) واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمه .،،(٧٢)

وتلاوة القرآن المجيد في الأذاعات ايضا ذريعه لحفظه حتى فى اذاعات البلاد غير المسلمين.

و لهذه الطرق كلها ظل القرآن المجيد محفوظا من كل تحريف و تغيير من حين النزول الى يومنا هذا و سيكون الى يوم القيمه حسب وعده تبارك و تعالى ''انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون،، .(٧٣) و هكذا تمت و تتم حجه الله تعالى على الناس جميعا ولم توجد ولن توجد حاجه الى بعث النبى ولا الرسول بعده

صلى الله عليه وسلم، ولا الى انزال كتاب بعد القرآن المجيد . نسأل الله تعالى ان يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله وأولئك هم اولو الالباب .(٧٤)

المراجع

(١٩) الزمخشري : الكشاف ١ : ٢٤١

(٢٠) السيوطي : الاتقان ١ : ٦٦

(٢١) سورة بني اسرائيل ١٧ : ١٠٦

(٢٢) الآلوسي : روح المعاني ١٥ : ١٧٤

(٢٣) الكوثري : المقالات : ٤

(٢٤) مشكوة المصابيح مع الشرح المرقاة ٣ : ١٨ طبع ملتان، باكستان

(٢٥) صحيح البخاري مع فتح الباري ١٠ : ٤١٩

(٢٦) فتح الباري ١٠ : ٤١٩

(٢٧) الكوثري : المقالات : ٤

(٢٨) بني اسرائيل ١٧ : ٧٨

(٢٩) بني اسرائيل ١٧ : ١١٠

(٣٠) صحيح البخاري ٢ : ٦٨٦

(٣١) فتح الباري ١٠ : ٢٠

(٣٢) مشكوة المصابيح : ٩١٠

(٣٣) الآيات والاحاديث فى هذا الموضوع كثيرة راجع لها سورة المزمل والفرقان و آل عمران وآلم السجدة و غيرها من السور و باب قيام الليل فى كتب الحديث.

(٥٥) الاستيعاب ١ : ٣٣٧

(٥٦) مرقاة المفاتيح ١ : ٣٧١

(٥٧) الطبرى : تاريخ الامم والملوك ٢ : ٢٣٥

(٥٨) زاد المعاد لا بن القيم الجوزيه ٢ : ٥١

(٥٩) صحيح البخارى ٢ : ٧٣٦

(٦٠) صحيح البخارى ١ : ٤٤٩

(٦١) الاستيعاب ١ : ٢٣٨

(٦٢) التراتيب الاداريه ١ : ٤٢

(٦٣) الاستيعاب ٢ : ٤٣٧

(٦٤) الاصابه ١ : ١١

(٦٥) الاصابه ١ : ١١

(٦٦) الانعام ٦ : الآيه ٣٨

(٦٧) كما ان عمر الفاروق رضى الله عنه لما امر بتخطيط الكوفه كان اول شئ اسس فيها المسجد الخضرى اتمام الوفاء ص ٩٨

(٦٨) قال العلامه ابو السعود فى تفسير قوله تعالى: "لمسجد اسس على التقوى يعنى مسجد قباء آسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم و صلى فيه ايام مقامه بقباء وهى يوم الاثنين والثلاثاء والا ربعاء والخميس . ابو السعود : تفسير ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم .

(٦٩) الطبرى : تاريخ الامم والملوك ٢ : ٢٥٦

(٧٠) التراتيب الادايه ١ : ٤٠

(٣٤) سنن الترمذی : ٥٨٨

(٣٥) سنن الترمذی : ٥٨٩

(٣٦) الجامع الصحیح للقشیری ١ : ٢٦٦

(٣٧) المزمل ٧٣ : ٢٠

(٣٨) البخاری : الجامع الصحیح ١ : ٤٥٢

(٣٩) مشکوة المصابیح شرح مرقاة المفاتیح ٤ : ٣١٢

(٤٠) ملاعلی القاری ، مرقاة المفاتیح ٤ : ٣٢٢

(٤١) صحیح مسلم ١ : ٢٦٨

(٤٢) صحیح مسلم ١ : ٣٤٥

(٤٣) جامع الترمذی : ٥، ٤

(٤٤) کنز العمال ٢ : ١٨٨

(٤٥) مرقاة المفاتیح ١٠ : ٩

(٤٦) مرقاة المفاتیح ٣ : ٨٠

(٤٧) البغوی : معالم التنزیل ١ : ٢٩٤

(٤٨) الجمل : الفتوحات الالهیہ ١ : ٢٢٦

(٤٩) مرقاة المفاتیح ٥ : ٧

(٥٠) سنن ابی داود ٢ : ١٦٠

(٥١) صحیح مسلم ١ : ٢٧٠

(٥٢) صحیح مسلم ٢ : ٣٤٥

(٥٣) مرقاة المفاتیح ١ : ٣٧١

(٥٤) الکتانی : التراتیب الاداریہ ١ : ٤٢

(٧١) الاحزاب ٣٣ : الآية ٣٣

(٧٢) الاحزاب ٣٣ : الآية ٣٤

(٧٣) الحجر ١٥ : الآية ٩

(٧٤) الزمر ٣٩ : الآية ١٨

★ ★ ★

ترجمة نخبة من قصيدة العلامة اقبال

ترجمة : عبدالرحمن الطاهر السورتي

ان هذا العالم المزدحم بألأصوات والألوان
ان هذا العالم الذى هو رهين الفناء الموتان
ان هذا العالم الذى هو معبد للعيون والآذان
والذى يتوقف فيه الحياة على الخبز والماء
انما هو مرحلة اولى للذاتية
ايها المسافر ! ليس هذا محط آمالك و منتهاك
اعبر هذه الحواجز، وواصل السير الى الأمام
و حطم طلسم الزمان والمكان
هناك عوالم اخرى، لم يكشف القناع عنها بعد
اذ ليس ضمير الكون عقيما
كل ما في الكون ينتظر مبادرتك
و يشتاق الى ابتكارك و اختراعك
و ما غاية صروف الزمان
الا ان تتجلى ذاتيتك
انك صاحب فتح وظفر، ومسخر عالم الخيروالشر
كيف أنبئك بما كتب لك من المجد؟!

(بال جبريل : ١٢٨، ١٢٩)

مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية

اسلام آباد، پاکستان

		في پاکستان (روپية)
١- Islamic Methodology in History	للدكتور فضل الرحمان	٢٥-٠٠
٢- Qura'nic Concept of History	لمظهر الدين الصديقي	٢٥-٠٠
٣- Al-Kindi, The Philosopher of the Arabs	لبروفيسور جارج ابن عطية	٢٥-٠٠
٤- Imam Razi's 'Ilm-al Akhlaq (ترجمة كتاب النفس والروح مع تعاليق)	للدكتور محمد صغير حسن المعصومي	٢٥-٠٠
٥- Alexander Against Galen on Motion	لبروفيسر نكولاس ريشير و ميكائيل مارموورا	١٥-٠٠
٦- Concept of Muslim Culture in Iqbal	لمظهر الدين الصديقي	١٥-٠٠
٧- The Early Development of Islamic Jurisprudence	للدكتور احمد حسن	٢٥-٠٠
٨- Proceedings of the International Islamic Conference	جامعه : الدكتور ايم - اے خان	١٠-٠٠
٩- مجموعة قوانين اسلامية الجزء الاول (باللغة الاردية)	لتنزيل الرحمان	٣٥-٠٠
١٠- ايضا الجزء الثاني ايضا	"	٣٥-٠٠
١١- ايضا الجزء الثالث ايضا	"	٣٠-٠٠
١٢- ايضا الجزء الرابع ايضا	"	٣٥-٠٠
١٣- تقويم تاريخي (باللغة الاردية)	لمولانا عبدالقدوس الهاشمي	١٥-٠٠
١٤ الاجماع و باب الاجتهاد (باللغة الاردية)	لكمال الفاروقي	٤-٠٠
١٥ الرسائل القشيرية (باللغة العربية مع ترجمتها الاردية)	لابي القاسم عبدالكريم القشيري - ترجمة الدكتور پير محمد حسن	١٠-٠٠

الدراسات الإسلامية

مجلة مجمع البحوث الاسلامية

اسلام آباد - باكستان

المجلد الرابع عشر، العدد الثالث

سبتمبر ١٩٧٩م   رمضان ١٣٩٩هـ

المحتوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

كتب الله الاحسان على الناس في القرآن، الاحسان في الفكر و القول، الاحسان في العلم و العمل، الاحسان في كل شئ حتى في ازالة الشر، و معنى الاحسان أكمل العمل واتقانه و انجازه بطريق اصلح وانفع للناس والاشياء، فاتقان العمل يحتاج الى الاجادة و بذل الجهود الامكانية لتحسينه ، فكأن المتقن القى بنفسه في مسابقة مع المتقنين الآخرين ليعمل احسن منهم و يختار الاحسن، فان الرجل لا يكون متقنا الا اذا عمل بمثل عمل الناس وفاقهم ، و من المعلوم ان الله عنده ميزان يوزن فيه الصغيرة و الكبيرة، فالذى يعمل الحسنة أو الحسن فانه لا يخسر، و ينجو من الهلاك، و لكنه اذ لم يأت بشئ جديد في ميزانه، تتساوى كفتاه، والفوز لمن رجحت حسناته كفته، و ذلك مالا يتأتى الا بالعمل الأحسن.

و من المفكرين من ذهب الى ان من يعمل الحسن فقد عمل المباح الذى لاثواب فيه ولاعقاب، اما الذى يعمل الأحسن فالله سبحانه و تعالى يتقبل عنه أحسن ما عمل. أنظر تفسير القرطبي في تفسير الآية "اولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا (سورة الاحقاف : ١٦) .

و كذلك الآية التى تبشر العباد (في سورة الزمر : ١٨) بأنهم الهداة وانهم أولوا الالباب، تشترط عليهم ان يتبعوا الأحسن، لأن اتباع الأحسن يقتضى العلم واعمال العقل والتفكير والنقد، و تمييز الأحسن من الحسن، و اختيار الأنفع والأصلح،

كما انه يدفع المفكر الى حل جديد ملائم عندما لا يوافقه الحلول القديمة، ان اتباع الأحسن و عمل الأحسن فريضة على العباد، لأن العبادة لا تكمل الا بعد ما نعمل الأحسن .

واذكر هنا كلمتي التي القيتها في الجامعة الامريكية، بالقاهرة، حول موضوع "الأحسان في القرآن" ، فسألني طالب ياباني بعد المحاضرة :
يا استاذ ! انا دائما اعمل الأحسن، واجتهد غاية اجتهادى لاعمل الا حسن، ولكنى مسيحي، فما رأيك في ؟ فقلت له : ان الله سبحانه و تعالى لا ينظر الى دعاوى الانسان وأمانيه ، و انما ينظر الى عمله، من يعمل سوءا يجزبه . من يعمل مثقال ذرة خيرا يره . و من يعمل مثقال ذرة شرا يره . فالذى يعمل الأحسن فانما يعمل عمل المسلم وأن لم يدر ما الاسلام . لا جل تقصير المسلمين الذين لم ينشروا تعاليم الاسلام ولم يبشروا برسالات الله، و ليس الله بظلام للعباد، وانه لا يضيع اجر من أحسن عملا .

و عندما نلقى نظرة عابرة على القرون العشرة الغابرة نجد تاريخ المسلمين خاليا من الأحسن الا نادرا، و ذلك لأنهم رضوا بالحياة الدنيا، و استبدلوا الذى هو ادنى بالذى هو خير، ولم يعتصموا بحبل الله جميعا، فلم يبق لهم سوى حبل من الناس : التمسك بأهداب السادة والكبراء، و اتباع عادات الآباء والاسلاف و تقاليدهم، والانقياد للفقهاء، و تبنى انتاج غيرهم من العلماء والمخترعين في جميع الحقول والمجالات اما طوعا واما كرها .

يؤسفنا جدا ان نرى صحيفة أعمال الأمة الاسلامية التى فرض عليها استباق الخيرات، و عمل الخير والأحسن، فارغة من الابتكار والأختراع، وان نرى الأمة التى دعيت الى العلم والقراءة وأخرجت من ظلمات الجهل والخرافات، و فتح لها باب العلم والبحث

بالتبيين على مصراعيه منقلبة على اعقابها. وما لهذه الامة التي كانت تطالب الناس بالحجج و البراهين لاثبات الصدق خالية من العلوم والبراهين، ان الامة في حاجة الى سرعة السير للالتحاق بالقافلة العلمية، ولكنها جعلت اصابعها في آذانها واستغشت ثيابها ورضيت بالخمول والتعطل .

ان الاحسان يتطلب التغير و اختيار الاحسن، ولكنا رضينا بما ألفينا عليه آباءنا، ولم نتخذ لما ألفوا من الكتب وما اقترحوا علينا من الحلول الفقهية بدلا . نرى كل كلمة من كتبهم ثابتة لا تقبل التبديل والتحويل، اننا نضيع اوقاتنا الثمينة بالرجوع الى الوراء، و تسليم السلف مقاليد امورنا، و تفويض العلماء والفقهاء القدامى حلول مشاكلنا الجديدة . يجب علينا ان ننتهي و نستيقظ، و ان لا نتوكل الا على الله وحده سبحانه و تعالى، فلقد خسرنا كثيرا بالاماني المضللة، والاستسلام أمام التحديات الموجهة، صيدنا الظالم ولا نتخذ لطرده من الاسباب، ولا نتسلح بأسلحته، فان كنا نريد تحسين اوضاعنا فعلينا بالإحسان في كل عملنا. فان الاحسان من الدين والدين كله عبادة .

حقيقة الامام فی الاسلام

الاستاذ محمد جعفرشاه الفلواروی، کراتشی

ان لفظ الامام يطلق على معان :

(١) من يقتدى به خيرا كان او شرا باذن الله كان او من عند الناس — و مثاله في القرآن :

(الف) وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا (٢١ : ٧٣)

اى جعلنا ابراهيم ولوطا واسحاق و يعقوب من الانبياء المذكورين في الآيات السابقة ائمة خير لانهم يهدون امتهم الى الخير بامر ربهم. فكل نبى مقتدى به و مطاع باذن الله لابنصب الناس او انتخابهم .

(ب) و جعلناهم ائمة يدعون الى النار (٢٨ : ٤١)

اى جعلنا فرعون و جنوده المذكورين سالفا ائمة شر يهدون مقتديهم الى نار جهنم فكل قائد و زعيم و رئيس يهدى الى الباطل، امام الشر لا يقتدى به الا الضالون .

(٢) و يطلق هذا اللفظ على الشارع الواسع، و مثاله في القرآن : وانهما — اى قوم لوط و اصحاب الايكة المذكورين من قبل — لبامام مبين (١٥ : ٧٩)

(٣) و يطلق هذا على الصحف السماوية و مثاله في القرآن : و من قبله كتاب موسى اماما ورحمة . و هذا لأن كتاب موسى يقتدى به باذن الله.

(٤) و يطلق هذا اللفظ على من له مهارة و حذاقة في علم او فن و تقدم ملموس في حقله حتى يتبعه فيه كل من يأتى بعده كما ان ابا حنيفة النعمان امام

في الفقه و اسماعيل البخارى امام فى الحديث، و محمد الغزالى امام فى الفلسفه"، ثم ان امامه" هؤلاء و امامه" الانبياء، بينهما بون شاسع و فرق واضح، نذكر بعضه ادناه:

(الف) النبوة ، ينحصر الايمان والكفر على قبولها وردها وليست هذه الامامه" كذلك . فان انكر رجل مسلم امامه" الغزالى فى الفلسفه" فانه سلك طريقا غير معقول و لكنه لن يخرج من الايمان .

(ب) ان النبى يعلن بنبوته وينادى ويدعو الناس الى الايمان بها . والامام لا يدعى امامته ولا يعلن ولا ينادى ولا يدعو الناس الى قبولها والايمان بها فاذا فعل فهو مردود لاريب فيه . ان هذا النوع من الامام يعمل فى حياته عملا عظيم القدر ساميا بارزا لم يعمل مثله قبل الا قليلا فيلقبه جيل من الناس بلقب الامام واكثر ما يلقب بهذا اللقب بعد وفاته ولا يلقب فى حياته الا نادراً .

(ج) النبى يدعو الناس الى طاعته (فاتقوا الله واطيعون) فمن اطاعه فقد اطاع الله و من عصاه فقد ضل ضلالا مبينا. والامام من غير الانبياء لا يدعو الناس الى طاعته ولا يقول : من اطاعنى فقد اطاع الله و من عصانى فقد عصى الله .

(د) امامه" النبوة منصوصه" من عند الله فى كتاب الله وامامه" غير النبى ليست بمنصوصه" . لا تجدونها فى كتاب الله ولا فى سنه" رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(ه) النبى نبى لأنه صاحب الوحى، يأتيه جبريل الأمين بالتنزيل وقد انقطع الوحى بعد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم . والامام أياً كان لا يأتيه الوحى ولا جبريل، و من ادعى ذلك فقد ادعى النبوة بواحا وهدم باب ختم النبوة واجراها بعد تمامها فلا يبقى فيه اى جهه" من جهات الاسلام .

(و) النبوة وهب من الله ليست باكتسابيه". فلا يمكن لاحد ان يصير نبيا بجده وكده و سعيه واكتسابه . ولذلك لا يجوز له ان يرفع يديه و يدعو: اللهم اجعلني نبيا ، العياذ بالله . و من دعا هذا الدعاء فليس له مستقر الا مستشفى المجانين . واما الامامه" فانها جاريه" باقيه" الى يوم القيامه" . هى اكتسابيه" يمكن الحصول عليها بالسعى والجد والكد . و يجوز بل يجب الدعاء لها بأن يقول: واجعلنا للمتقين اماما (٢٥ : ٧٤) فلا تنسون هذا الفرق العظيم والفاصل القاطع بين النبوة والامامه" .

(ه) و هذا اللفظ — الامام — اصطلاح شرعى بمعنى الامير والوالى وهو الذى بيده امور الناس وسلطه" ادارتهم و عنده قوة قانونيه" تنفيذيه" و معه قوة عسكريه" ملزمه" مجبرة . فهو مطاع باذن الله عزو جل . فقال تعالى: اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامرمنكم (النساء : ٥٩) و يوضح لفظ "منكم" ان الامير او الامام اذا لم يكن من اهل الاسلام لا يجب طاعته . كما ان الامام المسلم اذا امر خلاف ما امر الله به فلا يجب طاعته فى ذلك الامر خاصه" قال الرسول صلى الله عليه وسلم : لا طاعه" لمخلوق فى معصيه" الخالق، و هذا النوع من الامامه" مشروط بالقدرة والقوة والاستيلاء. فاذا لم يكن بيده قوة تنفيذ الاحكام بطلت امامته و امارته . فالقوة التنفيذيه" شرط لازم للامام والامير اذ لاتتم بغيرها ما عليه من الفرائض والواجبات . ولله در العلامه يعقوب بن اسحاق الكلينى حيث قال :

ان الامام زمام الدين و نظام المسلمين و صلاح الدنيا و عز المؤمنين . ان الامامه" اس الا سلام النامى و فرعه السامى ، بالا مام تمام الصلوة والزكوة و الحج والجهاد و توفير الفئ والصدقات و امضاء الحدود والاحكام و منع الثغور والاطراف. الامام يحل حلال الله و يحرم حرام الله و يقيم حدود الله و يذب عن

دين الله و يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة .
(اصول الكافى،كتاب الحجة ص ١٠٢ طبع نولكشور ١٣٠٢ھ).

و مما لاشك فيه ان الامام لا يتمكن من تأديه واجباته الا بالسلطة التنفيذية . فاذا كان رجل متق ضعيفا ليس له التمكن والقدرة فالاولى منه رجل فاجر صاحب التمكن والقدرة لان الضعيف لا يقدر على سد الثغور و منع اهل الكفر . وجدير هنالك بالذكر حديث على رضى الله عنه :

لا يصلح الناس الا امير بر او فاجر(١) . قالوا يا امير المؤمنين هذا البر فكيف بالفاجر؟ قال ان الفاجر يؤمن به الله السبيل، و يجاهد به العدو، يجبى به الفئ، و يقام به الحدود، و يحج به البيت، و يعبد الله فيه المسلم آمنا حتى يأتيه أجله (كنز العمال ج ٥، ص ٤٤٨ رقم حديث ٣٥٠٤ و هكذا فى الحديث رقم ٢٥٨٦) .

فثبت بهذا ان التمكن والقدرة للامام مقدمان على التقوى . واذا انعدم التمكن والقدرة سقطت الامامة والامارة وصار كامام السبحة. و هذا ماقاله الامام ابن تيميه :

"وفى الجملة الفعل مشروط بالقدرة فكل من ليس له قدرة و سلطان على الولاية والامارة لم يكن اماما . والامام هو المتمكن القادر (منهاج ٢، ص ٣٥) .

واورد الامام عبدالوهاب الشعرانى حديثا بهذا المطلب : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "الامام الضعيف ملعون" ، و هو الذى يضعف من من تنفيذ الامور الشرعية و اقامتها . (كشف الغمة ج ٢ ص ١١٧)

(١) لاغرابة فيه، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: صلوا خلف كل بروفاجر.

هذا الحديث عندي لا يخلو عن ضعف سندا لكنه صحيح متنا . وما قال الامام النسفي في شرح العقائد هو احسن تفصيلا لواجبات الامام و ضرورة التمكن، قال :

و المسلمون لا بدلهم من امام يقوم بتنفيذ احكامهم واقامة حدودهم وسد ثغورهم و تجهيز جيوشهم واخذ صدقاتهم و قهر المتغلبة والمتلصصة و قطاع الطريق و اقامة الجمع والاعياد و قبول الشهادة القائمة على الحقوق و قطع المنازعات الواقعة بين العباد و تزويج الصغار و الصغائر الذين لا اولياء لهم و قسمة الغنائم و يشترط فيه ان يكون من اهل الولاية المطلقة الكاملة سائسا اى مالكا لتصرف امور المسلمين بقوة رأيه و معونة بأسه و شوكته قادرا بعلمه و عدله و كفايته و شجاعته على تنفيذ الاحكام و حفظ حدود دار الاسلام و انصاف المظلوم من الظالم .

و هكذا بعبارات شتى فى شرح المواقف و شرح المقاصد و طوالع الانوار و المحصل والمرقاة و شرح العقائد الجلاليه و هكذا فى فتح القدير والدر المختار ورد المحتار و فتاوى قاضى خان و جامع الرموز و شرح ملتقى الابحر والبحر الرائق وغيرها .

و ان ما ذكرنا آنفا من القول الجامع للامام ابن تيمية انما هو خلاصة ما قاله الفقهاء — فنعيده للاستحضار :

و فى الجملة الفعل مشروط بالقدرة فكل من ليس له قدرة و سلطان على الولاية والامارة لم يكن اماما . والامام هو المتمكن القادر .

و جدير بنا ان نذكر هنا عبارات الامامين الشاه ولى الله والشاه عبدالعزيز

المحدثين الدهلويين ، هی فی الفارسية" السهلة" فنذكرها مع ترجمتها بالعربية" .
يقول الشاه ولي الله :

و دیگر اقامت ارکان اسلام است زیراکه
مستفیض شد که اقامت جمع و اعیاد و
جماعت خود می کردند و نصب امام در هر
محلے می فرمودند واخذ زکات و صرف آن
بر مصارف می نمودند و عمال را برائے ایں
معنی منصوب می ساختند و همچنین شهادت
بر هلال رمضان و هلال عید می شنیدند بعد
ثبوت شهادت حکم به صوم و فطر می فرمودند
و حج را خود اقامت نمودند . . . . . . و قیام
بجهاد و نصب امراء وبعث جیوش و سرایا
و قیام آنحضرت بقضاء در خصومات و نصب
قضاة در بلاد اسلام و اقامت حدود
وامر معروف و نهی منکر مستغنی ازان ست که
به تنبیه احتیاج داشته باشد و چوں
آنحضرت (صلعم) برفیق اعلی انتقال فرمودند واجب
شد اقامت دین بهمان تفصیل که گزشت
واقامت دین موقوف افتاد برنصب شخصے
که اهتمام عظیم فرماید دراین امر (ازالة" الخفاء
مقصد دوم ص ١٤ — ١٥ طبع کراتشی)

يعنى (و من مقاصد النبوة) اقامهٔ اركان الاسلام فانه معروف عند كلهم انه صلى الله عليه وسلم كان بنفسه يؤم الناس فى الجمعات والاعياد والصلوات الخمس و كان ينصب الائمهٔ فى أماكن مختلفهٔ و كان يأخذ الزكاة و يصرفها فى مصاريفها و ينصب لها العملهٔ وكذا يسمع الشهادات لرؤيهٔ الهلال فى رمضان والعيد و يحكم الصوم والفطر بعد قبول الشهادة واقامهٔ الحج بنفسه (الا انه بعث ابا بكر الصديق عليه السلام لاقامهٔ الحج اول مرة بعد ما فرض الحج) و بعض الامور الهامهٔ الاخرى مثل اقامهٔ الجهاد و نصب الامراء و بعث الجيوش والسرايا وفصل الخصومات و نصب القضاة فى بلاد الاسلام واقامهٔ الحدود والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وغيرها فلا يحتاج الى ذكرها فانها معلومهٔ . فلما انتقل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى وجب (على الامهٔ) اقامهٔ الدين بالتفاصيل المذكورة آنفا . وانحصر اقامهٔ الدين على نصب رجل (امام) يهتم بهذا الامر اهتماما عظيما .

وهكذا قال الشاه عبدالعزيز كانه صدى قول الشاه ولى الله ، قال فى التحفه :

غرض از نصب امام اقامت حدود و تعزيرات است و تجهيز جيوش و عساكر و حمايت بيضهٔ اسلام، و محافظت انتظام، و اعلائے شعائر شرع اسلام، و تنفيذ اوامر و احكام، و سياست مردم برقبائح وآثام و تعيين عمال وقوام . و ايں امور بدون ظهور(١) امام و غلبهٔ امام و غلبهٔ او وقهر او بر مفسدين والقائے رعب او در دلها و اقبال دولت او ميسر نمى شود . اگر ايں چيز ها حاصل نه شود پس نصب امام و عدم او برابر است و عبث محض .

---

(١) الظهور والغلبهٔ والقهر مترادفهٔ المعنى.

يعنى : والغرض من نصب الامام هو اقامة الحدود والتعزيرات و تجهيز الجيوش والعساكر و حماية الاسلام و احكام النظام و اعلاء شعائر الاسلام و تنفيذ الا وامر والاحكام ومؤاخذة الرجل حين اتى بالقبائح والآثام و نصب العمال والامراء . ولا يتيسر هذه المقاصد الا بغلبة الامام و قهره على المفسدين . والقاء رعبه فى قلوبهم و استقامة حكومته السعيدة . فاذا لم يتيسر هذه الامور فنصب الامام و عدمه سواء وعبث محض.

و خلاصة هذه المقالة ان لفظ الامام يطلق على معان :

الاول من يقتدى به و يطاع، شرا كان او خيرا

والثانى الشارع الواسع

والثالث الكتب السماوية

والرابع من له حذاقة فى شئ من العلم او الفن

والخامس القائد الرئيس الذى له التمكن والقدرة

ولا نجد فى الكتاب والسنة والفقه واللغة شيئا آخر يطلق عليه لفظ الامام . والله اعلم وهو الذى لا يخطئ ولا ينسى.

(٢) وائمة الخير على انواع . ائمة بعثهم الله و نصبهم بنص صريح، قص بعضهم و بعضهم لم يقصص وهم الانبياء فقط، من آمن بهم فهو مؤمن والافكافر بلا ادنى ريب . و نوع آخر من الائمة هم الذين يلقبهم بالامام جيل من الناس لعمل من الاعمال عظيم مشهود ولا ينحصر الايمان والكفر عليهم . و نوع آخر منهم هم الذين ينصبهم اهل الاسلام لاقامة الدين فهم مطاعون باذن الله الا فى معصية الخالق . فالنوع الاول من الامامة و هى و كل امامة غير النبوة اكتسابية غير منصوصة للنبوة دعوى و دعوة و غيرها خال عنهما فامامة النبوة

قد اغلق الله بابه بخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم و امامة غير النبوة جارية مستمرة متواصلة مطردة غير منقطعة الى يوم القيامة .

(٣) الرجل الذى يدعى الامامة و يدعو الناس الى امامته ليس بشئ ولو كان صالحا تقيا . والرئيس الذى يدعى الامامة و ليس له شئ من التمكن والقدرة ليس بامام ولا يجوز له ان يدعو الناس الى طاعته. ولا امام يجب طاعته بعد النبى صلى الله عليه وسلم الا من نصبه اهل الاسلام اماما لاقامة الدين يتمتع بالتمكن و القدرة .

و اخيرا يجب علينا شكر الله سبحانه على ما انعم علينا باعطاء الامام الحى الخالد الدائم الى يوم القيامة ولا امام بعده الا باذنه و هذا الامام هو كتاب الله الكريم القرآن الحكيم . ان كتاب موسى كان اماما فى زمنه و عهده، و كلام الله هذا امام الى يوم النشور ، هذا الامام متبوع كل امام حتى انه متبوع النبى صلى الله عليه وسلم . فان الله لم يأمر القرآن باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وانما امر النبى صلى الله عليه وسلم باتباع القرآن (اتبع ما اوحى اليك من ربك. الانعام : ١٠٦) فكل من ائمتنا، مأموم القرآن و من ليس بمأموم القرآن ليس بشئ . فالامام الوحيد اليوم لجميع الناس هو كتاب الله وحده، لا حاجة الى امام بعده الا الى امام هو مأموم القرآن لذلك ندعو بعد ختم القرآن بهذا الدعا .

اللهم آنس وحشتى فى قبرى . اللهم ارحمنى بالقرآن العظيم واجعله لى اماما و نورا و هدى ورحمة . اللهم ذكرنى منه ما نسيت و علمنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل وآناء النهار واجعله لى حجة يارب العلمين . آمين واخيرا نعوذ بالله سبحانه من كل امامة تشغلنا عن امامة القرآن .

الاجتهاد فی الاسلام

الدکتور امین الله وثیر، اسلام آباد

لانشك في ان الذين يطالعون التعاليم الا لهيه" بدقة" وامعان و يحاولون فهم اسلوب العمل الاساسى فى باب الأحكام والاوامر و النواهى لا يستطيعون ان ينكروا أن هذه الاحكام والتعاليم الربانيه" تهدف دائما الى غرضين :

(١) الاصلاح القلبى والروحانى

(٢) الفلاح الاجتماعى والحضارى

و بهذا الاعتبار تنقسم القوانين الى قسمين :-

احدهما خاص بالروح و الشكل او المعنى و الصورة و ثانيهما يقصد به الروح و المعنى فقط و ليس مقصودا به الشكل او الصورة .

والقسم الأول من هذه القوانين لا يتبدل لا فى الشكل والصورة ولا فى المعنى والروح

اما القسم الآخر فنظرا لأنه يتعلق بمختلف الحالات الاجتماعيه" و تتبع الحوادث المتجددة فان فيه متسعاللتغيير و التبديل و لهذا طالب الشارع الحكيم بالابقاء على روحه باعتبار مقتضى الحال والوقت فقط دون البحث عن الشكل او الصورة المتعينه"، و بعض آيات القرآن الكريم تلقى لنا ضوءا على هذا الأمر، و نذكر على سبيل المثال قوله تعالى:-

"كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه" (آل عمران : ٩٣) وقوله تعالى :

"فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم،" الآية (النساء: ١٦٠) و بناء على نوع و كيفية الحكم تظل الأمور الآتية ضرورية في كل عصر: الأمر يكون موجودا في شكل كلى وأصولى ونظرا لتغير الحالات لا بد من التغيير حسب المكان والزمان، مع الابقاء على المقصد الأصلى و روح الحكم و ان اختلفت صورته وفقا للحال و المقام كالمحافظة على التوازن و التناسب بين الأجير و صاحب رأس المال او تعيين الحدود بين الحق و الفرض .

(٢) أن يكون الحكم موجودا، و لكن في العمل به تيقن الضرر في الأمور الدينية أو القومية، واما أن يكون مقصده الأصلى قد فات نتيجة لتبديل الحال أو المصلحة و نذكر على سبيل المثال :

تنظيم وسائل الانتاج و توزيع الدخل او كأن يكون هناك تنظيم جديد للثروة والأراضى او في التجارة والزراعة الى غير ذلك من المسائل الفقهية الكثيرة، والتى تفشل فشلا ذريعا في مقصدها و يفوت من ورائها الغرض الأصلى الذى استهدفه الشارع الحكيم، و هناك كثير من المسائل الفقهية المتعلقة بالحياة الاجتماعية لم يعد لها ولا للعمل بها مكان ولا تفى كاية بقصد الشارع .

و لقد استحدثت وفقا لتغير الظروف والأحوال مسائل كثيرة لاتجدلها أى ذكر في الفقه وان كانت تدخل جميعها تحت أصول الأحكام واسس التشريع الالهى والهداية الربانية و نذكر من ذلك على سبيل المثال :

المسائل العديدة التى طرأت على الأنظمة المالية والاجتماعية و جميعها تتطلب حلولا لها على ضوء الهدى السماوى فلا مناص من العمل بالقياس والاجتهاد و لهذا قرر الاصوليون ان أصل الفقه و مداره هو الاجتهاد والقياس، وانه أهم باب

في تكميل الاحكام، و في كتاب التوضيح "و قال تعالى : اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتي،، ولا شك ان الاحكام التى تثبت بصريح الوحي بالنسبة الى الحوادث الواقعة قليلة غاية القلة ، فلولم تعلم أحكام تلك الحوادث من الوحي الصريح و بقيت احكامها مهملة لا يكون الدين كاملا، فلابد من ان يكون للمجتهدين ولاية استنباط أحكامها من الوحي(١) و ليس معنى كمال الدين ان كل تدابير السيطرة على كافة المساوئ الاجتماعيه او ان تكون جميع المسائل المستحدثة في كل عصر موجودة بالتفصيل، و لهذا فهناك ضرورة ملحة لتجديد و تطوير المسائل الجديدة والبحث عن حل لها في ضوء القرآن والسنة و بحيث تتواءم القوانين مع الحياة والا اهملت كثير من المسائل و عمل كل فرد بما يوافق مزاجه و يصوره له فكره و خياله، و نتيجة لذلك تصير دعوى كمال الدين باطلة .

ضرورة الاجتهاد والاستنباط

لقد انزل الله تعالى كتابه الكريم و قرآنه الحكيم لهداية البشرية و اخبر أنه الدستور القائم الدائم الصالح لكل زمان و مكان للدين والدنيا والأولى والآخرة ، الى ان يرث الله الأرض و من عليها . و كثيرا ما اصاب قوانين العالم من تبديل و تغيير و لكن هذا القانون لم يقع فيه أدنى تغيير او تبديل، و كم حدث في قوانين الأمم و دساتيرها صغيرها و كبيرها من تعديل و تبديل مع انها مجموعة قليلة وما ذلك الا لأنها من صنع البشر و وضع العقل الانساني الذى لا يمكنه ان يحيط بكل شئ، و لهذا كان لابد ان تتعرض بين كل آن و حين للتغيير على عكس القرآن الكريم الذى انزله الحكيم العليم للعالمين دستورا و هداية، فمنذ ان انزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم قبل اربعة عشر قرنا لم يحدث فيه ذرة من تغيير او تبديل و كلما تقدمت الانسانية وازدهرت الحضارات كلما

تلألأت اصوله و اشرقت أحكامه و كيف لا وهو الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، و من الواضح ان الحوادث غير متناهيه و المسائل متجددة الى أن تقوم الساعة، و أن القرآن الكريم، كلماته و حروفه متناهية محدودة، و بناء على ذلك إذا اردنا تبيين أشياء غير محدودة فى عبارة محدودة لمعرفة احكام هذه الاشياء يجب علينا ان نقيس على المسائل المحدودة التى نصت عليها العبارات و هذا هو القياس و اجتهاد المجتهدين(٢) . اخرج ابن أبى حاتم عن طريق مالك بن انس عن ربيعة قال: ان الله تبارك و تعالى انزل اليكم الكتاب مفصلا و ترك فيه موضعا للسنة و سن رسول الله صلى الله عليه وسلم و ترك فيها موضعا للرأى .

و هذا الموضع هو مجال المجتهدين والمستنبطين، أصحاب العقول السليمة والأفهام المستقيمة، الذين آتاهم الله الحكمة ورزقهم نعمة التفقه والتفكر والتأمل يدركون علة الحكم، فاذا ما اهتدوا اليها قاسوا الحكم فى غير المنصوص فيه على المنصوص لاشتراكهما فى العلة، و هذا مالا يمكن عمله عن طريق الراوى او الناقل، ولو فرضنا انه لا مجال فى الشريعة للرأى و القياس وانه لابد لكل مسألة من نص عليها على حدة لصار العقل معطلا، و من ثم فأن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تدعو الى التأمل والتفكر تصبح غير ذات معنى، ولما ظهرت الى الوجود العلوم والتحقيقات التى تأتى نتيجة التأمل والتفكر، و لما كان هناك اى فرق بين ارباب الفهم والفراسة و بين السفهاء، و كذلك لا تكون هناك افضلية للفقيه على غيره ، و فضلا عن ذلك كله لوكانت الأحكام كلها منصوص عليها و لم يكن هناك أى حكم غير منصوص عليه لوقعت الأمة فى حرج عظيم، ورأفة من الله بعباده ورحمة منه بهم رفع عنهم الحرج، قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول و أولى الامر منكم (النساء : الآية ٥٩) يقول الامام الرازى(٣) ان هذه

الآية تشير الى الأدلة الأربعة الكتاب والسنة والأجماع والقياس. اما الكتاب والسنة فقد وقعت الاشارة اليهما بقوله : أطيعوا الله واطيعوا الرسول وقوله أولى الأمر منكم يدل عندنا على ان اجماع الامة حجة. وان قوله : فان تنازعتم فى شئ. تشير الى القياس مما لم يرد فيه نص من كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم او اجماع، المراد من قوله : "فردوه الى الله والرسول" البحث وراء النظائر له فى الكتاب والسنة، وان يتفكر العلماء فى العلة فاذا ما ادركوها قاسوا الحكم فى المنصوص عليه على غير المنصوص فيه، و هذه عملية القياس، و هذا هو الاستنباط و ليس المراد من قوله " تنازعتم " محض الاختلاف والمنازعة والاكان علاج ذلك سهلا بالامر بترك النزاع، ولكن المراد به التجاذب بالأدلة والاصول الشرعية فلو كانت مسألة ماتتجاذبها الاصول الشرعية أدلة تأخذها هنا و أدلة أخرى تأخذها هناك، فعلى المجتهد فى هذه الحالة ان يراعى هذا الترتيب، الرجوع اولا الى كتاب الله و ثانيا الى سنة رسول الله ثم الا جماع ثم القياس والرأى .

حجية القياس والرأى :

قال تعالى : فاعتبروا ياولى الابصار" (الحشر : ٢) يتضح جليا من هذه الآية ان القياس والاستنباط حجة شرعية معتبرة فهى تطلب من اصحاب الأبصار والبصيرة ان يفكروا فى العلة التى من اجلها انزل الله عذابه بهؤلاء لا يحيط بهم مانزل باولئك من عذاب، فكل امر يشترك فى هذه العلة يأخذ حكمه، يقول جلال الدين السيوطى فى تفسير الا كليل :-

استدل به على حجية القياس وانه فرض كفاية على المجتهدين لان الاعتبار قياس الشئ بالشئ(٤) و لهذا نكتفى بالحديث الآتى :-

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه الى اليمن قال له كيف تقضى بين الناس؟ قال بكتاب الله، قال له فان لم تجد؟ قال فبسنة رسول الله، قال له فان لم تجد؟ قال اجتهد رأيى "رواه ابو داود والترمذى الدارمى،، (٥).

و يدل هذا الحديث على الآتى :

(١) ان هناك مسائل كثيرة لم يرد فيها نص من كتاب الله او سنة رسوله .

(٢) ان الحكم فى غير المنصوص عليه بالرأى والاجتهاد صحيح مستحق لمرضاة الله و رسوله .

(٣) ان الرأى والاجتهاد نعمة من الله عزوجل، فان الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن عرض معاذ قوله، حمد الرسول الله و شكره، و ضرب على صدر معاذ وهو يقول: الحمد الله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله و رسوله. والصحابة والتابعون قد افتوا فى بعض المسائل التى لم يرد فيها نص، و هذا امر وصل الى درجة التواتر مما يدل دلالة قاطعة على ان القياس، عليه اجماع من الصحابة والتابعين، و قد عقد الامام البخارى بابا مستقلا فى صحيحه لا ثبات حجية القياس بقوله : "باب من شبه أصلا معلوما بأصل مبين، و قد بين الرسول حكمها ليفهم المسائل،، .

و لقد انعم الله على رسله بالشرائع صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين، وجعل العلماء ورثة الأنبياء، وارشدهم الى استنباط الاحكام فى المسائل غير المنصوص بطريق القياس، وهم ملزمون باتباع أحكام ما اجتهدوا فيه باعتبار هذه الاحكام داخلة فى الشريعة و ليس اجتهاد من المجتهد .

(١) التعبير شرح الأنبياء و شرح الفقهاء اشتراك لفظى صورى فقط، والا فالحقيقة ان كلامنهما على حدة وان الأنبياء معصومون من الخطأ .

(٢) تبيان الأنبياء والمرسلين مستقل بينما شروح العلماء و تفسيراتهم تابعة للكتاب والسنة ولو ان العلماء والفقهاء لم يعطوا مادة الكتاب والسنة من الأنبياء والرسل لما كانوا قادرين على القياس والاستنباط، والغرض ان الاجتهاد نفحة من نفحات الحق، و قبس من نور الوحى، وما اشبه ذلك بشعاع الشمس، فانه ليس عين الشمس و لكنه غير منفصل عنها، فكما ينسب الشعاع للشمس ولا يجوز قطع النظر عن الأصل فكذلك الأحكام القياسية تنسب الى الشريعة و يطلق عليها الأحكام الشرعية واتباعها لازم و ضرورى، يقول الشيخ محى الدين بن عربى أن معنى اللهم صل على سيدنا محمد و على آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا ابراهيم و على آل سيدنا ابراهيم، انك كما انعمت على آل ابراهيم بالنبوة والرسالات و افضت عليهم من وحيك و شرائعك فاجعل اللهم فى امة محمد العلماء الذين يرثون الأنبياء فى شرح الأحكام، و بفضله تعالى من على الأمة المحمدية بذلك، واصبحت الأحكام التى استنبطها المجتهدون أحكاما شرعية معتبرة ، وسيحشرهم الله باذنه مع النبيين والمرسلين، و من مزايا هذه الأمة و خاصيتها حجية الاجماع، يقول النبى صلى الله عليه وسلم : "لا تجتمع امتى على الضلالة"،(٦) والتعبير بلفظ امتى يشير الى هذه الخصوصية .

فالقياس والاستنباط ميراث المجتهدين والاجماع ميراث الأمة ولما كانت العصمة من الخطأ ميزة مقصورة على الأنبياء والمرسلين، فلهذا ميراثها كان فى مجموع الأمة واجماعها و ليس لفرد ما لأن ذلك مخالف للحكمة والمصلحة و هذا عطاء الله و قسمه، اذ وهب العلماء الربانيين وراثته العلوم الشرعية ووهب

الأولياء والعارفين الآيات البينات والكرامات. ولما كانت الشريعة اصل النبوة والمعجزة تأييد لها ليست مقصودة لذاتها فلهذا كان العلم له المقام الاول بالنسبة للولاية .

اتباع ظاهر النصوص

اتفق العلماء جميعا على وجوب اتباع ظاهر النص و على ان القياس لا يجوز في مقابلة النص و ليس المراد من وجوب اتباع ظاهر النصوص هو الدلالة اللفظية لآيات القرآن والأحاديث فقط، فانه لما نزلت الآية: "كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر" (البقرة : ١٨٧) نام صحابى بعد ان وضع تحت و سادته خيطا أبيض و آخر اسود و لما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك قال لهذا الصحابى مازحا ان وسادتك صارت واسعة كالسماء اى انها الصبح الصادق والكاذب . فهذا الصحابى من اهل اللغة و واضح انه عمل بظاهر النص و لكن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعتبر ذلك و مازحه .

واتباع ظاهر النص واجب اذا كان نصا صريحا يعنى ان المراد منه ظاهر ليس فيه احتمال لمعنى آخر و ليس منسوخا ولايعارضه دليل قوى او مخالفا لأصل من أصول الشريعة المقررة، فمثل هذا النص لا يمكن لأحد ان يفهم جواز القياس في مقابلته و بلاشك اذا كان مثل هذا النص بسبب الاشتراك او المقابلة يحتمل امرين ورجح أى مجتهد احد المعنيين على الآخر فهذا عمل بالنص ولا يقول عاقل ان ذلك قياس في مقابلة النص . و قد ورد في صحيح البخارى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم غزوة الأحزاب: "لا يصلين احد العصر الا في بني قريظه". و امتثالا لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم شد الجنود الرحال الى بني

قريظه" و في الطريق ادركتهم صلاة العصر،فاختلفت آراؤهم حول تأديه" الصلاة في وقتها وعدم تأديتها حتى يصلوا، فقال بعضهم بل نصلي لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرد منا ذلك وانه لم يقصد ظاهر اللفظ وانما اراد التعجيل والاسراع في التوجه اليها حتى ندركها قبل صلاة العصر، فصلى بعضهم و تأخر الباقون حتى صلوها بعد العشاء في بني قريظه"، ولما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بما حدث لم يلم احدا من الطرفين على ما فعل . فهذا فريق اخذ بظاهر النص والفريق الآخر خالف هذا الظاهر و حمل الكلام على المعنى المجازى وهو التأكيد على سرعه" الوصول اليها .

فالفريق الذى صلى في الطريق عمل على مقتضى النصوص الأخرى القطعيه" والصريحه" التى تفيد فرضيه" اداء الصلوات في اوقاتها والمحافظه" عليها و ان ترك ذلك حرام،قال تعالى : " ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا،، وقوله تعالى: "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى،، اى العصر و حمل النهى في لا يصلين احد العصر الا في بنى قريظه" على المعنى المجازى و من اعطاه الله العقل و الفهم يدرك بسهوله" ان هذا ليس عملا بالرأي او القياس في مقابله" النص و انما هو اجتهاد في مراد النص . قال الحافظ ابن القيم فحازوا الفضيلتين:امتثال الأمر في الاسراع و في المحافظه" على الوقت.(٧)

و اخيرا فأقول ان باب الاجتهاد مفتوح و لكن يشترط للمجتهد، كما قال الدكتور صبحي محمصاني ان يكون راشدا عاقلا وعدلا متصفا بالأخلاق الحسنه" وان يكون عالما بمدارك الأحكام أى عارفا بالأدله" الشرعيه" و طرق اتباعها وما الى ذلك من معرفه" اللغه" والتفسير و اسباب نزول القرآن و معرفه" حال الرواة و طرق الجرح والتعديل و الناسخ والمنسوخ .(٨)

المراجع

(١) التوضيح، عبيدالله بن مسعود، طبع مصر ١٩٥٧م ج : ٢
ص : ٤٩ - ٥٠

(٢) الأحكام للآمدي. ج : ٣، ص : ١٣٩

(٣) التفسير الكبير للامام الرازي . الجزء العاشر ص : ١٣٦، ١٣٧

(٤) الا كليل للسيوطي . ص : ٢٠٧، ١٣٧٣ﻫ

(٥) أحكام الأحكام،لا بن حزم. ج : ٥، ص : ١٢٧، ١٣٢ طبع مصر ١٣٤٧ﻫ .

(٦) أحكام الأحكام،لا بن حزم . ج : ٤، ص : ١٣٣، طبع مصر .

(٧) الزرقاني شرح المواهب ج ٣،ص ١٢٩ و فتح الباري ج٧، ص ٣١٦

(٨) فلسفة التشريع في الاسلام ص ٢٠١ .

آغا بزرگ الطهرانی

(من ابرز العلماء فی القرن الأخیر)

الدکتور السید علی رضا النقوی

مجمع البحوث الاسلامیه، اسلام آباد

الشیخ محمد محسن بن علی بن محمد رضا ابن الحاج محسن بن علی أکبر بن باقر الطهرانی المعروف "آغا بزرك الطهرانی"، کان شیخ الباحثین و من اساطین العلم فی تاریخ البشر. ولد فی دار جده فی الطهران، لیله الخمیس، الحادی عشر من شهر ربیع الاول عام ۱۲۹۳ھ، الموافق نیسان عام ۱۸۷۵م. تاریخ ولادته بحساب الجمل "لمحسن ظهر". کانت اسرة الشیخ اسرة تجاریه علمیه تعرف فی الطهران بـ "محسنی".

یعرف الشیخ "آغابزرك"، کما سمی جده الأکبر لقاعدة مطردة عندهم، و یلقب "المنزوی"، والشیخ قد اتخذ هذا اللقب الأخیر یوم سافر الی ایران عام ۱۳۵۰ھ، الموافق ۱۹۳۱م. و سجل ذلك رسمیا فی الدوائر الحکومیه الایرانیه، وانجاله مشهورون الآن بذلك.

کان ابوه "الشیخ علی" تاجرا کبیرا وکانت امه آسیه بیغم علویه مؤمنه صالحه، وکانت هی بنت الحاج اسد الله المشهور "الحاج سید العطار الطهرانی". و تربی الشیخ بعنایه والده تربیه صالحه وکانت مدرسته الاولی بیت الأسرة، و معلمته الاولی کانت هی زوجه عمه، والشیخ تعلم عندها بعض العلوم الابتدائیه، مثل قراءة القرآن الکریم (الجزء الآخر) فبدأ یتدرس القرآن عند بعض بنات خالته.

ثم دخل في مدرسه" ضياء الدين في "بامنار" في الطهران عام ١٣٠٠هـ . الموافق ١٨٨٣م . فدخل في مدرسه" اخرى و هناك قرأ بعض الكتب الفارسيه" والدواوين الشعريه" . ثم دخل في مدرسه" ثالثه" و تعلم فيها بعض المعارف الدينيه" والعلوم المتداوله"، و في عام ١٣٠٣هـ . (الموافق ١٨٨٦م) . عقد والده مجلسا حضر فيه بعض العلماء الكبار الذين طلبوا اليه قراءة بعض المتون العربيه"، والبسوا الشيخ العمامه" مع تمام الزى الروحي و لقبوه "الشيخ آغا بزرك" .

تعلم شيخنا الخط العربي من الخطاط المعروف المولى زين العابدين المحلاتي لتعلم رسم المصحف والخط الفارسي و تعلم تجويد القرآن على الشيخ محمد رضا والآداب على الشيخ محمد حسين الخراساني والشيخ محمد باقر معز الدوله"، والمنطق على الميرزا محمود القمي، والفقه على الميرزا محمد تقي الجرجاني والحاج الشيخ على النوري الا يلكاني، واصول الفقه على السيد عبدالكريم اللاهيجي، والرياضيات على الحاج الشيخ على النوري والميرزا ابراهيم الزنجاني . حصل هذه العلوم كلها بين عام ١٣٠٣ و عام ١٣١٥هـ . في مدارس بامنار والفخريه" و دالكي.

سافر شيخنا الجليل الى العراق اول مرة في سنه" ١٣١٣هـ، لزيارة العتبات المقدسه" ورجع في السنه" الآتيه" (١٣١٤هـ .)، و سافر مرة أخرى لطلب العلم والاشتغال في ١٠ جمادى الأخرى عام ١٣١٥هـ و بعد الزيارة في السنه" المذكورة توجه من كربلاء الى النجف في ١٧ شعبان ١٣١٥هـ و تعلم هنالك على كبار اساتذة الحوزة، فكان استاذه في الفقه السيد محمد كاظم اليزدي، الفقيه المعروف بالحوزة العلميه" الميرزا حسين النوري، و تلمذ ايضا على فحول العلماء منهم الشيخ محمد طه، والسيد مرتضى الكشميري، والحاج الميرزا حسين الميرزا خليل، والسيد أحمد الحائري الطهراني، والميرزا محمد على الجهار دهي، والميرزا محمد تقي

الشیرازی، واستجاز هؤلاء العلماء و غیرهم فی الروایه، منهم السید محمد علی الشاه عبدالعظیمی والشیخ علی الخاقانی والشیخ محمد صالح ال طعان البحرانی، والشیخ موسی بن جعفر الکرمانشاهی والسید ابوتراب الخوانساری والشیخ علی کاشف الغطاء والسید حسن الصدر.

اقام الشیخ فی النجف الی سنة ١٣٢٩ھ. ثم ارتحل الی سامراء للدراسة والبحث علی الشیخ محمدتقی الشیرازی و لتألیف موسوعته ''الذریعة''، و مکث هناك الی سنة ١٣٣٥ھ. ثم انتقل الی الکاظمیة و مکث هناك سنتین ثم رجع الی سامراء و فی هذه الأیام توفیت زوجته الکریمة منصورة خانم و تزوج زوجته الثانیة مریم خانم ام اولاده.

بقی الشیخ فی سامراء الی سنة ١٣٥٦ھ. و حینئذ کان قائما بخدمة مدرسة سامراء و فی نفس السنة (١٣٥٦ھ) ارتحل الی النجف واستقر بها حتی آخر ساعة من عمره سنة ١٣٨٩ھ.

و اسس فی النجف مطبعة سماها ''السعادة''، لطبع الموسوعة المذکورة ولکنه باعها اضطرارا و استفاد من ثمنها فی طبع الموسوعة المذکورة، و طبع الجزء الأول فیها سنة ١٣٥٥ھ. (١٩٣٦م) کما طبع فیها الجزء الثانی و الثالث. ثم طبع بقیة اجزاء الکتاب فی طهران.

حینئذ تعرضت له الأمراض والحوادث المتألمة مثل حادث السیارة و تکسر فی ظهره سنة ١٣٧٤ھ. و سقوطه علی الأرض و انکسار فی ساقه سنة ١٣٨٨ھ. و قتل ولده الدکتور محمد رضا بعد سقوط وزارة مصدق فی ایران سنة ١٣٧٥ھ (١٩٥٥م).

لم يسافر الشيخ خلال خمس و ثلاثين سنه" الى ايران حتى سافر سنه" ١٣٥٠هـ بدعوة عمه الحاج حبيب الله المحسنى و هنالك سجل لقبه "المنزوى" فى الدوائر الرسميه" الايرانيه" و مرة ثانيه" سافر الشيخ الى ايران فى شعبان ١٣٤٥هـ. و نزل فى كرمانشاه و بقى هناك بعض الأيام ضيفا على الشيخ السردار كابلى من العلماء الكبار. ثم سافر الى قم و طهران و وصل مشهدا فى نفس الشهر و كان طيلة" سفراته مشغولا بتدوين موسوعته "الذريعه"، و وصل مشهدا من طهران بالطائرة حيث ركب الطائرة اول مرة فى عمره.

ومرة رابعه" سافر الى ايران سنه" ١٣٨٢هـ. بالطائرة حيث لم يستطع السفر بالسيارات لضعف قواه الجسميه"، و قبل السفر اوصى بنقل جسمانه الى العراق ليدفن فى النجف اذا هو توفى فى ايران، و لكن رجع الشيخ الى العراق سالما و بقى بعد ذلك سبع سنوات يقرأ و يؤلف و يعلق حتى مات فى سنه" ١٣٨٩هـ.

وفى سنه" ١٣٦٤هـ سافر الشيخ الى بيت الله لأداء فريضه" الحج ومر من مصر و الحجاز و بلاد الشام وادرك من رجال العلم والدين فى مناطق التى مر بها، والمشائخ القاطنين فى القاهرة والمدينه" المنورة و مكه" المكرمه" و بعض منهم منحه اجازته. و مرة اخرى حج الشيخ مع زوجته الكريمه" و كان امير رامبور فى الهند النواب عبدالكريم خان ابن النواب حامد على خان هو الذى بذل الزاد والرحله"، و خرج يوم السبت فى ٢٥ من ذى القعدة سنه" ١٣٧٧هـ و كانت سفرته هذه مريحه" جدا بالطائرة ورجع الى النجف يوم الاربعاء ٢٢ من ذى الحجه"، و بعد وصوله باربعه" ايام فى ٢٦ فى نفس الشهر حدثت ثورة الرابع عشر من تموز سنه" ١٩٥٨م.

فالشيخ آغا بزرك الطهرانى كان محدثا لم يبلغ احد من علماء العصر مرتبته فى الروايه عن اساتذته و فى ما اجاز هو لتلاسذته. فمن الذين استجازهم من

العلماء رئيس المدرسين بالمسجد الحرام الشيخ محمد على الازهرى المكى المالكى و الشيخ عبدالوهاب بن عبدالله الشافعى امام المسجد الحرام والشيخ ابراهيم ابن احمد حمدى من علماء المدينة والشيخ عبدالقادر الخطيب الطرابلسى المدرس فى الحرم الشريف والشيخ عبدالرحمن عليش الحنفى المدرس بالازهر و امام مشهد رأس الحسين.

و من الذين اجازهم من حجج الاسلام والمراجع العظام السيد البروجردى آغا الحسين (م . ١٣٨٠ ه) والسيد عبدالحسين شرف الدين (م. ١٣٧٧ ه) والسيد عبدالهادى الشيرازى (م. ١٣٨٢ ه) والشيخ محمد آل ياسين (م. ١٣٧٠ ه) والشيخ محمد حسن المظفر (م. ١٣٧٥ ه) والسيد هبة الدين الشهرستانى (م. ١٣٧٦ ه) والسيد شهاب الدين المرعشى والسيد محمد صادق بحرالعلوم والشيخ محمد على الاردوبارى (م. ١٣٨٠ ه) والدكتور حسين على محفوظ .

آثاره :

كان الشيخ متضلعا من اسرار اللغتين العربية والفارسية و لكن لم يكن مهتما بالشعر وقد نظم الشعر بهاتين اللغتين بمناسبات دعته لان يقول فيها شيئا من الشعر و كل ما قاله الشيخ من الشعر بالعربية لا يتعدى خمسة و ثلاثين بيتا و كذلك بالفارسية فان مجموع ما نظمه فى هذه اللغة لايتعدى سبعة عشر بيتا .

قد ترك الشيخ خزانة من المؤلفات . اما مؤلفاته فقسمان قسم طبع فى حياته والآخر لم يطبع بعد .

١ - مؤلفاته المطبوعة :

١ - موسوعة "الذريعة الى تصانيف الشيعة"، هو كتاب جليل فى فهرسة الكتب التى الفها الشيعة من اقدم العصور حتى عام ١٣٧٠هـ . والسبب فى تأليف هذا الكتاب ان المؤرخ المعروف جرجي زيدان استهان بهذه الطائفة عند حديثه في كتابه المشهور تاريخ آداب اللغة العربية حيث قال ما معناه ان الشيعة طائفة صغيره ليس لها آثار يعتدبها وانهم الآن في خبر كان فما كان من الشيخ و زميليه السيد حسن الصدر و الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء الا ان يقسموا ثلاثتهم على تأليف ما يخدم الطائفة الشيعة و يرد القول المرتجل الى صدر قائله .

فاما السيد الحسن الصدر فقد ألف "تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام"، و طبعه سنة ١٣٧٠هـ (١٩٥١م) فى ٤٤٥ صفحة و كان طبعه بارشاد الشيخ .

والسيد كاشف الغطاء نقد الكتاب "تاريخ آداب اللغة"، أجزاءه الاربعة، نقدا علميا نافعا وارجع الاصول المشبه بها و وجه الى كل اخطائه و طبع هذا النقد للمرة الثانية في مدينة بونس آيرس عاصمة الجمهورية الأرجنتينية وقد اثارت ضجة فى المحافل العلمية .

فأما شيخنا فقد اشتغل فى تأليف كتاب "الذريعة"، الذى يضم اسماء مؤلفات الشيعة من اول عهدهم حتى عصرنا هذا.

فكانت بعض مصادر الشيخ لتأليف الموسوعة المذكوره فى مكتبات مبهمة يتعذر الوصول اليها فى المدن و البلاد الاسلامية والعربية كطهران والقاهرة والحجاز و بغداد والكاظمية والنجف .

واتبع الشيخ طريقة" رائعة" فى تأليف هذه الموسوعة" اذ رتبها على الحروف الهجائية" وفى الجزء السادس عشر ابتدأ المشرف على طبع الكتاب باضافة" فهرس للأعلام فى آخر كل جزء كما ابتدأ هذا المنهج فى الجزء السابع عشر فما بعد .

فاما هنالك بعض الأجزاء قد يحتوى على بعض الاسماء لاتحمل ارقاما و ذلك لان الكتاب له اسمان، و سبق احدهما أو أن مؤلفه كان غير شيعى .

و فى أثناء بعض العناوين لبعض الكتب قد اضاف المؤلف الفاضل فوائد و خلاصه نافعة" مثلا فى ص ١٢٣ من الجزء الرابع تحت عنوان "ترجمة" القرآن الكريم"، قد قدم شرحا موجزا نافعا عن معنى القرآن و معنى الترجمة" وافضلية" التراجم واشلة" موضحة" على ذلك . كما فى ص ١٤٤ من نفس الجزء تحت عنوان "ترجمة" نهج البلاغة""، يقدم معنى لنهج البلاغة" واهميته ثم يعقد فصلا خاصا فى نفس الجزء فى ص ١٤٧ عنوانا جديدا باسم : "تراجم الاشخاص على ترتيب اسمائهم"، ليفرق بين معنى ترجمة" القرآن الكريم و نهج البلاغة" و ترجمة" الشخص.

وفى الجزء الثامن دراسات وبحوث طريفة" مثلا فى ص ٣ فقد بحث عن دوائرالمعارف وطريقة" وضعها فى ص ٢٣ عن الرواية" والقصة" والحكاية" و فى ص ٤٥ عن دراية" الحديث و فى ص ١٥٥ عن قواعد اللغة" الفارسية" نحوا و صرفا و فى ص ١٧٢ عن الدعاء و فى ص ٢١٠ عن التقاويم و غيرها.

فهذه الموسوعة" ليست مجموعة" اسماء و شرح الكتب فقط بل هى موسوعة" علمية" عامة" و دائرة معارف كبرى لايمكن ان يستغنى عنها اى باحث او متتبع او منقب .

و قد تم طبع هذه الموسوعة" كاملا فى خمسة" و عشرين جزءا و بلغ مجموع الكتب التى ذكرها المؤلف فى هذه الموسوعة" ٥٣٥١٠ كتاب وعدد صفحات

المجلدات ٩٢٣٩ ١١ صفحه، و صدر آخر أجزاء الكتاب في سنة ١٣٩٨ﻫ. بعد تسعة اعوام من وفاة مؤلفه و ثلاثة واربعين عاما من طبع الجزء الاول من هذا الكتاب حيث طبع اول اجزاء الكتاب في عام ١٣٥٥ﻫ. وقد طبعت من هذه المجلدات الاول والثاني والثالث و كذا الثالث عشر والرابع عشر في النجف و صدرت بقية مجلدات الكتاب من طهران . و في اجزاء الجلد الخامس والعشرين من الكتاب قد اضاف نجل الفاضل المؤلف الدكتور على نقى المنزوى الاستدراكات لبعض الأخطاء والارجاعات التي تربط المواد بعضها ببعض (من ص ٣٤٨ الى ص ٣٩١ من الجزء المذكور) و هكذا وضع انجال المؤلف الاريب فهرسا عاما لأعلام الكتاب، كما وضع احد اصهار الشيخ السيد محمد الديباجى كتابا باسم "تبويب الذريعة"، ليصنف اسماء كتب الذريعة الى علومها، والى الآن لم يطبع من هذا الكتاب الامجلد واحد الذى تناول اسماء خمسة مجلدات من الذريعة.

٢ - موسوعة "الطبقات"

و هي تتضمن تراجم اعلام الشيعة من القرن الرابع حتى القرن الرابع عشر الهجرى ورتب المؤلف لكل قرن من هذه القرون جزءا يختص بتراجم احوال اعلامه و بدأ المؤلف هذا الكتاب بعد اتمام تأليف "الذريعة"، عام ١٣٣٣ﻫ . و ذهن المؤلف بعد محشو باسماء المؤلفين الذين وردت اسماء مؤلفاتهم في "الذريعة"، و حتى الآن طبع منها سبعة اقسام من القرون الرابعة الى الثامنة والقرنين الثالث عشر و الرابع عشر .

من أجل هذا الكتاب تقحم المؤلف انواع الاهوال وتجشم مشقة الأسفار الى المدن والبلاد الكثيرة مفتشا في دور الكتب و خزائنها مستخرجا تراجم بعض الاعلام من مظانها البعيدة ، و بعد اتمام تاليف هذا الكتاب سقط جميع مجلداته مع

امتعه المؤلف في بركه ماء بين بغداد وكربلاء، وسرت الرطوبه الى بعض عباراتها فهذبها المؤلف عند تقديمها للمطبعه حسب المقدور مع بعض الملاحظات.

فهذه الموسوعه قد استفاد منها جمع كثير من علماء الرجال في تأليف كتبهم و موسوعاتهم و ربما لم يذكروا اسمها عند اقتطاف المواد منها.

ثم ان المؤلف الفاضل قد راعى في ترتيب اسماء المترجمين حروف الهجاء رتب بعض الاسماء بموجب ما أشتهروا به من اسم او كنيه او لقب سواء في ذلك مفرداتها او مركباتها. والمؤلف لا يدعى الاحاطه والاستقصاء في كتابه لأنه امر غير مقدور لكل من ولج هذا الباب من الفحول، وقد اعترف في مقدمه الكتاب بان هناك ضعف ما حصل عليه لم يوصل اليه البحث و لم تمكن منه الفرص و قد اعتذرعنه.

و تعمد المؤلف في هذا الكتاب على الاقتصار على نسب المترجم واساتذته وآثاره العلميه والادبيه وولادته من كل طبقه سواء في ذلك العلماء والحكماء والاصوليون والفقهاء والمتكلمون والخطباء المبلغون والأدباء والمؤرخون والدعاة الى الدين وقد تجنب التحليل في الكتابه والتكثير من الفاظ الفخفخه مع غايه احترامه للمترجمين لا فرق في ذلك بين الأحياء منهم والأموات حين تأليف الكتاب.

٣ ـ مصفى المقال في مصنفي علم الرجال :

فهو كتاب يحتوى على تراجم كل من صنف كتبا وادرج فيه تراجم عدة من رواة الحديث وابتدأ الشيخ بتأليف هذا الكتاب في اوائل شبابه سنه ١٣١٧هـ. وهو ابن اربعه و عشرين ربيعا ثم عاقه واكمله سنه ١٣٢٩هـ في النجف، وهو العام الذى سافر فيه من النجف الى سامرا وابتدأ بتأليف الموسوعه الكبرى ,,الذريعه،، و من خلال تأليف ,, الذريعه،، اطلع الشيخ على بعض مؤلفى علم الرجال الآخرين واضاف كل ما اطلع عليه الى المسودات السابقه سنه ١٣٤٨هـ.

حيث أكمل المسودات و طبع سنة ١٣٧٨ ه و قد ضم اليه حوالى ٨٧٤ ترجمة حسب اهمية المترجم له ، والحق به نجله الكريم الاستاذ أحمد المنزوى اربعة فهارس نافعة وهى فهارس الأشخاص والكتب والنسب والقبائل والملل والأماكن.

٤ ـ هدية الرازى الى الامام المجدد الشيرازى :

وهى دراسة نافعة عن احوال الميرزا حسن بن محمود الشيرازى (م. ١٣١٢ ه) الشخصية المؤثرة التى لعبت دورها فى قضية امتياز الدخان الذى منحه ناصر الدين شاه ملك ايران الى الشركة الانكليزية سنة ١٣٠٧ ه(١٨٩٠م)و احتكار التبغ سنويا تقدر ـ ١٥،٠٠٠ جنيه، وربع ارباح الشركة ليستعين بها الشاه على ملاذه و سفراته فى خارج البلاد، والشعب يتضور جوعا من آلام الفقر والفاقة. فثارت ثائرة الشعب المنكور. فافتى المجدد بتحريم تعاطى الدخان عموما، و هنا فشل امر الامتياز واضطر الشاه الى الغائه و دفع غرامة ٥٠٠،٠٠٠ جنيه الى الشركة. فهذه الدراسة تشتمل على خمسة فصول وقد طبع فى النجف سنة ١٣٨٨ ه فى ١٨٧ صفحة .

٥ـ المشيخة او "الأستاذ المصفى" كتاب رجالى مهم يتضمن سلسلة من الاسانيد المتصلة بين العلماء الرجاليين و بين الأئمة الامامية مع تراجمهم و بعض تصانيفهم و طبقاتهم و شيوخ رواتهم وقد نفدت نسخة فى اواخر ايام حياته ، و طبع فى النجف سنة ١٣٥٦ ه فى ١٠٠ صفحة .

٦ ـ ذيل كشف الظنون : وهى مجموعة تعليقات و تقييدات على كتاب كشف الظنون "للحاج خليفة" (م ١٠٦٧ ه) رتبها و هذبها و اضاف اليها العلامة السيد محمد مهدى السيد حسن الموسوى الخرسان والحق بكتاب "هدية العارفين" اسماء المؤلفين و اثار المصنفين لاسماعيل باشا البغدادى بجزئه الثانى المطبوع

بطهران سنة ١٣٨٧هـ و يقع فى ١١٦ صفحة .

٧ - ترجمة كتاب فريد وجدى ''الاسلام والمدنية''، الى الفارسية و سماه تعريف الانام فى ترجمة المدنية والاسلام . نشر تباعا فى مجلة ''درة النجف'' الفارسية من ٢٠ ربيع الثانى ١٣٢٨هـ الى ذى القعده ١٣٢٨هـ .

٨ - مقدمات : كتب الشيخ كثيرا من المقد مات النافعة المفيدة للكتب التى صدرت فى العراق و غير العراق بالعربية و الفارسية بعضها مفصلا و بعضها موجزا . ان هذه المقدمات لوجمعت فى مجموعة واحدة لكانت كتابا جليلا مفيدا يحتوى على كثير من الفوائد التاريخية و المطالب العلمية، مثل المقدمة المبسو طة على ''تفسير التبيان'' لشيخ الطائفة كتبها سنة ١٣٧٦هـ (١٩٥٧م) و مقدمة كتاب ''النهاية''، لشيخ الطائفة المطبوع ببيروت سنة ١٣٨٩هـ . و مقدمة كتاب ''مجمع الرجال''، للقهبائى المطبوع بايران، و غيرها .

ب - مؤلفاته المخطوطة :

١ - النقد اللطيف فى نفى التحريف عن القرآن الشريف : فى ٥٨ صفحة ، بالقطع الكبير، فى كل صفحة منه ستة عشر سطرا، أتمه الشيخ سنة ١٣٥٣هـ و تناول فيه الشيخ رد كل من ينسب الى القرآن الكريم اى تحريف، وهو كذلك دفاع عن رأى استاذه الشيخ النورى، و عن كتابه ''فصل الخطاب فى تحريف الكتاب''، وقد نقله الى الفارسية نجله الشيخ الأستاذ الدكتور على نقى المنزوى .

٢ - توضيح الرشاد فى تاريخ حصر الاجتهاد : يبحث الشيخ فيه عن الاجتهاد فى فروع الاحكام و تاريخه و حصره فى الائمة الأربعة عند السنة وايصاده من بعدهم . كتبه الشيخ سنة ١٣٥٩هـ فى ٤٣ صفحة بالقطع الكبير و بخط نجله الفاضل الدكتور على نقى المنزوى . وهو اجابة على سؤال السيد جعفر بن الحسن الأعرجى

الموصلي .

٣ ـ تفنيد قول العوام بقدم الكلام : يتناول فيه الشيخ موضوع القرآن الكريم من انه حديث، ولم يكن وجوده ازليا كما يعتقد فريق من الناس بازليته، وهي قضية مهمة من قضايا الفكر الاسلامي المتنازع عليها في العهد العباسي بين المعتزلة والاشاعرة . صنفه الشيخ اجابة على سؤال السيد جعفر ابن الحسن الاعرجي سنة ١٣٥٩هـ في ٦٦ صفحة من القطع الكبير .

٤ ـ منظومة في العقائد : لم ينظم الشيخ منها الا اثنين و عشرين بيتا فقط .

٥ ـ ذيل المشيخة : وهي في مشائخه من طرق العامة كتبه الشيخ في ست صفحات في ١٢ من شهر صفر سنة ١٣٧٢هـ .

٦ ـ تقريرات : بحث استاذه شيخ الشريعة الاصفهاني في الطهارة من باب المياه .

٧ ـ تقريرات : بحث استاذه الشيخ الخراساني محمد كاظم وهي تتناول بعض مسائل أصول الفقه .

٨ ـ تقريرات : بحث استاذه الخراساني في القضاء والوقف ثم الديات .

٩ ـ ضياء المفازات في طرق مشائخ الاجازات : مرتبا على ١٢ طبقة كلها على نحو التشجير لا التسطير كتبه الشيخ في حدود سنة ١٣٢٠هـ في ٥٩ صفحة

١٠ ـ واقعة الطف الخالدة : رسالة صغيرة كتبها الشيخ اجابة على تكليف الاستاذ الشيخ محمد باقر الايرواني .

١١ـ الكشكول : وهو مجموع يحتوى على ما اتفق للشيخ من حوادث و ولادات و وفيات اعضاء اسرته المحسنيه , وما قيل فيه الشعر وما حصل عليه من بعض المطالب وما قام به من بعض النشاطات العلميه و هذا الكتاب مخطوط فى جزئين .

١٢ـ الضليلة فى تشجير بعض البيوتات الجليلة : مجموع فى النسب لكثير الأسر التى اتفق له الاطلاع على انسابها.

١٣ـ بقيه اجزاء موسوعه الطبقات : وهى اجزاء غير مطبوعه من الكتاب المذكور سابقا، انظر رقم ٢ فى المؤلفات .

١٤ـ اجازات الروايه والوراثه فى القرون الاخيرة الثلاثه : مجموع كبير من الاجازات التى حصل عليها الشيخ لغيره وما اجيز هو بها، و بعض ما اجازه لغيره من الرواة عنه، و منها ما هو بخطوط اصحابها، والآخر ما استنسخه، وما كان بخطه . فهذا المجموع يحتوى على اكثر من مائه اجازة .

١٥ـ تشجير حديقه النسب لافتونى (م ١١٣٨هـ) : وهى فى طومار شجر فيها الشيخ، حديقه النسب المسطرة للنسابه الأفتونى.

١٦ـ مسند الامين : وهى اجازة مسبوطه فى الروايه كتبها الشيخ للشيخ أحمد الأمينى صاحب الموسوعه "الغدير"، و صاحب المكتبه العامه المسماة "مكتبه الامام امير المؤمنين العامه"، فى النجف .

١٧ـ مختصرات : قد اختصر الشيخ عددا من الكتب النافعه التى رأى ضرورة اختصارها اما لاحتياجه اليها فى اعمال التحقيق او لندرة وجود نسخها، مثل "الدرر النفيس فى تلخيص رجال التأسيس" للسيد حسن الصدر"، و محصول مطلع البدور فى

تلخيص مافيه من المنشور، و "الياقوت المزدهر في تلخيص رياض الفكر"، و ملخص "زاد السالكين "للفيض الكاشاني و "نزهة البصر في فهرسة نسمة السحر" .

١٨ - مجموعة : القصاصات المتناثرة غير المصنفة في موضوعات شتى، و عدد من الرسائل التي كتبها الشيخ في مناسبات مختلفة .

ج - مكتبة الشيخ : فاما مكتبة الشيخ آغا بزرك في النجف عامرة باهم المراجع التاريخية العربية والفارسية و كتب التراجم و مجموعة من الفهارس العامة والخاصة و دوائر المعارف، استفاد منه الشيخ في بحوثه و مؤلفاته. كان قد أسسها سنة ١٣٥٤هـ بعد استقراره في النجف فاوقفها في ٢٥ من شهر ذي الحجة ١٣٧٥هـ . وجعل توليتها بيد صهريه الفاضلين الشيخ حسين الطهراني والسيد مهدي المدرسي مع اولاده الذكور القاطنين بطهران . و تحتوي هذه المكتبة على أكثر من خمسة آلاف مجلد مطبوع مع عدد قيم من نفائس المخطوطات تبلغ مئتي كتاب من ضمنها مستنسخاته .

فأما الشيخ العلامة آغا بزرك الطهراني كان نادر الزمان في الأخلاق الفاضلة و حسن السيرة و طيب السريرة . كان زاهدا في لذائذ الحياة، لا يأكل ولا يشرب الا بما يسد الرمق فقط، و كان في الأربعين سنة الاخيرة من حياته لا يتعشى مطلقا . كان متواضعا و كان يكره تقبيل يده . كان الشيخ متوكلا على الله لم يشك قط عن شئ الا وجود الصديق الصدوق في زماننا هذا .

و في يوم الجمعة ١٣ من شهر ذي الحجة ١٣٨٩هـ (٣٠-٢-١٩٧٠م) في الساعة الواحدة بعد الظهر نعي الشيخ و دفن في مقبرته التي اعدها لنفسه ايام حياته في القسم الموقوف من بيته و تحت مكتبته العامة العامرة . ولأول مرة

تعطلت المدارس الرسمية لغرض المشاركة في التشييع لتكريم العلم والفضل في الشيخ العلامة .

وقد ارخ وفاته جمع من افاضل الشعراء فقال الشيخ عبدالغفار الانصاري :

شيخنا "المحسن للخلد مضى ... و به قد الزم الله قراه
بعدما بالعلم أفنى عمره ... تارك الدنيا وما فيها وراه
ناسكا متقيا في زهده ... كل من فيها كسلمان يراه
في الغريين فأرخ "ياله ... طاب مثواه كما طاب ثراه"

(١٣٨٩هـ) .

المراجع

١ ـ الذريعة الى تصانيف الشيعة : تأليف الشيخ آغا بزرك الطهراني الجزء الاول مطبعة الغري في النجف ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م، حياة المؤلف وموقفه الكريم في فاتحة الكتاب من الاستاذ محمد على الغروى الأردوبادى

٢ ـ طبقات اعلام الشيعة: تأليف الشيخ آغا بزرك الطهراني الجزء الاول، المطبعة العلمية في النجف ١٣٧٧هـ - ١٩٥٤م .

٣ ـ آغا بزرك الطهراني تأليف عبدالرحيم محمد على، الطبعة الأولى في النجف ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .

٤ ـ عند صاحب الذريعة في الساعات الأخيرة من حياته : مقالة من الأستاذ

الأمينى نشرت فى مجلة "العدل،، النجف فى العدد الخامس من السنة الثالثة .

٥ - كتاب الاجازات العلمية : تأليف الدكتور عبدالله فياض، الملحق الأول . النجف ص ٨٧ - ٩٤ .

٦ - ريحانة الأدب (فى الفارسية) تأليف محمد على التبريزى الجزء الأول ص ٢٢ .

★ ★ ★

الاستعمار والتبشير فى القارة الافريقية

(خطوط عريضه)

د. عماد الدين خليل
الموصل ـ العراق

رافق النشاط التبشيرى، بقطاعيه الكاثوليكى والبروتستانتى، كلا الاستعمارين القديم والجديد، مهد لهما، و فتح أمامهما الطريق، و لقى ـ بدوره ـ تشجيعا و حمايه واسعه النطاق شملت سائر احتياجات هذه المؤسسات: الماليه والثقافيه والعسكريه والسياسيه . فكان محتوم اذن ان يعمل كلا الطرفين، فى العقود التاليه، فى جو من التعايش السلمي والتخطيط المشترك، و كان من المحتوم اذن ان يعمل الطرفان على سحق كل ما يشكل عائقا بين اهدافهما المشتركه و بين امكان تحقيقها . ولا ريب أن الحركه الاسلاميه كانت تشكل السد الاعظم امام محاولات هؤلاء .

اولا : وجد الاستعمار القديم المسلمين يقودون حركات المقاومه والكفاح المسلح بدافع من ايمانهم العميق بالجهاد و بأن أى مسلم يوالى الكفار الغزاة فهو منهم (فمن يتولهم منكم فانه منهم) (و قاتلوهم حتى لا تكون فتنه و يكون الدين لله) (و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة، و من رباط الخيل، ترهبون بها عدو الله وعدوكم، و آخرين لا تعلمونهم الله يعلمهم ...) و قد تميزت هذه الحركات بالفدائيه و بذل كل ما تملك فى سبيل تحقيق كلمه الله .

ثانيا : و وجد الاستعمار الجديد في المسلمين قوى واعيه، تملك اكثر من غيرها الوسائل التي تستطيع أن تكشف بها أخطار هذا الاستعمار وابعاده، و من ثم فهي تشكل خطرا عليه و تهدد وجوده الخفي بتمزيق أستاره و كشف اقنعته المزيفه. وقد حذر السيد جورج كارينتو (١٩٥٥)، وهو الأمين العام الممثل للمجلس الأفريقي في قسم البعثات الأجنبيه للمؤتمر الوطني لكنائس المسيح في الولايات المتحدة، من الخطر الاسلامي ضد الاستعمار الغربي بالعبارة الحرفيه التاليه: "و هكذا فان الا سلام في افريقيا يهيئ مركز الحشد لكل اولئك الذين يقاومون التدخل الغربي، نشاطه أو سيطرته". و ذكر بريان في كتابه (افريقيا : الى أين ؟) (١٩٦٥) أنه "في المستقبل القريب سيجد الغربيون انفسهم في صدام مع ثقافه موحدة اكثر عداء لتدخلهم مما شوهد اطلاقا تحت الظروف القبليه"، و في الوقت نفسه يظهر دهشه كبيرة من قوة الاسلام في افريقيا مستشهدا بقول المبشر "بيلي غراهام"، من أنه "مع كل فرد يكسب الى صف المسيح فان هناك سبعه يكسبون الى صف الله"، و يحذر من ذلك. أما "جون تايلور"، الخبير بالشؤون التبشيريه فيضع في كتاب "المسيحيه والسياسيه في افريقيا"، المخططات التي يمكن بواسطتها السيطرة على الأمور السياسيه وتوجيه الانتخابات و تحطيم المسلمين الذين هم العثرة الأساسيه ضد الاستغلال الاستعماري في افريقيا. و يسجل بريان في كتاب آنف الذكر شكوك الشبيبه الافريقيه الحرة من نشاط المبشرين الاستعماري ، بعبارات الافريقيين انفسهم "في الأول كنا نحن نملك الارض ، أما هم فكانوا يحملون

الانجيل، اما الآن فقد اصبحوا يملكون الأرض و تركونا نحمل الانجيل لا يوجد في الانجيل شئ عن جمع الأموال من أتباع الكنيسه ، ولكن هؤلاء المبشرين يجمعون من الكبير والصغير..وعندما يصلى هؤلاء المبشرون يجعلوننا نرفع رؤوسنا الى السماء، والسبب أنهم ينظرون الى اسفل ، الى الأرض طمعا فيها...ذلك الذى يفكرون به دائما... يعطوك السماء ليأخذوا الأرض...،، (١)

ثالثا : و من البديهى أن المؤسسات التبشيريه تجد فى الاسلام خطرا حقيقيا ، و ندا قويا لنشاطها وجهودها ، ليس بما يمتلك المسلمون من امكانات الدعوة و الانتشار فى افريقيا ، ففى هذه النقطه بالذات يبدو التفوق واضحا للمؤسسات التبشيريه التى تسندها اغنى الدول و اقواها ، و لكن بما فى الاسلام نفسه من حيويه و سماحه ووضوح واندفاع ذاتى و اقناع، تقف وراءه دائما العنايه الالهيه التى جعلت من هذا الدين خلاص البشريه الكامل و الاخير..و هكذا كان من الطبيعى أن يحدث هذا التعاون بين الاستعمار والتبشير لايقاف هذا الخطر الاسلامى عند حده ولمحاولة سحقه. و من ثم فان ايه دراسه لنشاط المؤسسات التبشيريه فى افريقيا والقوات الفصاله التى تسعى بها لتحقيق اهدافها الواسعه، و سوف لن تكتمل و تتضح الا بادراك هذا الرباط الحتمي بين الاستعمار والتبشير، فعن هذا الطريق يجد المبشرون امكانات واسعه النطاق : ماديه ومعنويه ، سياسيه و عسكريه ، ثقافيه و دعائيه ، لو هيئ للمسلمين عشر معشارها لتمكنوا من فتح افريقيا و ضم معظم ابنائها الى عقيدة السماحه والوضوح، و لكن الذى

يحد من فاعليه" هذه الامكانات الهائله" للمؤسسات التبشيريه" هى طبيعه" المسيحيه" نفسها بصورتيها البروتستانيه" والكاثوليكيه" ، تلك التى تنبثق فى اسسها و تصوراتها عن الغبش الذى أحاط به القديس بولس نقاء المسيحيه" الأولى و توحيدها العميق ، ووضوحها واقناعها ، فضلا عن القيم والتصورات الوثنيه" التى نفذت الى اعماق هذه العقيدة عندما وجدت فى اوربا الرومانيه المجال الرئيسى لنشاطها و عملها ، ووجدت فى الدوله" الرومانيه" الوثنيه" السلوك والتصور ، الحامى الرسمى لها.

الا انه ، رغم ما يملكه الاسلام من حيويه" ووضوح وسماحه" واقناع ، ورغم ما يحيط بالمسيحيه" من جمود و غموض و تعقيد ، فان الوسائل تنتزع ـ بمساعدة القوى الاخرى ـ من ايدى المسلمين و تتضخم بايدى المبشرين . . .و هكذا نجد الظروف ، المعاشيه" والنشاط الاقتصادى يتحول لصالح النصارى الجدد بينما يتعرض المسلمون لتجويع و فقر لا يحتملان ، كما نجد التعليم والتثقيف ينصب على النصارى ، بينما تجد المؤسسات التعليميه" الاسلاميه" رقابات مشددة و تدميرا مستمرا ، كما نجد النشاط الدعائى و الاعلامى ينصب لخدمه" التبشير بينما تكتم كل الاصوات التى تنبعث عن الدعاة المسلمين و تحرق كتبهم و نشراتهم . . . و فوق كل هذا تقوم الثورات المصطنعه" ـ باسم التحرر ـ لتقضى على ما تبقى من قادة سياسيين لهم بعض العطف على الحركه" الاسلاميه"، لينصب مكانهم قادة و زعماء صنعوا على عين الكنيسه" و رعايتها، وهم فى نفس الوقت عملاء مستورين أو مكشوفين للاستعمار الجديد.

ولا بدلنا ، بعد ذلك من استعراض سريع لبعض صور و نماذج النشاط التبشيري و مدى صلته الحيويه بالاستعمار القديم و الجديد ، و طبيعه الأساليب المتبعه لتشويه القيم و الافكار و التاريخ الاسلامي في اذهان الا فارقه من اجل تهيئه الارض الصالحه لمد النفوذ الكنسي و الاستعماري هناك. و سنبدأ بالجانب الغربي من القارة.

في كتاب التاريخ الذي كان يدرس في الصف السادس و الصفوف الأولى المتوسطه، الذي الفه جورج ديوارد ، مدير مدرسه ابتدائيه في الكونغو ، ورد في الدرس التاسع مايلي :

"...لكن قوانين دوليه حرمت تجارة الرقيق حيث انتهت على شاطئ الاطلنطي ، على أن العرب استمروا في ذلك ، بل وضخموا هذه التجارة (!!) لقد كانوا يصطادون ضحاياهم من الشواطئ الافريقيه الواقعه على البحر الاحمر والمحيط الهندي ، و عندما وصلوا الى زنجبار سنه ١٨٣٠ سيطروا على البلاد المجاورة و تقدموا الى داخل افريقيا ، ثم توغلوا في الكونغو حوالى سنه ١٨٦٣ وأسسوا سوقا للرقيق.... و سيطروا على ما يقرب من نصف الأرض الكونغويه ، ينهبون القرى و يبيدون كل من يجرب ان يقاومه ، يقودون الأسرى بالألوف من أطفال و رجال و نساء شابات...لكن كيف كان يفعل العرب؟ هل كانوا كثيرين؟ الحق لا. فلقد كانوا هم المنظمون فقط، كانوا رؤساء هذه الصفقات و كان في خدمتهم آلاف الافريقيين المسلمين الذين استاجروهم من السودان و من بقيه بلاد الشمال الشرقي الافريقي المستعربه.

كان كل هؤلاء الاستعباديين الغلاظ مسلحين بالسيوف والبنادق ، بينما لم تكن ضحاياهم تستطيع الدفاع عن نفسها الا باسلحه ابتدائيه ، كان صيادو العبيد يتبعون دائما نفس الاسلوب : يحاصرون القريه ، يقتلون قسما كبيرا من الرجال ، ثم ينسحبون سائقين امامهم بقيه السكان حيث يقتلون في الطريق كل من لا يستطيع التقدم . . . كان العبيد الكونغويون يصدرون الى مصر والجزيرة العربيه و تركيا و ايران . . . و حسب تخمينات الدكتور شار بونييه فقد قتل العرب في مدة اربعين سنه و باعوا اكثر من خمسه عشر الفا من الكونغويين . لكن شيئا فشيئا ، و بواسطه المقالات التى نشرها أوائل المكتشفين عرف الاوربيون هذا الوضع و اهتم بذلك كثيرا الكار دينال لافجيرى و ملك بلجيكا ليوبولد الثانى و اندفعا للعمل بقوة . . . ،، . . . ثم يذكر المؤلف ، فى مكان آخر ، استجابه الملك ليوبولد الثانى لنداء البابا وارساله الجيوش لتخليص الكونغو من العرب المستعبدين ، وطردهم بعد سنتين من الكفاح ثم تأسيس أول دوله كونغويه مستقله عاصمتها بروكسل (عاصمه بلجيكا) و ملكها ليوبولد الثانى : (ملك بلجيكا ! !)

لقد بلغ النشاط التبشيرى فى الكونغو ذروته تحت حمايه و تشجيع بلجيكا ، و كان يقف من ورائه المعسكر الغربى كله . وتكاد ترى الرهبان والقسس الكاثوليك فى كل مكان هناك ، وكلهم يعملون فى الكونغو كمتقاعدين مع الحكومه الكونغوليه يتقاضون منها رواتب شهريه ، وتأتيهم من مصدر لا أعرفه . كما يقول أحد شهود العيان (٢) . ارزاق لا حصر

لها يوزعونها على الأهالى ، و يشرفون مباشرة على التعليم بجميع مراحله و يسيطرون بنفوذهم الدينى على كل مرافق الدوله" و قد ثارت — قبيل استقلال الكونغو - مناقشات حادة فى الصحف والاذاعه" ، امتدت حتى الوقت الحاضر ، حول اللغه" الرسميه" للبلاد ، و اقترح كثيرون أن تكون اللغه" السواحليه" لانها الأوسع والأغنى، فثارت ثائرة البلجيكيين والمبشرين بحجه" انها لغه" المستعبدين العرب الذين اغرقوا الكونغو قرونا طويله" فى البؤس والعبوديه" ، و بذلك نجحوا فى فرض الفرنسيه" لغه" رسميه" للبلاد.

و قد تنصر هناك — خلال القرن الأخير — عدد كبير من المسلمين على يد المبشرين ، ولا تعترف الدوله" بالاسلام ، و قد جمع المسلمون أنفسهم بعد الاستقلال و طالبوا بالشخصيه" المدنيه" ليكون لهم نوابهم و مدارسهم و مؤسساتهم، و وعدهم أحد رؤساء الوزارة السابقين (ادولا) بكل خير، ولكنه أبعد عن الحكم قبل ان ينفذ شيئا، و قد اتهمه البلجيكيون والمبشرون بأنه مسلم وان اسمه ابدوللا (عبدالله) وقد حذف الباء للتمويه" وعندما يولد للمسلم ولد يجب عليه أن يعمده فى الكنيسه" التى تمنحه اسما من عندها، وان لم يفعل ذلك فلا يسجل ابنه فى السجلات المدنيه" ولامكان له فى الدراسه". ورغم ذلك كله فان عدد امن السنغاليين والماليين والنيجيريين يقومون بدور كبير فى الدعوة للاسلام فى الكونغو وادخال الناس فيه ، لكن الكنيسه" تقاوم هؤلاء بشكل عنيف جدا و تدفع رجال الشرطه" لذلك. و من الجدير بالذكر أن السلطات الكونغوليه" لاتعترف رسميا الا بثلاثه" انواع من المؤسسات التعليميه" ، اولاها المؤسسه"

الكاثوليكيه" المرتبطه" مباشرة بالكنيسه" الكاثو ليكيه" وثانيتها المؤسسه" البروتستانتيه" المرتبطه" مباشرة بالكنيسه" البروتستانتيه"، وثالثتها المؤسسات الرسميه" الملحقه" بوزارة التربيه". وحسب احصاء اذاعه" راديو ليوبولد فيل فانه يوجد فى الكونغو ثلاثه"عشر الفا وبضع مئات مدرسه" ابتدائيه" تبشيريه" كاثوليكيه" ، و سبعه" آلاف وبضع مئات مدرسه" ابتدائيه" تبشيريه" بروتستانتيه" ، مقابل بضع مئات ابتدائيه" رسميه". كما ان هناك من المعاهد الاعداديه" والثانويه" التبشيريه" المئات يقابلها عشرات فحسب من الرسميه"، و كذلك جامعاتها حيث يديرها ويشرف عليها المبشرون، والقسم الأكبر من معلميها منهم ، وعددها ثلاث (٣)

و نمضى مع التقارير الواردة من الكونغو حول أوضاع المسلمين فيها ازاء النشاط التبشيرى الواسع فنقرأ فى أحدها: أن التبشير بالنصرانيه" - هناك - يتم بهمه" و نشاط كبيرين ، وأن هنالك ما يزيد على خمسه" عشر الف بعثه" تبشيريه" نصرانيه" من كل من امريكا وبلجيكا وايطاليا و فرنسا والدول الأوربيه" الاخرى ، وهى جميعا تعمل بجد و نشاط لتنصير السكان وفق خطه" منظمه" ومدروسه" بحيث يتم تنصير حوالى نصف مجموع السكان. ولم تدخر هذه البعثات التبشيريه" بالطبع أى جهد لمحاربه" الدين الاسلامى فى هذه المنطقه" ، الا انه رغم كل جهودها فانه لا يزال فى الكونغو حتى الآن حوالى ثمانين الف مسلم ، و هذه حقيقه" مدهشه" ومعجزة حيه" لهذا الدين لايزال صامدا بكل هجوم عليه من قبل اعدائه. الا أن مسلمى الكونغو - مع الاسف - معزولون وغير آمنين ، وهم متأخرون ثقافيا، ويتناقص تدينهم تدريجيا تحت التأثير الأجنبى، وليس هناك رابطه"

تهتم بشؤونهم، ولذلك فان هناك حاجه ماسه لا يقاظ وتوحيد وتقويه هذه القطعه من الأمه الاسلاميه. ولقد قدم البلجيكيون ايام استعمارهم للكونغو كل عون رسمي لانتشار المذهب الكاثوليكي. . . وحصل الكاثوليك على امتياز دائم للتحكم في التعليم في الكونغو، وبالاضافه الى ذلك فانهم يعملون مديرين لهيئه تبشيريه ضخمه تعمل في الكونغو. . ان عدد المتنصرين يتضاعف بسرعه بسبب جهود الجمعيات التبشيريه من (البيض) التي لا تكل ولا تفتر، وهي تعمل تحت اشراف و بمساعدة الهيئات الامريكيه - البريطانيه والاجزاء الاخرى من اوربا. (٤)

وفي رساله من م.ف.ك من الكونغو ان الكثير من الافارقه سمعوا لأقوال البعض من القس المسيحيين وصدقوهم بسهوله لأنهم بسطوا لهم بعض الأمور وتركوهم لعوائدهم القبليه دون أي تغيير ولم يدخلوهم في سلم المدنيه، حتى ان للسود كتابا خاصا للصلاة يختلف عن كتاب البيض. . . أما الآباء الكاثوليك والقسس فلديهم كل شيء، كلهم شحم ولحم و تجارة و مصلحه. . . كنت معتمدا، يقول كاتب الرساله، في تعليم القرآن الكريم على ترجمه سافازى عدو الاسلام، بسبب لغتها القويه، و لقد اصلحت فيها كثيرا وأريت الطلاب تحيز الغربيين ضد المسلمين حتى في الترجمه. (٥)

ولنا أن نقرأ معا هذا الحوار الظريف الذى دار بين قس وراهب كاثوليكيين و بين شاب كونغوى، بعد الاستقلال، والذى ساقه محمود القاسم في مقاله القيم (سنوات في الكونغو).

الشاب : هذه حالة انتقالية سببها انتقالنا المفاجئ الى الاستقلال دون أن نكون مهيئين لذلك ، لافكريا ولا ثقافيا ولا اجتماعيا ، مما تقع مسؤوليته على بلجيكا التى كانت تظن أنها ستبقى الى الأبد وسيبقى ابناء شعبنا اجراء و خدم لديها .

القس : لا يا سيدى ، بل انكم قوم لاتستطيعون الحياة وحدكم ، فمداركم ناقصة بالفطرة ، وانا أشرح لكم ذلك وأفهمكم ليلا و نهار وانتم لاتفهمون اننى بين الفينة والاخرى أحدث نفسى بأن اغلق كنيستى وألم حاجياتى و أذهب ، وابقوا بلا كنيسة ولا دين !!

الشاب : ولكن هذا يتنافى مع تعاليم الأنجيل !!

الراهب : لا يا سيدى ، فان تعاليم الانجيل هى التى تأمر بذلك ، و قولك هذا يدل على أنك لا تقرؤه ، و هذا برهان على عدم استعدادكم للفهم !!

الشاب : ان ما نمر به شئ طبيعى ، والاستقلال شئ طبيعى أيضا وهو ثمن لما سنحصل عليه فى المستقبل .

القس : هاها !! الاستقلال !! دعنى هادئا . . . كل البلاء اتى من الاستقلال !! ولا أدل من هذا الحوار على مدى تعشق المبشر الغربى لحرية المواطن الافريقى و تقدمه و استقلاله !! ولا ادل كذلك على وشائج الفكر والقلب والوجدان ، تلك التى تشد المبشرين الى اخوانهم

المستعمرين !!

يقول محمود القاسم : و يتكرر نقاش كهذا اذا اجتمع بلجيكى مع أى انسان كونغوى أو غريب !!

و من خلال هذه المصيدة المطبقة ينطلق صوت مسلم كونغوى بسيط يدعى " محمد "، ينادينا "نحن المسلمين فى الكونغو فقراء ضعاف جهلة، ينقصنا كل شئ و نحملكم مسؤوليتنا أمام الله . . . اننا رغم فقرنا لا نطلب منكم المال بل نطلب منكم من يعلمنا القرآن والاسلام والعربية. ان فقرنا يحول بيننا و بين الذهاب الى بلادكم للتعلم " !! فهل من مجيب ؟ !

— — — —

لقد استعمل التبشير، ولا يزال مصادره الغنية، وأساليبه البارعة، وغدره و خيانته، لاضطهاد الاسلام فى افريقيا و منع تقدمه. و خلال عهد استعمارهم للبلدان الافريقية كانت المعرفة والتعليم محصورتين فى البعثات التبشيرية، وهذه بدورها كانت تقدم كل العون الممكن والتشجيع والرعاية لأولئك الذين يقبلون الدخول فى النصرانية، وهذا يفسرلنا الوضع الراهن فى معظم الدول الافريقية حيث نجد أن غالبية السكان من المسلمين ولكن قيادتهم تقع فى أيدى الاقليات الصغيرة النصرانية، ولنأخذ دولة سيراليون كمثال على ذلك، فنجد أن نسبة ثمانين بالمائة من السكان هم من المسلمين ولكن الأقلية النصرانية التى تبلغ نسبتها خمسة بالمائة تسيطر على سبعة عشر مقعدا وزاريا من أصل اثنين وعشرين، كما نجد أن كلا من رئيس الدولة ورئيس الوزراء ووزراء

الخارجيه" والماليه" والاعلام هم جميعا من النصارى...و يزعمون أن المسلمين متأخرون وغير متعلمين أو غير مثقفين ، ولذلك فانهم غير قادرين على تسيير بلادهم و حكمها...و اذا ما استمر الوضع الراهن المؤلم وغير العادل ، فان التبشير سوف يسيطر على غرب افريقيا ذات الأغلبيه" المسلمه" الكبيرة التى تستطيع بقليل من اعمال الفكر والجد والنشاط والاهتمام السياسى أن تتحول الى دوله" من أقوى الدول الاسلاميه" فى افريقيا. و منذ قرن من الزمن شق وافيد ليفنجستون، احد كبار المبشرين طريقا فى افريقيا حدد غايته بأنه "طريق للتجارة والاستعمار والتبشير" (٦)

و فى رساله" للشيخ تورى ، احد دعاة الاسلام فى دكار عاصمه" السنغال، ما يلقى ضوءا على ما يجرى هناك ، ان ٩٥٪ من سكان السنغال - يقول الرجل - مسلمون و ٢٪ نصارى والباقى و ثنيون يتنازعهم الاسلام والمسيحيه" ، مع ملاحظه" أن حصه" الاسلام اكبر لوجود دعاة اكفاء خبيرين بامور الدعوة، و لأن طبيعه" الزنوج وعاداتهم اقرب بكثير الى الاسلام البسيط السمح منه الى المسيحيه" المعقدة الغامضه"... والسنغال قديم عهد بالاسلام ، منذ انطلقت منه ، منذ الف سنه" حركه" المرابطين...كما ظهرت فيه فى القرن الماضى حركه" الحاج عمر الفولتى الذى قام بنشر الاسلام و عمل على توحيد شعوب افريقيا الغربيه" على سياسه" الاسلام، و قد كاد ينجح فى ذلك لولا تدخل الاستعمار الغربى البغيض وخيانه" بعض الامراء والزعماء...و هنالك الداعيه" شيخ الاسلام الحاج ابراهيم ايناسى الذى تنقل فى عدد من الدول الافريقيه" واخذ يعمل على ادخال السلاطين والامراء والوزراء الزنوج فى دين الاسلام

في نيجريا و غانا وداهومي و مالي وسيراليون وغامبيا. ثم مالبث الاستعمار أن جاء و قام بعمليات قاسية لمحق الاسلام ، واخذ يعمل بواسطة مدارسه اللادينية والتبشيرية على بث سموم الميوعة والالحاد والانحلال في نفوس الشباب ، و بذل مجهودات جبارة لتربيتهم و تدريبهم على السخرية بمقدسات الأجداد والتقاليد الاسلامية ليخلف جيلا يؤمن باوربا وحدها ويقلدها تقليدا أعمى . . .و نتج عن ذلك أصبح غالبية الشبان المتخرجين من المعاهد والجامعات الغربية ، وهم الاطارات المدبرة والمسيرة لشؤون البلاد، اما ملحدين أو انحلاليين يؤمنون بضرورة فصل الدين عن السياسة. بينما وجدت المسيحية المجال أمامها واسعا فسيحا ، وأخذت تلقى الترحيب والتحيز والتأييد لدى جميع الأوساط الرسمية. انها تقوم بنشاط هائل خطير ترتعد منه فرائص كل زنجي يعرف تاريخ بلاده ، و تتدخل في كل الأمور وخاصة في المسائل المتعلقة بمستقبل الأمة كالتربية والتعليم والقوانين الاجتماعية. (٧)

و تتحدث مجلة يونغ باكستان ديلي (باكستان الفتاة الاسبوعية) التي تصدر في دكا (عدد الأحد ٢٤ تشرين الاول ١٩٦٥م) عن العزلة التي يعانيها المسلمون الأفارقة هناك و تلقي مزيدا من الأضواء على الأوضاع في (ليبريا) كنموذج لما يحدث في غرب افريقيا، بل في القارة جمعاء، فتقول : ان الحاجة ماسة لا يقاظ المسلمين من نومهم فهذه المجتمعات المعزولة - في افريقيا - تكاد تغرق وسط المحيط المتسع لاعدائها ، بل انارأينا أن الصهيونية والهندوسية قد اتحدتا معا (ضد هذه المجتمعات).

ـ تستطرد المجلة قائلة : و ليس هناك في ليبريا دعوة منظمة للاسلام الحق ، و ان كنا نرى للقاديانية بعثة تبشيرية منظمة ، وينطلق مبشروها ليعملوا بجد و نشاط في انحاء كثيرة من الدولة و نجد أن المسلمين ، بسبب نقص التوحيد الاسلامي، ليس لديهم الا فكرة ضحلة عن الاسلام، و لذلك، و بسبب من تنظيم البعثات التبشيرية النصرانية ، يسهل على المبشرين تضليلهم ، حقا أننا بسهولة يمكننا أن نلمس النشاط الهائل لهذه البعثات في كافة أنحاء غرب افريقيا. ونلاحظ أن رئيس جمهورية ليبريا و كافة اعضاء الوزارة هناك هم من النصارى. و قد كان رئيس الجمهورية مبشرا محليا في عدد من الكنائس قبل أن يصبح رئيسا للجمهورية ، رغم أن عدد المسلمين هناك يبلغ ٤٥٪ من مجموع السكان.

و نختتم هذا العرض السريع بتلك الرسالة التي بعث بها احسان حقي مؤلف كتاب (افريقيا الحرة) الى مجلة (المسلمون) من باريس، في شباط عام ١٩٦٥م (٨) حيث يقول : لقد عاشت افريقيا عشرات من السنوات مضطهدة معذبة مغلوبة على أمرها ، اذ تكالبت عليها الحكومات والقسس معا، وعمل الجميع جاهدين لتنصيرها ولكنهم لم يفلحوا. و قد بلغ من تعسف المستعمرين في افريقيا أنهم كانوا يستعينون باموال المسلمين للعمل على تنصير المسلمين ، فكانوا يأخذون أموال الأوقاف الاسلامية ويتبرعون بها على الكنائس لابل قد ارتكبت بعض الحكومات أفظع من ذلك ، اذ أنها كانت تنتزع من أموال الاوقاف مبالغ طائلة تدفعها للمسيحيين لاطعام حمام الكنائس ، بينما أهل البلاد

يموتون جوعا فى الطرقات . . . ولكنهم فشلوا فى كسب أحد من أهل البلاد ، اللهم الا من كان من الوثنيين أو الأطفال الذين كانوا يأخذونهم أيام القحط والمجاعات فيربونهم و ينشئونهم على المسيحية . واذا كان المبشرون لم ينجحوا بتنصير المسلمين فانهم قد نجحوا بلا شك فى اقصائهم عن دينهم بما فرضوه عليهم من نظام تجهيل وابعاد عن البلاد الاسلامية حتى جعلوا كثيرا منهم يجهلون دينهم و حتى صار بعضهم يجهل انه مسلم وهو يمارس الأحكام الاسلامية أو بعضها . . . وقد غادر المستعمرون البلاد بأجسامهم بعد أن طبعوها بأفكارهم و مبادئهم ولغتهم ايضا . . . و لما كانت الأقوام الافريقية وهى عربية مسلمة قد اضاعت لغتها مع مرور الزمن وعتو المستعمر ، فقد اضطر اكثرها بعد الاستقلال أن تتخذ لغة المستعمر لغة لها ، ومعنى ذلك أنها حررت جسومها و كبلت عقولها ، و لكن عذرها أنها لا تعرف لغة حية غير لغة المستعمر . و من مهازل الدهر أن يضيع اكثر الأفارقة لغتهم العربية ، وافريقيا معقل هذ اللغة بما فيها من جامعات الازهر والقرويين والزيتونة . . .

المـــــــراجع

(١) انظر محمد نذير السنكرى : المسلمون فى جمهورية التشاد ، مجلة الشهاب ، عدد ١ سنة ٣ شباط ١٩٦٩ م .

(٢) الاستاذ محمود القاسم : سنوات فى الكونغو ، مجلة حضارة الاسلام ، عدد ٤ - ٥ السنة السابعة .

(٣) المرجع السابق .

(٤) مجلة" حضارة الاسلام، عدد ٥ ، السنة" الثامنة" ، قلم الترجمة".

(٥) مجلة" المسلمون ، عدد ٩ - ١٠ ، المجلد الثامن ، ص ٩٩

(٦) معوقات انتشار الاسلام في افريقيا، قسم الترجمة" ، مجلة" حضارة الاسلام ، عدد ٦ سنة" ٨.

(٧) مجلة" (المسلمون)، مجلد ٩ عدد ٩ تموز ١٩٦٥م.

(٨) المجلد التاسع، العدد الخامس.

حور عين

سعادة سالم الغيلانى
سفير سلطنة عمان فى باكستان

فى اول لقائى مع سعادة سالم الغيلانى الموقر اعجبت بذوقه الأدبى و قدرته على نظم القصائد العربيه ، و نظره الواسع فى الشعر الشعبى العربى ، و لما تشرفت بقراءة تأليفه حول الشعر الشعبى الذى هو تحت الطبع، صدق الخبر الخبر، و بعد ذلك كلما قابلته سألته ان يشرف مجلة الدراسات الاسلاميه بقصيدة من قصائده او بحث يعده حول اتجاه دينى فى الشعر الشعبى، وقد حقق طلبى باعطاء المجلة قصيدة من قصائده و هى "حور عين" . و نحن شاكرون له على ذلك، و قبل ان يقرأها القراء الكرام نريد ان نلقى ضوءا حول الشعر و هذا الموضوع الهام.

ان الشعراء يدعمون اللغة و يعطونها قوة التعبير، و كما ان المصور يصور ظاهر الجسم و يعكس ما يظهر من العواطف على البشرة و فى العينين و ما الى ذلك ، فان الشعراء يصورون باطن الانسان و عواطفه و افكاره و ما يخطر بباله و يختلج فى صدره، فمهمتهم تتطلب طول التأمل و لطافة الاحساس والتفكير، و دقة الشعور و المشاهدة، والغوص فى المعانى الداخلية ، حتى يعطوا اللغة قوة معنوية ، تستطيع بها حمل المعانى الثقيلة، فان المركب الضعيف لا يقدر على حمل الراكب القوى ، فلولم يكن شعراء الجاهلية و عملهم فى تقوية اللغة العربية لما كان فى اللغة العربية قوة احتمال القول الثقيل اى القرآن المجيد ، و ان من حكمة الله سبحانه و تعالى انه اذا اراد شيئا هيأله الأسباب، و قال له كن فيكون.

ان هناك معانى ادبيه" دقيقه" و اسرارا نفسيه" كامنه" يذكرها القرآن الكريم بصورة التشبيه" و الكنايه" و الاستعارة و لايمكن شرحها الا لشاعر مرهف الحس، متضلع من اصناف البيان و التبيين ، فالقرآن المجيد يقول : ''حور مقصورات فى الخيام (الرحمن : ٨٢) ''و حور عين . كأمثال اللؤلؤ المكنون،،. (الواقعه" : ٢٢ - ٢٣) ، و لا يقدر احد ان يشرح حور العيون و ما فيها من القوات الكامنه" الا الشاعر البصير المحنك. يقول جرير :

ان العيون التى فى طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك له و هن اضعف خلق الله أركانا

و كما قال ذوالرمه" :

و عينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

و قد آن الأوان ان نعرض لكم قصيدة سعادة السفير سالم الغيلانى ، راجين انه سوف يعد لنا بحوثا عن اتجاهات دينيه" فى الشعر الشعبى :

رئيس التحرير

قالت و دهشتها ليست تداريها والعتب فى جملة" رقت معانيها
اطلت فى نظرة باحت بما فيها حتى سمعنا الهوا ينساب من فيها
طال المقام بنا و الناس ترصدنا ماذا تريد بها لو كنت تعنيها
فقلت عيناك آه..من جمالهما عيناك احلى من الدنيا و ما فيها
انى اسير بلادا لست أعرفها الحب زهر نما فى حضن واديها
والحسن شمس بها راحت ضفائرها تلف فى رقه" احلى روابيها

والعشق نهر جرى وانساب مؤتلقـا   يختال موج الصبا من فوقه تيها
قـولي بأي بـلاد الله آسرتـــى   قرت عيونى على أحلى مغانيهـا
قالت أطلت طوافا في مدينتنـــا   وزدت في حسنها وصفا و تشبيهـا
و رحت تعزف بالأشواق أغنيـــه   الطير يشدو بها والزهر يحكيهـا
فقل لنا يافتى هل جئت بلدتنـا   مسافرا ياترى ام باقيا فيهـــا
فقلت يافتنتى عيناك امنيـــه   لفارس قد طوى الصحراء والتيهـا
انى لجأت الى عينيك يسبقنـــى   شوقى الى بلد . . . الحب راعيها
هلا قبلت فتى . . . الشوق يمـــلؤه   بفرحه للهوى ضجت اغانيهـا

❋❋❋❋

مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية

اسلام آباد، باكستان

		فى باكستان (روبية)
١- Islamic Methodology in History	للدكتور فضل الرحمان	٢٥-٠٠
٢- Qura'nic Concept of History	لمظهر الدين الصديقى	٢٥-٠٠
٣- Al-Kindi, The Philosopher of the Arabs	لبروفيسور جارج ابن عطية	٢٥-٠٠
٤- Imam Razi's 'Ilm-al Akhlaq (ترجمة كتاب النفس والروح مع تعالىق)	للدكتور محمد صغير حسن المعصومى	٢٥-٠٠
٥- Alexander Against Galen on Motion	لبروفيسر نكولاس رشير و ميكائيل مارمورا	١٥-٠٠
٦- Concept of Muslim Culture in Iqbal	لمظهر الدين الصديقى	١٥-٠٠
٧- The Early Development of Islamic Jurisprudence	للدكتور احمد حسن	٢٥-٠٠
٨- Proceedings of the International Islamic Conference	جامعه : الدكتور ايم - اے خان	١٠-٠٠
٩- مجموعة قوانين اسلامية الجزء الاول (باللغة الاردية)	لتنزيل الرحمان	٣٥-٠٠
١٠- ايضا الجزء الثانى ايضا	"	٣٥-٠٠
١١- ايضا الجزء الثالث ايضا	"	٣٥-٠٠
١٢- ايضا الجزء الرابع ايضا	"	٣٥-٠٠
١٣- تقويم تاريخى (باللغة الاردية)	مولانا عبدالقدوس الهاشمى	١٥-٠٠
١٤ الاجماع و باب الاجتهاد (باللغة الاردية)	لكمال الفاروقى	٤-٠٠
١٥ الرسائل القشيرية (باللغة العربية مع ترجمتها الاردية)	لابى القاسم عبدالكريم القشيرى - ترجمة الدكتور پير محمد حسن	١٠-٠٠

مجلة مجمع البحوث الاسلامية

اسلام آباد ـ باكستان

مجلد الرابع عشر،العددالرابع، والمجلد الخامس عشر، العدد الاول والعدد الثانی

دیسمبر ۱۹۷۹م و مارس ۱۹۸۰ و یونیو ۱۹۸۰م

ذوالحجة ۱۳۹۹ و ربیع الاول ۱٤۰۰ وجمادی الآخرة ۱٤۰۰ھ

العدد الخاص عن نشاطات الافارقة السود الامريكيين المسلمين

المحتوى

الافتتاحية

ان التاريخ مرآة الأمم، ترينا أحوال الأمم الغابرة و تخبرنا كيف جرت سنة الله فيها، تختلف الناس والأمم والشعوب و تتفاوت أخبارهم، تطول قصصهم و تقصر، غير ان سنن الله فيهم لاتتغير ولا نجدلها أى تحويل و تبديل. ان الفراعنة الظالمين وان أسهلوا، مستدرجون الى جهنم وان المظلومين المستضعفين وان طال عليهم أمد احتمال المظالم يستخلفون فى الأرض.

ينتقد بعض الناس الذين لم يتعمقوا فى تعاليم الاسلام بخصوص العبيد والارقاء والمماليك، متهمين ان الاسلام سمح باتخاذ الارقاء و فتح باب الاسترقاق والاستعباد على مصراعيه، وان كل مانرى فى العالم من النخاسة و اسواق العبيد انما جاء عن طريق الاسلام، غير انى لا أجد لهذا القول اصلا ثابتا، وارى المبدأ الاساسى الاسلامى : ”ان لانعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله،، (آل عمران : ٦٤) . و معنى ذلك ان الله هو ربنا و مولانا والناس كلهم سواسية، لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لابيض على اسود، كلهم راع و كلهم مسئول عن رعيته، ليس أحد منهم سيدا ولا مسودا على الاطلاق، واذا كان لاحد فضل على آخر فبالتقوى .

اننا نجد فى القرآن الكريم آيات تتعلق بالعبيد وما ملكت الأيمان، كما نجد هذا الموضوع فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم و فى سيرته الطيبة، كمانعلم ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان عنده بعض المماليك، غير انه حررهم واعتقهم . و قد طال أحكام العبيد والمماليك فى كتب الفقه حتى ظن

بعض الناس ان الاسترقاق والاستعباد عمل شرعى على الدوام وان عمل السلف وما كتبه الفقهاء يبرران اعتقادهم هذا . أما الفقهاء فقد اطالوا فى كلامهم حول هذا الموضوع واسهبوا فيه، وادخلوا فى هذا الباب ما لاصلة له بالتعاليم الاسلامية .

لاشك ان فى القرآن الكريم بعض الآيات ترخص فى ملك اليمين غير أن هذه الرخصة كانت وقتية و مقيدة بتلك الظروف الخاصة السائدة فى بيئة النظام الجاهلى الذى كان فى حاجة الى اصلاح تدريجى، و لكن الاصل المتبع والغاية القصوى فى هذا الباب هو قوله تعالى: فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة . فك رقبة (البلد : ١١ - ١٣) فان هذه الآيات الكريمة كما تحرم فى جانب كل عمل استغلالى فى المجتمع الاسلامى سواء كان المغلول الضعيف أو المضطر عاملا أو فلاحا أو أجيرا أو فقيرا أو مسكينا، فكذلك تحض المسلمين فى جانب آخر على اقتحام العقبة الكؤود، اى حل مسئلة الاقتصاد، و قضية العدالة الاجتماعية، و تقسيم الانتاج بالعدل والقسط حتى لا يبقى فى المجتمع الاسلامى رقيقا أو أسيرا ينادى من يفك رقبته .

ان الاسلام ألغى الاسترقاق كليا بطريقة حكيمة، و فى الفترة التى أبقاه اضطراريا فرض على المسلم أن يحسن الى الأرقاء و يثقفهم و يعلمهم، و يطعمهم مما يأكل و يكسوهم مما يكسو، واذا كان العمل شاقا فليشترك هو معهم فى إكمال العمل، ولا يظلم حقهم، و يعطيهم أجر سعيهم كاملا بدون تأخير، واذا أساء احد الى مملوكه فليعتقه، و من أحسن الى جاريته فعلمها وادبها و رفع مستواها الى ان تزوجها فله الاجر، و نهى الرسول الرؤوف الرحيم عن تفريق الأم عن طفلها، وأعطى كل رقيق حقه فى أن يعمل بموجب اعتقاده و دينه، ولم يكره أحدا على تبديل دينه، كما شجع المكاتبة لمن يريد ان يتخلص من الرق، و سهل

للمكاتب طرق دفع الثمن . و كان التعليم الاساسى للمسلمين فى هذا المجال كلمة ”لا اله الا الله،، التى تشجب كل استرقاق و استغلال .

وفى خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين اختطف آلاف من الأفارقة السود و كان من بينهم عدد كبير من المسلمين، وبيعوا كالارقاء فى أمريكا، و كان جل هم الملاك ان ينسوا الأرقاء دينهم ولغتهم الى ان يستحيل عليهم صيانة دينهم الاسلامى، و كانوا يفرقون الابن من الأم حتى يبقى الولد جاهلا عن ماضيه .

منذ زمن كنا نشتاق الى الاطلاع على أخبارهم الصحيحة لاسيما المسلمين منهم، و كيف نشأ الاسلام فيهم و من هم ائمة المسلمين وقادتهم فى الدعوة الى الاسلام، وماهى العقائد التى انتشرت باسم الاسلام فى المسلمين الافارقة السود الاميريكيين، و ماهى المشاكل التى كابدوها فى هذا المضمار . و كنا منتظرين اذ جاءتنا عدة مقالات حول هذا الموضوع من الأخ الفاضل الاستاذ الدكتور دنس ووقر (Dennis Walker) ، فاحببنا ان ننشر جميعها فى مجلة واحدة لاتحاد موضوعها، وأرتباط المقالات بعضها ببعض، وان نجعل عددا خاصا من مجلة الدراسات الاسلامية عن الافارقة السود الاميريكيين ليعم النفع و يستفيد منه الباحثون من قراء المجلة . هذا و نحن شاكرون للاستاذ الكريم دنس ووقر المحترم على هذا العناء الذى تحمله فى البحث حول هذا الموضوع الهام، فجزاه الله خير الجزاء . و هذه المقالات تلقى ضوءا لمن يريد ان يعرف تاريخ المسلمين الافارقة و عقائدهم و انجازاتهم فى اميركا كما تساعد هذه المقالات لمن اراد ان يقارن بين معاملة الاسلام مع الأرقاء و بين معاملة الشعوب المعاصرة مع الارقاء . والامر الى القراء الكرام فليحكموا :

عبد الرحمن الطاهر السورتى

الاسلام بين الارقاء السود فى شمال امريكا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

ليس ربط قسم من سود أمريكا أنفسهم بالعالم الاسلامى العربى فى القرن العشرين بظاهرة تعوزها سوابق تاريخيه تماما . بالنسبه الى عبيد الولايات المتحدة مثلا، قد أكد تشارلزسلبرمن مؤرخ ابيض لليقظه الزنجيه المعاصرة، أن قسما من الزنوج التى جاء بهم النخاسون البيض من القارة السوداء عبر المحيط الاطلسى مقيدين كانوا مسلمين يقرأون اللغه العربيه رغم اننا لانعرف مقدار عدد هذه الفئه (Crisis in Black and White 1964—PP80—81) ولم يعوز ظاهرة اسلاميه جزء من السود الذين حملوا على سفن النخاسين الى حياة الاسترقاق فى عالم امريكا الجديد من ذكر احفادهم بها من مؤلفى القوميه السوداء حتى فى القرن التاسع عشر . فنجد ادوارد و. بليدن (Edward W. Blyden) فى كتابه ''النصرانيه والاسلام والعرق الزنجى،، (Christianity, Islam and the Negro Race) الذى نشره سنه ١٨٨٧م مثلا يقتطف لهذه الغايه من كتابات المستكشف الاسكتلندى العظيم ما نغو بارك Mungo Park (١٧٧١ - ١٨٠٦) الذى فى اصعاده لنهر النيجر مرتين، فى اواخر القرن الثامن عشر . و فى العقد الاول للقرن التاسع عشر رأى مناطق هي تشكل فى عصرنا هذا أجزاء من أراضى دولات غامبيا و نيجريا ومالى لم يخترقها من قبل أى انسان أبيض . قد لاحظ ما نغو، كتب القومى الاسود بليدن بنبرة انتصار، ان السفينه التى عادبها من افريقيا حملت بين ركابها ١٢٧ مسترقا اسود معظمهم من سواحل سنيغامبيا وان استطاع ١٨ افريقيا من بين عددهم قراءة العربيه و كتابتها بطلاقه : و لكن ما نغو أبصر ان الربان (قبطان)

الابيض للسفينة" رسى كتب العبيد السود فى امواج البحر لكى لاتمرض قلوبهم قراءتها في حياة الاسترقاق التى انتظرتهم فى عالم جديد.حسب مانغو بارك، كان سبع العبيد السود فى جزر الهند الغربية"، التى قد استلمت الاراضى المشكلة" للولايات المتحدة اليوم منها كثيرين من عبيدها، يستطيعون فى عهده قراءة انجيل(!) بالعربية" ان وضع فى ايديهم (بليدن : اعادة طبع مطبعة" جامعة"ا دنبرا ص ٢٢٧) .

صح ان بليدن (١٨٣٢م — ١٩١٢م) نفسه لم يولد فى الولايات المتحدة بل كان من سود جزر الهند الغربية" المنحدرين من أصل أفريقى، وان كانت افريقيا الغربية" (ليبريا و سيراليون) مقر حياته المهنية" . ان بليدن هذا القومى الامريكى الافريقى الرائد اثار ضجات متتالية" فى أفريقيا و فى العالم الغربى من خلال مؤلفاته التى طرح فيها اطروحة" عدم مناسبة" مسيحية" الغرب (''تلك الديانة" الآرية"،،) للمزاج الافريقى الذى رأى بليدن ان الاسلام والثقافة" العربية" الذين كانا فى طور التقدم والانتشار فى غرب افريقيا عندئذهما خير تعبير عنه، موقتا على اى حال . و لكن اتاحت حياة بليدن كقومى أسود جذرى له ان يحقق و صلابين تجربته الافريقية" و فكره الافريقى والاسود القومى و بين اقلية" الامريكيين الافارقة" السود فى الولايات المتحدة . والواقع أن حياته كداع الى الزنجية" ابتدأت حين اعجب به قس مشيحى Presbyterian امريكى صادفه فنقله الى الولايات المتحدة لتربية" جامعية" هناك فى ١٨٤٧ : و لكن بليدن وجد العنصرية" تسده من دخول جامعة" فهاجر الى ليبريا سنة" ١٨٥٠م . و لكن رغم كل شواغل امانته لكلية" تبشيرية" امريكية" هناك، و انتخابه سنة" ١٨٦٢م الى بروفسورية" فى كلية" ليبريا و تعيين سنة" ١٨٦٤م وزير خارجية" ليبريا، و عمله

بعد ١٨٧٧م سفيرا مطلق السلطة لجمهورية ليبريا في انكلترا و نشاطاته السياسية المحمومة بعد ترشيحه مرشحا للحزب الجمهورى الليبرى لرئاسة الجمهورية سنة ١٨٨٥م رغم كل هذه الشواغل لم ينس بليدن أبدا سود الولايات المتحدة . ففي فترة اوج ابتكاره الرائد بين ١٨٧٢م و ١٨٨٨م زار بليدن الولايات المتحدة احدى عشر مرات، ناشرا فكره أن الامريكيين الافارقة ليسوا الا جزءا من امة زنجية عالمية تقطن أفريقيا و منفى شمال و جنوب امريكا في وقت واحد ! ولا ريب ان بليدن، الذى دعا الامريكيين الافارقة الى العودة الى وطنهم الاصلى، الى قارتهم الأم افريقيا التى حدد شخصيتها الى حد بعيد ضمن اطار الاسلام والعروبة، أضطلع بدور حاسم في تمهيد السبيل فكريا الى اهتمام مؤلفين زنجيين من نوع دو بويز Du Bois و د . كارترجي و ودسون بنشر عرفان بتاريخ أفريقيا بين مثقفي سود الولايات المتحدة، كما اثر أيضا على مستوى أقرب الى جماهير سود الولايات المتحدة في مضمون حركة "العود الى افريقيا"، التى قادها ماركوس غارفي عشرينات هذا القرن . لم تكن اشادة بليدن باسلامية مناطق شاسعة لافريقيا الغربية السوداء التى كان تكلم بعض العبيد المحمولين الى العالم الجديد بالعربية و ايمانهم بالاسلام مظهرا لها . لم يكن لاقوال بليدن في هذه النقطة ان يعوزها تأثيرها في تحديد الامريكيين الافارقة لمضمون زنجيتهم أو ماضيهم الافريقى .

في صدد قضية اسهام بليدن في بقاء وعى معين بين سود الولايات المتحدة باسلامية فئة من أجدادهم الافريقيين المستعبدين .

يكون من الملحوظ ان بليدن كان من بين مؤسسى الجمعية الزنجية للبحوث التاريخية سنة ١٩١١م، كان من الاعضاء التاسيسيين الآخرين المصرى — السودانى

المسلم دوس محمد افندى الذى أصبح فيما بعد من بين ابرز واضعي عقائديه" حركه" غار في التى أنضم فيها كذلك الصحفي القومى الاسود المحنك جو ادوارد بروس، متعاون مع بليدن في تحقيق تأسيس كنيسه" زنجيه" سوداء منفصله" عن كنائس الغرب البيضاء .

كان التبرير التاريخي لارتباط من طرف سود العالم الامريكى الجديد بالعالم الاسلامى أو كيان اسلامى دولى اكثر ثقلا و خطورة بالنسبه" الى امريكا اللاتينيه" و خاصه" البرازيل . فرغم اننا نجد في كوبا مثلا استعمال اللغه" العربيه" الى جانب اليوروبيه" او الايبو (اى لغات غرب افريقيا التى كانت واسطه" للعبادات الوثنيه") كلغه" مقدسه" لبعض الطوائف الدينيه" السريه" و بينما نجد من مصادر عهد الاسترقاق في بر شمال امريكا، اى الولايات المتحدة أسماء و تواريخ عبيد سود مسلمين نطقوا بالعربيه"، الا ان للبرازيل ميزة على كل من الولايات المتحدة او هايتي او جزر أخرى في بحر القريبان أو جزر الهند الغربيه" يسكن فيها مجموعات من عبيد مسلمين سود — أى أن المسلمين السود في برازيل تمكنوا رغم قساوة ظروف منفاهم من القيام بانتفاضات مسلحه" و من تنظيم مدارس سريه" للقرآن الكريم و الحروف العربيه" وصلت الاسلام الى الاجيال الجديدة من الارقاء الذين ولدوا في برازيل .

لم تكن العناصر الاسلاميه" بين العبيد السود في مستعمرات بريطانيا في أمريكا الشماليه" على نفس التركز السكانى او التنظيم البادبين بين العبيد السود في برازيل . استنتاج عالم الاجتماع البرازيلى فرير أن ”ممثلى الثقافه" المحمديه" لم يكونوا حاضرين بنفس الكثرة في شمال امريكا الانكليزيه"“، التى

كانوا يوجدون بها في برازيل : على كل حال لم يستطيعوا ان يعبروا عن دين الاسلام ثقافيا او أن ينقلوه الى جيل جديد من خلال اقامه" نوع المدارس العربيه" (القرآنيه") السريه" او المصليات والمساجد السريه" التى نظمها دعاة الاسلام السود فى برازيل والتى شكلت اساسا ثقافيا لحركات و منظمات تحرريه" سوداء . فيرى فريأن هذه المدارس البرازيليه" تدل على وجود صفوة اسلاميه" دينيه" حقيقيه" فى برازيل انعدمت فى المناطق التى أصبحت الولايات المتحدة. من التعليلات ذات رنه" معقوله" لعدم بلورة انظمه" اسلاميه" دينيه" بين عبيد شمال أمريكا السود تباين التجربه" السوداء فى كل من برازيل و شمال امريكا الانكليزيه" اذ أتى بالعبيد السود الى برازيل مباشرة ولم يمنع المستوطنون البرتغاليون هناك تجمع مجموعات من عبيد من مناطق متلاصقه" في افريقيا، مما مكن العبيد في برازيل من التمتع بحياة قوميه" والاحتفاظ بمقومات شخصياتهم الافريقييه" اللغويه" والثقافيه" الى حد لم يسمح به فى مستعمرات انكلترا .

فمعظم العبيد الذين جيء بهم الى قارة أميركا الشماليه" لم يأتوا بر القارة مباشرة من أفريقيا بل بطريق غير مباشر بعد فترة سابقه" من ترويض للاستعباد Slave breaking أو Slave Seasoning فى جزر الهند الغربيه" خططت قساواتها لاعدادهم لحياة عبوديتهم القادمه" فى العالم الجديد، فى ولايات كاروليغا أو ماريلند او فيرجينيا الى آخرها . فحبذ سيرهانزنسلون رئيس الجمعيه" الملكيه" فى بريطانيا سنه" ١٧٠٧م العقابات التى كان بيض جزيرة جامايكا يفرضونها على عبيدهم السود، ”هذا الجيل من ناس شاذين للغايه"، كما وصفهم : سمر عبيد تمردوا الى الارض و احراقهم صبرا الى الموت بنيران بطيئه" تتصاعد شيئا فشيئا من الاقدام والايدى الى الرأس، خصى من الترف ”جرائم من درجه" أخف أو قطع

قدم من قدميه بفاس، للهروب إحكام حلقات حديديه" ذات وزن مرهق حول كواحل أقدامهم او ثقب أفواههم بمهاميز . لاغفال سن عبد، جلد حتى الادماء و انكسار بضعه" اسواط، كان بعض الملاك يتبعونه بوضع الملح و دقيق الفلفل في الجروح الداميه"، كان بعض الملاك الآخرين يقطرون الشمع المذوب المحرق على جلود عبيدهم،، . (٨١ — ٧٩ . Douglas Grant. The Fortunate Slave PP

و عساه كان للقساوات المخططه" الفريدة التي عاناها العبيد السود في جزرالهند الغربيه" قبل نقلهم الى برقارة شمال أميركا اثرها البعيد في تكسير مقاومه" العبيد الثقافيه" واصالاتهم القوميه" في عالمهم الجديد العدائي .

و لكن، مع كل عمليه" ترويض العبيد هذا — كل هذه القساوات و كل نزع لهوياتهم اللغويه" والدينيه" السابقه" التي جرت في جزر الهند الغربيه" أو في برقارة شمال امريكا نفسه فاسهمت في خلق وضع نجد البحاث فيه يعينون تأثيرات أفريقيا الثقافيه" في سود برازيل حسب ترتيب القبائل الافريقيه" الاصليه"، قبيله" قبيله" في حين يتنازعون حتى حول وجود أي استمراريه" ثقافيه" بين سود الولايات المتحدة والقاره الافريقيه" التي انجبت اجدادهم — علينا ان لاننسى رغم تباين الوضعين هذا ان وجدت عناصر اسلاميه" ذات بال بين الافارقه" الذين استعبدهم الانكليز وأرسلوهم الى شمال اميركا . فكأن الطبيب كولنز Collins في كتاب ,,قواعده العمليه"،، لتدبير العبيد السود اشار الى وجود عبيد فولانيين مسلمين ليسوا ذوي الدماء الزنجيه" النقيه" بين العبيد في مستعمرات انكلترا في جزر الهند الغربيه" اذ وصف جنسا من الارقاء لهم ملامح تشبه ملامح البيض واجساما طويله" فارعه" . ,,يتكلم الكثيرون منهم باللغه" العربيه" و قد حصل بعضهم على قدر من التثقيف مكنهم من ان يكتبوا بها . هم جيدون لرعايه" المواشي

والاحصنه" و للخدمه" المنزليه" رغم انهم غير صالحين لاشغال الحقول الاثقل خشونه"). (Grant P. ٨١) و كان ملاك الارقاء بصورة مماثله" يفضلون زنوجا سنغاليين ذوى ''قطرة من دم العرب،، للخدمه" في المنازل باعتبار ''ذكائهم الفائق،، فى أراضى الولايات المتحدة الحاليه"، فى جنوب كارولينا كانوا يفضلون زنوجا من غامبيا، و خاصه" المندنغويين المشهورين، الذين كان قسم ليس صغيرا منهم مسلمين يعرفون العربيه" . صح ان فرير ينكر وجود صفوة من مسلمين سود مثقفين كان بمكنته التاثير في جماهير السود المستعبدين او صبغهم ثقافيا من خلال مدارس او مصليات سريه" أو تنظيمهم فى حركه" تحريريه" كما نجحت في انجازه اقليه" المسلمين المثقفين العربيه" في برازيل فى القرن التاسع عشر . وصح أن المسلمين بين العبيد السود فى أراضى الولايات المتحدة الذين نسمع باخبارهم حين تقليبنا لصفحات المصادر الثانويه" أو الاوليه" ليسوا جماعات من مؤمنين يصلون معافي مساجد سريه" ولكن افرادا صلوا وحدهم بين عبيد وثنيين او متمسحين ولم يؤثروا، غالب الأحايين ،في غيرهم من العبيد . و لكن كان لهؤلاء العبيد المسلمين، وان لم يوجدوا بكثرة المثقفين المسلمين الهاوسويين او الفولانيين او اليورويين في برازيل، وجود لاينكر . فجمع فى القرن التاسع عشر مثلا ثلاثه" بحاث هواة في علم العناصر (العروق) Amatur Ethnologists ثيودور دويت Theodore Dwight و وليام براون هجسن William Brown Hodgson و جيميز هملتن كوپر James Hamilton Couper اخبار عدد من اولئك العبيد المسلمين السود . ففى مجله" The Methodist Quarterly Review عدد يناير ١٨٦٤م هاجم دويت فكرة ''عجز،، الزنوج، مصرا على المستوى العالى الذى ميز كلا من حضارتى الاسلام والوثنيه" فى افريقيا . فقص دويت قصه" بعض العبيد المسلمين

الذين قد صادفهم و عرفهم شخصيا، ملاحظا ان "قد كان بين ضحايا تجارة الاسترقاق بيننا رجال ذوو علوم وذوو اخلاق نقية عليه عاملهم كأنهم حيوانات الحقل أناس ادعوا ديانة انقى" .

هيكل علوم مغاربة امريكا

حركة قومية دينية زنجية أسست ''الاسلام الاسود في الولايات المتحدة

سبقت بروز طائفة المسلمين السود و مهدت لها وغذتها حركة دينية أخرى بين جماهير الأمريكيين الافارقة في مدن شمال الولايات المتحدة الصناعية كان اسمها ''هيكل علوم مغاربة امريكا،، اسس هذه الطائفة النبيل درو علي سنة ١٩١٣ في نيوارك (Newark) بولاية جيرزي الجديدة، ففيما بعد انتشرت الطائفة الى الحارات الزنجية في معظم تلك المدن في الشمال، تجتذب حوالي عشرين الف اتباع ابان حياة ((النبي)) النبيل درو علي. كان اكثر هؤلاء المهتدين السود من بين الزنوج من ارياف الولايات الجنوبية الذين هاجروا الى مدن الشمال و لكنهم وجدوا التمييز العنصري من قبل السكان البيض هنا تعوق تقدمهم الاقتصادي المأمول (الا ان حركة درو علي في طور تصاعدها فيما بعد اقامته هياكل في مدن جنوب الولايات المتحدة ايضا).

كان النبيل درو علي نفسه من اولئك المهاجرين من ولايات الجنوب الى الشمال، ان ولد في كارولينا الشمالية تحت اسم تيموثي درو (Timothy Drew) سنة ١٨٨٦ توفي في سنة ١٩٢٩م.

حسبما يبدو من آثار تضريب ألحقه به إما شرطة شيكاغو الذين كأنهم قد عقدوا العزم على سحق حركته لتعبيرها عن سخط الفقراء السود وإما طغمة بين اتباعه تواقة الى الحصول على السيطرة الكاملة فيها .

فحدد النبيل درو على هوية السود في الولايات المتحدة بأنهم آسيويون او باكثر من التحديد مغاربة (Moors) سكن اجدادهم المملكة المغربية قبل ما استعبدهم البيض ، حملوهم الى شمال امريكا : هادفا من وراء اعادة تحديده هذه لهويتهم القومية الى تحقيق بعث أشمل لهم اذلم يكن وضعهم المعيشى المنحط الانتيجة لعدوان ثقافى من قبل البيض ، فأصر النبيل درو على "انه لكى يحصل قوم ما على اية اهمية، لا مندوحة له من ان يمتلك اسما (=امة) وأرضا" ، فى حين ان وضع او أزمة المغاربة (السود) القاطنين فى شمال امريكا انهم خسروا كل أساس الحياة الحرية اذ "يعنى الاسم كل شئ فان الشاحبى الوجود (البيض) ، بنزعهم اسم المغاربة ((The Moors))" من سود امريكا "سلبوا منهم قوتهم وسلطتهم، والاله و كل شئ" . "نزع الأوربيون منهم علمهم وارضهم و الههم واسمهم — كل شئ".

ان الذى مكن الابيض من تذليل المغاربة الداكنين (— السود) القاطنين فى الولايات المتحدة استعماله لاداة التسمية السحرية : اى فرضه تسمية "زنوج" Negroes او سود او ملونين Coloured أو اثيوبيين عليهم .

فكرة درو عن قوة او سحريه" الاسماء كأنها تنتمي الى فكرات العصورالوسطى اكثر مما تنتمي الى عصرنا، ولاريب، وقد تدل احيانا على عدم قدرة على تعيين البعد الاقتصادى السياسى لصراعات فى العلاقات بين اسم ساكنه" لوحدة جغرافيه" واحدة . الا ان درو واعوانه فى حركته المؤكدة لانتماء سود الولايات المتحدة الى عالم اسلامى أشاروا امام اتباعهم من طبقات السود الفقراء الى حقيقه" مهمه" . هذه الحقيقه" ان الزنجى الامريكى يختلف من أقليه" قوميه" اخرى الساكنه" للولايات المتحدة لان ممثلى العنصر الابيض المتكلم بالانكليزيه" نجحوا فى محو كل استمراريه" ظاهرة مع الاجداد . لم ينزعوا لغات السود الذين استعبدوهم فقط ولم يسلخوهم عن هويتهم القوميه" الاصليه" بل سلخوا السود حتى عن ذكرى جماعاتهم القوميه" الافريقيه" الاصليه" .

بتاكيده لامكانيه" استرداد "الاسم" المسلوب، اذا، وضع درو على مهمه" تأريخيه" لشاقه" امام اتباعه السود الفقراء — اعادة بناء الافارقه" الامريكيين لقوميه" سوداء مستقلة" مهمه" تجعلهم كيانا قوميا منفصلا حقيقه" فى جسر امريكا العام كمثل بعض القوميات الآخرى فى البلاد التى جاءت من اوربا وحافظت على استدراريتها مع ماضى الاجداد .

كما ان مما لاريب فيه ان محاوله" درو على لتقويض النصرانيه" كهويه" للسود ضربه" هادفه" الى امتن رابطه" مشتركه" بين الامريكيين الافارقه" والاكثريه" البيضاء للامريكان. و لكن حركات على هذه الجذريه"

الثقافية" والدينية" تعكس توترات اجتماعية" حادة فلفهم نشوء حركة" درو لابد من تمعن الظروف الاجتماعية" الطبقية" المحيطة" بولادتها .

الوسط الامريكي الاجتماعي لولادة حركة" هياكل مغاربة" شمال امريكا

تشهد فترة العقد الثاني للقرن العشرين بكونها فترة نشأة و بروز حركات جماهيرية" لاتمت بصلة" الى اصوات طبقات المثقفين الزنوج الاقرب الى اعتدال هدفت الى نوع من انفصال من مجتمع امريكا البيضاء . و كان البعض من هذه الحركات الجماهيرية" علمانية" الطابع سياسية" الى حد ما، مثل حركة" مرقص غارفي المساماة بالرابطة" العالمية" لترقية" الجنس الزنجي التي كانت تنشط بين سود شمال امريكا من ١٩١٦م، و بعضها كانت قومية" ولكنها دينية" الطابع تستعمل الرمزية" الثقافية" للتعبير عن حقدها ضد عنصر البيض (الظالمين) فمن هذه حركة" نبيل درو على الذى اعلن نفسه (نبيا) سنة" ١٩١٣م، و دعا السود الى الارتداد عن المسيحية" (دين البيض) وربط انفسهم باسلام شمال افريقيا، حيث موطن السود الاصلي — درو الذى اعتبر كونفوشيوس الصيني كاحد انبياء "الاسلام" ، و لهذه الحركة" خلف في حركة" و . د. فرد الذى اعلن نفسه "الله" في ديترويت في ١٩٣٠م و عين الرجل الابيض بانه انسان مصطنع و ابليس بالذات وان يوم قضاء الله على البيض قد اقترب .

(هذه الحركة" هي اصل جماعة" "المسلمين السود" الحالية" في الولايات المتحدة) بكل هذه الحركات معادية" للبيض و لكنها في

نفس الوقت هروبيه، فمرقص غارفي الذى دعا الى مسيحيه سوداء كان يدعو سود الولايات المتحدة كذلك الى العودة الى افريقيا و حركتا درو علي و فرد كذلك عبرت عن حقد السود ضد البيض على مستوى الرسزيه الدينيه وانسحاب السود دينيا من مجتمع البيض و ليس على مستوى المجابهه وجها لوجه. و نفس الشئ ينطبق على طوائف مسيحيه سوداء و "اليهود السود"، و حركات سياسيه داعيه الى "الافريقيه"، قوميه، بين جماهير السود فى فترة الحرب العالميه الاولى واعقابها .

و لكن، ماهى الظروف الاقتصاديه الاجتماعيه الملموسه التى كانت جماهير السود تعانيها و متى انتجت هذه الحركات الغريبه المذاهب و السلوك ؟

ان هذه الحركات بالاساس نتاج، أو ردة فعل امام ازمه اقتصاديه اجتماعيه امريكيه خاصه حولت فئه واسعه من سود الولايات المتحدة الذين عانوها، اى هجرة السود الجماهيريه من ارياف ولايات الجنوب الى مدن الشمال الصناعيه و تحضيرهم هناك فقبل ١٩٠٠م ان "زنوج"، اميركا القاطنين بالولايات المتحدة معظمهم مقيمون بالجنوب، وهم فلاحون، و مع اوائل الحرب العالميه الاولى طفقت مهاجرتهم الجماعيه الى الشمال تسير على القدم والساق، تلك المهاجرة الضخمه التى دفعها كساد اصاب صناعه القطن فى ولايات الجنوب وقتذاك وشجعها ازدهار اقتصاد مدن الشمال المقابل الذى لم يسبق له مثيل (وحاجه صناعاتها الى اى ايدى عامله موقتا) .

فمع سنة ١٩٣٠م قد تحضر حوالى ٣٤٪ من سكان الولايات المتحدة، واستمرت هذه المهاجرة الضخمة ليس فقط خلال عشرية العشرينات المزدهرة اقتصاديا و لكن، كذلك، فى ثلاثينات الكساد العظيم التى عانى السود مرارة بطالتها و فقرها المدقع اكثر من اى قسم آخر من سكان البلاد، فمع انبلاج السبعينات لم تسكن ولايات الجنوب الا ٥٣٪ من الـ ٢٧،٠٥٠،٠٠٠ امريكى افريقى فى الولايات المتحدة .

انبثقت الحركات المعلنة لانفصال سود اميركا عن بيضها قوميا (حركة مرقص غارفى للعودة الى افريقا) ودينيا (اعلان الشريف درو على سنة ١٩١٢ ان المسيحية دين البيض، وان السود ليسوا مسيحيين)، اذا فى الولايات المتحدة فى اوائل فترة تاريخية من تحولات اقتصادية واجتماعية ضخمة فى حياة سود امريكا، او فى نقطتين حساستين من العملية (النبيل درو على و مرقص غارفى عشية الحرب العالمية الاولى و اعقابها، ود.فرد فى ود يترويت فى ١٩٣٠م شدة ازمة الكساد الكارة على سود مدن الشمال) و بالضبط بين النازحين السود الريفيين الى تلك المدن التى اقتلعت جذورهم جماعيا و ثقافيا .

وادت حركتا غارفى ودرو على ليس مشاكل التكيف النفسانى فى السود انفسهم فقط بل فى وسط تعبيرات كراهية عنصرية عنيفة من قبل بيض مدن الشمال المقاومين لوصول النازحين السود من ولايات الجنوب واكتظاظهم المتزايد فى القطاعات المركزية لمدن شمالية من امثال نيوارك، او شيكاغو، او نيويورك او ديترويت .

نستطيع ان نأخذ، مثلا، شيكاغو التى اصبحت فيما بعد مقر نشاطات درو على و مكان اقامته كي ندرك صرامة مقاومة جماعة بيض ذوى ضجة ضد وصول الامريكيين الافارقة فيشكل بيض ضاحية منتزه هياد بارك مثلا ”النادى لحماية ترقية منتزه هايد،، ”اعلن رئيسه المحامى البارز فرنسيس هاربر ان ”سوف تبقى المناطق التى هى بيضاء الآن كما هى بيضاء . لن يحدث اى حل وسط أبدا، ”فهدد النادى مقاطعة وكلاء عقار باعوا بيوتا الى سود او اجروهم محل سكن،، و حينما لم ينجح النادى فى اقناع عائلة زنجية، وصل اخيرا الى المغادرة اى قبول دفعة عالية لمغادرة مسكن مستأجر او بيع منزل قد حصلت على ملكيته، كان الجيران البيض لا يتورعون مثلا عن ان يكسروا نوافذ بيوت قد دخلها سود، يكرهونهم على الفرار من الحى بمثل هذه الاعمال . (الن . ه . سبير Black Chicago, the making of a Negro Ghetto 1880-1920,

ص ٣٣) كان ذلك سنة ١٩٠٩ . فى ١٩١١ شكل بعض المقيمين فى نهج تشاسيلن لجنة فعلت بعائلة زنجية قد دخلت فى ذلك الحى ما اخرجها بعبرة حاسمة ”استعمال حصيف لعربة ملأى بالآجرات،، عطية وصفتها جريدة (ريكورد — هيرالد) بانها اقتربت من عطيات (عصابة) كوكلاكس كلان (العنصرية الارهابية) اكثر من اى شئ شاهدته شيكاغو منذ سنوات عديدة (نفس المصدر ص ٣١) و نفس الشئ حدث فى المدن الكبرى الأخرى فى شمال الولايات المتحدة امام وصول زنوج الجنوب . مثلا فى هارلم نيويورك، مقر منظمة القومى الاسود غارفي فيما بعد، اسس جون جى تايلور شركة ترقية ملاك

منازل هارلم في ١٩١٠م فمن اقواله الماثورة تاكيده، ان "نقترب الآن من ازمة المسألة" هل سيحكم الرجل الابيض هارلم ام الزنجي . "اطردوهم"، صاح في مناسبة اخرى "ردوهم على اعقابهم الى المحافش التي تليق بهم (التي ينتمون اليها) وصمت جرائدها رقيم البيضاء، اولئك المهاجرين السود باسماء من نوع "الوباء الاسود"، او "الجحافل السوداء"، اى لغة حرب كانت تدور رحاها بين عنصرين متباغضين، فاقترح تايلور ان يبنى بيض يسكنون شوارع جاورت مجمعات (بلوكات) من منازل فيها سود سياجات ذات طول ٣٤ قدما لفصل انفسهم جسديا عن جيران سود جدد Gilbert Osofsky Harlem, The Making of A Ghetto: Negro New York 1890-1930, ص ١٠٧—١٠٨

ولا شك ان هذا الاقتراح يشكل رمزا مجسدا لعموم اللاقبول والعداء والتفرقة التي واجهت كثيرين من النازحين السود في مدن الشمال كلها من قبل معظم سكان الاحياء التي اراد السود دخولها .

لا بد من التركيز على العناء الاقتصادى القاهر الذى واجهه النازحون السود نتيجة لعداء جزء كبير من السكان البيض المستقرين في تلك المدن قبل و بعد الحرب العالمية الاولى . فاجبار البيض النازحين السود على حصر انفسهم داخل حدود حارات ضيقة في مواسط مدن الشمال خلقت طلبا محموما على عدد صغير نسبيا من محال السكنى (مثلا غرف في عمارات الاستئجار) اوقعت مشاق اقتصادية حقيقة على سود لم يكونوا يستلمون الا اجورا منخفضة نتيجة لرفض دكاكين أو شركات البيض او مكاتب الحكومة استخدامهم الا كمساح الارضيات

أو حمالين او فى اشغال وضيعة اخرى . فان مصاحبة اجور منخفضة بكراءات مسكنية مرتفعة لم يكن له الا ان يؤدى الى اكتظاظ شديد، ففى العشرينات، مثلا، حين تحول هارلم الى محفش كبير نجد نوم مستاجرين اضافيين فى احواض الحمامات، او على الارضيات أدوارا — أى ان فور استيقاظ و قيام شخص نائم يستلقى شخص منتظر ثان على فراشه اى ماسماه السود ب "نظام الافرشة الدافئة" — او الاقامة فى الاقباء . . . أحوال جرب العمال المغتربون الجزائريون شيئا منها فى مدن فرنسا فى القرن العشرين . و قسم اصحاب منازل بيض فى نيويورك منازل ايجارهم مساكن جديدة، فارتفع الدخل من منزل مثلا من اربعين دولارا فى الشهر الى ١٣٥ دولارا (اوسوفسكى ص ١٣٧ — ١٤٠) تلك احوال نيويورك الا اننا نرى نفس الشئ فى المدن الاخرى . ففى شيكاغو، مقر هيكل علوم مغاربة شمال امريكا بعد الحرب العالمية الاولى، اجبر "عدم رغبة البيض فى السماح بمجاورة سود لهم"، . اجبر هذا السود — نظرا لأن اختيار المسكن الذى اماسهم على هذه المحدودية — على دفع كراءات اعلى لتلك المساكن التي فى متناولهم فعلا .

فكان بعض وكلاء العقارات يمولون مبانى فى حارات هامشية الى مساكن للسود ولكنهم يطلبون اجورا ارفع ب ١٥٪ مما كانوا يستلمونه فيما مضى من غير السود . ان التفرقة فى استخدام وارتفاع الكراءات، و عدم سماح البيض للسود بمغادرة احيائهم المتدهورة

المتداعيه" الى احياء اقرب الى الاحترام عملت معا لجعل الاسود اسيرا فى محفشه بطريقه" لم يعرفه مثلا الايرلنديون او اليهود الذين عرفوا ايضا كمهاجرين التحيز (او التفرقه") الكرائى الذى اوقعه المجتمع الابيض على السود اكثر من غيرهم . صح، ان التجار اليهود بقوا فى المناطق التى دخلها النازحون السود اكثر من غيرهم، و لكن لم يكن هذا دائما تعبيرا عن عنصريه" اخف من عنصريه" الجماعات البيضاء القوميه" الأخرى الساكنه" فى الولايات المتحدة . فرفض رجل الاعمال الالمانى اليهودى ل . م . بلو مستين L.M. Blumstein مثلا ان يستأجر السود لأيه" وظائف سوى الاشغال الوضيعه" . وفى ١٩٤٠م طفق يستخدم زنوجا كسائقى مصعدات فى مخزنه و لكنه لم يزل يرفض استيظاف زنوج ككتاب او امناء الصناديق او بياعين . لم يغير رأيه الا امام مقاطعه" ناجحه" نظمه سود الحى ابان الكساد العظيم (او سوفسكى)، و من نتائج هذا الاصطدام الاجتماعى الاقتصادى بين السود و يهود الولايات المتحدة فى يومنا هذا تأييد كثيرين من القوميين السود للقضيه" الفلسطينيه" .

نرى حركات الانفصال من مجتمع البيض قوميا (او قوميا — دينيا) التى اكتسحت جماهير السود فى الحرب العالميه" الاولى واعقابها و تقسمها، اذا بأنها كانت ردة فعل معاكسه" ليس لمعناه الاقتصادى او المعيشى فقط بل لعداء عام من مجتمع البيض . عنصريه" ردة الفعل تعلل برفض حتى القطاعات التى اوقع المجتمع الابيض العام عليها عداء او تفرقتها اليهود مثلا، او النقابيون العمال البيض — برفض هذه

الفئات المهضومه" اجتماعيا للسود النازحين من جنوب الولايات المتحدة .

نلاحظ مرة اخرى عدم الاستثناءات في الاضطهاد العنصرى الموجه ضد السود في مدن الشمال فى هذه الفترة . صح ان مهاجرين سودا من اوربا عانوا الفقر المدقع، والمحافش، و عداء ثقافيا — قوميا من قبل امريكيين لانكلوساكسونيين، و لكن الذين وصلوا الى نقطه" الانطلاقه" الاقتصاديه" بسرعه" اكثر من السود نظرا لأن الكراءات التي كانوا يدفعونها اخفض (حاسبت احدى المراقبين ان العائله" الزنجيه" كانت تدفع ١٢،٥٠ $ على مسكن يدفع به اليهودى فى ملاحه في شمال امريكا ٩ $ والمهاجر (النصرانى) الاخر ٨ $) وان بياض بشراتهم مكنتهم من ان يجعلوا من انفسهم أمريكيين مندمجين ثقافيا فيسربون من المحافش في حياة امريكا المزدهرة العامه" بدون أن ينظر اليهم أحد بنظرة شزراء (لتفاصيل عن شيكاغو انظر سپيرص ٢٣ — ٢٧) لم تكن ملاحات حارات السود في مدن شمال الولايات المتحدة المتقرحه" بالفقر والأمراض الاجتماعيه، اذا نتاج اختيال من أى نوع من طرف السود انفسهم ولانتاج عجزهم فى استيعاب مهارات البقاء فى البيئه" المصنعه" المعاصرة رغم مصاعب تكيفهم الحقيقيه" نظرا لخلفيتهم الفلاحيه" . كانت حارات السود المكتظه" من انتاج عداء قسم كبير من البيض و رفضهم انسانيه" السود أو امكانيه" تعايش الأمريكيين جنبا الى جنب فى وئام أو سلام.

كأن البيض الذين وقفوا في وجه التحيز لمعاملة" المهاجرين السود معاملتهم لأخوانهم البيض قليلين، استثنائيين . لاحظنا أن المهاجرين اليهود، رغم عداء امريكا النصرانية" الديني لهم، انتفعوا موضوعيا في وصولهم الى الاكتفاء الاقتصادي والاندماج في امريكا البيضاء من أنماط العلاقات العنصرية" السائدة في الولايات المتحدة وقتذاك .

صادف السود القليلي التعليم الذين هاجروا الى مدن الشمال جوا من عداء عام من كل فئات مجتمع البيض تقريبا بدون استثناء، بالاضافة" الى الفقر المدقع والبطالة" و ظروف معيشية" متدهورة في الحيا" اليومية" و تعقيدات البيئة" المدنية" الجديدة التي لم يكن لكثير من المهاجرين من ارياف الجنوب استعداد ثقافي لمواجهته بطريقة" خلاقة" . فهذا هو الوضع بالذات الذي انبثق من داخله ردة فعل (المحاولة" الاسلامية") بين سود شمال امريكا .

رمز صالح لذلك المنعطف في تاريخ الأمريكيين الافارقة" ذلك السياج او ذلك السور الشامخ العالي ذو طول ٤٢ قدما الذي اراد جون ج. تايلور (المحامي الممثل لصفوة مثقفة" لبيض نيويورك) بناءه لمحو سود الولايات المتحدة من بصر بيضها . ”قد كنا نقيم“ قال ملكولم مرة في محاضرة حول تاريخ الأمريكيين الافارقة" ”في أرض لم نكن فيها من مدنييها . . . في أرض عاملونا فيها كاننا غرباء.“

النبيل درو على وهيكل علوم مغاربة امريكا

كانت حركتا علوم مغاربة شمال امريكا المؤسسة سنة ١٩١٣م فى نيوارك و طائفة المسلمين السود المؤسسة فى ديترويت فى اول الثلاثينات بالاساس (رغم الغموض حول هوية و. د. فرد فى الاخيرة — مع "جنوبية"، اصل معظم اتباعه على اية حال) محاولتين قام بهما نازحون سود قليلوا التثقيف من ولايات الجنوب لمعالجة هذا العداء الذى لاقوة من البيض فى مدن الشمال بطريقة تضمن بقاءهم و كرامتهم فى آن معا. و كأن الانفصالين الذين اعلنتاهما عن مجتمع البيض قوميا و دينيا (انفصالا جزئيا عند درو على اذ لم ينكر المدنية الامريكية السياسية صراحة، و انفصال و شبه كامل عند "مسلمى" فرد واليجا)، هنا، قبول من طرف اولئك السود لأطروحة البيض الضمنية المنكرة لعضوية السود فى جماعة واحدة مشتركة بين سود و بيض فى الولايات المتحدة. و محاولة لاكتشاف هوية سوداء بديلة لهوية امبركية وحدوية عامة.

اوجه الشبه والاختلاف بين حركة ماركوس غار فى للعودة الى افريقيا و طائفة مغاربة درو على

عاصر تفتح طائفة دور على، و فى نفس البيئة المدينية الشمالية تفتح و تصاعد وانهيار حركة ماركوس اور يلياس غار فى (١٨٨٧م — ١٩٠٤م) المنادية سود الولايات المتحدة للعودة الى افريقيا. ان عنصر الاهتمام المشترك الذى اولاه كل من الحركتين بتأكيد صلة

جديدة بوطن مفقود عبر الاطلسى (افريقيا عامة" مع صلاتها بآسيا بالنسبة" لغار فى و آسيا و شمال افريقيا بالنسبة" لدرو) جدير وحده أن يشجع عمليه" مقارنه" مفصله" بين الحركتين ناهيك عن عناصر أخرى سنتناولها بالتحليل . نلاحظ كذلك دور السلطات القانونيه" والشرطيه" البيضاء فى صرع كل من النبيل درو على و ماركس غار فى ردعا لاثارة تعاليمهما لعواطف جماهير السود واخراجها اياهم عن طوق الطاعه" والادغان بالتالى . والذى نهتم به اهتماما خاصا فى سياق رسم مقارنه" او رسم حتى نقاط التفاعل الممكن بين الحركتين مقارنه" درجتى اسهامى الحركتين فى نشوء و تطور قوميه" سوداء جذريه" اصطداميه" عبر المدى البعيدة داخل البيئه" الامريكيه" نفسها ضد البيض . اعتبار مهم حول هذه النقطه" انفجاريه" التناقضات الاجتماعيه" الاقتصاديه" والعنصريه" بين النازحين السود من ولايات الجنوب فى مدن الشمال والسكان البيض من طبقات الميسورين والعمال و من جميع الاصول العنصريه" المقاومين هناك لوصول جيرانهم السود الجدد : كانت هذه الانفجاريه" المميزة لعلاقات الاثنين تقدم سياقا عاما من الممكن ان يتفاعل على حدة مع عناصر فكريه" ينزعها عن عموم مجموع تركيب عقائدياتها الاوسع مؤديه" الى نتائج لم تكن مقصودة فى كليه" هاتين العقائديتين مثلا، مع تحديد البيئه" الشماليه" المدينيه" الملموسه" المحيطه" وتوتراتها الملحه" لكثير من محتوى تلك العقائديات .

طبعا، لا نهمل الثانويه" الشكليه" للعناصر ذات جذريه" قوميه" كامنه" مسيسه" في كل من تعاليم درو على و تعاليم حتى ماركوس غارفي، الى حد ذى بال . ان فصم حركه" درو على الصريح (مثل اتجاهات شبه الفصم في حركه" غارفي) لرابطه" رئيسيه" موحدة لسود أمريكا و بينهما معا في جماعه" معنويه" واحدة، اى ديانه" النصرانيه" المشتركه"، ربما حملت في طياتها من خلال تأثيرها النفساني المغرب Olienating لسود في مدن الشمال دفعا خطيرا بالوعى الاسود نحو قوميه" احتجاجيه"او انفصاليه" او اصطداميه" جذريه" سوداء على المدى البعيد . الا انه يجدر بنا قبل خوضنا مقارنتنا المفصله" بين نقاط الارتباط والاختلاف في مواقف المغاربه" والغارفيين حول هذه الناحيه"، يجدر بنا ان نشير اشارة عارضه" الى بعض الاهتمامات الدينيه" الاخلاقيه" التطهيريه" للحركه" المغاربه" التى كانت تصرف طاقات اتباعها في اتجاهات غير مجابهه" البيض كجماعه" قوميه" معاديه" : اتجاهات شغلت صدارة تلقينات النبيل درو على لاتباعه و صدارة الاوامر والتوجيهات المفصله" التي وجهها اليهم مثلا، لم تعين الطائفه" السود "الآسيويين" او " المغاربه" " في شمال امريكا) بأنهم جماعه" مظلومه" تأريخيا من قبل "الشاحبى الوجوه" ، فحسب، بل كانت تعين السود بأنهم (وان من جراء سلب الرجل الاوربي الابيض لدينهم و قوميتهم الاصليين) "ابناء و بنات الامه" الاسيويه" في شمال امريكا الساقطون" ، اى انهم في طور التفسخ الاخلاقي فيحتاجون الى الاصلاح بواسطه" الدين كى "يعرفوا ذواتهم العليا والسفلى"

و "يتعلموا المحبه" بدلا من الكراهيه"، — مهمه" اشار اليه النبيل درو على باعلانه نفسه "نبى و مؤسس هيكل علوم مغاربه" امريكا لتخليص الشعب من طرائق حياتهم الآثمه"، . فكانت الطائفه" توجه قسطا كبيرا من طاقاتها لتحقيق هذه الرساله" "الداخليه"، البحته" من اصلاح السود خلقيا و سلوكيا و دينيا بالمعنى الفردى الخاص او بمعنى اعادة إحكام و تماسك تركيب مجتمعهم الخاص الذى يتبلور من جديد مرة أخرى ، فى مدن الشمال بعد التنقل الى هناك من ارياف الجنوب، فى وجه الضغوط الاقتصاديه" والاقاميه" المهددة بتفكيكها . الى هذه الناحيه" الرساله" الاصلاحيه" الداخليه" لدعوة مغاربه" درو التى تركز حولها ولاشك احسم مناشط اتباع النبيل درو على فى المجتمع الامريكى سنعود لتحليل مسهب بعد انتهائنا من المقارنه" بين الغارفيه" والمغاربه" .

رغم ان كانت حركه" درو على حركه" قوميه" دينيه" الطابع متمركزة حول امكنه" عبادة فى حين أن حركه" غارفى التى عاصرتها ردحا من الزمان بين حارات سود مدن الشمال حركه" لقوميه" سياسيه" استقلاليه" صريحه" اكثر علمانيه" (رغم روحيه" غار فى البينه" المرتكزة على العهد القديم فى بعض المناسبات) استهدفت اقامه" دوله" للسود فى العالم، يدل السياق التاريخى على رجاحه" تفاعل بين الحركتين . والواقع انه لم يكن ثمه" محيصا لطائفه" النبيل درو على من أن تؤثر تعاليم غارفى وتنظيم حركته واهدافها فيها تأثيراعميقا اذ أسس درو على طائفته سنه" ١٩١٣م فى حين ان اسس غارفى جمعيه" ترقيه" الزنوج العالميه"

في ١٩١٤و في ١٩١٩م قد اجتذبت جمعية" غار في ٠٠٠،٠٠ ٢،٠
تابع في الولايات المتحدة اكثرهم (بعد تجاوز غارفي نواته الاولى
من اخوانه الهنود الغربيين) من نفس المجموعة" التي اجتذب منها درو
على اتباع طائفته الا وهي السود الريفيون الذين نزحوا من ولايات
الجنوب الى مدن الولايات الشمالية" الصناعية" فذاقوا مرارة البطالة"
والتفرقة" — و حتى القتل والشنق — في ارض الميعاد تلك . كانت
حركة" غارفي اكبر حجما بكثير من طائفة" درو على التي اجتذبت
مثلا في اوج حيويتها من الاتباع قرابة" الثلاثين الفا . فشكلت حركة"
غارفي للعودة الى افريقيا، اذاءالسياق العقائدي البيئي الذي تفتحت
وسطها دعوة النبيل درو على و تقدمت، رغم ان تأسيس على لطائفته
(١٩١٣م) قد سبق وصول غارفي، ذلك الهندي الغربي، في الولايات
المتحدة (١٩١٦م) . لم يكن لهيكل مغاربة" شمال امريكا الا ان
تحاسب لعقائدية" غارفي وهي العقائدية" القومية" السائدة بين جماهير
سود الولايات المتحدة، حسابها . لم يكن تأثير حركة" غارفي في
الهيكل تأثيرا غير مباشر في اتباع درو فقط، بل كان كذلك تأثيرا
عقائديا مباشرا في جوهر تعاليم الهيكل اعترف به صراحة" و على الملأ .
فأدخل درو على مقتطفات من خطابات ماركس غارفي مباشرة في نص
ماسماه بالقرآن المقدس وهو كتيب رقيق له صفحة" كتبه ليكون
كتابا مقدسا لطقوس هيكله وهو حسب آرنا بونتمپس وجاك كونروى
"مزج غريب لآيات القرآن الكريم الذى لمسلمي العالم، و جمل
كتاب النصرانية" المقدسة" و كلمات ماركوس غارفي وقصص حول

حياة يسوع – يربط هذه العناصر كلها معا بيانات و تفسيرات المتنبى،، .

شددت تعاليم الطائفة على العلاقة العضويه التي ادعتها بين دعوة ماركوس غارفى القوميه السياسيه الهادفه الى اقامة الدوله السوداء في افريقيا من جانب و (من الجانب الآخر) دعوة النبيل درو على الدينيه الصيغه، فنجد ”قرآن،، هيكل علوم مغاربه امريكا ينص ان ”علاقه ماركوس غارفى ازاء النبيل درو على كدور يوحنا المعمدانى فى رسالة يسوع،، – اى دور مبشر باقتراب رسالة النبي قد الهمه نفس الاله يمهدله الطريق لوصوله بين الناس .

من المعلومات التى استعرضناها سابقا نستطيع ان نتوصل الى استنتاج ان التفاعل الفكرى بين هيكل مغاربه امريكا و حركة اتباع غارفى كان صريحا و معروفا فى تلك الفترة كما كان طبيعيا نظرا لتعاصر هما بعضهما لبعض و اشتراك البيئة الواحدة بينهما . لمحنا الى ان اعتبار حجم حركة غارفى السياسيه بالمقارنه مع طائفة درو الأقل جماهيريه يجعل من الارجح تأثير الفكر القومى الاسود الغارفى في تصور درو و اتباعه لقوميتهم الدينيه بدلا من العكس . طبعا، قد يبدو الاختلاف الظاهر فى الجماعتين الاوسعين الدوليتين اللتين كانت الحركتان تؤكد انهما كأنه يبعد علاقه عضويه جد واسعة فى فكريهما القوميين الاسودين – اذ كان يعرف غارفى وطن سود الولايات المتحدة المفقود عبر الاطلسى بانه فى المكان الاول افريقيا ماوراء الصحراء وحبذ بالخصوص كلمات زنجى واثيوبيا واسود التى كان يرفضها المغاربه الامريكيون بعنف بدعوى انها ادوات لفظيه

اختلفها البيض للانتقاص من "كرامه" السود في أمريكا بانكار أصلهم القومي الحقيقي الذي وضعه هيكل المغاربه" الامريكان داخل اطار جغرافي هو عبارة عن حدود شمال افريقيا والشرق الاوسط العربي . طبعا، من الصعب ان يتجاوز تأثير من "كتاب و دعاة حركه" غارفي في فكر هيكل المغاربه" القومي حد ثانويه" تعديليه" على ايه" حال، نظرا لأن درو أسس طائفته و اعلن معالم فكرها قبل وصول غارفي الى شواطئ الولايات المتحدة وانتشار تعاليمه هناك بعدة سنوات، فلا غرابه" ان اختلفت تصوراهما للوطن عبر البحار و جماعه" السود الامريكيين الدوليه" اختلافات حادة . الا أن تباين موقعي ثقل الوطنين والجماعتين الدوليتين عبر البحار لا ينفي تواجد تواز جزئي ولا ينفي على وجه الخصوص تحضير الغارفيه" اتباعها والمنعطفين معها نفسانيا و فكرياً للانخراط في طائفه" اسلام درو على بعد نفي غارفي من خلال انتقادها الجذري للنصرانيه" البيضاء القائمه" من ناحيه" دورها السياسي المفترض في تخدير مقاومه" السود استغلال واخضاع البيض و بنوع من انفتاح ابداه بعض "كتابها البارزين على الاسلام كاساس من اسس الكيان الآسيوي الناهض الذي تاملوا تحالفا معه وكعنصر كان في طور التوسع والامتداد في افريقيا السوداء ماوراء الصحراء الكبرى نفسها وتتذاك. و ربما يقيم ثيودورغ . فنسنت Theodore G. Vincent هذهالناحيه" من تأثير الغارفيه" الفكري المغذي لتقوي الاتجاها لاسلامي بين سود الولايات المتحدة في العشرينات تقييما زائد الجذريه" حينما يكتب ان ''لعبت الغارفيه" دورا مركزيا

حاسما فى انتقال فى الدين الاسود على صعيد كثير من ابعاده . . . كانت ولادة كنائس مسيحيه سوداء انفصاليه استدادا للحركه الغارفيه . . . ساعد بعض الغارفيين انتشار الاسلام بين السود فى الولايات المتحدة و افريقيا : نشرت مقالات كثيرة فى صحيفه الحركه عالم الزنوج و فيما بعد فى مجله الانسان الاسود الشهريه تشرح ديانه الاسلام و تقلل من اهميه النصرانيه،، . يلاحظ فنسنت ان ,, فى عشريه الكساد العظيم انكف غارفيون بالو فهم عن المشاركه فى جمعيه ترقيه زنوج العالم لينضموا فى حركات من نوع المسلمين السود،، وليتبعوا قوادا سودا دينيين متطرفين من انواع مختلفه (ثيودورغ فنسنت، محرر، Voices of a Black Nation: Political Journalism in the Harlem Renaissance ص ٣٦١ — ٣٦٢

ولكن تلك المقتطفات من مصادر اوليه رئيسيه التى يعيد فنسنت طبعها فى كتابه تؤيد تحليله عن مدى اسهام الحركه الغارفيه فى تقدم الطوائف المدعيه للاسلام بين الامريكيين الافارقه فى العشرينات و فيما بعد ابان و فى اثر ولادة طائفه المسلمين السود فى صدر الثلاثينات تاييدا جزئيا اكثر مما تؤيد كل ما ذهب اليه فى تقييمه فيعيد فنسنت مثلا طبع مقاله زوجه غار فى آمى جاكس غارفى ,,المسحيه فى افريقيا،، التى نشرت اولا فى جريدة الحركه عالم الزنوج بتاريخ ١٥ نوفمبر ١٩٢٤م . الاعتبار الاول الذى يشغل بال زوجه غارفى مقالتها بلاريب الوحدة بين زنوج افريقيا و زنوج العالم الجديد (أمريكا الشماليه والجنوبيه و جزائرهما) . كانت آمى جاكس غارفى تعى

بتقدم انتشار الاسلام فى افريقيا السوداء التى عزته فى المقالة" الى ارتباط النصرانيه" كديانه" عالميه" رسميه" بمصالح البيض عامه" و بالعنصريه" والاستعمار خاصه"، ارتباط قد يبرز أخوة و مساواة المؤمنين" فى الاسلام فى اعين سود افريقيا، والذى كانت تخافه ان دخولا جماعيا من طرفهم فى الا سلام بالنتيجه" سوف يضيف الى فصل الجغرافيه" الى آخرها القائم "بين الافارقه" بالوطن والافارقه" المغتربون عبر البحار،، فصل دينى جديد نظرا لنصرانيه" سود الامريكين العميقه" . إن الانتقادات التى سددتها السيدة غارفى فى مقالتها هاته ضد النصرانيه" كدين عالمي يديرها بنو البشر (اىالبيض الذين هم الاغلبون على جماعتها الانسانيه" فى فترة الاستعمار الغربى) كاداة لتحقيق مصالحهم فعلا جذريه" . فتتنبأ بعض المقاطع المسلمين السود الغاضب بعد مضى سته" اعوام المبشرون النصارى البيض فى افريقيا السوداء هم "منافقون،، و "رواد لتجار،، و ينتهكون الثقه" التى ينيطها الاهالى الافارقه" بهم لانهم يلقنون الاهالى ترتيل ترنيمه" "خذو الدنيا كله لكن اعطونى يسوع،، تخديرا لاعصاب السود امام اغتصاب و سلب البيض لموارد قارتهم بعرض سعادة الحياة الآخرة التى لاتزول، عليهم. من الواضح ان السيدة غارفى ارتأت ان دين الاسلام على مسطح جبله للمجتمع و معاملات الناس بعضهم لبعض فاق بكثير مستوى سلوك اتباع النصرانيه" البيض الذين يعظون بأبوة الاله وباخوة الانسان و لكنهم لايمارسون ما به يعظون لأن "هذه الدنيا الماديه" الخسيسه" قد سلب من الانسان النصرانى مثله الروحيه" . . . و اخلاقه،، — فى حين

ان الاسلام (لا يعرف التمييز العنصرى Colorbar ولا التفرقة Segregation واقع ينيل دعوة محمد قبولا اسرع فى قلوب من ليسوا نصارى بعد،، فيشعر الاسود الافريقى فى طور ''وعيه المستيقظ،، ''ان ليس من المعقول ادعاء رفع روحه فى حين تذليله جسمانيا — لا بد من تنسيق الروحى والجسمانى،، . لاشك، اذا ان السيدة غارفى رغم مسيحيتها لم تعاد الاسلام بل اعتبرته عنصرا كان يحقق بأخوته الشاملة تماسكا وادماجا اجتماعيين فى افريقيا السوداء، فهمت الربط الذى كان يتطور بين ثورة الافارقة على استعمار الغرب واقترابهم المتزايد من الاسلام، وأنها عامة اعتبرت ان الاسلام كان يلعب فى الفترة فى افريقيا ماوراء الصحراء الكبرى دورا ايجابيا قد اقصرت نصرانية الغربيين المستعرين عنه اشواطا، الا انها لم تزل رغم تقدير غير ضحل لعظمة الاسلام بوصفها سوداء ولدت فى العالم الجديد فى بيئة عميقة النصرانية فكان اقتراح السيدة غارفى ان تتحد كل طوائف السود المسيحيين فى امريكا لتبعث ب ''رواد،، مسيحيين سود الى القارة الام لرفع الافارقة تربويا و ماديا ولكن كذلك دينيا من خلال ''مسيحية تفى باحتياجاتهم الروحية،، منعا ''فتح،، الاسلام لقلوب الافارقة السود — كأن هذا الاقتراح لم ينبع فقط من رغبة قومية فى الاحتفاظ بالوحدة بين سود امريكا النصرانية و سود افريقيا الوثنية او المسلمة على مسطح الطائفة الدينية بالاضافة الى سائر ابعادها، أو من اعتبار ان العزف على وتر رسالة مسيحية دينية فى افريقيا قد يحشد او يعبئ فئة متدينة من جماهير سود الولايات المتحدة وراء

مشروع ''العودة الى افريقيا،، القومى، العلمانى . بالاضافة الى كل الاعتبارات القوميه، تدل لغة السيدة غار في المسيحيه المتكررة دلالة واضحة على ايمانها النصرانى العميق : ليس يسوع الا ''سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح،، — قد أقصر اغلبية المسيحيين = البيض عن مجد الله محولين النصرانيه بعنصريتهم المفرقة المنكرة لاخوة الانسان الى ''ملهاة و استهزاء،، و لكن لا تزال ''المسيحية كما يعلمها سيد نا و مخلصنا يسوع المسيح اعلى اديان العالم اخلاقية ،، لوعاد يسوع الى الارض اليوم لن يعرف فى نصرانية الغرب ذلك الدين الذى مارسه ونادى الناس اليه منذ ١٩٠٠م سنوات ونيف : ليس ضعف المسيحية في مبادئ الدين بل فى ممارسة اغلبية اتباعه — البيض) لها : واجب سود امريكا بصفتهم مسيحيين تلقين اخوانهم فى افريقيا يعدهم لحياة الدنيا و يعدهم كذلك للآخرة . (اعادة طبع مقالة هذه الزوجة لغارفى فى ثنسنت ص ٣٦٥ — ٣٦٦) ثمة، اذا، تدينا مسيحيا متبقيا فى المقالة رغم أن بعض مقاطعها تدل على مشاعر الانفتاح والصداقة نحو الاسلام : الا ان بعض المقالات الاخرى التى يعيد طبعها فنسنت من عالم الزنوج للعشرينات تكاد تخرج على المسيحية خروجا صريحا ورغم فشلها النهائى فى تحقيق انفصال مذهبى حقيقى من تلك الديانة المتأصلة فى انفس الامريكيين الافارقة (نفس المرجع ص ٣٦٤ — ٣٦٥ حيث اعلان القس الغار فى بورتر للغار فيه كدين جديد، والهدير حول (الكنيسة الاثيوبية ص ٣٦٧ — ٣٦٨

رغم أن التوصل الى استنتاجات شافيه" تماما يقتضي قراءة مفصلة" لمجلدات عالم الزنوج الاصليه" للعشرينات، نستطيع ان نلاحظ على العموم ان كتابات نشرت في الصحيفه" من نوع يعد بعض اتباع الغارفيه" فكريا للدخول في حركات مدعيه" للاسلام، في هيكل مغاربه" درو قبل غيرها، لانها (١) صورت الاسلام بانه عنصر ايجابي يعمل في افريقيا ماوراء الصحراء الكبرى لادماج المجتمع الافريقي بفعاليه" فاقت فعاليه" نصرانيه" الغرب التي يتراسها البيض ذوو الغايات الماديه" الاستغلاليه" (٢) لم تحاول هذا النوع من الكتابات الغارفيه" دحض تاكيد الاسلام انه قد حقق اخوة شاملة" بين المؤمنين رغم اختلاف عناصرهم بل قبلت صحه" هذا الواقع كما انطبق على المسلمين البرابرة (الامازيغان) Berbers او العرب و المسلمين الجدد من سود اعتنقوا الدين في افريقيا الاستوائيه" . (٣) سددت هذه الكتابات الغارفيه" الى دور الكنيسه" النصرانيه" التي كان الاغلب عليها هم بيضا غربيين في اعداد السود نفسانيا، وخاصه" في افريقيا، للاستسلام امام اخضاع واستغلال بيض اياهم انتقادات سددها قواد المغاربه" الامريكان الى حدما ولكن خاصه" المسلمون السود فيما بعد ببضعه" اعوام الى صلب تعاليم النصرانيه" كدين نفسها مؤكدين انها بحد ذاتها وبطبيعتها دين استعباد اختلقها البيض لتحقيق مصالحهم انها غير منزله" و غير صالحه" لسود، و ليس ان المشكله" الوحيدة تشويه عارض من الخارج لتعاليمها . (٤) مما يدل دلاله" ابعد على

تواز جزئى لوطنى هيكل المغاربه" والغارفيين عبر الاطلسى ان مجدت جريدة عالم الزنوج امبراطوريات المغاربه" The Moors الاسلاميه" فى شمال افريقيا و خاصه" فى اسبانيا العربيه" مؤكدين سواد كثيرين من الافارقه" المشتركين فى تلك الفتوحات . نلاحظ كذلك دور القومى الاسود السوداني المصرى دوز محمد على فى طمس الحدود بين افريقيا ماوراء الصحراء الكبرى و شمال افريقيا (المغرب و مصر) المتكلمه" العربيه" بين اتباع الغارفيه" من خلال تشجيع فكره التاريخى لتمجيد الحضارة الفرعونيه" القيمه" كحضارة زنجيه" و تأكيد اشتراك عوائد و عقائد رئيسيه" بين المصريين القدماء والاثيوبيين والغرب افريقيين السود، ربط لافريقيا جنوب الصحراء الكبرى بافريقيا شمالها امتد بنوع ما فى العصر الاسلامى، وحتى فترة النهضه" و نزع الاستعمار من خلال نشر دوز محمد على لاخبار حركه" الاستقلال فى مصر.

ثمه" اذا دلائل على اسهام معين من حركه" غارفى فى تطور و تقدم طائفه" درو على المدعيه" للاسلام . يكون اسهام الغارفيه" مزدوجا : اولا فى ترسيخ رأى ايجابى حول الاسلام و شمال افريقيا كبعدين من أبعاد افريقيا فى بعض الاتباع يخلق استعدادا نفسانيا كى يدخلوا فى حركه" درو او فى المسلمين السود، خاصه" بعد نفى غارفى وخيبه" آمال فشل حركته، و ثانيا، فى اثراء او تعليل او توسيع فكر درو القومى و فكر اخلافه من بعده فى اتجاه اشد افريقيه" .

تقويه طائفه درو على للوعى القومى بين سود اميركا

قد لاحظ المراقبون المعاصرون الخبيرون تقديم الحركه الغارفيه في طور تفتتها بعد نفى غارفى تدفقا او سيلا من الاعضاء الجدد لحركات سياسيه او طوائف دينيه غريبه لها صبغه قوميه سوداء معينه . كتب الصحفى الغارفى سميول هينز Samul Haynes فى عالم الزنوج ١٥= ابريل ١٩٣٣م رثاء على حركه غارفى الجماهيريه ان ''قد سجلت عضويه غارفيين سابقين فى الجمعيه المغاربيه الامريكيه'' مثلا، من بين هذه الحركات الدينيه التى انتقد فيها صفه ''تصوفيتها'' و، تلميحا، انسحابيتها من الحياة الدنيا (فنسنت ص ٣٦٩) . و فى عدد ٦ مايو ١٩٣٣م من نفس الجريدة انتقد هينز مرة اخرى ولكن باكثر من الصراحه تلك الحركات الدينيه المتطرفه الغريبه، بما فيها هيكل علوم مغاربه امريكا لان نموها وتوسعها حدث على حساب تفتت الحركه الجماهيريه المنظمه المناضله Militant التى قد شيده غارفى ليس فى سياق الولايات المتحدة فحسب بل على نطاق العالم باسره تنظيما لحركه تحرريه زنجيه دوليه . لم ينفع توسع الطوائف المتطرفه الذى تلى خروج غارفى جماهير سود اميركا لان ''امثال بكتون والاب ديفين والا سقف غريس والمغاربه الامريكانيين لايتركون اى انطباع فى حكومات العالم، برنامجهم تعزيه الاتباع من خلال تلقين الاغتباط النفسى Camp Lacency الروحى والعاطفى'' (فنسنت ص ٢١٨) كان تحليل هينز بوصفه غارفيا، اذا، ان حركه ماركوس الداعيه الى القوميه الافريقيه الدوليه قد اعاد ادخال السود فى

عمليات التاريخ السياسى لدول العالم فى حين ان الطوائف التدينيه" المتوسعه" ''الهامشيه''، من نوع دعوة درو المعلنه" لاسم الاسلام كانت تعالج آلام السود فقط على مستوى الفرد بتقديم التعزيه" الدينيه" فى حياته الخاصه" بدون ان تنظم اتباعها الفرادى فى حركه" جماعيه" تستطيع من خلال العمل السياسى ان تدخل العمليه" التاريخيه" لتحويل تركيبات المجتمع المحلى او السلطه" العالميه" التى قد حددها عنصر البيض . واضح جدا حول الناحيه" الدوليه" ان كان هينز سديد التقييم فى المدى القصير اذ، مهما كان عدم واقعيه" كثير من آراء و آمال غارفى عن الوحدة القوميه" الشعوريه" و بالتالى اسكانيات العمل السياسى الدولى المشترك بين الاربعمائه" زنجى المتبعثرين فى عرض و طول العالم فى افريقيا و شمال و جنوب امريكا و جزرهما الى آخره، قدم بعقائديته الافريقيه" الوحدويه" تصويرا حقيقياً للوطن الافريقى الام ولكيان السود فى العالم صالحا ليكون منطلق عمل سياسى دولى فعال للفور رغم بعض التشويه بخلاف تصوير درو للوطن المغربى الآسيوى الاسلامى البعيد عبر البحار الذى أعوزه التفصيل او التدقيق التاريخى او الواقعى والذى ميزه الاسطوريه" الدينيه" البحته" فكان غير صالح فى الامد القريب ليهدى السود الامريكان الى اى ارتباط عملى مع العالم الاسلامى او مع افريقيا، رغم تغذيته شعورا بالارتباط بعالم الاسلام بينهم قد تؤدى فى المدى البعيد الى نشوء حركات اكثر عمليه" وفعاله" فى تنظيم لقاءات دوليه" مع الآخرين، الا انه لايمكننا التمييز بين ''عمليه''، مسيسه" مباشرة فى عقائديه" الغارفيين واسطوريه"

انسحابيه" تدينيه" في تعاليم هيكل المغاربه" لاتتجاوز حياة الفرد الخاص تمييزا مطلقاه.

فالذى يفاجئنا بعض الشئ من اسكانيه" هذه المقارنه" ان بعض افكار النبيل درو على كانت اصلح لأن تخلق جوا فكريا قوميا عاما يؤدى الى او يشجع بروز حركه" احتجاج قومى اسود متمركزة على تراب امريكا من حركه" غارفى الجماهيريه" التى كانت، رغم صفتها حركه" قوميه" سياسيه" رسميا، تنشر التشاؤم الهروبى (ولوبغير قصد منها ؟) ازاء مستقبل السود في امريكا بندائها ''الصهيونى الاسود،، سود امريكا الى ''العودة الى افريقيا،، الذى فهمه الجماهير الساذجه" التى القت سمعا الى غارفى فهما اقاسيا جسمانيا (الهجرة الجسمانيه") بدلا من فهما ثقافيا معنويا او تضامنيا وان كان التفسير الاخير قصد غارفى نفسه من اوقات صحوه الواقع، على ايه" حال، ان جذريه" معارضه" غارفى (واتباعه) من قاعدتهم في الولايات المتحدة للاستعمار البريطانى في افريقيا السوداء كان يناقضها اعتدال مواقفه و مواقفهم من التركيب السلطوى المحلى في الولايات المتحدة نفسها و عدم حثه اتباعه على مواجهته" مجابهيا . نلاحظ هنا ان وصف حركه" درو على ''الاسيويه"،، لقارة امريكا بانها امتداد لقارة آسيا و من تلك المساحات في العالم التى ينتمى اليها الناس ذوو اللون الداكن (= المسلمون) جعل لامريكا، كوحدة جغرافيه" مركزيه" نفسانيه" لم تملكها في دعايه" غارفى و اتباعه فاستاصل بعض التغرب الهروبى (الافريقى) في البيئه" الولايات المتحدة الذى جذب قطاعات واسعه" من جماهير الامريكيين

السود الى حركة الهندى الغربى غارفى . فيمعن الدكتور آرثرهاف فوست (٤٤ ٩ ١م) نظره فى اسهام حركة درو على الطائفيه فى اعداد سود امريكا لخوض العمل السياسى على اساس قوسى متميز اى فى تسييسهم فى المدى الطويل، فيقترح فوست (٤٤ ٩ ١م) شرطين مسبقين او مقومين للعمل (او المشاركه) السياسى بالنسبه الى (مجموعه قوميه) — الا وهما فكرات سياسيه مرتكزة على هو يه قوميه محددة اووطن قوسى محدد للمجموعه القوميه واداة سياسيه او منظمه سياسيه من نوع حزب سياسى. ان هذين الشيئين يجهزان المجموعه القوميه لخوض كفاحات سياسيه . دور لهيكل علوم مغاربه امريكا ممكن ههنا اذ ان ''ميزة الهويه القوميه بالضبط هى الميزة التى اعوزت نفسانيه الزنوج فى أمريكا بخلاف كل المجموعات (العنصريه) الاخرى ذات حجم،، فى الولايات المتحدة . ''اليهود السود والامريكيون المغاربه يفهمون بعض ما يعوز السود . يريدون تذكير زنوج امريكا باسمهم القديم وارضهم القديمه، لا يمكن اى شعب ان يملك مستقبلا بدون اسم قوى . ان منطق تفكيرهم يجبرهم على التشديد على الناحيه السياسيه لحياة السود فى امريكا رغم ان الطائفه مجموعه دينيه جوهريا . اما الامريكانيون المغاربه فيتجاوزون ذلك الحد ليؤكدوا ان قارة امريكا ملكهم، قائلين إن هذه البلاد امتداد لافريقيا، ففى ختام تجربته لهذه الاسكانيه ينتهى فوست الى قول أن السبب الذى يعلل لماذا ''تقصر كلماتهم عن العمل هو فقط ان يعوز طائفه المغاربه وسائل تمكنهم من جعل عقائدهم واقعا،، . (آرثر هاف فوست Black

Gods of the Melroplis : Negro Gulls in the Urban North.
طبعة مطبعة جامعة بنسلفينيا الجديدة ١٩٧١ ص ٩٨ — ٩٩)

والواقع أن ميز حركة مغاربة النبيل درو على جمع غريب بين (١) تعميق و توسيع و من ناحيه الرؤيا التاريخيه تنظيم اسطوريته الدينيه لعداء الاتباع نحو الرجال البيض بالتعميم الحضارى الاسمى الذى استقصت به اعتداءات البيض ليس كجماعات محليه صغيرة فى الولايات المتحدة فى فترة قصيرة بل ككيان دولى عام ممتد اعماله عبر التاريخ و (٢) من الجهه الاخرى التاكيد، رغم الاعتراف الصريح بالعداء الشامل بين الآسيويين الداكنى الالوان (= الامريكيين الافارقه) والبيض، أن لا يطرح اى سؤال حول ضرورة المسالمه و عدم التعرض لعلم الولايات المتحدة . ليس من الصعب أن نستبين كيف كان يمكن المواد الاسطوريه والتاريخيه التى كان درو على واخلافه يقدمونها الى الجماهير ان ترفع وعيهم بطريقة قد تكون ادت مع مرور الوقت لو كانت كنه بيض الولايات المتحدة اقل رجحانا على اقليه سودها الى حركة قوميه اسلاميه سوداء تتخذ بر قارة امريكا كميدان عملها الرئيسى لتتحدى قوى التفوق او التسلط الابيض تحديا مباشرا كما لم يحاول فعله غارفى رغم كل عنف معاداته الصريحة السياسيه للاستعمار عبر امواج الا طلسى فى افريقيا . . و مع اننا سننظر فى باب لاحق لهذا البحث فى مهام ايجابيه داخليه و برنامجه لاصلاح العنصر الداكن الآسيوى (= السود) فى شمال أمريكا صرفته عن خوض مجابهه نضاليه للعنصريه البيضاء، نلاحظ أن اعتبارات سلبيه صدت النبيل درو على عن ذلك ايضا اذ قد يؤدى اى اصطدام اضافى بين

سود و بيض على تراب الولايات المتحدة فى عقد العشرينات الى تدمير السود نظرا لانهم لم يكونوا الا اقليه" من السكان . . . فتشديد درو على على ضرورة اعادة ''السلام،، الى المعمورة من هذه الناحيه" استجابه" عقلانيه" امام الواقع الذى عاشه السود فى الولايات المتحدة، و كذلك ايضا الجمله" الحذرة التى كان ينهى بها دروعلى بطاقات الهويه" المغاربيه" القوميه" التى كان يوزعها على اتباعه، ''انا مدني من مدنيى الولايات المتحدة،، . الا أن تعاليمه بتعيينها لامريكا كالوطن المزدوج للسود قد قطعت الطريق على نوع هروبيه" غارفى الافريقيه" : توقع اتباع درو على انهم سيحققون خلاصهم و سعادتهم على تراب أمريكا، وطنهم الاقاسى . و قد عينت تعاليم درو كذلك الرجل الأوربى الأبيض بأنه، باعمال كمثل قتله للنبى الاسود يسوع مثلا او سلب اسماء المغاربه" واستعبادهم فى قارة شمال أمريكا، مسبب لآلام الانسانيه"، فكان من الطبيعى ان ينظر اليه اتباع درو بانه عدوهم المبين— رغم انشغال النبى نفسه ببحثه الدينى عن ''السلام على الارض،، بالذى اكد خلاله أن ''المحبه" هى المبدأ الذى يهدى الكون،، . صح ان حركه" درو، التى اعوزها طبيعه" سياسيه" رسميه" لم تنظم الاتباع فى تنظيم ملموس يمكنهم من القضاء على سلطه" عدوهم . فان نجدهمنا الحلم المعتادبين جماهير شعب مضطهد ـ حلم موت الظالم ـ فالمعدم هو الله أكثر منه المؤمنون به : هروبيه" دينيه" أمام امكانيه" المجابهه" بين العنصرين مرة أخرى، و فى نفس الوقت، واقعيه" نظرا لصفه" الزنوج اقليه" فى سكان أمريكا اكثريتهم

الساحقه" بيض لا يخلو بعضهم عن كراهيه" شرسه" نحو "الزنوج"، كمثل المسلمين السود فيما بعد، علم درو على اتباعه انه قد جاء قبيل "نهايه" الزمان"، ان يوم الدين قريب "فلقن اتباعه ان يؤمنوا بان آيه" (علامه") اى نجمه" داخل هلال، قدرؤيت فى السموات و انها دليل على اقتراب يوم الاسيويين و تدمير الاوربيين (= البيض الامريكان) "، حسب آرثر فوست. ولم ينطو اتباع درو على على انفسهم فقط ينهمكون فى العبادات الدينيه" انتظارا لذلك اليوم العظيم. بل، فى زخم ثقتهم الجديدة بنبل انفسهم بعد استردادهم لهويتهم القوميه" المغربيه" المسلوبه"، اخذوا يشتبكون مع البيض فى كثيرة من المدن الصناعيه" المتناثرة عبر الولايات الشماليه"، و خاصه" فى الغرب الاوسط حيث اصبحت الحركه" لعنه" فى اعين الشرطه"، يسيرون فى الشوارع يتعرضون للبيض و يبرزون بطاقات هويتهم المغربيه" القوميه" من جيوبهم ممجدين اسم درو على لأنه قد حررهم من لعنه" سيطرة الأوربيين. ولاشك ان كان الشرطه" يعقدون العزم على سحق الطائفه". فنبه المتنبى درو على "كل المغاربه"، الى "وجوب الكف عن كل الخطابات التحريضيه" او الجذريه" وهم فى مقار (مواقع) عملهم او فى منازلهم او فى الشوارع"، و حذرهم من استفزاز السكان البيض ببطاقات قوميتهم المغربيه" خوفا من أن يسبب ذلك "الاضطراب"، او الفوضى فى حين "اننا لم نجئ لنسبب الفوضى: مهمتنا النهوض بالامه"". كادت جماهير الاتباع اذا يكادون ينفلتون من سيطرة نبيهم — كادوا أن يطوروا مضمون تعاليمه القومى المعادى للبيض الى

مرحلة مجابهة فتنية مباشرة بصفتهم امة هضمت حقوقها مع البيض و لكن نجح النبيل درو على فى اعادة ضبطهم و حصر اعمالهم داخل حدود اهتمامات المذهب الغيبية العبادية البحتة و اهدافها فى اصلاح السود دينيا و خلقيا و اجتماعيا (البرنامج ''الداخلى،، للطائفة) . فحتى يومنا هذا تؤمن الطوائف المتعددة التى انقسمت فيها حركة درو بعد قتله بضرورة الاحتفاظ بما تسميه ''السلام على الارض،، مهما يكن الثمن، فى ضوء تعاليم درو من نوع ''المحبة هى المبدأ الذى يهدى الكون،، . يعادى المغاربة الامريكيون ''شاحبى الوجوه،، و لكن لابد لهم، قبل ماتأتى الساعة، من أن يحترموا علم الولايات المتحدة و انظمتها السياسية والاجتماعية رغم عدم عدالتها و فسادها : حرم درو على على اتباعه ما سماه بالجذرية . تفسير هيكل اوهيا كل علوم مغاربة الولايات المتحدة النهائى للدين، اذا، ان الله قد يعاقب او يقضى على الظالم أو المذنب بدون عمل ملموس من طرف المؤمنين . الا ان الحركة بشقها وهدة سحيقة مزدوجة (الانفصال على مستوى الجماعة الدينية ، الانفصال على مستوى الوعى القومى) بين السود والبيض جعلت الجنسية السياسية المشتركة التى ابقتها بين الامريكيين السود والبيض ذات شكلية او رسمية غريبة . وعسى لم يكن اولئك الاتباع الذين كادوا يطلقون حربا اهلية مع السكان البيض بالواقع، الا يمددوا تمديدا فتنيا مشروعا منطقيا ذلك الانفصال الروحى العنصرى و الدينى الذى غرس درو بذوره عميقة فى وعى عامة السود فى مدن الشمال .

القيمه" الخاصه" الباديه" مع وصولنا الى هذه النقطه" من بحثنا في مؤلف فوسيت انه لايعالج الطائفه" فقط من خلال تعاليمها او كتاباتها بل يربط بالعقائد الرسميه" العديد من شهادات و مقابلات و ملاحظات من طرف اتباع او اعضاء عاديين تظهر التوترات التى حدثت عند التفاعل بين العقائد و سياقها الاجتماعى . فرد احد الاتباع على استعداد فوسيت المبادئ لقبول تعريف امريكي وحدوى لقوميته "ما ؟ امريكاني ؟ امريكاني من اى نوع ؟ هل انت احد ممتقعى الوجوه (البيض) ؟ اخبر واحدا من البيض بذلك، فسترى ماذا يكون !،، فاذا كان يفرق الاتباع، وهم القاعدة الشعبيه" للطائفه" بين الجنسيه" او المدنيه" الرسميه"، مثلا الاعتراف بعلم امريكا ذى النجوم والخطوط، التى لم ترفضها تعاليم درو، و بين ايه" قوميه" امريكيه" وحدويه" قبلوا المدنيه" الامريكيه" و لكنهم رفضوا فكرة وحدة امه" امريكيه" واحدة تشمل السود على تراب اميركا . "ولدت فى امريكا و لكن اجدادى كانوا شعوبا آسيويه" عظيمه" ذات بلاد وطنيه" حرة . نحن امريكانيون مغاربه"،، . ورغم تعليق الطائفه" علم النجوم و الخطوط من على جدران هياكلها نجد تابعا يلاحظ ان "لكل شعب حر بلد قومى له علم خاص اسأل الالمان المولودين فى هذه البلاد — سوف يجيب الالمانى بسرعه" انه المانى،، (فوسيت ص ١١٥ — ١١٦) . هل نستشف فى هذه المقارنه" بين اختيار السود والخصوصيات القوميه" التى كانت تحافظ عليها العناصر البيضاء الاوربيه" غير الانكلوسكسونيه" التى هاجرت الى امريكا جيلا عن جيل على ترابها بشرى توليف Synthesis ؟ هل

كان يمكن تاكيد الطائفه" انفصال السود عن البيض النصارى دينيا ان يقدم اساسا ليس لمنع دخول السود الحيادة الامريكيه" بل لادماجهم فيها بواسطه" نشاط سياسي حزبي متركز حول و عي عنصرى — دينى — ثقافى متميز يشبه تلك الاثنيه" الحادة الوعى التى اتخذها الناس الذين من ايرلندا او منحدرون من اصل اير لندى نواة ومحورا لنشاطهم الحزبى فى سبيل الاستيلاء السياسى على حكومات مدن او بلديات من يد عناصر انكلوسكسونيه" قائمه" ؟

The Relevence for the Negro Sub-Culture

ان كانت طائفه" درو على توجه قسطا كبيرا من طاقاتها اللفظيه" الى حض المعتنقين من بين الجماهير السود على انفصال قومى — دينى نفسانيا عن مجتمع البيض، اى ابراز المسأله" القوميه" بين الامريكيين الافارقه" و جيرانهم البيض، كانت هنا ربما تشبه حركه" المسلمين السود التى تمخضت آلام السود عن ولادتها فيما بعد بمعنى أن رغم اولويه" مهمه" الانفصال على مسطح أو آخر عن مجتمع البيض الامريكان شكليا، فالهدف الحقيقى لتعيين قوميه" السود بانها آسيويه" واسلاميه" ليس كيان البيض ذو ثقافه" معينه" فحسب بل الثقافه" وانماط السلوك القائمه" بين جماهير السود بالفعل . اى، كانت تعمل الحركه" بارجاع السود الى هويتهم الآسيويه" الحقيقيه" المسلوبه" الى فصلهم فصلا حاسما عن ثقافتهم و حياتهم الحاضرة (المفتعله"، غير الاصليه"، غير الطبيعيه" حسب اسطورة قوميتهم الدينيه" الغيبيه") تلك الحياة "الزنجيه" الامريكيه"" التى قد تطورت فى البيئه" الامريكيه"،

وبشدة في مدن شمال الولايات المتحدة و التي اعتبرها البيض العنصريون و كثيرون من "الزنوج" انفسهم انها صفات مميزة طبع عليها السود . الثورة الحقيقيه وراء المحاوله الاسلاميه ، اذا، لم تكن توجه ضد البيض بل ضد انماط سلوك و ضد تقييمات للحياة واهداف الانسان فيها قد تاصلت بين الامريكيين الافارقه في قارة شمال اميركا .

نرى وظيفه حركه هيكل علوم مغاربه امريكا كثورة على طرائق معيشه وهويه السود القائمه جليه في مواقفها من الاسرة . ففي بعض مناطق افريقيا السوداء نفسها كانت تتمتع المرأة بدور قيادى في تدبير حياة الاسرة اختلفت نوعيا عن دور الآباء في مجتمعات اوربا او الشرق العربى . و في قارة شمال امريكا عملت ظروف البيئه الجديدة (الاستعباد) لاضعاف دور الذكر في تركيب العائله السوداء اضعافا اضافيا فكان النخاسون والمستعبدون البيض ابان صفقات بيعهم يشتتون شمل العائلات السوداء بدون ذرة من شفقه، اللهم الا ابقاء الاطفال الصغار في رعايه الامهات، مما أدى بنوع خاص الى انعدام شخصيه اب دائم مستقر في جزء ذى بال من عائلات . بل، ان المستعبدين البيض استعملوا التشريع كسلاح لهدم مبنى نظام العائله بين العبيد السود لغايات مختلفه . ففي كثير من مستعمرات بريطانيه وولايات الولايات المتحدة في شمال امريكا منعت القوانين بنص صريح عقد زواجات ذات صفه شرعيه ملزمه بين افرادهم عبيد وان ثلمت حدة هذه الاوضاع مواقف أقليه بين العناصر النصرانيه المتدينه من نوع طائفه ال Quakers هذه هي الخلفيه التاريخيه .

ولكن فى الاوضاع التى واجهت دعوة درو على فى مدن شمال الولايات المتحدة، قد وصلت عمليه تفتت تركيب العائله بين السود الى حد اقصى من التدهور. ان انخفاض اجور السود مع غلاء الكراءات اجبرا كلاالوالدين: الام والاب، على الشغل، فكان من المناظر العاديه فى تلك المدن رؤيه اطفال هؤلاء المهاجرين من الجنوب يطوفون الشوارع والازقه او يتسكعون فيها الى ساعات متأخرة من الليل و مفاتيح غرف آبائهم الغائبين فى الشغل تتدلى من حول اعناقهم. كان للعائلات السوداء مرونه وصمود لم يلاحظهما كثيرون من المراقبين او البحاث و لكن تلك العائلات السوداء مالت الى ان تكون عائلات بالاسم فقط اكثر منها عائلات متماسكه حقيقيه.

نرى محاولات طائفه هيكل علوم مغاربه امريكا لمقاومه و عكس هذه الانماط وانها تقتت العائلات بين المهاجرين السود من ولايات الجنوب فى مدن الشمال الناتج الى حد معين من الآثار الاقتصاديه للعنصريه البيضاء و احلال الذكور محل الاناث كالاشخاص المركزيين او نواة العائله: فبينما كانت المرأة الزنجبيه بين عموم عائلات المهاجرين السود من الجنوب وقتذاك تلك المبطله التى من خلال اشتغالها خادمه فى منازل البورجوازيين البيض النصارى او اليهود او لارضياتهم تقوم باود العائله فى وقت بطاله الاب او فراره من البيت الى احضان خليله، نجد ان من بين اكثر وصايا طائفه درو على مركزيه وجوب اطاعه الزوجات ازواجهن و مراعاة و ترتيب منازلهن من جانب ومن الجانب الآخر المقابل ان يقوم الآباء باود عائلاتهم من خلال

العمل . و على الاطفال ان يطيعوا اوامر الوالدين . وما اندر ما كانت الحركة" تأذن بالطلاق بين اتباعها ! نرى كذلك صرامة" النواهى والضوابط الموجهة" للعلاقات بين الجنسين التى فرضتها الطائفة" على كل أتباعها . ففى الصلوات الجماعية" فى هياكلها فصل بين الذكور والاناث صفين منفصلين بخلاف نظام الخدمات فى كنائس النصارى، و تحريم كل الاتباع من التردد على الرقص المختلط او عرض الافلام او استعمال الماكياج الى آخر مجموعة" من اجراءات تحصر التعبير عن الغريزة الجنسية" داخل اطار نظام العائلة" التى اراد مؤسس و قواد الطائفة" اعادة بناتها بين المهاجرين السود فى الشمال على نمط ليست حتى العائلة" الـ المعروفة" بين الامريكيين الافارقة" بل نمط العائلة" الـ التى شكلت اساس مجتمع البيض. فنرى ههنا كيفما كان مغاربة" درو على، رغم تعبيرهم عن عداء لفظى ضد البيض يوجهون كثيرا من الطاقة" الى قلع انماط سلوك و تركيب مجتمع او (ثقافة") السود انفسهم . ويلاحظ كذلك ملاءمة" الاسلام كما يقام فى الشرق دينا ومجتمعا، ورغم سطحية" اطلاع درو على و هياكله عليه — نرى وظيفية" الاسلام الذى بدأت حركة" درو على عملية" حقنه فى وعى جماهير الامريكيين الافارقة" فى القرن العشرين — للاسهام فى انجاز سود قارة امريكا الشمالية" لهذه المهمة"، اى تقوية" نظام العائلة" او حتى اعادة تشييده كمحور لمجتمع شعبى مدينى اسود جديد فى مدن ولايات الشمال و تمكين السود بذلك من الصمود أمام بيئة" معادية" و معقدة جديدة منافسة" البيض المتبعين نفس التركيب العائلى فى مجتمعهم .

انطباع عام يتركه هيكل علوم مغاربه" امريكا، اذا، ان الحركه" استهدفت اجراء ثورة جذريه" في الانماط السلوكيه" والثقافه" الشعبيه" المتميزة لجماهير النازحين السود من ارياف الجنوب في مدن شمال الولايات المتحدة . ان تقليلهم من الغناء و تجنبهم العاطفيه" في خدمات (صلوات جماعه" هياكلهم والصمت المشبه لصمت المقبرة ابانها واكثار المتنبى درو علي و خلفائه التحريمات الا كليه" من منع تناول اللحوم مثلا او البيضات (مع السماح باكل الخضروات والاسماك) — ان كل هذه النواهى و التحريمات تغيير جذرى لنواحي مميزة لسلوك و حياة الزنجي الامريكي كما حدده بيئه" امريكا و تحيز البيض — قوالبيه" تصورهم لشخص الزنجي — و فرض انضباط صارم جديد على تفاصيل حياته اليوميه" تقلل من الاتجاه الروحي المعهود فيه و اعادة سبك لانسان اسود جديد تدور حياته حول وحدة العائله" الابويه" . فالاكثار هذا من تحريمات تقلل من الضوابط السلوكيه" من نواهي اكليه" تقلب سلوك و حياة الزنجي المديني الشعبي راسا على عقب تشبه الى حد بعيد استعمال المسلمين السود فيما بعد لتحريمات صارمه" مماثله" بدورهم لتحويل حياة الداخل الجديد في حركتهم، كما ان كلتا الحركتين تركز على اهميه" العائله" الثابته" التي يتراسها شخصيه" اب يامر و ينهى و يقوم باودها اقتصاديا .

الاسلام الاسود والاسلام الصحيح في سجون الولايات المتحدة

لخص الدرج كايفر Eldrige Cleaver ،بناء على تجاربه كأسير اسود في سجون اميريكا، بين ١٩٥٤م و ١٩٧٩م اعتنق تعاليم

اليجا، دور طائفه" المسلمين السود في تلك السجون أن ’’أفكار كل مأسور اسود،، في تلك الفترة ’’تركزت حول سؤال : هل يدخل في دين أمه" الاسلام أم لا،، و أن ترديد اسم المسلمين السود أو ان اليجا محمد كفى لكي يجعل موظفي السجون يمدون ايديهم الى أقراص منع الصداع . و كانت سجون سوليداد وسان كوينتين وفولسوم السجون ذات اعلى تركزات معتنقين للاسلام الاسود ورغم ان موظفي السجون لم يأذنوا لأئمه" الطائفه" من العالم الخارجي بدخول السجون لعقد الطقوس الجماعيه" الدينيه" على أساس مساواة مع كهنه" الاديان المعترف بها ’’طوائف النصرانيه" واليهود،، و رغم أن السلطات السجنيه" كانت تشتت حالا كل ’’مسجد،، يشكله أتباع الاسلام الاسود داخل السجون بنقل قواده الى سجون أخرى أو بوضعهم في الحبس المنفرد Solitary Confinement ، منعا لاتصالهم بعضويه" المسجد، فان معتنقي الطائفه" استطاعوا، بعبارة كليفر ’’ان يطبقوا برنامجا منظما من نشر دعوتهم أمام البركه" الضخمه" من مؤمنين جدد ممكنين موجودة بين أسرى كل سجن . فابان بقائه في السجن سمع كل سجين دعوة تعاليم المسلمين السود فوجد انه لا مناص من ان يختار هل ينضم الى الطائفه" أم لا . مثلا، ابان فسحات التمرن الجسماني، كان مرأى عدة مسلمين يذرفون فناء التمرن افراد، وكل يمسك بداخل مهتد ممكن يشرح عليه رسالة" اليجا محمد الى الرجل الاسود، منظرا غير نادر،،. و لكن، مع وسط ١٩٦٥م، كان كليفر يحلل الحركه" بانها ’’محتضر،، في السجون واليجا محمد بأنه قد فات وقته عقائديا وسياسيا بالنسبه" الى السجناء السود . في اوائل

١٩٦٧م رأى كايفر ان ”كل شئ قد تغير، فمن السهل ان نبصر النور التى اشرقت ببهارة فى الماضى ان لم تنطفئ تماما، فلا يتخذ موظفو السجون أو السجناء الآخرون المسلمين السود اتخاذ الجد و عسى المسلمين السود فى السجون لايتخذون انفسهم اتخاذ جد . فلا يتأججون الآن بغيرة طائفة فى طور النمو لها مطامح و آمال أن تصبح قوة سائدة فى البيئة .“ طرح كايفر عدة تعليلات لتقلص المسلمين السود كالقوة السوداء المعارضة الرئيسية فىسجون الولايات المتحدة، و هى:

١ - فشل تنبؤاتهم الدينية اذ تنبأوا بان مجئ الله للقضاء على دنيا الشياطين البيض قد اقترب، وربما يأتى بعد سنة، فلابد لكل اسير اسود أن يعتنق اسلام اليجا محمد حالا ان أراد الا يهلك فى نيران يوم الدين مع البيض . و لكن يوم الدين هذا لم يحدث رغم مضى السنين .

٢ - طرد اليجا ملكولم اكس من الطائفة واغتيال ملكولم اكس فيما بعد فى اوائل ١٩٦٥م — كان ملكولم اكس رمزا حيا لكل عناء وآلام تلك الفئات الاكثر فقرا واضطهادا فى المجتمع الامريكى التى اضطرت الظروف الاجتماعية اعضاءها ان يسلكوا نهج حياة الاجرام وان يدخلوا بالتالى سجون اميركا البيضاء . كان ملكولم اكس رمز الم للسجناء السود لانه هو كان قدعانى آلامهم و تجربتهم السجنية فوجد الخلاص والإصلاح من خلال اعتناقه للاسلام . و كان ملكولم بالاضافة الى هذا لسان حال التذمر

الأعم الذى يشعربه ليس السجناء السود فقط بل عموم سكان الملاحات الزنجيه الفقراء . بل كان أقرب من فى حركه المسلمين السود الى داع صريخ الى الثورة المسلحه ضد الظلم العنصرى، بعبارة كليفر ''أصبح كل مسجد،، للمسلمين السود ''اطلالا قد يصادف فيها شبح ملكولم اكس،، .

٣ ـ يقدم كليفر تعليلا ثالثا لتقلص دعوة المسلمين السود فى السجون : اى ''فشل موظفى أمه الاسلام بالخارج ان يقدموا اى معونه قانونيه (من خلال المحاكم) الى المسلمين المسجونين وراء الجدران . فيسوق كليفر مثلا ملموسا : فى ١٩٦٣م اقتحمت دائرة شرطه لوس انجليس مسجد محمد رقم ٢٧، يطلقون الرصاص فيه جارحين بضعه مسلمين جروحا أدت الى حتف احد منهم . فى المحاكمه التى تلت حكمت على أربعه مسلمين بالسجن بتهمه انهم هجموا ضباط القانون وكدروا السلام العام و على الرغم من ان هؤلاء السود الاربعه اصبحوا ابطالا فى مقاييس القوميه السوداء، و اعتبروا سجناء سياسيين بدلا من سجناء عاديين فى السجون، لم تقدم ادارة امه الاسلام الاسود بالخارج عونا قانونيا لهم فوجدوا انه لابد من ان يقدموا استئنافاتهم من خلال المحامين البيض الذين يقدم خدماتهم اتحاد الحريات المدنيه !

ولا شك ان هذا من الدلائل الصريحه على محافظه المسلمين السود السياسيه على المستوى العلمى، فهم، رغم تقديسهم للعنصر الاسود وللكراهيه ضد البيض، ليسوا شديدى التوق الى اصطدام مباشر

مع البيض لانهم اعتقدوا ان الله سيقضى عن قريب عليهم فى يوم الدين فليست مهمة السود المهتدين الى الاسلام ان يقاتلوه بل أن يقاطعوه و ينسحبوا من نطاق نشاطاته الاقتصادية او الاجتماعية او السياسيه استعدادا لذلك اليوم العظيم .

لم يكن لاعتناق ملكولم اكس الاسلام الحنيف على أقوم صوره وتبديله للعنصرية كمبدأ مطلق بوحدة انسانية أعم لكل من اتبع هدى الله و آمن برسالته و تنزيله الا أن يؤثر فى السجناء السود اعمق تأثير، رغم مقاومتهم الغزيرية الاولى لمفهوم ان الوحدة ممكنة مع اناس من عنصر أبيض . فعلى العموم قبل حتى الاسرى الذين قد اعتنقوا مذهب اليجا شهادة ملكولم بالاخوة الشاملة فى التوحيد الالاهى التى رآها بأم عينيه ابان حجه فى مكة المكرمة .

بل، ابتدأ الاسلام الحنيف يلعب دورا لابأس به فى "تصليح" السود المسجونين لانحرافات فى سجون الولايات المتحدة لانحرافات مردها الى اسباب اجتماعية اقتصادية بالاكثر .

رغم ان طائفة "المسلمين السود" فى ايام اليجا محمد التى قامت بالدور الرائدى فى انقاذ السجناء السود من حياة الجريمة وادمان المخدرات والمحكمات والحبس — تلك الدائرة المفرغة المأساوية التى جربها كثير من سكان احياء السود الخاصة المدقعة الفقر فى أمريكا — باسم ديانة الاسلام، فان سودا دخلوا فى دين الاسلام الحنيف كما يمارس فى عالم الاسلام والعرب ادوا اسهاما متصاعدا

متزايدا في هذه المهمة المعقدة في العقد الذى اتبع اغتيال ملكولم اكس .

ففي مقالة عنوانها ''يصبح الاسلام عنصرا قويا في سجون اوهيو،، , لا حظ في ١٩٧٣م الصحفي الامريكي روبرت شفر Robert Shaffer تأثير الدعوة الاسلامية السنية القويمة في تحويل حياة عدد لا يستهان به من سود مسجونين في زنازن ولاية مهمة من الولايات المتحدة (Ohio) قال عبد الشهيد، موسيقي محترف اعتنق الاسلام و تلقى تحصيلا و تدريبا لكي يصبح اماما زائرا في سجون اوهيو أن البرنامج الاسلامي السني لتصليح الاسرى ابتدأ في (lever land's warrenaville workhouse) سنة ١٩٦٩م وانه انتشر من هناك الى كل السجون التي تديرها ادارة ولاية اوهيو الجمهوية .

فالنشاط الاسلامي في سجون اوهيو شكل اذا رغم ان كانت الدعوة الاسلامية السنية موجودة في سجون Gradys Fork بولاية بنسلفينيا و جزيرة ريكرا Rikers Island بنيويورك، أبرز مثال لخصوص مسلمين اكثرهم سود امريكان لمضمار قد حقق فيه ''مسلمو،، اليجا محمد السود نجاحات ألفتت نظره حتى الموظفين البيض بسجون كثيرة في أمريكا من قبل في الخمسينات والستينات . اعترف بنيت ج . كوبر، مدير دائرة التصليح الاتحادى لولاية اوهيو Ohio State Department of Correction ان الاسلام قد اصبح بين اسرى سجونها ''قوة ذات حيوية،، (It is a dynamic force) كتب شفر ان جماعة المسلمين في Ohio Penitentiary عد بحوالى أربعين من بين جملة ١٫٣٥٠ اسيرا .

عقائد و ممارسات طائفة علوم مغاربة امريكا

الاستاذ دنس ووقر

لا ريب أن كانت المعاملة التى عاناها النازحون السود الحديثو الوصول فى مدن ولايات الشمال على ايدى كل فئات مواطينهم البيض هناك بدون استثناء صدمة نفسانية عنيفة بالنسبة لهم هزت كل أسس رؤياهم للعالم النصرانية قاطعة مرساتهم الفكرية حتى انساقوا بعيدين عن جذورهم السابقة فى عرض محيط لا معالم مألوفة فيها ، فى بيئة و اوضاع غريبة و معقدة. بالاضافة الى خلق هذه الاوضاع استعدادا عاما بين النازحين السود لاختبار عقائديات او اديان جديدة ، نجد بعض نواحى تعليم درو على التى كانت ذات طبيعة خاصة يتجاوب معها السود فى الشمال من داخل ظروفهم الخاصة.

نواح من هذا النوع ننوى تحليلها عن كثب نسبى ، هى التالية :

(١) مخاطبة تعاليمه لواقع غلبة العنصرية البيضاء على البيئة الامريكية عصر ذاك من خلال تأكيدها أن الاديان و الحضارات ليست الا كيانات عنصرية.

(٢) تمديد تعاليم درو لتغرب النازحين السود اجتماعيا اقتصاديا و عنصريا و الى حد ما ثقافيا فى مدن الشمال الذى كان تغربا عارضا و خاصا ، على مسطح تغرب عام — اى ان السود فى قارة امريكا عامة و عبر تاريخهم يعيشون فى حالة سلب

اصالتهم الدينية و الخصارية : ان قضاء المستعبدين البيض على هويتهم الاصلية و فرض نصرانيتهم الغريبة الغير طبيعية عليهم منطلق أو رأس آلامهم فى امريكا.

(٣) ضرورة اعادة السود فى الولايات المتحدة لاتصالهم بدين الاسلام و عالمه الآسيوى الذى اختطفهم المستعبدون البيض منه : مبدأ يخدم اشتياق الاتباع الى الاستعلاء فوق وضع السود كأقلية متعرضة للاحتقار والتمييز و الاهانات فى بيئة الولايات المتحدة يوصلها بمناطق فى العالم يكون الآسيويون الافريقيون الداكنون فيها أكثرية بطريقة أو اخرى ، كان تاكيد اتباع درو على آسيويتهم يربطهم ، و هم الذين لا يملكون مثقال ذرة من السلطة او اتجاه فى وطنهم الاقاسى المحلى بمركز قوة وسلطة على الساحة العالمية.

(٤) تاكيد انتماء السود الى الحضارة الآسيوية الاسلامية يمحو عار خلفيتهم الافريقية السوداء التى كانت يصمها الثقافة البيضاء السائدة فى الولايات المتحدة عند ذاك بالهمجية. كم يبعد موقف المغاربة الامريكان هنا من نوع من كره للذات (Selfhatred) و تهرب منها......

(٥) من خلال فرض الوان من التقشف الدينى ، كانت الطائفة تحاول مثلا اعادة بناء العائلة الزنجية التى هددها خطر التفتت و قتذاك فى بيئة الشمال المدينية و تحقيق

مهام اخرى في سبيل تشييد مجتمع اسوأ متملك تقييمنا الاساسي لطائفه" درو علي ، اذا ، أنها كانت ردة فعل ازاء البيئه" الامريكيه" ، امام مسألة" امريكيه" بحته" ، انها استملك معظم محتواها من الثقافه" الامريكيه" و النصرانيه" المحليه" و انها و ان أكدت شعورا حقيقيا بالوحدة مع آسيا و افريقيا اعاد بناء ثقه" الاسود عنصريا وسط الاكثريه" البيضاء المعاديه" احيانا المحيطه" به لم تستوعب عناصر حقيقيه" كثيرة من عنصر الاسلام في افريقيا و آسيا. الا أن أطروحه" درو على الرئيسيه" ـــ اطروحه" الوحدة بين سود امريكا و سكان افريقيا و آسيا حول نواة ثقافه" أو ديانه" اسلاميه" مشتركه"، كتب لوا البقاء والنمو و التوسع بين سود المحيط الامريكي عبـــر عقود تاليه" : رغم محدوديه"، و اسلاميتها و الاسطوريه" الدينيه" المميزة للعلاقه" التى اكدتها مع افريقيا و آسيا عموما و عالم الاسلام بالخصوص ، الا أن لحركه" درو على اهميه" تأريخيه" بالغه" لأنها هي التى بدأت بحث الامريكيين الافارقه" عن تأكيد جماعه"ما مع العالم الاسلامي العروبي.

الأحسن ، نظرا لاساسيه" الاطروحه" مع كل طوائف الاسلام الاسود في الولايات المتحدة،ان نبتدئ بتاكيد درو على أن الاديان والحضارات تختص بعناصر معينه" دون غيرها من العناصر. قد يستغرب قرائي الجزائريين

هذه الاطروحه" و لكنها كانت عاديه" بين عنصريين بيض متطرفين فى عهد درو على اكدوا استحاله" انتماء السود الوحوش للحضارة الغربيه" او لديانه" المسيح. الا أن النبيل درو على، حين قبوله لهذه الاطروحه" الامريكيه" العاديه"، طبقها بصورة مبتكرة ابتدعها من داخل وضع السود الخاص.

علينا أن لا ننسى ان التمييز بين الناحيه" القوميه" او العرقيه" واستجابه" الفرد كفرد امام دعوة الحق الدينى تكون من جوهر الاسلام المنزل، " الكلاسيكى "، غريب عن فكر درو على و طوائف " الاسلام الاسود " فى الولايات المتحدة، طرا. فكل هذه الطوائف لم تنظر الى الدعوات الدينيه" على اساس قدرة اى شخص مهما كان لونه على الرد أزاء احداها بالقبول او بالنفى بصفته فردا مستحقا بذلك حسن ثواب الآخرة او خلودا فى النار حسب صحه" اختياره، بل اعتبرت كل هذه الطوائف الاديان ككيانات كانت منزله" و لكنها كيانات مخصصه" كل واحدة منها لجماعات عنصريه" معينه" فلا يمكن فردا من جماعه" عنصريه" معينه" أن يتبنى ايمانا دينيا (بالاسلام او بالنصرانيه" مثلا) خصصه الله بجماعه" عنصريه" أخرى دون ان يؤدى به ذلك الى البوار أو الهدم الروحى. فلهذا اكد اتباع درو على أن " النصرانيه" للاوربين الشاحبى الوجو و دين المسلمين (Moslemism) للآسيوبين الذين لهم البشرة ذات اللون الزيتونى "، فلا يستطيع البيض الدخول فى الاسلام لان طبعهم طبع لا يناسب دين الآسيويين، اما الآسيويون الداكنون الساكنون فى الولايات المتحدة، فجرهم دخولهم فى نصرانيه" غريبه" عنهم الى نسيان اصلهم

و معاناة ما عانوه من التفكك الاخلاقي. فالضروري ، اذا ، لتصحيح الاوضاع ، عبادة كل شخص تحت كرمته او تينته الخاصتين لأن " حين تملك كل جماعة دينها الخاص بها سوف يسود السلام المعمورة ".

من الملحوظ أن المسلمين السود التقطوا هذه العبارة الانجيلية النصرانية بالذات لدعوتهم الخاصة في الستينات : فملكولم× بصفته اماما ناطقا بلسان الحركة في خطابه امام طلاب كلية القانون بجامعة هار فرد في ٢٤ مارس ١٩٦١ تحدى بيض امريكا ان يمنحوا العشرين مليون من السود الذين مارسوا السيطرة عليهم قسما من اراضي الولايات المتحدة و ان يمولوا عبر فترة ربع قرن تشييد السود لدولة سوداء تستطيع ان تستقل تعويضا للسود على استغلال قرون الاستعباد " أدوا حق العدالة التي لعبيدكم السابقين الامناء عليكم. . .أعطونا بعض الارض هنا بالذات حقا لنا. عندئذ سيشبع (سيقنع) كل الناس و ربما نحيي سعداء الى الابد من بعد، كما يقول كتابكم المقدس النصراني " كل شخص تحت كرمته و تينيه "، و الا ، فعلى كل منكم الذين يجلسون ههنا الآن و على حكومتكم، و على عرقكم بأسره سيقضي الله العزيز القدير جارفا لكم من على وجه هذه الارض "، هنا نرى استعمال طائفة المسلمين السود ، (أكثر من ثلاثين سنة من بعد وفاة تيموثي درو علي ، لنفس صورتي تينة او كرمة المأخوذتين من الكتاب المقدس النصراني الذى ترمزان فيه الى عهد سعادة و رخاء، كي ترمزا الى انفصال العنصرين بعضهما عن بعض انفصالا عظيما تحاشيا لتباب يقضيه الله على البيض الظالمين المنكرين مساواة و انسانية السود.)

المهم ان الدين عند اتباع هياكل علوم مغاربه" أمريكالم يكن مسألة" تختص بالفرد الواقف بين ايدى الله او المعرض عن هدايته بل دعوات تختص بكيانات قوميه" عنصريه" لهذا السبب أذنت تلك الهياكل لكل شخص غير قاقازى ——— اى لكل شخص ليس ابيض البشرة —— بالدخول فى عضويتها (ممـــا يأذن نظريا بدخول صينيين مثلا) و لكن ليس لبيض. هكذا نرى كيف طغاوعى حاد بالعرق والعنصر على كل قطاعات عقائد المغاربه" الامريكيين الدينيه". لن يستطيع الآسيويون الداكنون الساكنون فى الولايات المتحدة الاندماج فى الجماعه" المسيحيه" الغربيه" لان ذلك يقتضى تخلصهم من الطابع العنصرى الذى جبلهم الله عليه. عبر درو على فى مكان آخر عن تصوره للعلاقه" الجذريه" العضويه" التى بين العنصر والايمان الدينى فى مكان آخر حيث أكد: "لابد لك قبل ما تحصل على اله من أن تحصل على قوميه" (جنسيه")،،: قول كانه يغطى البعد القومى نوعا من اولويه" على المضمون الدينى البحت الذى يقرر مصير الافراد من ثواب او بوار.

و لكن لنمعن النظر بعمق اكثر فى تعبير تعاليم هياكل المغاربه" على مسطح من التعميم والتجريد الحضارى العالى عن مشاعر جماهير السود المتوطنين فى مدن الشمال بالتغرب و الاجنبيه" فى وسط بيئه" تكن لهم العداوة. غيـــر انه من الممكن ان الذى نصادفه هنا ليس فقط تعبيراً او تمديدا حضاريين عن مشاعر توتر طارئه" خاصه" بوضع جديد محدد بل تعبير عن وعى باصل منفصل كان ثقافيا أصلا بالاضافه" الى بعده العنصرى الجسمانى الظاهر مسابق لعصر الاستعباد واللقاء مع البيض فى امريكا

لم يغب تمام الغياب ابدا عن وعي الامريكيين الافارقه" في ايه" فترة في تأريخهم الطويل في العالم الجديد . توتر اللغه" يعبر عن شعور عميق بقلع تجربه" الاستعباد لجذور السوء الثقافيه" السابقه" لوصولهم في العالم الجديد و اشتياق الى استمراريه" ثقافيه" جديدة مكمله" لاستمراريتهم العنصريه" المستقله".

آسيويون او باكثر من التجديد مغاربه" (Moors) سكن اجدادهم شمال افريقيا او المملكه" المغربيه" قبل ما استعبدهم البيض و حملوهم الى شمال امريكا. نظرا لأن السود قد فقدوا ذكراهم التاريخيه" لوطنهم الاسلامي و سيطرت عليهم حضارة البيض الاوربيه" النصرانيه" فخسروا كل اساس لحياة الكرامه" و الحريه" لانه " لكي يحصل قوم ما على ايه" اهميه" لا مندوحه" له من ان يملك اسما (قوميا) و ارضا ". يعيشون ازمه" دائمه" من اللاجذوريه" والتفكك الاخلاقي في الولايات المتحدة نتيجه" لعدوان البيض الثقافي ضدهم و هدمهم لثقافتهم الهاديه" اذ " يعني الاسم كل شيء فان الشاحبي الوجوه (البيض او " الاوربيين ") بنزعهم اسم المغاربه" The Moors (سود امريكا) سلبوا منهم قوتهم و سلطتهم و الإله و كل شيء ". " نزع الاوربيون منهم علمهم (بفتح العين واللام) و ارضهم والههم و اسمهم — كل شيء ". والغير متوقع نظرا لمحدوديه" خلفيه" درو التثقيفيه" (التحصيليه" و محدوديه" خلفيه" اتباعه الفقراء كذلك قدرته ، بتكراره لجمل ترد فيها اسماء علم كمثل " اوربيين " بالنسبه" الى بيض امريكا ، اثارة وعي بصراع بين حضارتين متعاديتين اي الشرق (الاسلام) و اوربا : وعي يرتفع بعض الشيء فوق امريكيه" او محليه" القضايا الحقيقيه" التي اشرنا اليها. كي يسترد القدرة على

العيش بكرامة و حرية و توفيق ، لابد للانسان الأسود فى شمال امريكا اذا من ان يتلخص من حضارة " الأوروبيتن " — البيض فى امريكا — و دينهم النصراني و ان يعود الى اصالة الآسيوية الاسلامية.

بعض المصادر الامريكية لعقائد هيكل علوم المغاربة

"The Moorish Science Temple and its Koran"
("Christian Elements in) Frank T. Simpson فرانك ت. سيمبسون

في مجلة ذى مسلم وورلد يناير - ابريل Negro Muslim Religiens Beliefs ١٩٤٧ ص ٥٦-٦١، ابى وايت Abbi Whyte فى مجلة فايلن (٤) ٢٥ ١٩٦٤ ص ٣٨٢-٣٨٨) كشفتا كثيرا من الغموض الذى طالما أحاط بتعاليم الطائفة و مصادرها نتيجة لسرية الطائفة الشديدة مصادر كثيرة من المضمون الرسمي للتعاليم صميمة الامريكية اكتشف العالمان النصرانيان دانكن بلاك مقدونالد و فرانك ت. سيمبسون أن النبيل درو على كتب تسعة عشر بابا من الـ ٤٨ بابا التى تشكل قرآنه المقدس Moorish Science Temple Koran على اساس انجيل ثيوسوفى Theosophical عن تعاليم و افعال خيالية عيسى فى اول رجولته ابان اسفاره المزعومة فى الهند و اماكن اخرى للعالم القديم قبل توليه دور نبوته فى ارض فلسطين. الموارد الدينية الامريكية المحلية التى صبغت تعاليم طائفة درو على كظاهرة عقيدية ، اذا ، الـTranscendentalism الامريكية. كأن تأليف هذا الانجيل التصوفى الثيوسوفى الموضوع كان بقلم السيدة ايفاس. دا ولينغ Eva S. Dowling و ان كتب مقدمة لطبعة ١٩٠٨ المنشورة فى الولايات المتحدة نائب وايومينغ السابق فى الكونغرس الامريكى هنرى ا. كوفين Henry A. Coffeen يصل ابى وايت الى استنتاج

أن النبيل درو على استمد اكثر من نصف قرآنه المقدس من كتيب The Aquarian Gospel of Jesus The Christ هذا ، بواسطة مايسميه وايت " الانتحال ،، Plagiarism رغم أن السياق الاقتصادى الاجتماعى الامريكى – الوضع الملموس الذى واجهه السود فى الشمال — هو الاكثر اهمية فى تعليل حركة درو على ، اذاً ، نستطيع أن نشخص تأثيرا معينا من بعض الاتجاهات الصوفية ، الدينية المتطرفة التى اعتملت على هامش الحياة الدينية النصرانية الامريكية او خرجت عليها منذ ثلاثينات القرن التاسع عشر . وهى كما دناه :

(١) أفكار تصوفية عن وحدة بين الله و الانسان او تعبير الله عن نفسه من خلال الانسان– ما يسميه ابى وايت (ص ٣٨٢) " فكرات تصوفية شاعت فى ترانسندنتالية القرن التاسع عشر ،، فى ولاية انكلتـــرا الجديدة – امرسن ، ثور والخ — و وجدت تعبيرها فى ديانات منظمة من امثال طائفة العلوم المسيحية Christian Science . تعاليم طائفة ال Christian Science والثيوسوفية اساس ال Aquarian Gospel of Jesus the Christ الذى استمد منه النبيل درو على بعض الجمل والافكار هى صالحة للاستعمال لفصم رابطة النصرانية المشتركة بين السود و بيض امريكا.

(٢) تشدد كتابات حركة الثيوسوفية التى اسسها السيدة بلافاتسكى فى الولايات المتحدة عام ١٨٧٥ ليس وحدة الوجود بين الله و مخلوقه الانسان فقط بل على الحياة كاستمرارية لانهاية

لها ، متبنيه فكرات دينيه من اديان الهند كالهندوسيه من نوع تقمص روح الفرد الصالح بعد وفاته في شخص آخر . سوف نرى أن بعد وفاة النبيل درو على ادعى قواد الطائفه من هياكلهم المنفصله تقمص روح النبيل درو على فيهم. تقليل طائفه درو على من اهميه الموت قد ينبع من فكرة استمرايه الوجود الانساني هذه. كما ان احترام درو على لمؤسس اديان افرو آسيا كمثل بودها (و لكن ايضا كونفوسيوس) انبياء من "انبياء الاسلام"، قد يكون نبع من الاطلاع على كتابات ثيوسوفيه المتاثرة بديانات " الشرق " .

(٣) طائفه ال Christian Science بمثاليتها التصوفيه انكرت واقع عالم المادة والظاهرات. انكرت ان السيد المسيح "يسوع" قدم كفارة Vicarious atonement عن آثام العالم: فقد دل البشريه على الطريق المؤديه الى الخلاص. كانت طائفه مغاربه امريكا تنكر الاهيه المسيح — خطوة اضافيه الى الامام . كانت طائفه درو تشفى المرضى من خلال الايمان مثل طائفه ال Christian Science قبلها.

(٤) يلاحظ ان كار ليل انصف النبى العربى محمد (ص) و ان تلميذه رلف ولدو امرسن استجاب وجدانيا في ولايه انكلترا الجديدة للشعر الصوفي الاسلامي الايراني، اما الثيوسوفيه فكانت باسانها تقبل وجود حق ديني وراء رسالة محمد قبولا عارضا رغم ان ارتباطها الحقيقي مع الهندوسيه، مباشرة

او مداورة كانت افكار من الهامش الفكرى للحياة الدينيه" الامريكيه" تمجد ديانات الشرق و من بينها الاسلام فى متناول النبيل درو على حين تاسيسه لديانته الجديدة على تراب قارة شمال امريكا بين عامى ١٩١٢ - ١٩٢٥ م.

و لكن ، ان كانت اتخذت طائفه" النبيل درو على من امريكا البيضاء ض المواد العقيديه" هى بعيدة جدا من الدائرة العاديه" للديانه" مريكيه" السوداء، نجد أنها فى ذلك التبنى انما كانت تعبر عن أصاله" داء اميركيه" حقيقيه". فعبأ النبيل درو على هذه المواد المستعارة ريبه" عن بيئته الامريكيه" الزنجيه" المباشرة لاهداف جديدة لتها غير ما كانت فى سياقها الابيض الاصلى : كعنصر فى ديانه" يه" تمكن سود مدن الشمال من تنفيذ تكيف جديد ازاء الأمه" الامريكيه" يضاء، تمكنهم من تحقيق انفعال دينى نهائى من حظيرة مجموعه" الدين صرانى التى كان بيض امريكا متسلطين عليها ، تمكن السود من مواجهه" ديات الحياة فى الشمال بنجاح ، و تخلق هناك مجتمعا اسود متماسكا يدا يستطيع البقاء فى تركيب الرأسماليه" الامريكيه"، رغم انه لم ن ممكنا من الوضع الثقافى والفكرى الذى نشأت طائفه" مغاربه" شمال ريكا داخله الاطلاع على تعاليم الاسلام الصحيح الممارس فى بلدان يقيا و آسيا أمكن اتباع الطائفه" باستعمال مواد من صميم امريكا ضاء الانفصال العقيدى من النصرانيه" و الارتباط النفسانى بافريقيا سيا ككيان عام و على وجه الخصوص بالعالم الاسلامى فيه و بعض ظاهر الصوريه" للاسلام و عالمه التى صادفت السود من خلال

الثقافه" الاميركيه" العامه". من هذه الناحيه" اشارهيكل علوم مغاربه" اميركا الى تطورات في ديانه" سود الولايات المتحدة جاءت فيما بعد، في المستقبل، و سارت بفئه" ذات حجم من الزنوج الساكنين للاحياء الشعبيه" لمدن شمال الولايات المتحدة الى الدخول في الاسلام الصحيح.

تأكيد ارتباط السود الامريكان بعالم الشرق والاسلام دينيا

كما سنرى، بقي تاثير الاسلام الصحيح في تعليم درو علي و اخلافه هامشيا و ثانويا. كان اكثر اهميه" تاكيد اتباع هياكل مغاربه" امريكا للاسلام يكون في دفعه اياهم في متابعه" ارتباط نفساني بالعالم الافريقي الآسيوى المتمثل في اقسامه العربيه" و التركيه" الاسلاميه". طبعا، قد تبدو محاولات الطائفه" تحديد صورة ملموسه" لمعالم شخصيه" افريقيا و آسيا الاسلاميه" و من ثم استردادها و ادخالها في النفس (استيعابها على تراب امريكا) سطحيه" و صوريه"، اتخذت محاولات طائفه" درو تاكيد انتماء سود امريكا الى وطنين في آن واحد، وطنهم الجغرافي المباشر و وطنهم الآسيوى الاصلي في المغرب طريقه" اعتماد أسام و رموز — اهميه" الاسماء عندهم — تفوح منها رائحه" الصحيفه" الامريكيه" الشعبيه". فواجب على كل عضو مثلا الحاق حرف ال . . El ،الذى أعطوه نطق ايل (ا) ، بسمه" و احيانا للتكريم لقب بيك Bey . كان لابد لكل عضو ذكر من أن يلبس طربوشا احمر في كل ساعات يقظته ليلا و نهارا، في الهواء الطلق او تحت سقف بيت على حد السواء. كان لبعض أئمه" هياكل الطائفه" لقب شيخ Sheik مما يدل على معرفه" معينه ببعض الرتب الدينيه" في الشرق العربي. اكدت الطائفه" الانتماء الى اسلام مسلمي افريقيا

و آسيا المعروفين المتمركز فى مكة" المكرمة" فيبدو ان طبع فى طبعة" من " القرآن المقدس " الذى الفه درو على صورة لابن سعود بعد استيلائه على الحجاز مع بعض التحريف لاسمه على انه حارس مدينة" مكة" المكرمة" " المقدسة" " :-

(كان يطلب درو لفظيا من كل اتباعه أن ينفذوا قوانين مكة" المقدسة" فى حياتهم اليوميه")

اسهام هياكل مغاربه" درو على الرئيسى فى تشييد علاقة" حقيقيه" بين الامريكيين الافارقه" ترويجه لبعض سطحيات الثقافه" الاسلاميه" العربيه" بين أتباعه تكون ، رغم سطحيتها ، علامه" بارزة فى حياتهم اليوميه" : الحاق سابقات الـ . . . امام اسام صميمه" او لبس طرابيش مرئيه" فى الشوراع الامريكيه" و ألقاب من نوع بيك او شيخ : و نشره لمعرفه" بأعلام جغرافيه" العالم الاسلامى الرئيسيه" بينهم . كل هذا خلق ايمانا او اقتناعا عميقا و صادقا بين اتباعه السود فى تلك المدن الشماليه" المعاديه" لهم انهم قد اعادوا فعلا علاقه" حقيقيه" بعالم الآسلام الاسيوى الممتد عبر طول شمال افريقيا :

أنهم قد اصبحوا أعضاء فعالين مرة اخرى بالغربه" فى الامه" المغربيه" المسلمه" المتمركزة هناك ، انهم قد دخلوا فى طور استرداد دينهم و ثقافتهم المغربيين الدوليين المفقودين فى عصر العبوديه" . الا أنه ، لكى تكون هذا الشعور الذاتى بانتماء الى كيان دولى علاقه" حقيقيه" بين فريقين كان لابد من ان تكون متبادله" بصورة تمكن المدعين السود " الآسيويين " للاسلام فى الولايات المتحدة من تبنى او استرداد

أشكال من الفكر الديني والثقافه الدينيه رائجه في الوطن الاسلامى الاول عبر المحيط بدلا من تاكيد لفظى لعلاقه من طرف واحد كان لا بد من اتصال ملموس بالامه الاسيويه المسلمه في الوطن الاول تلعب ابانه دور اسوة للمدعين للاسلام في الولايات المتحدة في اعادة بنائهم للشخصيه التى قد خسروها ، بدون تطابق العقائد والممارسات الدينيه بين الطرفين ، لم تكن علاقه حقيقيه قد اعيدت ابدا. ثمه بعض الاقوال ، اغلب الظن انها اسطوريه ، تعترف ضمنيا بضرورة عمليه اتصال مباشر بمغاربه الوطن الاول الذين قد احتفظوا باسلامهم سالما بخلاف آسيويى الولايات المتحدة (=سودها) ، و بضرورة اعادة استلام أو تبن لدين الاسلام كما مارسوه من ايديهم رأسا الا أن اتصالا مباشرا فعالا بين مدعى الاسلام في الولايات المتحدة بمسلمى افريقيا و آسيا الذين قد احتفظوا باسلامهم سالما لم يتجسد. بقيت السا بقات و الالقاب و الطرابيش العربيه البارزة الملفته و لكن السطحيه فكريا أقصى حد من عناصر ثقافيه من عالم الاسلام أمكن درو واتباعه استيعابها مرد ذلك الى ان نبيل درو على ذلك الاسود من أرياف جنوب الولايات المتحدة المخلص و لكن الساذج و القليل التربيه ، قد اعلن نفسه في انتشائه الاول حين اكتشافه لآفاق الفلسفات الشرقيه الجديدة نبيا او اعلنه اتباعه نبيا فكان معنى ادعاء هذا لاتصال مباشر من خلال الوحى بالله و بالمعرفه الالهيه أن لم تكن ضرورة للاتصال بالوطن المغربى المفقود لمعرفه ما هى عقائد و طقوس دينه الاسلامى : استطاع درو على معرفه ما هوا اسلام الوطن مباشرة ، بدون حاجه الى أسوة اجنبيه ، بواسطه الوحى الرأسى من الله. هكذا وردت

اسماء بلدان و مدن العالم الاسلامى فى مواعظه و تعاليمه و لكن كمواقع لقصص اساطير عنصريه لم تمت الى التاريخيه او الاسلام المعروف فى شئ استمد بعضها درو من كتاب اليهود و النصارى المقدس،

كى تكون علاقه عقيديه بين جماعتين دوليتين واقعا ، فلا بد من أن تكون متبادله ، و ليست علاقه من جهه واحدة فقط. شعرت طائفه درو على نفسها بالحاجه الى تاكيد اتصال فعلى ، عملى ، اكثر من الصله الواحدة الجانب المؤكدة من طرف جهه واحدة — و هذا الشعور بضرورة اتصال ملموس بالامه الآسيويه فى الوطن الاصلى عبر عنه بعض الاقوال ، اغلب الظن انها أسطوريه ، كمثل القول او الشائعه أن النبيل درو على زار شمال افريقيا ، ذلك الوطن الاول (للامريكيين الافارقه) و أنه قابل هنالك ملك المملكه المغربيه الذى اعطاه تكليفا "a Commission" لتعليم زنوج امريكا دين الاسلام. من البين ، رغم القوميه العرقيه التى صبغت كل نواحى حركته الدينيه ، ان تكون الناحيه الدينيه البحته حاسمه ههنا، بمعنى ان اى قبول من طرف مسلمى شمال افريقيا او الشرق الاوسط لاتباع درو على كأشقاء حقيقيين لابد من ان ان يرتكز على صحه اسلامهم. و ان قصه التقاء النبيل درو على مع سلطان او ملك المملكه المغربيه لكى يحصل على تكليف Commisson منه يخوله حق دعوة " الآسيويين " (= الامريكين الافارقه) الى العودة الى الاسلام من جديد ، تدل كذلك على اعتراف نظرى من درو على او بعض اتباعه بدورهم ، بسلطان مسلمى الشرق فى تحديد مشروعيه (اى صحه اسلام) أى مدع لحق نشر الاسلام فى الولايات المتحدة

و بأن لرئيس مسلمي شمال افريقيا الحكم في ذلك ، على اى حال ع
مستوى القصص الرمزى او الاسطورى ، والى حد معين ، رغم اد
النبيل درو على اتصالا مباشرا بارادة الله بصفته متنبئا. المهم انه
تعوز الناحيه الغيبيه و الدينيه البحته و على وجه الخصوص درج
توازى عقائد و عبادات و "طقوس" ديانه هيكل علوم مغاربه
امريكا التى اكد اتباع الطائفه "اسلاميتها" اهميه ممكنه في تحد
مدى فعاليه البعد أو الامتداد الدولى لمضمون القوميه العرقيه لنشاط
الطائفه.

و لكن ، ماذا كان مدى التوازى بين ديانه الهيكل (بما فيها رسومه
و بين الاسلام الصحيح ؟

كأن اتباع درو على اعتقدوا ان " نبيهم " قد حقق فعلا اعا
ادخالهم في جماعه اسلام العالميه دينيا. اعلن النبيل درو على
بطاقه " الجنسيه " و "الهويه" التى اعطى كل عضو جديد داخ
في الطائفه اياها أن "أوكد ههنا انك مسلم حسب القوانين الالهي
التى للقرآن المجيد ، قرآن مكه المكرمه ".

الواقع ان تصور درو و اتباعه لعالم الاسلام عبر البحار لم يتجا
تماما تلك المحليه الامريكيه الشديدة التى ميزت كذلك ، مثلا
حركه المسلمين السود لفترة عقود (عشريات) قبل دخولهم في الاس
الصحيح فيما بعد : فكان مذهب درو على محاوله انبثقت من داخل البيئ
الاميريكيه لتقديم حل شاف حاسم للمسأله القوميه المحليه الت

طرحتها تلك البيئة" و ان استعملت لغة" و معايير دينية" تقدم اشارات الى اسلام متمركز في بلدان افريقا و آسيا. كانت ديانة" النبيل درو على مثلا على صعيد الفكر من أمثال ظاهرة اوضاع امريكية" تتوسع و تنطلق خارجة" من الاطار الامريكي المباشر لتشكل رؤيا للعالم الاوسع اكثر منها نتيجة" تفاعل عناصر ثقفية" آسيوية" او "اسلامية" تدخل الولايات المتحدة من الخارج مع عناصر محلية" باقدار متساوية" . ان عدم جسامة" العناصر الاسلامية" الصميمة" و اخضاعها اخضاعا عاسفا لاعتبارات السياق الامريكي المانع لها من اكتساب طابع مستقل او قائم بذاته بينان في نقطتين. اولاهما تناول الحركة" لاسم الاسلام فقط من وجهة" نظر مصالح و خلاص السود: هذا ما نراه في بطاقات الجنسية" التي كان يوزعها درو على على كل داخل جديد في عضوية" طائفته — بطاقات جنسية" اكدت أن المهتدى الجديد سوف يكسب بواسطة" اعتناقه لقوانين قرآن مكة" المقدسة" "المحبة" والسلام و الحرية" و العدالة"، اوضاع و فضائل ندرت احيانا من طرف المواطنين البيض في مدن شمال الولايات المتحدة في تلك الفترة ، كما ان البطاقات كانت تحمل باعلاها رمزي النجمة" و الهلال و تحتهما كلمة" الاسلام و كلمة" الوحدة فوق ايد متصافحة" و رقم ٧ في دائرة تحته اسم " Allah "، : مما يدل دلالة" بليغة" على امريكية" و زنجية" السياق الذي تمعن درو واتباعه فيه الاسلام: الاسلام كوسيلة" لتوحيد صفوف اسود و تحقيق المساواة والكرامة لهم. النقطة" الثانية" أن العلاقة" المؤكدة فعلا علاقة" مع عموم آسيا و افريقيا و ليست مع الاسلام فحسب ، كما هو بين مثلا في اعتراف درو

على بكونفوشيوس وزرا دشت و بودها كانبياء من انبياء الله الى جانب محمد و عيسى ، و تشبيهه نفسه بهم : كانت تجتذبه آسيا و ادیانها ككل و ككيان عام و ليس الاسلام و عالمه فقط ، كانت تجذبه فى آسيا روح مساواة ادیانها عنصريا و ايضا تمثيل مدين شديد الاسطوريه العامل الذى اجتذبت افريقيا به غارفى : افريقيا و آسيا كمركز قوة او سلطه على حدة من العالم الغربى النصرانى الابيض المتمثل ، مثلا ، فى الولايات المتحدة : تمجيد " اعلام "، و " سلطه " ، المغاربه قبل استعباد البيض لهم و عظمه مصر ک " عاصمه "، (!) الفائقه عظمه و اشنغتون كعاصمه .

هامشيه الاسلام الصحيح فى ديانه درو بينه من ابسط مظاهر عبادات الطائفه او بالاحرى الطوائف نظرا لانشقاق حركه درو على بعد وفاته . فاسم امكنه عبادتها لم يكن " مساجد "، بل " هياكل "، و مع أن " خدمه "، الهيكل (اى صلاة جماعته) كان بيوم الجمعه كما فى الاسلام و كان المصلون يولون وجوهم طرف المشرق أى الى مكه المكرمه ، الا أن عبارات و حركات الصلاة لم تنتم الى صلوات الاسلام العربيه فى شئ . حين الخدمه كان الاعضاء يجلسون على كراسى و يغنون انغام ترخيمات روحيه زنجيه نصرانيه معروفه و لكن مع تبديل كلماتها كى توافق تعاليم هيكل مغاربه امريكا و تاكيدهم للاسلام : فجمله " أعطنى تلك الديانه الاصليه العتيقه "، give me that old time religion تعدل فى " الاسلام هى تلك الديانه الاصيله العتيقه "، Islam is that old time religion رغم تاكيدها الاسلام ابدت الطائفه كثيرا

من الآثار المذهبيه او الثقافيه المتبقيه للنصرانيه ، بما فيها المكانه العاليه التى أنا طتها بشخص يسوع ، النبى الكنعانى الذى قتله الرومانيون البيض ، بالاضافه الى تاكيدها لنبوة درو على ، وضعت الطائفه نفسها خارج حظيرة الاسلام بعقائد دينيه غريبه اخرى ، من نوع ابرازها لعقيدة التقمص ، مثلا.

كمحاوله لتحقيق وصل بين شعوب العالم الاسلامى العربى و سود اميركا من خلال اعادة للدين الاسلامى بين الاخيرين ، فشلت طائفه هياكل علوم مغاربه اميركا باى مقاييس موضوعيه ، الا انه يجدر بنا الا نغفل عن و قعها السلبى كاداة لتحقيق انفصال عدد لا باس به من اميركيين افارقه مدنيين من حضارة اميركا البيضاء و على الخصوص من دين النصرانيه نفسيانيا، بتحقيقها هذا الانفضام التام الذى لا رجعه فيه لاتباعها من النصرانيه ، مددت الطائفه تمديدا متطرفا و حاسما اتجاهات وجدت على نطاق اوسع فى صفوف اتباع غارفى الذين كانوا يتذمرون بدورهم فى العشرينات من دور النصرانيه كالمحور الثقافى الرئيسى الجامع للبيض الغربيين و السود معا فى جماعه انسانيه مشتركه بفصمها لوشيجه دين مشترك فصما حاسما لارجعه فيه من خلال تاكيدها Innateness " اسلام "، السود ، سددت طائفه درو على ضربه معنويه قويه الى امكانيه ايه جماعه قوميه مشتركه فى المستقبل بين بيض و سود ، فبهذا المعنى ، رغم تجنب درو على السياسه ، تستحق حركته ان توزن فى نفس الميزان مع حركات قوميه سوداء صريحه السياسه من نوع حركه غارفى.

رغم احتفاظها بعناصر نصرانيه" دينيه" جاءتها من خلال البيئه" الزنجيه" العامه" و من خلال استخدام قرآنها المقدس لمواد Aquarian Gospel ليفي اداولينغ نجد ان انفصال طائفه" مغاربه" امريكا من حظيرة الايمان النصراني حاسم لارجعه" فيه ، فليس يسوع او عيسى اقنوما من اقانيم الله او ابن الله. فيصرح كتاب الطائفه" للتهذيب الديني Catchism ان "كان يسوع نبيا من انبياء الله ،، ففي قرآن هيكل مغاربه" امريكا كذلك منظرا اسطوريا يدل بما لايترك مجالا لاى ابهام ان المسيح عيسى بن مريم بشرى بحت: يحاول بعض الناس عبادته و لكنه ينهرهم قائلا "انا اخوكم في البشريه" جئت فقط كي ادلكم على الطريق التي تؤدي الى الله: لا تعبدوا ابن البشر بل احمدوا الله القدوس ،، يربط ابى وايت Abbie Whyte هذا الرفض لاساس الايمان النصراني في كل من طائفه" هيكل مغاربه" امريكا و طائفه" المسلمين السود فيما بعد بمصدرين منفصلين. او لا ، " هذه الفكرة حول يسوع جزء من تعاليم الاسلام الارتوذكسي ،، (= الاسلام الصحيح): و ثانيا ، انجيل الثيوسوفي ليفي داولينغ. (ابى وايت في بايلون المجلد الخامس والعشرين ، رقم ٤ ، ١٩٦٤ ص ٣٨٨).

مهما كانت كيفيه" تقييمنا لطائفه" النبيل درو علي من ناحيه" البعد الاولى او الاساسى — اى باعتبارها حركه" انبثقت من داخل البيئه" الامريكيه" التي كانت طائفه" درو ردة فعل امام تحدى بعض ظروفها القاسيه" هروبيه" كانت تلك الردة او مواجهه" محوله" — الا اننا لن نجد ، مثلنا في ذلك مثل حتى محللين لا يهتمون اهتماما خاصا بتطور علاقه"

الامريكيين الافارقه" مع عالم العروبه" والاسلام ، محيصا من ان نلاحظ وظيفه" ظاهرة تاكيد استرجاع صله" بالعالم الاسلامى والمغرب على وجه الخصوص كأداة لتحقيق الانفصال النفسانى عن امريكا البيضاء.
أنتجت ظروف امريكيه" حركه" درو على و حتى عناصر فى ثقافه" امريكا الانكلوساكسونيه" النصرانيه" ، الى حد بعيد : و لكن ، رغم ان الطائفه" بقيت ظاهرة امريكيه" صميمه" بالأكثر ثقافيا و دينيا ، الا ان ظروف امريكا الخاصه" عند الزنوج دفعت درو على واتباعه بعيدين عن تاكيدات مركزيه" لكيان الحضارة العربيه" الامريكيه" و نحو عالم الاسلام.
قد طرح درو على اطروحه" عظيمه" رنانه" واحدة كتب لها البقاء فى تطور المشاعر القوميه" بين الامريكيين الافارقه" فى القرن العشرين — الاوهى اطروحه" ان الاسلام و عالم الاسلام لا يشوبهما العنجهيه" العنصريه" وان اقامه" السود لعلاقه" معهما قضيه" مصيريه" بالنسبه" للسود الامريكان.

علاقه الأمريكيين الافارقة بعالم الاسلام
فى التاريخ الماضى والمعاصر

تفسر ديانه المسلمين السود الأصليه التى اعلنها فردواليجا فى عقد الثلاثينات باكثرها بأنها رد اسود على فكرة تفوق وسلطه البيض (المرتبطه بالتلميح الى تدرن أو حيوانيه السود) التى كانت تطغى على اقليه السود فى امريكا من كل جانب من خلال الثقافه العامه .

راينا ان هذا الرد على عنصريه الاكثريه البيضاء من طرف سود عماليين او مدينيين باطلين كانوا منذ وقت قصير فلاحين فى ارياف الجنوب لم يكن علميا او وقائعيا بل اعتمد على بناء الأساطير مستعملا مواد من تجربه الديانه الامريكيه . بل بعض جوانب ديانه المسلمين السود الاصليه عكس مشوه لهذه التجربه الدينيه الامريكيه، المسيحيه — اليهوديه اساسيا .

(١) <u>تأليه البشر:</u> آمنت النصرانيه فى أمريكا كما فى باقى العالم ان الله تجسد شخص رجل . ولد الله رجلا بشرا لتخليص الانسانيه الساقطه، فى اسطوريه النصرانيه البيضاء، من خلال عنائه المبرح ابان التصليب الذى عاد من بعده الى السماء . سوف يعود "يسوع" — الاله فى الايام الأخيرة للعالم كى يدين (يحكم على) العالم الزائل . اما ديانه المسلمين السود فقال ان الله قد

تجسد شخص بشري اسود، انه جاء الولايات المتحدة لتخليص السود الساقطين من خلال عناء واضطهاد البيض اياه وانه عاد الى مكه" التي هي جنه" الفردوس حسب اسطورة اليجا الا ان الاله — البشر الاسود فرد سوف يعود ليحكم على البيض الشياطين بالابادة الكامله" في هذه الايام الأخيرة التي يعيشها العالم الآن . . . .

(٢) صور الفن الديني النصراني شخص الاله المجسد المزعوم "يسوع"، كرجل ابيض أوربي الملامح اشقر الشعر. السواد صفه" للشيطان و قوى الشر حسب ثقافه" بعض النصارى في كنائسهم عبد السود المسيحيون الها مجسدا أبيض تبرز ملامحه المرئيه" في الفن الديني بعدهم عن بياض الالوهه" . كرد على اصباغ النصرانيه" هاله" الوهيه" حول بياض مضطهديهم اعوزها سواد البشرة اكدت اسطوريه" طائفه" اليجا الوهيه" السواد . تبنت الطائفه" فكرة المراسنه" (the Mormons) ان الافراد البشريين آلهه"، مؤكدة ان كل اسود له طابع الاهي فتطور الطائفه" تمديد المراسنه" لربط النصرانيه" بين الالوهيه" والبشر .

(٣) كرد على واقع ووزن سلطه" البيض بوصفهم الأكثريه" الساحقه" في الولايات المتحدة كيفت طائفه" فردواليجا صور شهداء يهوه عن اقتراب الساعه"، التي هي للقضاء

على المضطهدين البيض الشياطين.

(٤) لاجبار السود على مواجهة حالهم فى حياتهم الدنيا واتخاذ المسؤولية ازاءها، رفضت الطائفة فكرة القيامة و سعادة الآخرة الموجودة فى النصرانية التى استعملت اداة لتخدير مقاومة السود لاضطهاد اعدائهم .

بالجانب الى هذه العناصر المكيفة من تجربة الديانة الامريكية عناصر اسلامية صحيحة . تأكيد ان ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا و لكن كان مسلما، ان النصارى أو اليهود لايمثلون بمذاهبهم خط الديانة المنزلة على ابراهيم أبى الانبياء أن ديانة الله هى الاسلام و ليست النصرانية أو اليهودية أو أى اسم لايشير الى طبيعة االديانة التى انزلها الله بل الى قبيلة أو شخص فى التاريخ بعد تحريف الوحى الأصلى – او الفكرة الاخرى التى اشار اليها ملكولم، اى أن الله احد فتأكيد النصرانية ان لله ثلاثة اقانيم شرك صرف وان المسلمين هم الموحدون (the monotheists)

بالاكثر، اذا، كان المسلمون السود فى طورهم الاول يتبعون ديانة امريكية النشأة والطابع والمواد مع بعض العناصر او الحقائق الدينية الاسلامية التى سيكون مفعولها و تأثيرها الحقيقى فى المستقبل . بالاضافة الى التاكيدات الدينية المصيغة من مواد أمريكية والمؤدية لوظائف معينة فى بيئة الولايات المتحدة بالنسبة لسودها، ردت الطائفة على وزن رجاحة المضطهدين البيض بوصف عنصرهم

يشكّل اكثريه" ساحقه" من سكان الولايات المتحدة بواسطه" محاوله" اعادة ربط السود فى امريكا بالانسانيه" الداكنه" المشكله" للاكثريه" فى العالم الأوسع.

كان تأثير العربيه" والعروبه" فى اتباع الطائفه" و مواقف تضامنهم السياسيه" مع الامه" العربيه" فى نضالاتها المصيريه" فى الخمسينات والستينات تعبيرا لهذه المحاوله" لاعادة الصله" بالقطاع الاسلامى من الانسانيه" الداكنه" فى آسيا و افريقيا.

كان تأكيد الاسلام اللفظى نوعا من علم رفعه المسلمون السود لتأكيد جماعه" دوليه" بديله" لعالم البيض، الا انه جعلهم بالتدريج فى اتصالات اقرب بمسلمى آسيا و افريقيا و بالاسلام الصحيح ادت الى دخولهم فى الاسلام الصحيح فى اوائل ١٩٧٥م بعد وفاة المتنبى اليجا محمد وتولى ابنه الامام ولاص محمد لقيادة الطائفه".

مغزى البعد الثقا فى العروبى

كان من منطق اسطوريتهم الدينيه" ان يهتم المسلمون السود باللغه" العربيه" نظرا لأن سود قفر شمال امريكا ليسوا فى رايهم إلا أحفاد اولئك السود (الأصابيين) الذين أسسوا و بنوا مدينه" مكه"المكرمه" التى كانت أول مكان القوا عصى الترحال فيه. فجزيرة العرب أول موطن لسود امريكا على هذه المعمورة رغم أنهم انتقلوا فيما بعد الى ادخال افريقيا التى اختطفهم منها النخاسون البيض. اناللغه" العربيه" بهذا الاعتبار لغه" السود القوميه" الأصليه" التى سلبها منهم مختطفوهم

البيض . فقد اختار المسلمون السود اتخاذ اللغة العربية رمزا ثقافيا من الرموز الدالة على ثورتهم المعنوية على البيئة الامريكية التى ركبها الاكثرية البيضاء و على انفصالهم النفسانى منها .

يهمنا تحليل البعد العروبى لثورتهم القومية على سلبيات امريكا لأن مدى ودرجة نجاح تحقيقهم لارتباط لغوى بعالم العرب سيدلنا بلاريب دلالة واضحة على مدى جدية محاولتهم الاسلامية و بذلك على حدود و مدى امريكيتهم الثقافية المتبقية . و من الحكمة فى هذا الصدد التمييز بين مدى التأكيد اللفظى النظرى و مستوى الترويج العملى او الاقامة الفعلية للغة العربية التى اعلنوا عزمهم على (استردادها) .

من أول وصوله فى ديترويت بين السود المعانين بطالة وضنك الكساد العظيم فى عام ١٩٣٠، كان ينتقص (المسيح) و (النبى) و . د . فرد من شأن اللغة الانكليزية فنجده — بصفته اخاهم الذى قد وصل من وطنهم الاصلى المفقود فى (الشرق) أى مكة المقدسة — يعين خسارتهم عربية اجدادهم الأصلية بأنها من اهم أبعاد فصل الشياطين البيض اياهم من أمتهم الاصلية . قد مضت ٣٧٩ سنة على جلب تاجر الأرقاء لـ (عمه) الى قفر امريكا (العم اصطلاح رمزى للأمة الامريكية الآسيوية التى تربطها رابطة الدم بالمكى القرشى المحمدى فرد) فالآن ”لايستطيع عمى التكلم بلغته الحقيقية لايعرف أنه عمى،، . فابتعاد عقائد مركزية لحركة المسلمين السود فى مراحلها الأولى عن عقائد الاسلام كما يعرفه ابناؤه فى افريقيا

و آسيا بعد المسافه" الجغرافيه" الشاسعه" الفاصله" لسود قارة امريكا من عالم العروبه" والاسلام لاينفى أهميه" و واقع . شعور التغرب (الاستلاب) هذا عن الثقافه" الامريكيه" حتى على مستوى اللغه" او نماء عنصر عروبى ثقافى حقيقى في ثقافتهم الدينيه" والعامه" و حّدهم توحيدا نفسانيا قويا بوطن الاسلام، حتى انه وجد تعبيرا لغويا معينا .

فكانت الطائفه" في كل مراحلها تضع اللغه" العربيه" موضعا عاليامن الاكبار جعلها تقع في قلب الاطار الدينى الفكرى العقائدى الذى للحركه" وجعلها مركزيه" كذلك في اطار تحديد هويه" الرجل الاسود الامريكى قوميا و دوليا . من قبيل هذه الاشارة باللغه" العربيه" كعلامه" من علامات شخصيه" السود على مستوى النظريه" والفكرة و ليس التنفيذ او الممارسه" بالضرورة فقرة سجلها اسين اودم من خطاب اليجا محمد بملواكى، بولايه" و سكونسن الذى القاه ب ١٨ يناير ١٩٥٩، و الذى شرح فيه لزوار سود نصارى حضروا احد (خدمات) هيكل من هياكله استعمال تحايا عربيه" في خدمه" أو صلاة الهيكل.

"عساكم كنتم سمعتم الناس يقولون (السلام عليكم) و يشيرون الى الاله الذى اسمه allah. دعونى اطلعكم على ما كنتم تستمعون اليه منذ قليل . معنى (السلام عليكم) السلام لكم يا ايها الاخوان والاخوات باللغه" العربيه" As-Salamu Alykum means peace to you brothers and sisters in the Arabic language. عساكم تعترضون انه يمكننى ان اقول peace فقط . كلا، في عالم الاسلام لامندوحه" لاى مسلم ان يحيى المسلم الآخر بلغته هو ولهذا

السبب نستعمل عبارة السلام عليكم (بالعربيه"). تلك هى اللغه" العربيه"، اللغه" الأم بالنسبه" لكل الناس. العربيه" هى أم كل اللغات. ان كل اللغات الأخرى اتت بعدها والحقيقه" فى صدد هذه اللغه" أنها الأولى — والأخيرة. انها أنقى اللغات وأجملها ولها أجمل حروف درستموها طول حياتكم. هى احسن اللغات، خلاص. لا اقول هذا لانى مسلم. العربيه" هى الأحسن،،. على مستوى التأكيد المبدئى اذا، شغلت اللغه" العربيه" مكانا مركزيا فى عقائديه" المسلمين السود الدينيه" — القوميه". والملحوظ أن مكانه" العربيه" فى نظرة اليجا للعالم والكون لم يختلف كثيرا عن مكانتها فى فكر الاسلاميين التقليديين دينيا و ثقافيا فى بلدان آسيا و افريقيا الاسلاميه" الديانه" التى لا يتكلم سكانها باللغه" العربيه" فى حياتها اليوميه". التفضيل للغه" الطقوس الدينيه" على لغه" الحياة اليوميه"، وان اختلف وضع المسلمين السود عقائديا اذ كانوا يرفضون انكليزيتهم اليوميه" لأنها فرضت عليهم فرضا ولأنها غريبه" عنهم قوميا لايتكلمون بها الابطريقه" مشوشه"، فى حين أن قومى باكستان او بنغلاديش او اندونيسيا يمكنهم تأكيد لغه" الحياة العامه" داخل اطار عقائديه" القوميه" بطريقه" لايمكن قوميين سودا انفصاليين تأكيد لغاتهم اليوميه" الأوربيه" الأصل.

يلاحظ كذلك من خطاب اليجا ان من أهم الدوافع الحافزة الى استعمال هذه اللغه" انها همزة الوصل بين سود امريكا و عالم افريقيا و آسيا الاسيوى الذى اختطفوا منه، اى انها ليست لغه" دينيه" طقسيه" فحسب بل واسطه" للتناجى communicate مع جماعه"

من البشر على الساحة العالمية ينتمي اليها السود القاطنون فى الولايات المتحدة .

الا ان تأكيد ارتباط بالعربية على المسطح المبدئى شئ، و وضع تلك اللغة الصعبة فى متناول سود امريكيين كانوا يعانون كل وطأة التخلف الاقتصادى و الثقافى من خلال التربية شئ آخر . ماذا كان مدى نجاح حركة المسلمين السود فى محاولة نشرها على مستوى التنفيذ الماما عمليا بالضاد بين الاتباع و ماذا كان المكان الدقيق الذى اصبحت اللغة العربية تشغله فى تركيب حياتهم الثقافيه القوميه ؟

نتناوله اولا، محاولة الطائفة نشر اللغة بين الاتباع من خلال التدريس . لاحظنا ان المسلمين السود اعتبروا اللغة العربية لغة السود الأصلية التى تكلموا بها فى حياتهم اليومية قبل ان استعبدهم الرجل الأبيض وحملهم كأسرى مقيدين عبر الأطلسى الى حياة العبودية فى الولايات المتحدة . و من هذا المنطلق قد حاولت الحركة بانتظام — داخل حدود امكانياتها — بعث اللغة العربية بين اتباعها . فوسيلتها الرئيسية هنا مدارس الحركة الخاصة (النهارية) التى أسست عند نشأة او طفولة طائفة المسلمين السود نفسها، والتى شكلت حتى السبعينات نظام المدارس الخاصة الوحيد الذى قد قدمه اى مجموعة من قوميين سود بين الامريكيين الافارقة بديلا لنظام المدارس الحكومية الامريكية فمن هذه الناحية تعتبر ظاهرة ذات مغزى رغم صغر حجم المدارس الداخلة فى شبكة النظام التربوى الخاص

للاسلام الاسود . قد فتحت امة الاسلام السوداء اول مدرسة خاصة لها، التي لقبتها بشئ من المبالغة او التفاؤل ''جامعة الاسلام،، في ديترويت في ١٩٣٢، والثانية في شيكاغو في ١٩٣٤، فتدريجيا اقامت مدارس الحركة الخاصة هذه اللغة العربية كعنصر ثقافي حي بين أتباعها . سجلت ,,النيويورك تيمز،، (عدد ٢٥ أغسطس ١٩٧٠، مقتطف في لنكولن ص ١٣٣) ان مدرسة شابة في احدى هذه المدارس كانت تلقي اوامرها على فصل طلبة احدى هذه المدارس باللغة العربية —

تعجب الصحفي بعض الشئ، بالاضافة الى استعمال العربية داخل الفصل للاوامر، من النظام او الانضباط الشبه عسكريين الذين سادا الطلبة الهادئين اللابسين للبذلات والقمصان البيضاء وورداتالاعناق bow-ties أو اربطة الاعناق الوترية string-ties و الملحوظ أن استخدام العربية بهذه الطريقة النشيطة (الفعالة) كأداة للتبادل اللفظي بين المدرسين والاطفال و لاعمال الفصل ليس عاديا في البلدان الاسيوية الافريقية الغير عربية العتيقة في اسلامها التي لاتعلم العربية فيها، حتى مدارسها الاسلامية، كلغة حية للكلام بين الناس بل من خلال نصوص تحفظ عن ظهر قلب، و أحيانا بدون شرح معاني مفرداتها او نحوها .

والواقع ان تعليم اللغة العربية بصفتها (اللغة القومية) التي تستردها الأمة السوداء في قارة شمال امريكا او كما وصفها ملكولم ''لغة الانسان الاسود الأصلية،، كان يجرى من الفصل الثالث فصاعدا

في مدرستي الطائفه في شيكاغو و ديترويت عند اوائل الستينات (سيرة ملكولم الذاتيه ص ٣٦٨) و قد كانت تستخدم طائفه المسلمين السود من تاريخ مبكر جدا اساتذة عربا مسلمين شرقيين من بلدان افريقيا و آسيا في مدارسها الخاصه هذه . انه قد شغل اثنان من هؤلاء المسلمين العرب من افريقيا و آسيا العاملين في سلك تدريس الطائفه منصب ناظر مدرسه في شبكه مدارسها : اى الشيخ جميل دياب الذى جاء الولايات المتحدة في ١٩٤٨ , فتعاون مع اليجا محمد كناظر جامعه اسلاميه بشيكاغو — وهي كما قلنا مدرسه ابتدائيه و ثانويه مزدوجه — لمدة بضع سنوات ''يعلم اللغه العربيه (فيها)،، (لنكولن ص ٢٨) آسيين — اودم ص ٣١٩) و مصريا ما اضطلع بدور ناظر نفس المدرسه حوالى اواخر الخمسينات (لنكولن ص ٢٨، اسيين اودم) لم يعوز مدارس حركه" المسلمين السود، اذا، الكوادر او الاطارات اللازمون لتعليم اطفال اتباع اليجا محمد لغه الضاد، التى كانت لها وظيفه رمزيه معينه في التعاليم والطقوس الدينيه العربيه التى اتبعها ابناء الطائفه ابان حياة (الرسول) اليجا .

و لكن ما هو مدى تمكن هؤلاء السود الحقيقى، العملى، من هذه اللغه التى تصفها عقائدهم بانها لغتهم الأولى، القوميه، الحقيقيه المسلوبه، التى لابد لهم من استردادها بصفتها (مفتاح المعرفه، للتاريخ الاسود و طريق الاخوة مع العالم الاسلامى) بالاضافه الى كون التمكن منها طريق مطالعه مباشرة لنص القرآن الكريم الا صلى الذى حرم على اتباع الطائفه قراءة ايه ترجمه انكليزيه له حتى اوائل

الستينات ؟ ينتهي الرأي بآسيين — اودم الى أن تمكن طلبة مدرستي االطائفة من العربية كان (حو الى سنة ١٩٦١،) محدودا و بسيطا و ان كان كذلك داخل محدودية الخلفية الثقافية والاقتصادية العامة للاتباع انجازا حقيقيا . ،،وفلم يصادف اى طالب استطاع المحادثة بالعربية،، و لكن في نفس الوقت لاحظ النيجرى انه ’’يبدو أن كل الطلبة الثانويين يعرفون صلواتهم بالعربية كما ان يستطيع بضع متخرجين من المدرسة (بشيكاغو) قراءة و كتابة جمل بسيطة بالعربية،، (آسيين اودم ص ٢٤١) . قد يبدو هذا النصيب من اللغة العربية الذى قد فازه اطفال و شبان الحركة المترددون على مدارسها كأنه بسيط بالنسبة الى الذين هم مطلعون على مدى فعالية اساليب تعليم اللغات الاجنبية المستعملة فى مدارس ثانوية فى عالم الغرب الا أن مدى تمكن طلبة المسلمين السود من اللغة فاق كما ذكرنا من قبل، تمكن اندادهم من نفس الاعمار بين اطفال و مراهقى بلدان الاسلام الغير عربية فى آسيا و افريقيا الدارسين للعربية ، إن درسوها، من خلال طرائق الحفظ العتيقة التى لن تزيدهم الا خسرا و بعدا عن لغة القرآن.

يحسن بنا ان نسجل هنا أن من الدلائل على مدى الاهتمام الذى أولته الطائفة بنشر معرفة اللغة العربية بين الامريكيين الافارقة (السود) انها لم تصلها من خلال الفصل الى اطفالها و شبانها فحسب بل الى الكبار كذلك، فكان هيكل (مسجد) شيكاغو مثلا يعقد

فصولا لتدريس العربيه" للكبار فى الساعتين الرابعه" و السادسه" بعد الظهر — فصول فتحتها للجمهور الاسود العام و ليس لاعضاء الطائفه" فقط (آسيين اودم ص ٢٤٨) ، لم تكن ثمه" امكانيه" ، نظرا لنقطه" البدايه" اى مستوى خلفيه" معظم الاتباع التربويه" عندما دخلوا فى الطائفه" أول الامر وعدم مؤاتاة البيئه" الامريكيه" العامه" المسيحيه" او الغربيه" حضاريا، الانكليزيه" بلسانها، أن تقيم هذه الطائفه" اللغه" العربيه" كلغه" مخاطبه" حيه" فى حياة عموم الاتباع اليوميه"، — تحقيق ازدواج لغوى عام . ولكن، ان اخذنا بعين الاعتبار نقطه" البدايه" و بعد اعضاء الطائفه" عن عالم الاسلام، فمنجز نظام مدارس الطائفه" عن تحقيق ربط لغوى اساسى ابتدائى مع شعوب الوطن العربى ملفت للنظر فعلا . لم يلم كثيرون من السود حين تخرجهم من مدارس الحركه" باللغه" العربيه" الماما فعالا ولكنهم قد حصلوا على اساس لغوى يستطيعون ان يبنوا عليها تمكنا حقيقيا من اللغه" ان صادفوا احوالا مؤاتيه" . لاحظنا بعض الاجراءات التى قد اتخذتها الطائفه" و التى كانت من نوع يخلق سياقا لغويا عاما مؤاتيا لبقاء الاساس اللغوى الذى قد حصل الطلاب الثانويون عليه عند تخرجهم : فصول تدريس اللغه" العربيه" لكبار الحركه" و للجمهور الاسود العام، مثلا و كان من العوامل المحيطه" المساعدة على بقاء وترسيخ ما كسبه الطلبه" فى المدرسه" استعمال كلمات وادعيه" عربيه" طقسيا فى ديانه" الطائفه" كان بعض اعضاء الطائفه" الكبار يواظبون على دراسه" مستمرة للغه" العربيه" فى اوقات فراغهم ، بما فيهم من تابع دراسات الفنون الانسانيه" فى كليات امريكيه" عليا .

فليس من الغريب، اذا، ان مكنت ظروف مؤاتيه قلة من
شخصيات فى الطائفه من ان يبنوا على الأساس اللغوى العربى الذى
د ارساه مناهج مدرستى الطائفه على المستويين الابتدائى والثانوى
زدواجا لغويا عربيا، انكليزيا حقيقيا . من ابرز الامثال ابن اليجا محمد
لاصغر اكبر محمد الذى كان (طالب العائله) حسب عبارة ملكولم
الذى اصبح فيما بعد محاضرا فى اللغه بجامعه الامريكيه و ابن آخر
لامام ولاص ديلينى محمد الذى خلف اباه اليجا حين وفاته فى اوائل
١٩٧٠، كل من هذين العضوين البارزين فى الطائفه كرس جهودا
للانتفاع اتم الانتفاع من مناهج تدريس العربيه التى قدمها مدرسه
مسجد شيكاغو الا أننا نرى عوامل اخرى بالاضافه الى العزم والاستعداد
القدرة الشخصيه نجحت محاولتهما لتنميه ازدواج لغوى : مثلا،
رص الاحتكاك المتكرر بعرب التى و فرتها عليهما عضويتها فى (الاسرة
لمالكه)، اى أسرة (الرسول) اليجا محمد . عند اكبر محمد نجد عاملا خاصا
ن هذا القبيل، اى دراسته فى جامع الازهر فى مصر لمدة سنين .
ن دراسه اكبر محمد بمصر كان تعبيرا طبيعيا عن الارتباط النفسى
بالوطن العربى الذى قد شعر به اتباع الطائفه منذ ايام فرد . الا انه
غذى فى نفوس بعض الاتباع العاديين كذلك الاشتياق الى الدراسه
فى جامعه الازهر او فى امكنه اخرى ما فى البلدان العربيه نجد
مثلا آسيين اودو يقتطف قول المسلم الاسود كريم الله الذى زجته
الحكومه الامريكيه فى السجن ابان الحرب العالميه الثانيه مع
قائده اليجا محمد — يقول كريم الله ان الذى يتمناه لابنه عثمان ان

يصبح اماما للطائفه" وان يدرس في جامعه" الازهر (أسيين اودوم ص ٢٤٧). في تلك المرحله" حدّت من اهميه" هذه الظاهرة التي انطوت على عوامل تنشط تحولات كامنه" ممكنه" في تركيب عقائديه" الطائفه" تثبيط اليجا محمد لعزم اولئك الاتباع العاد يين الذين ارادوا النزوح موقتا الى عالم العرب للدراسه" هناك ناهيك من المهاجرة اليه الى غير رجعه" . من الممكن ان هذا التثبيط من طرف اليجا كان خوفا من خسارة انشط واذكى أتباعه من خلال هذه (العودة) الى وطن الاسلام في فترة لم يزل فيها اليجا يبني دعوته بين سود الولايات المتحدة ؛ و لكن نجد ان الاحتكاك المباشر بالعرب وبلغتهم و بدينهم عن كتب على تراب و طنهم كان له تأثير مقوض لطائفه" اليجا بمعنى عقائدى اعمق و اكثر جذريه" . يجدر بنا بالواقع ان نمعن النظر في مثل ابني اليجا محمد السالفي الذكرأى اكبر و ولاص، لان من البين ان اكتسابهما للغه" العربيه"، اى تحقيقهما ازدواجا لغويا، رغم كونه تعبيرا طبيعيا عن تاكيد الطائفه" الارتباط بمجموعه" سكان افريقيا و آسيا الدوليه" بواسطه" اسم (الاسلام) — بحث المسلمين السود عن مجموعه" بشريه" دوليه"فعاله" — ثور فهمهما لما هو دين الاسلام آخر الامر الى درجه" اخرجها تماما عن اطار فكر ابيهما العاكس لواقع السود في امريكا .

ولد القائد الحالى لطائفه" المسلمين السود ولاص ديليني محمد في يوم ٣٠ اكتوبر عام ١٩٣٣، اى ثلاث سنوات بعد بدآيه" رساله" فرد لاعادة ربط سود اميركا بعالم الاسلام : يمثل ولاص اذا اول جيل ولد داخل (الاسلام الاسود) الجديد ولم يعرفوا النصرانيه" كديانه" يؤمن بها، قط، بالتمييز عن جيل مؤسسي الطائفه" (ابو ولاص

و رفاقه) . ولد ولاص فى ديترويت، ميتشيغن، ميدان نشاطات فرد و ترعرع ولاص داخل الاسلام الاسود . تلقى ولاص محمد كل تحصيله الابتدائى والثانوى فى (جامعة" الاسلام) و درس الاسلام والعربية" لسنوات اربع اضافية" قيم عربى مصرى درس اللغة" العربية" هناك تمكن ولاص محمد من الضاد بأنه يفوق المتوسط (ايسيين اودم ص ٨١ — ٨٢) . قبل ان كرس حياته لمهنة" الامامة" فى الطائفة" كان ولاص محمد يهتم كثيرا بالعلوم الحديثة" و على وجه الخصوص علم الالكترونيات Electronics لم يكن الالمامه النسبى فى الهيئة" الزنجية" لشمال امريكيا الغير مؤاتية" بالعربية" نتيجة" للتربية" الطويلة" التى تلقاها من مدارس الحركة" فقط ، فبعد تخرجه منها ادى دورا كمدرب Instructor فى العربية" فى (جامعة" الاسلام) المسماة ، قبل اختياره الامامة" (نفس المرجع ص ٧٦) . تاثير العربية" الثقافى والدينى بين فى قصة" حياته . حوالى فترة انفصال ملكولم إكس من الطائفة" وحجه (الحاج ملكولم) المثور فكريا الى مكة" المكرمة" قد باح اليه ولاص بالرأى أن الانقاذ (الخلاص) الممكن الوحيد للطائفة" (قبولها و نشرها فهما احسن للاسلام الارثوذكسى) (سيرة ملكولم ص ٣٥٤). انفصل ولاص اول الامر مع ملكولم إكس من منظمة" أبيه، ورغم انه صالح اباه فيما بعد، فان ولاص بعد وفاة اليجا ادخل تغييرات جذرية" فى عقائد و طقوس الحركة" قربتها الى حد بعيد من الاسلام الحنيف كما سوف نرى .

كان شقيق ولاص محمد الأصغر، اى اكبر محمد، مثله من نتاج نظام تربية" (جامعة" الاسلام) ، و ان احتك بالعرب و بلغتهم فيما بعد على تراب مصر بقربة" لم تحصل مع الامام ولاص محمد رغم الالمام

الأخير داخل البيئة الغربية بجانب من اللغة العربية لابأس به . . .
فحصل اكبر محمد عند عقد الستينات على منحة دراسية من حكومة
الجمهورية العربية المتحدة فى عهد جمال عبدالناصر . لاكبر محمد
المام باللغة العربية حقيقية . قد فخر خريجو (جامعة) شيكاغو
حين كانوا يذكرون ان اكبر خريج هذه الجامعة نفسها قد قام بمهمة
المترجم الناجح اثناء طواف والده وحاشيته فى بلدان افريقيا و آسيا
الاسلامية سنة ١٩٥٩، (لنكولن ص ١٣٢) . بدأ أول الأمر وقت
عودة اكبر الى الولايات المتحدة أن اقامته فى معقل الاسلام العلمى
على تراب مصر، الحافلة بالتجارب والانطباعات بدون شك، لم تخرجه
من نطاق فكر ابيه الدينى والقومى : كانت اقواله الاولى فى الولايات
المتحدة تؤكد عطف مسلمى آسيا و افريقيا عموما والمصريين بالخصوص
و تأييدهم، لكفاح السود فى الولايات المتحدة على سبيل المثال
اخباره سكان هارلم ان "ناطقين بلسان الدول الافريقية اخبرونى انهم
ان اتحدتم، على استعداد لمساعدتنا على كسب تحررنا . . . بالاسلحة،
بالرجال، و بالخبرات،، (سلبر من، ازمة فى الاسود والابيض ص
١٥١) . الا أن اكبر لم يستمر فى توفيقه بين تجربته فى عالم العرب
و فلسفات ابيه . عن قريب أعلن خروجه من طائفة ابيه فى اوائل
يناير ١٩٦٥، (بعد مضى معظم سنة على خروج ملكولم) لأسباب
عقيدية و خلقية. قال أكبر، ذلك الشاب ابن الخمس والعشرين سنة
انه لم يعد يمكنه ان يوافق اباه فى آرائه القومية والمعادية للبيض
و أكد ان كثيرين من اعلى قواد هيا كل الطائفة لم يبقوا و اقفين

مواقف اليجا كذلك و لكنهم بقوا فى مناصبهم لرواتبهم فقط . . . (آرنا بونتمبيس و جالكونروى Any place but Here ص ٢٤٣) كان من الطبيعى ان يوافق طالب الشريعه" الاسلاميه" المثالى الشاب اكبر محمد نبذ ملكولم للعصبيه" العنصريه" ابان حجه الى مكه" المكرمه"، فأشار اكبر فى مقابله" صحفيه" اشارة اجابيه" الى ملكولم وآرائه الا أن طبيعه" أكبر التأمليه" العلميه" منعته من ان يطبق اتقانه للعربيه" و لعلوم الدين الا سلامى على اصلاح حركه" المسلمين السود من الداخل كما قرر ولاص محمد ان يحاول من خلال مصالحته اباه و دخوله فى الطائفه" مرة أخرى بدلا من ذلك غادر اكبر الطائفه" الى غير رجعه" ليتابع مهنه" تدريس اللغه" العربيه" فى احد جامعات الولايات المتحدة فمن خلال تبحره فى العربيه" تنفيذا لتأكيد عقائديه" فرد و أبيه ارتباط سود امريكا بسكان العالم الثالث قد اكتشف ولاص عالميه" (جامعيه") الاسلام الصحيح و هذا الاكتشاف قد اخرجه الى الابد من بعض عقائد طائفه" ابيه الشديدة المحليه" المعبرة عن سلبيات حياة الولايات المتحدة . بعد ان عرف حقيقيه" الاسلام كعقيدة منزله" و ادماج اخوتها الساميه" لكل الاجناس الموجودة فى العالم العربى لم يمكنه ان يفكر داخل مقايس العروق ذات المغزى الكونى التى يفرضها مذهب ابيه . الا أن انفصاله منع بصائره الاسلاميه" من ان تؤثر فى الجماعه" الرئيسيه" بين الامريكيين الافارقه" الدحدة فكريا لتمنعها — اتباع ابيه.

كان عنصر العربيه" و العروبه" فى ديانه" و ثقافه" المسلمين السود اذا يكاد يكون مغزاه الموضوعى الرئيسى تأكيدا لجماعه" بشريه" بين الامريكيين السود و قسم معين من سكان افريقيا و آسيا — مركز قوة

بديل لجماعه (البيض) المتماسكه التى رآها المسلمون السود أنها تحكم الولايات المتحدة و سودها . الا أنه عنصر العروبه كان، كلما استوعبه الاتباع و على قدر استيعابهم له، يدرجهم الى بصائر دين الاسلام الصحيح فيعتمل بذلك عبر العقود فى صدور اتباع الحركه لينسف كثيرة من الأسس التى كانت تقوم عليها ديانه الطائفه ومواقفها .

كان اعضاء الطائفه الذين اثر فيهم عنصر العروبه التأثير الأكثر جذريه، ولاشك، افرادا استثنائيين ساعدتهم احوال غير عاديه من طول الاتصال بالعربيه دراسه او تدريسا فى شبكه مدارس الحركه ساعدهم على التغلب على تواضع مستوى تدريس اللغه فيها او رمزيتها العامه فى الطائفه، او ساعدهم كثرة الاتصال والاحتكاك بعالم الاسلام او بعرب ممثلين له (متوقعا فى أبناء قواد الحركه البارزين مثلا) على استيعاب اللغه و الخروج فى عالمه الواسع نفسانيا . من جهه اخرى لاحظ اسيين اودم توق فئه من الاتباع الواعين شأن (التربيه) الى الدراسه فى جامع الازهر على غرار ابن الرسول المقدس أنهم رأوا ذلك النوع من التحصيل كامتداد او كاستمرار منطقى لنوع التربيه التى كان ابناؤهم يتلقونها فى مدارس المسلمين السود فى الولايات المتحدة نفسها، مما دفع اليجا الى تثبيط عزم اتباع له راودهم امل أو مطمح النزوح الى الوطن الاسلامى للدراسه او للمهاجرة . و لكن المهم هنا لتقييم التأثير النهائى الذى سيكون لهذا العنصر العروبى فى اتباع هذه الطائفه أن ننقل نظرتنا من افراد استثنائيين الى عموم اتباع الطائفه مقيمين ميزانا بين كفه التأكيد لعناصر عروبيه و كفه انماط الامريكيه الثقافيه الصميميه المميزة باصرار

لسلوك و اتجاهات الاتباع على وجه الخصوص .

ما هو عمق تأثير العناصر العروبة" الرسميه" الرمزيه" فى المسلمين السود حقيقه"، وما مدى تعديلها لثقافتهم الامريكيه" و اكتسابها لحياة مستقله" عن وظيفيتها داخل السياق الامريكى العنصرى ؟

كانت لتأكيد المسلمين السود الشكلى لارتباطهم باللغه" العربيه" و بسطحيات الثقافه" العربيه" (استماعهم فى منازلهم الى اسطوانات الاغانى العربيه") أهميه" النفسانيه" من حيث كونه ناحيه" اخرى لانفصالهم العاطفى من الولايات المتحدة البيضاء — ذلك الانفصال الذى غذى فيهم توترا خلاّقا مع المجتمع الامريكى الذى لم يزالوا يقيمون وسطه و يتعاملون معه وسع تركيباته الاقتصاديه" . الا أنه لايليق بنا أن نبالغ من اهميته الموضوعيه" كظاهرة لغويه" فى حياتهم اليوميه" . لغويه" المسلمين السود العربيه" الشكليه" مظهر من مظاهر ما يسميه اسيين اودم باحتياجهم النفسانى الملح الى تأكيد صله" بـ "تقليد ما فى الشرق الاوسط موطن الاسلام الذى له ماض يقدرونه تقديرا اعلى مما يقدرون افريقيا ما وراء الصحراء الكبرى التى جاء منها فى الواقع اكثر ارقاء العالم الجديد ."

و لكن شعورهم بهذا الاحتياج لاسباب بيئيه" امركيه" و وظيفيه" التأكيد الشكلى لارتباط بعالم العرب والاسلام لم يغير فى شئ حسب اسيين اودم من واقع ان اتباع الطائفه" لم يزالوا "امارکه" ثقافيا،. . . لايجذبهم الاجذبا رومانطيقيا سطحيا تلك الثقافه" العربيه" التى لايعرفون

عنها الا القليل او اللاشئ،،. فمع ان المسلمين السود تواقون الى ربط انفسهم بـ(مسلمى افريقيا و آسيا كاخوان فى الدين لهم،، ف (يسير جدا لسلوك المسلمين السود الرمزى والكلامى ان يعطى المراقب العابر انطباعا مضلا) حول مدى المحتوى العروبى الحقيقى فى ثقافتهم الذى كان عند ذاك (اواخر الخمسينات) شديد المحليه" (اسيين آودم ص ٢٩١) . ان مستوى و نطاق الملم اعضاء الحركه" للغه" العربيه" من الدلائل الملموسه" على صحه" كثير من ملاحظات اسيين اودم فى هذا المعنى . مثلا، يلاحظ اسيين اودم (ص ٢٢٠)، حول تاكيد اليجا محمد لتفوق اللغه" العربيه" على كل لغات العالم الاخرى الدينى الالهام أن (تقديم اليجا محمد للعربيه" لا يشرح كثيرا طبيعه" لغه" الضاد التى لا يتكلم بها ولا يكتبها) . ولا أدل على جهل اليجا محمد للغه" العربيه" وهو كان قائد (بل نبى) الطائفه" الذى كاد يعبده الاعضاء عبادة و يؤمنون بعصمته، من ضرورة تعلمه الشهادة و مقاطع من صلوات الاسلام الأساسيه" بلغه" القرآن حسب مشورة مشاوريه قبيل سفره لحج العمرة وجولته فى البلدان الاسلاميه" فى اوائل ١٩٦٠ . . فقط . . . بعد أن و هنت عظامه و بعد مضى ثلاثين سنه" على تأسيس فرد للطائفه" معه (انظر لنكولن ص ٢٥٠) . (عند زيارة اليجا لجامع الأزهر ابان تلك الجوله" فى البلدان العربيه" قدم شيخ الازهر محمود شلتوت فنجان شاى اليه و قبله على جبينه بما سماه ملكولم ''الطريقه" المسلمه" الصحيحه"،،. اشارة فسرها ملكولم امام مستمعيه الامريكيين البيض بأنه اعتراف من قبل مسلمى مصر بصحه" اسلام اليجا، كما أن السلطات السعوديه"

ادخلت اليجا فى مكة" المكرمة" و المدينة" — (لنكولن ص ١٢٥ - ١٢٦) نفس الجهل للعربية" فى قائد عال للطائفة" نجد فى شخص ملكولم× الذى كان بالاضافة" ممثلا لجيل اصغر بكثير سنا من جيل اليجا الذى أسس الطائفة" : فرغم ان ملكولم قد تعلم كلمات بعض أدعية" الصلاة الاسلامية" حينما كان فى السجن مطبوعة" بالحروف اللاتينية" اعطاه اياها المسلم (الار ثوذكسى) عبد الحميد الذى زاره هناك : لم يكن يستعمل ملكولم ايام دوره فى طائفة" اليجا ادعية" او صلوات عربية" (لم تكن تصلى بالعربية" فى امة" اسلام اليجا) (سيرة ملكولم ص ٤٤١) . من هذا نشأت مصاعب ملكولم حين وصوله الى جدة : تقليده المتألم لحركات مطوفه وقت تأديته فريضة" الصلاة و تمتمة" ملكولم فى بداية" الامر فى تلك الاوقات بعبارات لم تكن دائما كلمات الصلاة العربية" الكاملة" او الصحيحة" او المناسبة" و ان لم يعرف ذلك مضيفوه العرب الذين لم يمكنهم سماع ما كان يقول بوضوح بطبيعة" الحال (سيرة ص ٤٤٢) رأينا ان اعضاء طائفة" المسلمين السود كانوا يصلون بغير وقفات الاسلام الصحيح و لكن مستعملين مقاطع من ترجمات انكليزية" حقيقية" لادعية" اسلامية" صحيحة" مع بعض التحريف . كان ملكولم اذاً بعد امضائه لاثنى عشرة سنوات من حياته بوصفه اماما فى طائفة" اسلام اليجا ذلك الامام الاسلامى الاسود الذى لم يستطع تأدية" فريضة" الصلاة بصورة يقبلها مسلمو آسيا و افريقيا لا لغويا ولا حركيا جسمانيا . كان احتكاك ملكولم باللغة" العربية" ابان امامته فى طائفة" اسلام اليجا الاسود، اذاً احتكاك محدود . و ادت محدودية"

هذا الاحتكاك احيانا الى أخطاء لغويه" — حضاريه" خطيرة، نرى هذا من محاضرة القاها ملكولم قبيل قتله في ٢٤ يناير ١٩٦٥، حول (التاريخ الامريكي الافريقي) في أواخر تلك السنه" الواحدة القصيرة التي كتبت اجلا لابداعه القومي بعد خروجه من صفوف اتباع اليجا . فحين اشادته بأهرام مصر و ابي الهول على اساس أنها انجاز معماري فني لا يستطيع حتى علم البيض الحديث أن يضاهيه و ان المصريين القدماء الذين بنوها كانوا بأكثريتهم افارقه" سودا وانها بالتالي شهادة حيه" ان (الانسان الاسود بناء بطبيعته، انه عالم ورياضي مطبوع) — حين تفسيره هذا لعظمه" آثار فراعنه" مصر القدماء لاحظ ملكولم أن (وراء الاهرام مباشرة تمثال ضخم . . . اسمه الـ Sphinx. الناس الذين يسكنون هناك يسمون التمثال ابو الهول Aboul Hole كلمه" معناها (ابو كل شئ) Malcolm X on Afro American History نيويارك : مرت با بلشرز ١٩٦٧، ص ٢٠ — ٢٢) كان خطأ ملكولم في تفسير اسم ابو الهول نشأ عن نصف معرفه" في اللغه" العربيه" . فلكلمتي هول (خوف) و (كل) بعض الشبه السمعي خاصه" ان نطقنا بالواو في لفظ الهول حسب النطق العامي المصري وحرفنا نطق هائها و نطق كاف (كل) تقريبا لهما من نطق اليهود الاوربيين لحرف الحاء الى آخره . . . و نذكر مثلا اسكانيه" أن مؤسس طائفه" المسلمين السود قد مر من خلال طوائف ادعت يهوديه" سوداء تفسير ملكولم لاسم ابو الهول و مغزاه و الحضاري لايدل على اعجال على المام واسع باللغه" العربيه" التي اعتبرها لغه" السود القوميه" الاصليه" التي

لامناص للامريكيين الافارقة من استردادها... و لكن الواقع كذلك أن ملكولم حتى الايام الاخيرة من حياته بقى مرتبطا نفسانيا بهذه اللغة. فكتب فى ختام سيرته (ص ٤٩٩) انه قد (ابتدأ) يتعلم العربية لانه اعتقد انها "ستكون اقوى لغة روحية فى المستقبل". كان فصل اللغة العربية اول فصل لتدريس اللغات الافريقية التى اقامتها منظمته القومية السوداء المستقلة لاتباعه فى حارة هارلم بعد خروجه من المسلمين السود فلم يلمس تنظيم حلقتى تعلم السواحية و الهاوساوية الا بعد اقامة منظمته لفصل لتعليم العربية

(انظر اعلانه امام الاجتماع، نفس المرجع ص ٤٧). الا نطباع العام، اذاء فى صدد علاقة ملكولم باللغة العربية التى اسفرت عنها سنواته الاثنتا عشرة فى طائفة المسلمين السود عبارة عن حماسة عاطفية ودفئ حقيقى مقترن بمعرفة بسيطة مشوشة لتفصيل نحو و مفردات اللغة. الا أنه علينا أن لاننسى هنا أن ملكولم استطاع قراءة الابجدية العربية و أسبغ على حروفها تقديسا قويا. فى احدى زياراته ابان سفرة اعمالية الى اطلنطا عاصمة جورجيا لمقر (أعدائه العقائديين) اى مؤتمر قيادة ولايات الجنوب المسيحية the Southern Christion Leadership Conference تلك الزيارات اشبه المنتظمة التى كان يتجاذب اطراف الحديث فيها عن طيب خاطر مع ابرز ممثلى السعى المسيحى اللاعنفى وراء الحقوق المدنية — عرض ملكولم على القس الزنجى و يات تى و وقر بعض الحروف العربية كما ناقشه حول (علم لاهوت) اسطوانة طائفة المسلمين السود المعنونة : (جنة الابيض

جحيم الاسود) (محولد من ص ٩٥) و لكن رغم أن قراءة مع فهم للغة" العربية"، اى ازدواج لغوى فعال حتى على مستوى السلبية" Passive bilingualism لم تكن منجزا عاديا بين قواد وائمة" الطائفة" انفسهم في الخمسينات والستينات، الاأننانجد قدرة فاعلة" Active ability على استعمال و تطبيق جذور الضاد و صرفها لتأكيد معانى ثقافية" و حضارية" دقيقة" .

من الامثال الدقيقة" التى يمكننا ان نسوقها على ذلك تسمية" ملكولم في الخمسينات لابنته (الياسة") تكريما لرئيسه الروحى (النبى) اليجا محمد على أساس أن الياس هو المرادف الاسلامى — العربى لاسم النبى العبرانى Elijah و أن بالحاق تاء مربوطة" يؤنث الاسم. نفس الفكرة الصحيحة" لاساس من اسس نحو العربية" نراها في اعلان ملكولم السنة" الاخيرة من حياته حينما كانت زوجته حاملا أنه سيسمى المولود ان كان ذكرا " Lumumba "، وان كان انثى " Lumumbah " — فهذه المرة يعدل ملكولم من تهجية" الاسم القومى الافريقى الشهيد بالحاق حرف "ه"، (h) دلالة" على تاء مربوطة" مؤنثة" رغم ان القاعدة تطبق هنا على اسم افريقى غير عربى فهذا الاستعمال الواعى الدقيق لنحو اللغة" العربية" كاداة للتسمية" في قضية" ذات اعمق الابعاد العاطفية" يدل على كيفية" تغلغل الضاد في حياة أتباع الطائفة" اليومية" و مشاعرها الاستثنائية"، ولم يكن هذا المثيل المتعلق بحياة ملكولم غير عادى، بل هو مثل واحد بين امثال عديدة لاستعمال العربية" الدقيق لتأكيد مقاصد حضارية" مهمة" . و نرى مثلا اكثر بلاغة" في رسم الطائفة" خطا من الدلالة" من التركيب

اللغوى اى المعنى الجذرى لاسم مؤسس الطائفة فرد يمتد الى المغربى السياسى لرسالته : ان دلالة اسم الفرد اللغويه هى (الانفصال) او (المنفصل)"Ford" is said to mean "independnt" و يشير هذا، بالاقتران باشياء اخرى ذا مغزى عميق كمثل وصوله فى الولايات المتحدة عام ١٩٣٠، بتاريخ رابع يوليو، اى تاريخ اعلان بيض الولايات المتحدة استقلالهم من حكم بريطانيا الى ان رسالة المهدى و الى فرد اذا تسفر فى نقطة ما فى المستقبل عن استقلال السود السياسى عن الولايات المتحدة (انظر اسيين اودم ص ١٢٥) . المهم ان كان وعى المسلمين السود باللغة العربيه، رغم هامشيتها فى حياتهم اليوميه اى دورها الشكلى الدينى، لا يخلو من بعض الادراك لابرز انماط اللغة النحويه والجذريه وان و عيهم بها كان عنصرا فى صلب عقائديتهم الدينيه القوميه يعدل اتجاهها و يقرر بعض طرائق شرحها و توصيلها .

فى طور اندماج اتباع طائفة المسلمين السود فى الاسلام الصحيح فى الستينات والسبعينات از دادت سرعة تغلغل اللغة العربيه فى حياتهم اليوميه . و من امثال ذلك تسمية بطل الملاكمة العالمى محمد على لاولاده . فسمى احد ابنائه "محمد ابن" Muhammad Ibn اسم فسره بمعنى "محمد الأصغر" او ابن محمد على "ابنى موصوم بشخصى لطول حياته which means son of, or Junior الا أنه لايعرف هذا بعد" ، لاحظ محمد على، مما جعل المؤلف و يلفريد شيد يعلق ان اتخاذ محمد على لهذه التسميه لطفله يدل على نوع من غطرسه . قد استاء محمد على كلاى من سيطرة ابيه هو

جحيم الاسود) (غولد سن ص ٩٥) و لكن رغم أن قراءة مع فهم
لغة" العربية"، اى ازدواج لغوى فعال حتى على مستوى السلبية"
Passive bilingualism لم تكن منجزا عاديا بين قواد وائمة" الطائفة" انفسهم
ى الخمسينات والستينات، الاأننانجد قدرة فاعلة" Active ability على
استعمال و تطبيق جذور الضاد و صرفها لتأكيد معانى ثقافية" و حضارية"
دقيقة" .

من الامثال الدقيقة" التى يمكننا ان نسوقها على ذلك تسمية" ملكولم
فى الخمسينات لابنته (الياسة") تكريما لرئيسه الروحى (النبى) اليجا
محمد على أساس أن الياس هو المرادف الاسلامى — العربى لاسم
Elijah النبى العبرانى و أن بالحاق تاء مربوطة" يؤنث الاسم.
نفس الفكرة الصحيحة" لاساس من اسس نحو العربية" نراها فى اعلان
ملكولم السنة" الأخيرة من حياته حينما كانت زوجته حاملا أنه سيسمى
المولود ان كان ذكرا "Lumumba" وان كان انثى "Lumumbah
" — فهذه المرة يعدل ملكولم من تهجية" الاسم القوسى
الافريقى الشهيد بالحاق حرف "ه" (h) دلالة" على تاء مربوطة"
مؤنثة" رغم ان القاعدة تطبق هنا على اسم افريقى غير عربى فهذا
الاستعمال الواعى الدقيق لنحو اللغة" العربية" كاداة للتسمية" فى قضية"
ذات اعمق الابعاد العاطفية" يدل على كيفية" تغلغل الضاد فى حياة
أتباع الطائفة" اليوسية" و مشاعرها الاستثنائية"، ولم يكن هذا المثيل
المتعلق بحياة ملكولم غير عادى، بل هو مثل واحد بين امثال عديدة
لاستعمال العربية" الدقيق لتأكيد مقاصد حضارية" مهمة" . و نرى
مثلا اكثر بلاغة" فى رسم الطائفة" خطا من الدلالة" من التركيب

اللغوى اى المعنى الجذرى لاسم مؤسس الطائفة فرد يمتد الى المغربى السياسى لرسالته : ان دلالة اسم الفرد اللغويه هى (الانفصال) او (المنفصل)"Ford" is said to mean "independnt" و يشير هذا، بالاقتران باشياء اخرى ذا مغزى عميق كمثل وصوله فى الولايات المتحدة عام ١٩٣٠، بتاريخ رابع يوليو، اى تاريخ اعلان بيض الولايات المتحدة استقلالهم من حكم بريطانيا الى ان رسالة المهدى و الى فرد اذا تسفر فى نقطة ما فى المستقبل عن استقلال السود السياسى عن الولايات المتحدة (انظر اسيين اودم ص ١٢٥) . المهم ان كان وعى المسلمين السود باللغة العربية، رغم هاشيتها فى حياتهم اليوميه اى دورها الشكلى الدينى، لا يخلو من بعض الادراك لابرز انماط اللغة النحويه والجذريه وان و عيهم بها كان عنصرا فى صلب عقائديتهم الدينية القوميه يعدل اتجاهها و يقرر بعض طرائق شرحها و توصيلها .

فى طور اندماج اتباع طائفة المسلمين السود فى الاسلام الصحيح فى الستينات والسبعينات از دادت سرعة تغلغل اللغة العربية فى حياتهم اليوميه . و من امثال ذلك تسميه بطل الملاكمة العالمى محمد على لاولاده . فسمى احد ابنائه "محمد ابن" Muhammad Ibn اسم فسره بمعنى "محمد الأصغر" او ابن محمد على "ابنى موصوم بشخصى لطول حياته which means son of, or Junior الا أنه لايعرف هذا بعد" ، لاحظ محمد على، مما جعل المؤلف و يلفريد شيد يعلق ان اتخاذ محمد على لهذه التسميه لطفله يدل على نوع من غطرسه . قد استاء محمد على كلاى من سيطرة ابيه هو

على حياته حين الشباب، و لكن الآن ينسى تجربته فيجعل ابنه

تسميه" عربيه" نسخة" اصغر سنا لنفسه made his own son a junior

(ويلفريد شيد : Muhammad Ali : A Portrait and Photos

مطبعه" ويدنفيلد اند نيكولسن، لندن ١٩٧٥م ص ١٩٣ — ١٩٤) .

الا أن اتخاذ تسميه" عربيه" من طرف فرد مسلم اسود لتسجيل هذه

العواطف في حياته اليوميه" الخاصه" Privat and intimate life في

شأن من شؤون الأبوة والبنوة، يدل ولاريب على المركزيه" التي

اكتسبها اللغه" العربيه" في نفسانيه" اتباع الطائفه" كما أننا نلاحظ

ان محمد على كلاى سمى بنته بعد انجاب زوجته فرونيكا بورج " اياها

هناء، فكان يفهم هو وزوجته عام الفهم مقصد الاسم العربى الذى

اختاراه لا بنتهما whose name they chose because it means happines and

peace of mind (انظر مقال who is Veronica Porche في مجله" ايبوني،

عدد يوليو ١٩٧٧م ص ٦٨) في بحث قصير القاه د . سيد محمد سعيد

في مؤتمر لعلوم النفس لجمعيه" علماء الاجتماع المسلمين في الولايات

المتحدة، انعقد في جامعه" سينت لوى، ميسورى، بتاريخ ٤ ، يناير

١٩٧٧م بحد اشارات الى اتخاذ المسلمين السود كلمات عربيه" من

امثال Salat, sowm, Zakat, Hajj, Sunna لنواح مهمه" لممارسات

الاسلام . الا ان د. سعيد يشير الى ظاهرة اكثر جذريه" من

ذلك — الى طبع شركاتهم الاعماليه" ملصقات المنتجات باللغه" العربيه"

الى جانب الانكليزيه"، فيطبع على معلبات الصحى (السردين) مثلا

ليس Sardine, Brand Muslim فقط بل، بجانب الاسم الانكليزى سردين

علامة" مسلم . ان تأثير العربية" لغويا فى المسلمين السود قويا بالفعل فى مرحلتهم الجديدة الحاضرة : فنجد جريدتهم "الاخبار البلاليه"، تطبع اعلانا يملأ صفحة" كاملة" تعطى عناوين كل مساجد الطائفة" فى الولايات المتحدة تحت عنوان Visit Masajid Muhammad "زوروا مساجد محمد"، لا نستعمل كلمة" مسجد بدلا من المرادف الانكليزى العادى Mosque فى جملة" انكليزية" فقط بل الجمع المكسر العربى الذى يكون استعماله فى سياق جملة" انكليزية" شاذ جدا لغويا . الا ان استعمال الجمع المكسر مساجد فى سياق لغتهم الانكليزية" الخاصة" يدل على عمق تحويل اللغة" العربية" لنفسانيتهم و انما طبهم الكلامية"،

فلا يتصورن المراقبون ان ثانوية" عنصر العروبة" الثقافية" بالاولى فى حياة المسلمين السود الامريكية" الانماط عموما معناها انها كانت حتى فى ايام اليجا شكلية" بحتة" أو عديمة" اهمية"، بل، حتى فى ايام اليجا قد تداخلت تلك اللغة" العربية" تداخلا عضويا مع اعمق تجارب الاتباع فرحا او الما و حزنا التى ادت فيها وظيفة" علامة" اصالتهم وصمودهم فى البيئة" الامريكية" البيضاء الغربية" . فمن الامثال على هذه الناحية" ابعاد الا صطدام الذى حدث بين شرطة" لوس انجليس و مسلمين سود امام مسجد محلى فى شهر ابريل ١٩٦٢م . رأى الشرطة" البيض مسلمين اسودين ينقلان ان بعض الملابس المنظفة" بخاريا Dry Cleaning من سيارتهما فاوقفوهما مدعين ان هذه الملابس مسروقة" . دفع احد الشرطة" واحدا منهما ضد السيارة و

شهادته أمام محكمة التحقيق فيما بعد اعترف بأن "ضربت السيد على رئاسه" — عندئذ اجتمع زحام غضبان اكثرهم مسلمون و نزعوا اسلحة الشرطة حين اخرج احدهم مسدسه، فوصل مزيد من الشرطة البيض الى المكان فارادوا افراد مجموعة المسلمين السود رميا بالرصاص او ضربوهم ضربا مبرحا والمسلمون و اقفون هناك يرتلون "الله اكبر" باللغة باللغة العربية . استشهد احد المسلمين الزنوج و عانى آخر الشلل لمدة العمر و عانى خمسة آخرون جروحا رصاصية جسيمة : برر احد ضباط الشرطة اطلاق الرصاص على بعض المسلمين الزنوج بدعوى انهم كانوا يقترفون "جريمة" الفرار (غولد ص ٩٧) المهم هنا بالنسبة لاستقصائنا ليست تفاصيل العنف بين الشرطة البيض و مسلمين سود كانوا مسالمين الى حد لا يقصر كثيرا عن وداعة اولئك المسيحيين السود الذين يديرون خدودهم اليسرى لاعداء يضربونهم على خدودهم اليمنى، بل مركزية ترتيل التكبير ابان المناوشة كعلامة قومية ثقافية .

انما هنا لانريد اغداق صفة من المثالية على المسلمين السود أو ان نصور امريكا البيضاء بانها دائما تهم بأن توقع بسودها لالحاق البطش والذبح بهم : فالواقع أن العنف ظاهرة أعم فى الثقافة الامريكية مما هو فى البلدان الا نكلوسكسونية الأخرى من امثال انكلترا أو استراليا او كندا او زيلندة الجديدة — و ان معظم الفرقاء فى مأساة امريكا العنصرية قد ابدوا استعدادهم ان يعتمدوه وسيلة لفرض رغباتهم . بقدر ما التجأ المسلمون السود الى العنف، نجدهم استعملوه

لفرض الانضباط والنظام داخليا او لردع عناصر انفصلت من الطائفه من أن تصبح بديله دينيه و منظميه حقيقيه – الا أن هذا الدور الذى اضطلع به الاقليه العنيفه الصغيرة فى الطائفه قد يكون انتهى مع طرد ولاص محمد وقت تسلمه امامه الطائفه فى أوائل ١٩٧٥، للشخصيتين المرتبطتين اسماهما بالسياسه، اى ريموند شريف وجون على بالنسبه لتوجيه الشرطه فى الولايات المتحده عنفا قامعا ضد المسلمين السود، نلاحظ ان التى قامت بذلك فرق شرطه محليه بلديه، و بصورة عفويه و متقاطعه، و ليس تنفيذا لتخطيط موحد رسمته سلطات اتحاديه .

كأن عنصر العربيه وسع و عمق الوهدة العنصريه السابقه الوجود بين الشرطه البيض و هذه الجماعه من السود الذين قد اعلنوا دخولهم فى الاسلام : شهد احد الشرطه فيما بعد ان ترتيل الله أكبر الغير مفهوم كان هو الذى استفزهم فجعلهم يطلقون رصاصهم على المسلمين السود (ارنابونتميس و جاك كونروى ص ٢٣٧، ٢٤٥) . فى بحر ما يقارب نصف قرن من نشاط طائفه المسلمين السود اذاء قد نالت العربيه مكانه عاطفيه معينه فى قلوب الاعضاء و مركزيه رمزيه فى عقائديه قوميتهم، وقد حاول العناصر النشيطون فى الحركه ان يتعلموا منها اقدارا متفاوته . رأينا ان العربيه ادت كذلك دور قناة يمر من خلالها تعاليم الاسلام الصحيح الشامل للبشريه قاطبه فى قوميه المسلمين السود الدينيه . فى نفس الوقت، لم نستطع أن نتغاضى عن صعوبه اللغه و غرابتها فى البيئه الامريكيه، مما سيعيق

انتشار الالمام عملي بها بين عموم اتباع الطائفة عن غير ريب . من ناحية أخرى نلاحظ ان قائد الطائفة الحالى الامام ولاص محمد هو ذو ازدواج لغوى معين وانه قد نبذ انعزالية الطائفة السابقة التى حفزت اليجا (متعاملا مع عامل اعتبارات تنظيمية من نوع الاحتفاظ بالعناصر الانشط بين اتباعه فى امريكا بالذات فى صفوف الحركة) الى الحد من عدد الاتباع الذاهبين الى العالم العربى لاتقان العربية . بل يبذل كبير الائمة ولاص كل الجهود الممكنة لتصعيد تبادل الوفود مع دول العرب و ايفاد الطلبة والبحاث من حركته الى جامعات العالم العربى — اتصالات قد تساعد فى نشر معرفة للعربية بين اتباع طائفته فى العهد الجديد الحالى .

خلاصة القول ان اعضاء طائفة المسلمين السود بذلوا جهودا جادة ضمن محدوديات خلفياتهم المتواضعة ماليا وتربويا فى سبيل اكتساب اللغة العربية عبر عقود حركتهم . قيمنا هذه الجهود بأنها كانت تعبيرا عن مشروع من مشاريع عقائديتهم القومية — اى سعيهم لاعادة اتصالهم بهوية افريقية أسيوية مساوية سابقة لعهد الاستعباد فى امريكا . بعبارة اخرى، كان المسلمون السود يحاولون تعلم العربية باعتبارها لغتهم القومية المفقودة — استرداد الجذور الثقافية المقطوعة او باعتبارها واسطة لتحقيق وحدة وتضامن كيان افريقى أسيوى عبر البحار و يدفع عنهم قوة امريكا البيضاء المحيطة بهم، اكثر من اعتبارها لغة الحق الدينى . إلا أننا نلاحظ وظيفة هذه اللغة و هذه الثقافة

كقناة لدخول محول لفكر الاسلام الصحيح الديني في وعيهم . من هذه الناحيه، كان يؤدى ادماج لغوى و قومى و ثقافى فى كيان القطاع العربى للعام الثالث الى ادماج دينى فيه فى آخر المطاف . . .

نلاحظ نفس العمليه — حدوث ارتباط على مستوى الجماعه الانسانيه يؤدى بدوره فى مرحله تاليه الى الاندماج الدينى الايمانى في تلك الجماعه الداكنه العنصريه الدوليه من خلال الدخول فى اسلام صحيح — فى تأكيد الجماعه الانسانيه مع العالم الثالث على المسطح السياسى . فكانت محاوله المسلمين السود تأكيد جماعه تضامنيه مع شعوب و دول العالم الثالث عبر عقود تاريخهم عمليه تثقفيه تربويه مهمه اعطتهم فكرة دقيقه عن اوضاع و ثقافات تلك البلدان و الدين المنزل الذى آمنت شعوبها بها اسهمت بلا ريب عند آخر الأمر فى مجابهتم بالاختيار النهائى بين الاسلام الصحيح كما كان يعلم و يمارس فى بلدان آسيا و أفريقيا التين يؤكدون وحدتهم المعنويه معهما، و العقائد الخاصه التى قد طوروها ردا على احوالهم الامريكيه الخاصه .

العلاقه مع العالم الاسلامى ككيان بشرى

ان كانت عقائد المسلمين السود الدينيه، اى اسلامهم، ردة فعل امام البيئه الامريكيه و محاوله لبناء ثقه جديدة بين السود بقدرتهم على مواجهتها و تعديلها، فالعناصر الاسلاميه الحقيقيه الداخله

من خارج الولايات المتحدة هامشية بالنسبة الى مجموع تركيب العقائد . فنجد تصور العالم الاسلامى الذى أكد المسلمون السود علاقتهم العضوية بها ككيان بشرى اكثر امانة من تمثيلهم لعقائد الاسلام الغيبية . طبعا، لم يكن الدافع الى تأكيد الصلة العضوية بجماعة مسلمي آسيا و افريقيا الا محاولة للنجاة من مكانة السود كأقلية — في وسط امريكا البيضاء باحتراق جدرانها السياسية أوالجغرافية ومن ثم بالاندماج في السكان القائمين المشكلين للاكثرية البشرية في المعمورة ككل . نرى هذا التعبير الدولى عن شعور الزنجى بالعزلة والوحدة في البيئة الامريكية التى عالجه بيضها كانه غريب جليا في الجمل التى كان ينطق بها ائمة مساجد المسلمين السود حين مصافحتهم لكل مهتد جديد يتقدم بعد اجتماع ما في مسجد لاعلان قبوله لتعاليم اليجا التى قد استمع اليها للتو : (است يا اخى زنجيا من هذا اليوم فصاعدا . قد اصبحت الآن مسلما، عضوا فى الامة السوداء لك اخوان (وأخوات) في عرض المعمورة وطولها . انت حر الآن))، فيمضي المعتنق ليسجل اسمه عند أمين المسجد . . . او نراه في الرسالة التى كان المهتدون الجدد يستلمونها من أمين المسجد بعد ترددهم على بضعة اجتماعات . " تسر امة الاسلام المفقودة والمكتشفة في القفر الروحى لشمال امريكا غاية السرور عودتك الى امتك المقدسة الخاصة . نرغب في ان نخبرك انك قد زلت ان تكون عبدا لانك الآن مسلم أسيوى مستقل مع الله و مع بليون من اخوان و اخوات و اقفين الى جانبك كأصدقاء .،، (اسين اودم ص ٢٠٠) نشعر بطول الوحدة والانعزال الذين قد عاناهما السود في الولايات المتحدة واليأس من

امكانيه أيه اخوة من طرف أكثريه البيض الساكنين لها الذى يحفز السود الى البحث بالخارج عبر الأطلسى فى الشرق الاوسط او افريقيا عن الاصدقاء الذين لم يجدوهم بين مواطنيهم فى بلاد ولادتهم . و نشعر كذلك بانتشار ادراك كثرة البشريه "السوداء" فى العالم الثالث و قله بيض العالم فى المقارنه، المصاحبه لتجربه الاعتناق .

صح أن كان يشوه تصور اتباع الحركه لواقعيه كيان شعوب افريقيا و آسيا التى كانت تؤكد جماعه انسانيه معها بعض الشئ اصرار اسطوريه فرد و اليجا الدينيه أن الامريكيين الافارقه اصلا سود أسيويون من مكه المكرمه. هذا الاصرار الأسيوى خلق نوعا من توتر او تناقض مثلا بين اقتراب اتباع الطائفه معنويا من العالم العربى وردات فعلهم ازاء بروز استقلال شعوب افريقيا السوداء . قد سجل البحاث والمراقبون عدة انواع من ملاحظات حول هذا الاتجاه فى عقائد المسلمين السود القوميه . كان الامريكى الافريقى المسيحى الاصل الدكتور اريك لنكولن مثلا وهو كان مراقبا ارتبطت عواطفه رغم موضوعيته العامه بالحركه بدون شك، حين تسجيله للناحيه الاسيويه لا يعلق أهميه خاصه عليها بل يراه كمميزة مشتركه لعموم الفكر القومى الاسود بين الامريكيين الافارقه ليست خاصه بالمسلمين السود . و كما رأينا تنطبق ملاحظه لنكولن أن "من أبرز الخصائص المشتركه المميزة لمختلف الحركات القوميه السوداء فى الولايات المتحدة" الموافقه على قيم الحضارة الآسيويه و ثقافتها "ليس فقط على الحركات المدعيه للاسلام بين جماهير السود فى مدن الولايات المتحدة بل على محرضى

وعقائديى الغارفيه" الذين ركزوا قوميتهم على افريقيا السوداء ما وراء الصحراء الكبرى، كما انطبق كذلك الى حدما على مفكرين قوميين سود من امثال دوبويز الذى اعتز بدور السود في حضارة و تاريخ الاسلام و رفض ان يرسم خطا فاصلا بين قارتى افريقيا و آسيا و كاد يتصور أن قد يكون اصل العرق الزنجى في غرب آسيا بدلا من قارة افريقيا . . .
و لكن بحاثا آخرين قد اتخذوا، حين تسجيلهم لظاهرة الآسيويه" في نظرة المسلمين السود القوميه"، مواقف اكثر صرامه" منها مشخصين لهذه الآسيويه" — بأنها نوع من هرب من افريقيه" او سواد الامريكيين الافارقه" الاصليين، او انها انكار للذات او حتى مظهر من مظاهر ''كره الذات،، حسب الاصطلاح الذى وصف به القومى الاسود قصيصى جيتو و يئوسى تأكيد، اليجا محمد ان ''الزنجى المسمى،، في امريكا بالواقع ''انسان اسود آسيوى،، — ''انكار ضمنى أن كل السود في كل مكان (من العالم) بالحقيقه" افريقيون،، (انظر Black News مارس ١٩٧٦، ص ٤) فعسى أن اسيين — اودم قدم اكثر التحاليل من هذا النوع تفصيلا ووثائقيه" ، فهويبين كيف أنه لم يزل حتى في ١٩٥٨، هذا الفهم ''الآسيوى،، الاتجاه لقوميه" السود الامريكان سائدا في رؤيه" المسلمين السود للعالم اذ كانت قاعه" اجتماع ''ذى يونيفر سيطى اوف اسلام،، the University of Islam ، مدرسه" الطائفه" الثانويه" في شيكاغو تزينها رايات كل بلدان العالم التى يقطنها اكثريات مسلمه" مع ملخصات مصاحبه" لتاريخها و سكانها و مواردها — بلدان كمثل تركيا وجزيرة العرب وباكستان والمملكه" المغربيه"، و مصر وبعض البلدان الافريقيه" الاخرى التى الاسلام فيها متأصله"، و لكن لم تلصق على

جدرانالقاعه" رايه" لليبريا، او رايه" لاثيوبيا او لغانه" التى لم تعتبرها الحركه" بلدانا مسلمه" نظرا للاهميه" الديموغرافيه" او السياسيه" التى لسكانها المسيحيين او الوثنيين ، رغم ان ليبريا و غانه" بلدان افريقيان قريبان جدا من المنطقه" التى جئ منها بالعبيد السود فى السلاسل الى امريكا الشماليه"، لم تكن رايه الولايات المتحدة معلقه" من جدران قاعه" المدرسه"، كذلك . و لكن الطريف انه علق بالجدار رايه" لحكومه" الجزائر التى بالمنفى — اى علم جبهه" التحرير الوطنى الجزائريه" تأييدا لنضال شعب الجزائر فى سبيل الاستقلال فى تلك الفترة وربطا لمصير مسلمى امريكا السود بمصير الشعب الجزائرى المناضل، بلاشك (انظر اسين اودم ص ٢٣٤) . فكان البعد الآسيوى، او الاتجاه الافريقى الآسيوى الاسلامى، — الوحدوى — الأوسع راجحين على الوجه الافريقى الاسود الضيق الخاص فى تأكيد المسلمين السود لجماعتهم السياسيه" مع شعوب العالم الثالث، و قتذاك .

الا أن أسيين اودم قدم حتى فى بحثه عن الطائفه" الصادر فى سنه" ١٩٦٢، بعض المعلومات التى دلت على تأثير حركات الاستقلال القوميه" العلمانيه" الغير اسلاميه" بقيادتها من بلدان لافريقيا ماوراء الصحراء الكبرى، من نوع نيجريا و زامبيا . تزايد هذا الادماج المعنوى لاتباع الطائفه" فى قوميه" افريقيا ماوراء الصحراء الكبرى السوداء العلمانيه"، التى اعوزها صبغه" اسلاميه"، حتى توصل اسيين اودم فى الشق الاول من السبعينات الى استنتاج ان طائفه" المسلمين السود قد أصبحت الآن، بالتدريج مع بروز دول افريقيا السوداء المستقله"،

"تتمركز حول افريقيا (السوداء) بالتدريج .،، رأينا انه من الممكن ان هذا التقييم يبسط ماحدث آبان توسع آفاق رؤيا الطائفه" للعالم ابان الستينات و السبعينات . فإمعان للنظر فى وقفات المسلمين السود من قضيه" فلسطين مثلا يدل على تطور قدرة ليس على استيعاب ظاهرة القوميه" الافريقيه" الوحدويه" السوداء فقط بل على ربط قضاياها بقضايا آسيويه" اسلاميه" ربطا خلاقا، كما يدل على فهم متزايد التعقيد والابعاد لواقع الشرق الاوسط نفسه صاحبه التزام تضامنى "اسلامى،، .

مواقف المسلمين السود من قضيه" فلسطين و الصهيونيه"

قد لاحظ معظم المراقبين للحركه"، و بينهم عالم الاجتماع الامريكى الاسود د . اريك لنكولن و اسيين اودم النيجرى الغير مسلم تلك الروح المحليه" الشديدة The insistent Parochialism التى حدت من سعه" و عمق علاقات المسلمين السود بالعالم الاسلامى — العربى البعيد جغرافيا و ثقافيا و سياسيا . إن المسلمين السود سجلوا تضامنهم العام فى الخمسينات مع كفاح شعب الجزائر التحررى كما سجلوه مع مصر عبدالناصر فى مواجهتها لاسرائيل، و فرنسا و انكلترا سنه" ١٩٥٦، و فيما بعد، الا ان اسيين اودم يلاحظ صد اليجا محمد عن سبيل اعضاء حركته الذين ارادوا ان يهاجروا الى مصر او السودان — جزءان من وطن السود الاسلامى حسب حرف تعاليم اليجا — كما يلاحظ سحب اليجا تأييده المالى من مجله" "العالم الاسلامى والولايات المتحدة،، "The Muslim Word and the U. S. A." التى نشرها باكستانى اسلامى موال للقوميه" العربيه" الناصريه" بين ١٩٥٥ —

١٩٥٧ من نيويورك، فيعزو اسيين اودم انفصام العلاقة" بين المسلمين السود و المجلة" الى تخوف من جانب اليجا محمد ان المجلة" لا تكسب تأييدا لحركته في العالم الاسلامي بنشر اخبارها هناك فقط بل انها بنشر اخبار قضايا القوميه" العربيه" (بالمكان الاول مصر عبدالناصر و كفاح الجزائريين في سبيل الاستقلال) بين اتباعه و عموم الامريكيين الافارقه" قد تجعل حركته هو أداة في يد حكومات عربيه" اجنبيه" بعيدة عن الولايات المتحدة . و من الملاحظ كذلك انعزاليه" وقفات اليجا محمد من قضايا القوميه" الافريقيه" الاستقلاليه" في افريقيا السوداء ماوراء الصحراء الكبرى و انتقاداته لتضامن غير مميز مع بلدان افريقيا السوداء او مشاريع عودة اليها تصرف نشاط السود الامريكانيين من بناء كيانهم ذى الاستقلال الذاتي اقتصاديا و ثقافيا وساكنيا في الولايات المتحدة نفسها .

و نلاحظ بالفعل ان مواقف المسلمين السود من قضايا خارجيه"، دوليه" تختص بعالم العروبه" والاسلام، نزعت الى ان تذعن في الاشكال التي اتخذتها لاوضاع او مصالح السود الامريكانيين المحليه" . فطابع المحليه" الشديدة هذا بين حتى في فكر ملكولم بعدما خرج من طائفه" المسلمين السود و ''دوّل،، فكره الديني (الاسلامي) و السياسي تدويلا جذريا ففي سيرته الذاتيه المنشورة سنه" ١٩٦٤، او ١٩٦٥ نجد بعض الفقرات يعبر فيها عن اعجابه بتنظيم اليهود في العالم لصفوفهم تحقيقا لاقامه" لدوله" قوميه" اقليميه" لهم على تراب فلسطين بواسطه" العنف المسلح . سياق هذه الفقرة الغير بعيدة عن افتراضات

العقائديه" القوميه" الصهيونيه" رفض ملكولم لاطروحه" إدماج الاقوام المتعددة التى هاجرت الى امريكا فى قوميه" امريكيه" موحدة جديدة تصل الى درجه" التزاوج والصهر فى بوتقه" البيئه" الجغرافيه" الامريكيه" المشتركه" . فاستحسن ملكولم ليس فقط طرد الايرلنديين للانكليز بالعنف المسلح من وطنهم محافظه" على اصالتهم القوميه" فى وجه مشاريع المسخ والادماج، و كفاح فرنسيسى كندا فى سبيل الانفصال بل مواقف الصهاينه" ايضا من اندماج يهود المانيا فى الامه" الالمانيه" المتزايد عنصريا و ثقافيا حتى عشيه" سيطرة هتلر على الحكم . فيندد ملكولم بتبديل اليهود لاسمائهم فى المانيا، و تزاوجهم مع آريين و آريات و يدين كذلك بقطعهم ''جذورهم الغنيه" العنصريه" والثقافيه" اليهوديه"،، ابان عمليه" ''الاندماج،، . فمن زاويه" هذا التحليل اثبتت أفران هتلر المفركه" ان عمليه" الالمنه" الذاتيه" هذه خطأ فاجع من قبل اولئك اليهود الاندماجيين كما انها اثبتت صحه" مواقف الصهاينه" سابقا من امكانيه" الادماج . فيعبر ملكولم عن نوع من فهم او تقدير لرد فعل الصهيونيه" المتطرفه" بعد فشل المفاوضات مع البريطانيين فى فلسطين فعندما ابتدأت ''عصبه" ستيرن Stern تطلق الرصاص على البريطانيين، اذعن البريطانيون الآن و ساعدوا (اليهود) على افتكاك فلسطين من العرب اصحابها الشرعيين، فاقام اليهود بعدئذ بلادهم الخاص اسرائيل — الشئ الواحد الذى يفهمه كل عنصر من ناس في العالم و يحترمه ''سيرة ملكولم الذاتيه" ص ٣٨٣ — ٣٨٥،، .

ففى هذا النوع من فقرات يمكننا ان نرى ثانويه" التضامن

"الاسلامى،، الدولى مع العرب او الفلسطينيين بالذات ابتدأ يعلى ملكولم سيرته الذاتيه" على المؤلف الزنجى اليك هيلى فى الجزء الاول من ١٩٦٣م و كان عضوا فى طائفه" المسلمين السود حتى اعلانه استقلاله المعنوى و التنظيمى عن اليجا محمد فى شهر مارس ١٩٦٤، اغتيل ملكولم فى ٢١ فبراير ١٩٦٥ . نظرا لورود ملاحظات ملكولم حول المانيا و يهودها و ولادة اسرائيل فى باب يتناول حياته "كمنظم ملتزم لطائفه" المسلمين السود قبل مغادرته الطائفه"، و نظرا لانه املى معظم سيرته قبل خروجه، ثمه" غموضا يكتنف نقطه" هل تمثل هذه الفقرة عن اليهود فى المانيا فكر ملكولم "كناطق بلسان المسلمين السود او فكره "كثورى اسود مسلم "سنى،، بعد خروجه من صفوفهم . ولكننا نلاحظ أنه عبر فى مقابله" اجرتها معه مارلين نيدل قبيل اغتياله عن عطف معين على اليهود بلغ حد اعتبار وضعيتهم التاريخيه" وآلام الزنوج متوازيتين فنفى ملكولم انه ينوى بالمكان الاول بوصفه الجديد قائدا مستقلا اثارة او شحذ و عى السود بانهم "مستغلون،، اقتصاديا . كان هدفه الاول بالاحرى، "كما قال، ايقاظهم كى يدركوا "انسانيتهم وقيمتهم، وتراثهم و هنا لاحظ ملكولم ان "اكبر اختلاف بين الاضطهادين المتوازيين الذين عاناهما اليهودى والزنجى الامريكى أن اليهودى لم يخسر اعتزازه بكونه يهوديا، عرف انه قد اسدى اسهاما خطيرا للعالم و شعوره هذا بقيمته اعطاه الشجاعه" كى يقاوم العدوان،، (Malcolm X Speaks ص ٩٨) . الا أن ملكولم، رغم فهم حقيقى لجانب ايجابى فى اصالة" اليهود الثقافيه" — العنصريه" بقى معه الى يوم مماته، لم يزل حتى مماته "كذلك يدين باستغلال اقتصادى

من قبل بعض اليهود ذوى الامتيازات لسود امريكا و بالمظالم التاريخيه" التى رأى ان قامت ولادة الدوله" الصهيونيه" عليها "ككيان سياسى . مثلا بالمقارنه" مع السياق المحلى من اوضاع ملموسه" تواجه السود فى قارة امريكا . فحلل ملكولم قضيه" فلسطين هنا بوصفه امريكيا افريقيا يتكلم و يقيم من داخل ظروف و قضايا شعبه هو، والهامشيه" التى ميزت تلميحه الى حقوق شعب فلسطين ههنا مثل حى يشهد بتلاشى المسافه" الجغرافيه" البعيدة، ذلك المحيط الاطلسى اللامتناهى التى تفصل بين الوطن العربى الاسلامى او افريقيا وقارة امريكا — بما فيها هارلم . . .

كان التضا من الذى عبرعنه المسلمون السود ابان حياة اليجا محمد مع شعوب العالم الاسلامى فى قضاياها السياسيه" التحرريه" يتفاوت اذا من حين الى حين، من مرحله" الى مرحله" و كان يحد منه روحهم المحليه" الملحوظه" التى ارتبطت بها مصالح القيادة و قتذاك الى حدما، بلاريب و عسا أن ملكولم كان اكثر العناصر القياديه" وعياً فى الخمسينات والستينات بالابعاد السياسيه" التى قد يتخذها شعور المسلمين السود الحقيقى (وان كان محدودا) بعطف مع الشعوب العربيه" بما فيها شعب فلسطين فى نضالها ضد كيان ”الغرب“ ، أى العالم الابيض . فقد نادى ملكولم العرب بنبرة كلها تحد ”بصفتهم شعبا ملونا“ الى ان يبذلوا مزيدا من المجهودات لكى يتصلوا اتصالا مباشرا بملايين الناس الملونين فى الولايات المتحدة الذين يربطهم بالعرب

قرابه" دم (عرق)،، ستجد العرب من سود امريكا عند ذاك تأييدا تاما للقضيه" العربيه"،، و قضيه" فلسطين على وجه الخصوص. و فى خطاب آخر فى ايام عضويته فى طائفه" المسلمين السود، ادان ملكولم باليهود لانهم ''بمساعدة البيض الآخرين النصارى فى امريكا واوربا قد طردوا اخواننا المسلمين (عرب فلسطين) من وطنهم الذى سكنوه طوال عدة قرون، و اغتصبوا البلاد لانفسهم مضيقا ان''يستاء كل مسلم (اسود امريكى) من ذلك،، (لنكولن ص ١٧٧) نلاحظ ان تأكيد ملكولم للقرابه" العنصريه" التى بين العرب وسود اميركا لم يكن فى حد ذاته الاعكسا لمذهب الجماعه" الدينى فى تعاليم طائفه" المسلمين السود، اذ عرفوا الامه" السوداء،، فى العالم بانه عبارة عن الشعوب السوداء والصفراء والحمراء والسمراء: تعريفا اثر فيه ولاشك مركزيه" الشرق الاوسط الدينيه" وهامشيه" معينه" الافريقيا الاستوائيه" فى فكرهم الباكر. الأن المهم ان المسلمين السود قبل ١٩٦٥ أكدوا فى لغه" معممه" تضامنا دينيا عنصريا على مسطح الساسيه" العالميه" مع الشعوب الاسلاميه" و فى قضيه" فلسطين بالذات، وان هذا التضامن كان خاصا بالمسلمين السود بين الافارقه" الامريكانيين مستقلا عن اعتبارات اخرى محليه" من العلاقات الاجتماعيه "الاقتصاديه" الملموسه" بين يهود و سود على تراب امريكا، اشار اليها ملكولم وجمله" اخرى من الخطاب ذاته وسعت نطاق اعمال سوء اسرائيل الى شواطئ الولايات المتحدة اذ ''فى اميركا يمتص (يستنزف) اليهود دماء الحياة من الزنوج المسمين لبناء دوله" اسرائيل و جيوشها و استمرار عدوانها ضد اخواننا فى الشرق،، . و رغم انتشار التذمر ضد ''استغلال،،

التجار اليهود فى الحارات الزنجيه الفقيرة بين جماهير "الزنوج"، فى تلك الفترة، لم يكن هذا الربط إياه بقضايا الشرق الاوسط عاديا عند ذاك بين عناصر السود الواعيه فلا شك ان هذا الاهتمام بمصير العرب انبثق من مشاعر دينيه دوليه خاصه بالمسلمين السود وان نشروها الى حد ما بين عموم السود الذين لم يدخلوا فى اسلامهم، حتى نجد القوميين السود العلمانيين فى اواخر الستينات و اوائل السبعينات يربطون اضطدامهم الاقتصادى الاجتماعى المحلى مع يهود اماركه على تراب امريكا بتأييد اسود اعلنوه الى العرب فى نضالهم ضد اسرائيل متوسعه . حتى أن بين المسلمين السود لم تكن تعبيرات التضامن مع العرب ضد اسرائيل مركزيه جدا قبل ١٩٦٧، نظرا لاولويه اهتمامات أوضاعهم المحليه كما لاحظنا و نظرا ايضا لان الصراع العربى الاسرائيلى و خاصه قضيه فاسطين طرأ عليها نوع من جمود و اهمال و خمول فى سنوات كثيرة بين مواجهتى ١٩٥٦ و ١٩٦٧ فى اطار الشرق الاوسط نفسه، و نتيجه لمواقف بعض الانظمه العربيه كذلك، الى حدما .

ان حرب ١٩٦٧ فى الشرق الاوسط هى التى بعثت الاهتمام بشؤون الشرق الاوسط الى مستوى جديد بين مدعى الاسلام الاسود فى امريكا الشماليه و زادته زيادة حادة، فاستجابت الطائفه اول ما استجابت لاقتتال السته الايام، بتنظيم مظاهرات امام مبنى الامم المتحدة فى نيويورك معارضه لاظهار سكان المدينه البيض تأييدهم

لقضيه‍ اسرائيل على نطاق واسع ابان، و على إثر، حوادث تلك السنه‍ . ففي الفترة التى اتبعت حرب السته‍ الايام صعدت جريدة ''محمد سبيكس،، لسان حال الحركه‍، لتغطيتها حول دوله‍ اسرائيل و قضيه‍ الفلسطينيين والصهيونيه‍ عامه‍ . كأن معاداة المسلمين السود لاسرائيل التى عبروا عنها بشدة فى العقد الذى اتبع حرب حزيران انبثقت من عدة موارد . (١) الشعور بوحدة دينيه‍ — مع كل انحرافات الطائفه‍ العقيديه‍ عن فهم الاسلام الصحيح الذى يعلمه علماؤه فى بلدان آسيا و آسيا — مع مصير العرب الذين رآهم المسلمون السود اخوانا لهم فى الايمان و فى كيان دولى عنصرى غير ابيض مشترك، (٢) انعكاس شعور اعم و أكثر علمانيه‍ انتشر فى السنوات الاخيرة للستينات والسنوات الاولى فى عقد السبعينات بين سود امريكا بوحدة عنصريه‍ مع افريقيا و آسيا ككيان ''داكن،، جعل الامه‍ الامريكيه‍ الافريقيه‍ امتدادا له داخل قلعه‍ ''القوة الاستعماريه‍،، الكابته‍ لكيان افريقيا و آسيا) — اى الولايات المتحدة . فكانت ادانات المسلمين السود من هذه الناحيه‍ باسرائيل جزء لايتجزأ امن ظاهرة الاختيار الافريقى الاسيوى الاعم بين الامريكيين الافارقه‍ التى شاركهم اياها القوميون والماركسيون السود الذين عبروا بدورهم فى نفس الفترة عن انتقادات لاذعه‍ لسياسات اسرائيل (٣) والعلاقات الملموسه‍ بين الامريكيين الافارقه‍ فى الحارات السوداء مع اليهود الامريكيين الذين احتكوا بهم عن كثب كل يوم متجسدين فى اشخاص شرطه‍ بيض، و اصحاب دكاكين بيض و موظفى خدمات اجتماعيه‍ بيض و مدرسين بيض، مما ولد الصراع الاجتماعى — الاقتصادى المحتم بين العنصرين، اليهودى والاسود،

في الولايات المتحدة .

و تعلق بالاساس الاخير، الاجتماعي الاقتصادي الموضوعي، لنزاع يهودي — اسود في الولايات المتحدة في اواخر الستينات و أوائل السبعينات، ثقافة" او لغة" الاسلامية" النصرانية" التقليدية" المنتشرة بين نصارى امريكا (بما فيهم سود الحارات الزنجية" الفقراء الذين انبثق منهم و من احيائهم البائسة" طائفة" المسلمين السود) من اليهود قتلة" يسوع ابن مريم الملعونين الى الابد لانهم صلبوا ابن الله مخلص البشرية" المرتعين المسيطرين على الغير رغم قلة" عددهم" من خلال اموالهم و تكالبهم وتآمرهم . ولاشك ان بعض دعاة طائفة" المسلمين السود قد تكلموا امام جماهير السود السريعة" الاشتعال بعبارات تتشابك مع هذه اللغة" الثقافية" لنصرانية" آبائهم باتهاماتهم مثلا ان هجومات وسائل الاعلام المنسقة" ضد طائفة" المسلمين السود لم تنتج من التحدي العام الذي سددته الطائفة" ضد امريكا البيضاء "ككيان هام بل من سيطرة لليهود الامريكان على الاذاعة" و التلفزيون والصحافة" الخ . . . من قاموس الاتهامات الوهمية" التقليدية" المكبرة لشأن اليهود . و ثمة" فقرة شيقة" — و لذيذة — في سيرة "كيلود براون Claude Brown الذاتية" تصف اشعال خطباء طائفة" المسلمين السود لتذمر جماهير السود الفقراء ضد التجار اليهود المحليين في حارة "هارلم"، من خلال اجتماعات على ارصفة" الشوارع نظمتها الحركة" . فحينما ادان احد الخطباء بالسيد غولد برغ الجزار لانه "لم يبع اي لحم جيد اليكم، قد مضت على بعض ذلك اللحم سنون

. . . قد ازرق بعض ذلك اللحم (فى المثلجات) اوكاد، لانه قد تعلق هناك يتلف منذ زمان، و لكن السيد غولد برغ طلاها باللك اوشئ من ذلك النوع لكى يجعله يظهر كأنه لحم طازج،، — حينما نطق خطيب المسلمين السود بتلك العبارات اللاذعة كان يصيح مستمعوه السود الذين لم يدخلوا فى اسلام اليجا محمد ''نعم، نعم لا بد من ان يرحل غولد برغ الشرير ذلك،، او يصيحون بصوت واحد ''نعم ! نعم ! اولئك اليهود الملعوذون قتلوا يسوعنا كذلك !،، مما يدل بلاريب على تفاعل معين على المستوى الشعبى لدعوة المسلمين السود المعادية كل شى متعلق بالمسيحية مع لاسامية مسيحية جماهير السود التى كانت الدعوة الاسلامية السوداء فى طور الوصول اليها عند ذاك (فى الخمسينات و اوائل الستينات) . ورغم المحتوى الصريح للدعوة تلك نفسها التى لم تكن الا ثورة عنيفة على شخص المسيح المخلص و نتائج كفارته بالنسبة الى مصير الانسان الاسود فى قارة امريكا الشمالية، فقد تكون ثمة عناصر ثقافية اخرى غير ''اسلامية،، الحركة فى توتر العلاقات بين اتباعها و يهود امريكا أوحتى تأييد الحركة للعرب المناضلين ضد اسرائيل فى الشرق الاوسط .

غير ان المسلمين السود على وجه العموم لم يعيروا اليهود الامريكان كيهود كثيرا من الاهتمام اذا اتخذنا بعين الاعتبار نسبة الستة ملايين يهودى امريكى فى مجموع السكان البيض و نسبهم الفائقة الى حد ابعد، بين قطاعات البيض الذين يحتك بهم سود الحارات الزنجية احتكاكا مباشرا كل يوم . فليست اللاسامية الثقافية

التي ورثها المسلمون السود من اصلهم النصراني او استوعبوها من البيئه" اواثاروها من حيث لايشعرون على سعه" او حدة تشوه ادراكهم للواقع الذى يعيشون وسطه بمعنى انهم كانوا يقيمون المجتمع الامريكى بأنه كيان يسوده نصارى بيض فكانوا يدينون اليهود الامريكان عادة بأنهم تحالفوا، كبيض، مع الكيان العام بأمريكا البيضاء ذلك. فلا يؤدى اليهودى فى رؤيه" عالم المسلمين السود ذلك الدور أو تلك الوظيفه" الذين اداهما فى لاساميه" الغرب، النصرانيه" الاصل، مطلقا. لم يكن اليهودى عند المسلمين السود كبش الفداء الذي نألفه من طرف مجموعات نصرانيه" مهضومه" الحقوق فى الغرب التى صرفت مظاهر استيائها ازاء احوال غير عادله" الى اقليات يهوديه" بارزة للاعين عن صفوات مسيطرة سببت تلك الاحوال حقيقه" و لكنها يخاف بطشها. فى حين ان معظم هجمات المسلمين السود الصحفيه" على دوله" اسرائيل مثلاً قد ربطتها مباشرة باستعمار الامريكى الابيض، مما يخلق انطباعا ان تلك الهجمات توجه الى صميم النظام الامريكى الابيض العام بالاضافه" الى توجيهها ضد اسرائيل بالذات.

يمكن النظر الى تغطيه" "محمد سپيكس" لقضايا الشرق الاوسط فى العشريه" التى مضت بعد حرب السته" الايام بين اسرائيل و العرب بأنها تعميق خطير لالمام اتباع الطائفه" بواقع وطنهم الاسلامى الدينى البعيد فيشير التقدير اطراد تزايد تعقيد الرؤيه" الدوليه" الظاهر فيه بنوع خاص. فحرب السته" الايام شكلت نوعا من نقطه" انطلاق جديد فى انتقال المسلمين السود من اسطوريه" اول رؤيا "البروفيسور"

و. د. فرد و اليجا عن مكه"، موطن السود الاول على معمورتنا، وهي تلك الجنه" التي تكسوها الشمس والقمر والنجوم و التي فيها جبل ثيمن — اسطوريه" عبرت عن الواقع الامريكي الذى حاولت اعادة تقييم تجربه" السود فيه أكثر مما عبرت عن جزء من جغرافيه" العالم او صور من ثقافه" اسلاميه" دوليه" وراء اطلسى امريكا — الى علاقه" حقيقيه" و حيه" مع الجماعات البشريه" القاطنه" لعالم اسلامى عربى بعيد بالفعل. فما يدل على الوصول الى بدايه" علاقه" حقيقيه" بين الطرفين فى القارتين المتباعدتين بعضهما عن بعض واقعيه" الرؤيه" الجديدة للشرق الاوسط او الوطن العربى ،و تعقيدها .

من الامثله" الأبعد مغزى فى الدلاله" على هذه الروح الجادة الجديدة فى السعى وراء استيعاب حقيقى لواقع الوطن الاسلامى العربى البعيد، الذى صبا المسلمون السود اليه على اساس شعور دينى مخلص و دميت قلوبهم لمعاناته، تعقيد تقييمهم لليهود القاطنين دوله" اسرائيل، أنفسهم . فرغم صيحات عناوين مقالات اداناتهم باسرائيل، لم يعتبر المسلمون السود بالدوام كل اولئك اليهود بأنهم يكونون أعداء بالضرورة للاسلام أو المسلمين الى ابد الدهر .

و من تلك الفقرات الداله" على قدرة المجله" الناطقه" بلسان المسلمين السود على الارتفاع فوق بقايا نصرانيه" لاساميه" فى ثقافه" الامريكيين الافارقه" فى ادانتهم بالصهيونيه" و باسرائيل نقد "محمد سييكس" اللاذع لانماط عنصريه" في سياسات دائرة مهاجرة الدوله"

الصهيونيه . فاللاطائفيه و نوع،، من علمانيه قوميه بينتان فى هذه الناحيه من تغطيه ،، محمد سبيكس،، للسياسه العالميه . ان الحكومه الاسرائيليه تشجع مهاجرة عائلات يهوديه من الاتحاد السوفياتى الى الشرق الاوسط مستجديه لذلك اموال طائله من اليهوديه العالميه و حتى من حكومه الولايات المتحدة لتقوم باود تلك العائلات السوفياتيه الداخله المستوطنه العديمه لاموال خاصه، و لكن نفس الحكومه الاسرائيليه فى نفس الوقت تطرد (أوتمنع دخول) الزنوج اليهوديون ديانه الذين يحاولون النزوح من امريكا الى اسرائيل، وطن دينهم . متى يعتبر اولئك القواد الامريكيون الافارقه الذين يمدحون اسرائيل بمعاملة حكومه الصهاينه لليهود الامريكيين السود؟، تحدث الصحيفه . فمن هذه المقاله (٢٢ اكتوبر ١٩٧١) نرى ان جريدة ،،محمد سبيكس،، لم تصور ،،اليهود،، فى العالم باذهم كيان عنصرى او اخلاقى واحد بل ان اليهوديه مذهب دينى دولى يخضع لها خضوعا ايمانيا جماعات متشتته متفاوته عنصريا و مصالحيا، اى ان اصطلاح ،،اليهود،، علامه لا تكشف (بل تكتم تباين) القوميات المتعددة التى الصقت عليها الصاقا فى كثير من الجبرو التعسف . فالتى كانت تعارضها الصحيفه بانتقاداتها لاسرائيل، اذا، بالاساس الاقليه القوميه الحاكمه دوله اسرائيل من بيض اوروبيين الذين يستعملون، من منظور المسلمين السود، علامه اليهوديه كتغطيه عقائديه لمصالحهم العنصريه الغازيه . فمن داخل هذا المنظور، اقليه البيض ،،العنصريين،، هم هدف النقد أو الادانه فى اسرائيل كما فى جنوب افريقيا و ليس ،،اليهود،، فاليهود السمر الذين نزحوا من البلدان العربيه او الاسلاميه الى

اسرائيل هم، رغم ديانتهم اليهوديه، كيان يفصلهم اختلاف العرق من الاقليه البيضاء الاوربيه اليهوديه العنصريه الحاكمه بل هم كيان ملتصق عنصريا و ثقافيا بكيان الفلسطينيين المجاهدين فى سبيل العودة الى الوطن الفلسطيني المفقود . شرقيو اسرائيل العنصريون اليهود ديانه هم الحلفاء الطبيعيون للفلسطينيين حسب المنظور العنصرى للمسلمين السود فلم تدن جريدة "محمد سبيكس" فقط باقتراح النائب الامريكى الديموقراطى موسكى muskie أن تضرب الحكومه الامريكيه ضريبه خاصه على مدنييها الامريكان بما فيهم الامريكيون الافارقه الغير ميسورى الحال لتمول تلك الهجرة اليهوديه من روسيا الى اسرائيل بتقديم مبلغ ٣٥،٠٠٠ دولارا لاستيطان كل عائله يهوديه سوفييتيه (فى حين رفض اسرائيل لادخال امريكيين سود يهودى الديانه نظرا لعجزهم عن القيام باودهم) بل لان هذا النوع من تمويل هجرة يهود سوفييت الى اسرئيل يستخدم اموال دافعي الضرائب الامريكان . . . لنقل مزيد من يهود بيض (يعارضون الاشتراكيه فى الاتحاد السوفياتى) الى اسرائيل حيث سيمسون فى وضع يمكنهم من الاشتراك فى حرب اهليه ضد اكثريه (السكان — اي) اليهود السود و العرب المجاورين الذين يعارضون الصهيونيه"، ("محمد سبيكس"، ٤ فبراير ١٩٧٢، يقتطف لنكولن المقالتين ص ١٨١ — ١٨٢) .

صح ان هذا التحليل رغم انه بتقسيمه لليهود تقسيما عنصريا طابق عنصريه ديانه المسلمين السود، ربما كبر مدى تشبث يهود البلدان العربيه الذين هاجروا الى اسرائيل باصالتهم العربيه الثقافيه امام كل مشاريع حكومات اسرائيل منذ ولادة الدوله الصهيونيه فى سبيل ادماجهم

و تغريبهم ثقافيا و لغويا و قوميا اى عبرنتهم.

ثمة، بالواقع، بعض مواطن الصعوبة في تقييم تغطية مجلة "محمد سبيكس"، لقضايا الشرق الاوسط. فاكثار المقالات حول البلدان العربية و نضال العرب ضد اسرائيل نبع ولاشك من اهتمامات قراء المجلة الذين كانوا اعضاء في طائفة المسلمين السود و استجابة لها اى لاهتمامات دولية اوحاها الدين، الا ان بعض محررى او موظفي المجلة كانوا مسيحيين سوداً لم يدخلوا في اسلام اليجا فالابهام في تعيين درجة نبع تلك المقالات من ارتباط ديني—نفساني "اسلامى" بالشرق الاوسط و قضايا شعوبها او من تضامن علماني سياسى معها . فقد انتشر بين المفكرين القوميين السود النزعة المعادية للاستعمار الجذرية سياسيا بمصادفة في اعقاب حرب الستة ايام حتى تعاملت مع الوعي بقضية فلسطين بين المثقفين السود . الا انه علينا أن نلاحظ أن تعقيد نظرة مجلة "محمد سبيكس" الى جماعات اليهود القاطنين في اسرائيل — فلسطين و ان بدا فيه علائم علمنة مسيسة جذرية تطرأ على رؤية المسلمين السود الى العالم من خارج اطارها الديني التقليدي، لايتنافر مع تعاليم الاسلام الصحيح التى كانت تؤثر بدورها في عقول اتباع طائفة المسلمين السود في اواخر الستينات و اوائل عشرية السبعينات تأثيرا متعمقا : فالقرآن الكريم ايضايتميز بالتعقيد والتمييز و تعدد الابعاد التى تصف اليهود بها آياته الكثيرة المتنوعة في الموضوع، مفرقا و بين تلك الامة من قوم موسى الذين يهدون بالحق و به يعدلون و جماعات اخرى من يهود لعنوا بما قالوا

او عملوا مقاومة لدين الله .

ساق الموظفان الصهيونيان الامريكيان آرنولد فورستر و بنجامن ر . ابشتاين بعض العناوين من مجلة محمد سبيكس تعطى فكرة عامة عن مضمون تغطيتها لقضايا الشرق الاوسط فى السنوات المتوترة التى تلاحقت بعد حرب الستة الايام : "هل تشبه حياة عربى فى اسرائيل حياة الاسود فى الاباما ؟" (٦ يونيو ١٩٦٩) "يصف صحفى اسرائيلى مهاجمة (سطوة) شبيهة ب Blitzkrieg النازيين ضد المدنيين العرب" (٤ ١ نوفمبر ١٩٦٩)، "النفاثات والدبابات الاسرائلية تذبح الابرياء اللاجئين" (٢٩ سبتمبر ١٩٧٢) "يصف بعض العرب تعذيبا عانوه على ايدي الاسرائليين" (٢٧ نوفمبر ١٩٧٠)، و "تبنى اسرائيل معتقلات جديدة" (٢٦ مارس ١٩٧١) . كانت تغطية "محمد سبيكس" لنضال العرب ضد اسرائيل و "توسعها" منتظمة اذا، و ذات نزعة موالية للفلسطينيين وللامة العربية عامة . كان الدافع الذى ادى بمجلة "محمد سبيكس" الى هذا الانفتاح امام قضايا خاصة بالعرب وقومياتهم ولاريب شعور بوحدة مصير دينى باصله واساسه. الا أن المسلمين السود امكنهم من خلال مطالعتهم للمجلة استيعاب النظرة القومية العربية الى العالم كظاهرة قائمة بذاتها، مستقلة عن فهمهم الذى لم يزل غير كامل عند ذلك للعالمية الاسلامية الدينية فنشرت المجلة مقالات كمثل "مقابلة مع المناضلين الفلسطينيين" (١٦ اكتوبر ١٩٠٧) و "نمو حركة المقاومة التحررية الفلسطينية — ما هى اهداف الفتح ؟" (٢٥ ديسمبر ١٩٧٠) منبرا حرا للمقاومة

الفلسطينيه" لكي تشرح قضيتها و اهدافها (التى بينها اقامه" دوله" علمانيه" ديمقراطيه") بنفسها على السود الامريكيين المسلمين او الغير مسلمين القارئين للمجله". (مقاطع لهذه المقالات السالفه" الذكر المنشورة فى "محمد سبيكس،، يقتطفها آرنولد فورستر Benjaminr R. Epstein, فى كتابهما " اللاساميه" الجديدة ،، ص ٢١١) و لكن بالاضافه" الى تلك المقالات، نشرت المجله" كذلك بانتظام ركنا خاصا معنونا "تقرير من الشرق الاوسط،، كان يكتبه على بغدادى، رئيس سابق لمنظمه" الطلبه" العرب فى الولايات المتحدة. يلاحظ فورستر و ابشتاين عنف نبرة مقالات بغدادى عن مراحل القضيه" الفلسطينيه" عبر السنين فى مجله" محمد سبيكس: اعوازها للاسلوب الموضوعى ليس غير متوقع اذا اتخذنا بعين الاعتبار ان بغدادى ينتمى باصله الى ذلك الشعب الفلسطينى الذىعانى التشريد و النفي وقت ولادة دوله" اسرائيل. و لكن اهميه" مقالات بغدادى فى إطار بحثنا انها اسهام آخر او عامل آخر ساعد المسلمين السود و الـ ...،...٦ امريكياً افريقياً الذين تأثروا بتعاليمهم فقرأوا المجله" بانتظام، على تجاوز آفاق اوضاعهم الامريكيه" المحليه" فى انجازهم وعيا جديدا أو رؤيا جديدة لواقع العالم المعاصر. فكانت مقالات بغدادى تحقيقا مباشرا للتجربه" الفلسطينيه" والعربيه" العامه" فى عقول فئه" السكان الامريكيين الافارقه" المتأثرين بالاسلام الاسود دينيا اوثقافيا. والملحوظ ان كان عرض بغدادى لآلام الشعب الفلسطينى و لما رآه العرب بعد حرب ١٩٦٧ بانه مقاومه" توسعيه" للدوله" الاسرائيليه" من نوع يزيد تغرب القارئين السود عن ليس يهود الشرق الاوسط أو امريكا بل عن

تركيب نظام الولايات المتحدة السياسى — الاقتصادى عموما . اذ كان بغدادى يركز فى هجماته على اسرائيل على تحريك ”الاستعمار الامريكى“ لها كأداة بها يحتفظ بمصالحه الاقتصاديه (النفط) فبالتالى بسيطرته العسكريه فالسياسيه على العالم العربيه المحافظه على التجزئه فى وجه تحدى القوميه العربيه الوحدويه . رأينا ان مجله ”محمد سبيكس“ قدمت نفسها كمنبر او كقناة اعلاميه مرت بها عقائديه المقاومه الفلسطينيه القوميه العلمانيه فى اذهان القارئين السود، فأدت نفس الدور فى توصيل نماذج مفصله للقوميه العربيه عامه فى اذهان سكان الامريكيين الافارقه فى شمال امريكا . و كان مفعول هذه النماذج للفكر القومى العربى، رغم جزئيتها، معاكسا لافكار المسلمين السود المسبقه عن وحدة و تماسك العالم الاسلامى : فمن منظوره العربى القومى لم يهجم بغدادى فقط على اسرائيل و وليها المزعوم حكومه الولايات المتحدة، بل انتقد كذلك انتقادا لاذعا ”سياسه شاه ايران الرجعيه التى . . . مؤداها ان تجهز حكومه الولايات المتحدة اسيويين و تستخدمهم لقمع آسياويين آخرين يطلبون التحرر الوطنى والتقدم . . . لتثبيت مصالح الولايات المتحدة و ضمان سيلان النفط الى اسياد الشاه“ الاستعماريين . الا ان ملاحظات بغدادى اللاذعه حول احتفال الشاه بمناسبه عيد مرور ألفين و خمس مائه سنه على ولادة ”ماسمى بالامبراطوريه الفارسيه“ — استهزاء بغدادى الخفيف بتلك الامبراطوريه المنقرضه التى يشدد على قضاء اسكندر العظيم عليها وسخره من تلقب الشاه بالقاب من نوع ”نور الآريين“ — يذكرنا بعض الشئ بالمعارك اللفظيه بين العروبيين

والشعوبيه" الفارسيه" في عهد الاسلام الكلاسيكى التى التقطها من جديد بعض العقائديين للقوميه" العربيه" الحديثه" و يخلق انتباها واضحا انه لاينتقد سياسات معينه" لنظام سياسى شرقا وسطى معين فحسب بل يعبر عن اصطدام بين قوميتين متميزتين، عربيه" وايرانيه" . (انظر مقاطع المقاله" التى فى لنكولم ص ٢٣٥) . فلاشك ان القراء السود العقلاء لمجلة" محمد سبيكس اعتبروا بذلك و فهموا بعدا جديدا من ابعاد تعقيد الانشقاقات القوميه" فى الشرق الأوسط والمشتته" لوحدة جماعه" الاسلام الدوليه" عامه" الى حد ما .

على الرغم من كون "محمد سبيكس"، اذا، مجله" ملتزمه" واحيانا عنيفه" النبرة فى معالجتها لشؤون الشرق الاوسط، فكأنها نجحت فى أن تعرض على قرائها الامريكيين الافارقه" بما فيهم عامه" طائفه" المسلمين السود، صورة زاهيه" و مباشرة للعالم الاسلامى و على وجه الخصوص للوطن العربى، ولمطامح القوميه" العربيه" والفلسطينيه" . و هذا انجاز ثقافى و فكرى خطير اذا اتخذنا بين الاعتبار ضيق الخلفيه" التى انبثق المسلمون السود من بينها والبعد الجغرافى والثقافى الفاصل بين الولايات المتحدة و آسيا و افريقيا . و اننا رغم الجوانب المحددة للعقائديات القوميه" الباديه" هنا، نرى كذلك اتجاها خلاقا مبتكراً حقيقيا حتى فى التحليل الملتزم لواقع الشرق الاوسط . فاحتفظ المسلمون السود فى اقترابهم النفسانى من الشرق الاوسط باصاله" منظورهم العنصرى الذى طوروه من خلال تجاربهم المريرة فى البيئه" الامريكيه" مما مكنهم من تقديم ادراكات جديدة كما نرى من تعقيد تحليلهم

لتعدد العناصر القوميه" المفرق لمصالح الجماعات المبعثرة الممارسه" ديانه" اليهوديه" التي سترتها العقائديه" الصهيونيه" بأطروحاتها التبسيطيه" خدمه" لتحقيق اهدافها لاقامه" دوله" يهوديه" ''قوميه''، في ارض فلسطين . تبدو أصاله" تصور اتباع هذه الطائفه" لوطنهم الاسلامي كذلك في ربط محمد سبيكس لتاييدها للعرب وما لفلسطينيين في نضالهم ضد الصهاينه" باهتماماتها الافريقيه" المتصاعدة في الستينات و السبعينات كلما تصاعدت الموجه" العامه" من عودة الامه" الامريكيه" الافريقيه" ككل نفسانيا الى افريقيا في ذينك العقدين . فلم تهجم محمد سبيكس الصهيونيه" باعتبارها ظاهرة شرق اوسطيه" بحته"، بل نشرت مقالات عن دور اسرائيل في دول افريقيا ماوراء الصحراء الكبرى (افريقيا السوداء) وصفته بالتخريب، و مقالات لاذعه" عما وصفته بتعاون جاليات صهيونيه" من اليهود في جنوب افريقيا مع النظام العنصري هناك في استغلالها لاكثريه" السود في البلاد حصولا على تبرعات ماليه" لبناء اسرائيل . فرغم عدم الاتزان أو الموضوعيه" الذى لامحيص منه في التحليل العقائدي، تشكل هذه المقالات امثالا مثيرة للاهتمام بحثيا، على تداخل الالتزام بجماعه" دينيه" مع عالم الاسلام العربي مع الاهتمامات الافريقيه" السوداء في الرؤيا الدوليه" لاسلام الولايات المتحدة الاسود .

الواضح أن تأييد المسلمين السود للفلسطينيين يستمر في الفترة الجديدة التي ابتدأت مع وفاق اليجا محمد في أوائل ١٩٧٥م . استمرار تأييد اتباع و ائمه" الطائفه" للشعب الفلسطيني في كفاحه" ضد كيان

دولة" اسرائيل على الرغم من خط "الاعتدال"، السياسى العام الذى يسلكه خلف اليجا، ابنه الامام الرئيسى المحترم ولاص ديلانى محمد، خط لايخدمه فى شئ الوقوف الى جانب المقاومة" الفلسطينية" فى بلاد كامريكا لاتزال فئات او شرائح من السكان فيها يكنون ضد العرب إحنا عنصرية" أصلها البعيد فى تعصب العصور الوسطى الصليبى و فيها للاقلية" اليهودية" مالها من وزن سياسى و ثقافى و اعلامى .

لنأخذ على سبيل المثال ، ردود فعل المسلمين السود أمام غزوة الجيوش الصهيونية" لجنوب لبنان فى ابريل ١٩٧٨م اهتمامنا ابان التحليل موجه الى ناحيتين . الناحية" الاولى هى استمرارية" النظرة الاساسية" الى قضايا الشرق الاوسط بما فيها قضية" فلسطين — نظرة يمكن وصفها بالموالاة للعرب . و لكن الناحية" الثانية" هى نوع من تغير أو نمو أو تطور يؤدى بقواد الحركة" من عنصرية" نظرة الطائفة" السابقة" للتاريخ الى وعى دينى حقيقى لايقيم الانسان من خلال معايير السياسة" أو العنصر بل على أساس افتراض أن تسول كل الانفس البشرية" نوعا ما من سوء ، وان المصدر الوحيد للعمل الصالح والاخلاق الفعالة" هو الله فحسب، وليست عقائديات قومية" أو سياسية" من وضع الانسان .

نأخذ اولا استمرارية" أو تعمق النظرة السياسية" الى التاريخ . فنجد الامام ولاص محمد، قائد الطائفة"، يؤكد فى اجتماع حضره بعض المئات من الاتباع فى مسجد اليجا محمد بتشيكاغو ان تشريد سكان

تعداده مئتا الف شخص من جنوب لبنان ليس حادثة منفردة ، بل تشريد مسلمى جنوب لبنان ليس الا مظهر آخر لعناء بشرى عام عاناه العرب والفلسطينيون في الشرق الاوسط عبر عقود لسبب اساسي واحد، هو اغتصاب الغزاة الصهاينة لفلسطين، اى ان وجود اسرائيل غير شرعي و سبب الحرب وآلامها في الشرق الاوسط بحد ذاته . فطرح الامام ولاس سؤالا : كيف يوجد أى أمريكى — مسيحيا كان، او يهوديا، او مسلما — لا يشعر بعطف في قلبه للشعب الفلسطيني حين يرى كل ما يجرى في الشرق الاوسط، اما الذين ينكرون حقوق الفلسطينين فإن ارادوا العدالة فلينطقوا الحقيقة . عليهم ان يرجعوا الى الوراء الى ١٩٤٦م و ١٩٤٧م ١٩٤٨م وان يخبروا جمهور الشعب الامريكى والعالم بحقيقة الامر كى يبنى العالم احكامه على الأسس الصحيحة . عليهم ان يسمحوا للعالم ان يعرف أن مسنين ونساء واطفالا طردوا من منازلهم، ان احتل منازلهم ناس جاءوا من اوربا و سموا انفسهم يهودا . هذا هو الحق . كانوا تجارا للحروب، مارسوا الحرب فى أوربا . . . ذهبوا الى . . فلسطين و اغتصبوها وسموها "اسرائيل" اما ادعاء الصهاينة ان حكومة اسرائيل كانت تمارس القصاص دفاعا عن مدنييها من هجومات الفدائيين، فيرفضه الامام ولاس . فكل جماعة دينية سيحكم الله لها او عليها حسب أى كتابها الديني، النصارى بعقدهم الجديد، اليهود بتوارتهم المزعومة . كان تعليم موسى يقتضى العين بالعين والسن بالسن، ليس قتل مئات الناس لارهاب شعب بأسره، فسيعاقب الله بنى اسرائيل فى الشرق الاوسط بانتهاكهم اليوم

١٤٠

لتعاليم رسلهم (انظر المقتطفات من خطبة" الجمعة" حول ازمة" الشرق الاوسط بجامع اليجا محمد، بشيكاغو Emam Muhammad on Middle East Crisis : Solution Found only in truth and Justice ذى بلاليان نيوز، ١٤ ابريل ١٩٧٨م .

كان عمق و سعة" تعاطف المسلمين السود وتضامنهم مع الفلسطينيين و مع المسلمين الشيعيين فى جنوب لبنان الذين ادت الغزوة الاسرائيلية" الهدامة" الى تشريد مئتى الف منهم من الجنوب اللبنانى باديين فى تغطية" صحيفة" الاخبار البلالية" لحوادث الجنوب . فتحت عنوان ''يسلب الاسرائيليون والنصارى (اللبنانيون) قرى الفلسطينيين اعادت الصحيفة" طبع تقرير بقلم مراسل وكالة" الصحافة" الدولية" الذى شاهد بام عينيه نهب الميليشيا النصرانيين اللبنانيين اللابسين لبزات صنع اسرائيل لقرية" ''الخيام،، بعد أن الغزاة سووا القرية" الارض . كما أن الجريدة نشرت تفاصيل عن تدفق سيل اربعين الف لاجئ الى صيدا بعد ما طردهم من منطقة" صور عنف المهاجمة" الاسرائيلية" . طبعت الجريدة تقدير بعض موظفى الاسم المتحدة لمجموع تعداد اللاجئين الذين ''قد طردهم هجوم الاسرائليين من منازلهم،، بمئتى الف لاجئ . بالاضافة" الى طبعها لبعض التقارير الصحفية" العالمية" الضامنة" لتفاصيل حول عناء الفلسطينيين والمسلمين اللبنانيين فى جنوب لبنان على ايدى الغزاة الاسرائيليين و النصارى المحليين المتعاونين معهم، نشر ذلك العدد من ''الاخبار البلالية"،، بحثا مطولا لجذور المسألة" الفلسطينية" بقلم محررها غيث نور كاشف و كاتب اسود

آخر منير عمراني . اقتطف الكاتبان خلاصه" بقلم المؤرخ البريطاني الراحل ارنولد توينبي Arnold Toynbee لموقفي الطرفين المدعيين ملكيه" فلسطين، اى الفلسطينيون و اليهود الداخلون البلاد من الغرب أخيرا. كان عنوان المقاله" المطوله" "Palestine : Whose Rights to the Land" أى ''فلسطين — من له الحق في ملك الأرض ؟،، — فمن الظاهر ان تركيزها كان على مسأله" حق الملكيه" التاريخي بدلا من منظور الأمر الواقع و ضرورة ترك المستوطنين الاوربيين اليهود كي يعيشوا بسلام على الأرض التى أخذوها، واعادة توطين الفلسطينين في مكان آخر، الذى هو منطق غربي شائع يجارى مصالح صهاينه" اسرائيل . ركز تمثيل توينبي لموقف الفلسطينيين على أن نسبه" العرب في مجموع سكان فلسطين عام ١٩١٨م كان تسعين بالمئه" ، وان البلاد كانت لهم منذ فتحها من يد الرومان في القرن السابع (م) . كان دخول المستوطنين اليهود في عالم عرب فلسطين تحت حمايه" حربات الاحتلال البريطاني العسكرى للبلاد . و بعد ما قد بنى الاستيطان الصهيوني ما كفى من قوة و موارد لاقامه" دولة" هرب البريطانيون الذين قد حموه و طرد الصهاينه" ...،٩٠٠ عربا فلسطينيين من منازلهم كي تولد اسرائيل . يؤكد توينبي في اقتطافات هذا المقال المسلم الاسود على ان المسلمين قد عاملوا اليهود تاريخيا برفق و تسامح تنفيذا لوصايا نبي الاسلام محمد، آذنين لليهود ان يدخلوا فلسطين مرة اخرى بعد ان منع الرومان دخولها عليهم، و محررين يهود انسانيا ابان الفتوحات الاسلاميه" من اضطهاد القوطيين النازيه" الصبغه" . الا ان الغرب الآن قد فرض على عرب فلسطين دفع ثمن اضطهاد اوربا ليهودها .

حجج غيث نور كاشف و منير عمرانى من الخلفيه" التاريخيه" تأييد لاقامه" دوله" فلسطينيه" فى الأرض المحتله" فى عقد السبعينات لن تكون جديدة على قراء عرب . الا ان ثمه" ناحيه" لها اهميتها بالنسبه" لتحليلنا لتطور العلاقه" المزدوجه" للمسلمين السود مع عالم الاسلام و وطن ولادتهم اى الولايات المتحدة . فمنذ وفاة اليجا محمد فى أوائل ١٩٧٥م قد سلك ابنه الامام ولاص محمد خطا جديدا هو عبارة عن نوع من انفتاح ازاء حكومه" الولايات المتحدة التى كان المسلمون السود فى عهد اليجا ينددون بها على اساس انها تمثل قلعه" الاستعمار والعنصريه" الابيضين الابليسيين فى العالم . أما الامام ولاص، فقد اصبح يفرق فى اقواله بين العنصريه" البيضاء فى جنوب افريقيا مثلا و حكومه" الولايات المتحدة التى يراها تسعى باخلاص لتعديل النظام العنصرى فى جنوب افريقيا . ازدياد رخاء المسلمين السود بانجازهم لاقامه" الشركات الاعماليه" الصغيرة و تحسينات حقيقيه" فى وضع اقليه" الزنوج اقتصاديا و قانونيا فى الولايات المتحدة فى عقدى الستينات والسبعينات تعلل هذا ”الاعتدال،، السياسى المتزايد ولاشك . الا أننا نلاحظ ابهاما معينا . هل ثمه" توتر بين محاوله" الاندماج فى الجماعه" الامريكيه" سياسيا، الجديدة، من جانب، و بين محاوله" الاندماج فى جماعه" الاسلام الدوليه" الذى له ابعاده السياسيه" بدوره ؟ ففى خطبه" جمعته حول أزمه" جنوب لبنان قد اكد الامام ولاص محمد بابهام نقته بأن الرئيس جيمى كارتر وادارته جادون فى اتخاد مصالح الشعب الفلسطينى و المسلمين بعين الاعتبار على نفس اساس اهتمامهم بمصالح ناس آخرين . . . ”انا لست رئيس الولايات

المتحدة . انا مسلم و نحن صابرون ننتظر كى نرى كيف تعالج هذه القوى مشكلة" الشرق الاوسط،، . (ذى بلاليان نيوز ١٤ ، ابريل ١٩٧٨م ص ٤) .

الا أن بحث غيث نور كاشف و منير عمرانى عن الخلفيه" التاريخيه" لقضيه" الفلسطينيين يسوق اقوالا و مواد للمؤرخ الفلسطينى سامى حداوى اثباتا لا طروحه" ان كانت بريطانيا (مع حلفائها) على و شك الهزيمه" على الجبهه" الغربيه" فى اوربا حين اصدارها لوعد بالفور . فلانقاذ مجهودها الحربى كان لابد لبريطانيا من ادخال الولايات المتحدة فى الحرب . فأطروحه" حداوى والكاتبين المسلمين الاسودين الامريكيين ان سيرمارك سايكس فى وزارة خارجيه" بريطانيا تبنى فكرة اعلان استعداد الحكومه" البريطانيه" لمنح يهود العالم وطنا قوميا فى فلسطين اجتذابا لتاييد "بعض اليهود ذوى الاهتمامات السياسيه" فى كل الاماكن و فى الولايات المتحدة على وجه الخصوص،، بهدف استغلال ضغط مستجيب من اقليه" اليهود الامريكان لتوريط الولايات المتحدة فى الحرب ضد المانيا . اقتطف المقال اقوالا لديفيد لويد جورج قائد الحكومه" البريطانيه" وقت اصدار وزير الخارجيه" بلفور لوعده الى أدموندى روثسشيلد و لوينستون تشور تشيل Winston Churchill تصف الوعد بانه لم يكن عاطفى الدوافع بل خطوة عسكريه" و عمليه" لهزم المانيا و حليفتها تركيا — وان كانت على حساب سكان فلسطين الاصليين و تقريرهم لمصيرهم . هذا بالاضافه" الى تحليل وعد بلفور داخل اطار اطروحات القوميه" العربيه" عن خيانه" القوى الغربيه"

ابان و بعد الحرب العالميه الاولى، و فرضها سيطرتها الاستعماريه على بلدان عرب آسيا بعدما قاتل اولئك العرب جنبا الى جنب معهم ضد الاتراك كحلفاء .،، بدون مساعدة العرب لغلب الاتراك على بريطانيه،، تشير مقاله الكاتبين المسلمين الاسودين الى أن بريطانيا اصدرت وعدها لجذب التأييد الدولى ،،من يهود العالم،، لسيطرتها المقبله على أرض فلسطين بذاتها باعتبار فلسطين بقعه استراتيجيه لوقايه سيطرة بريطانيا على منطقه قناه السويس الواصله البحر الابيض المتوسط بالبحر الاحمر ،،و المحيط الهندى،، .

النقطه المهمه ان البحث المسلم الاسود عن قضيه فلسطين حلل القضيه من داخل منظور معاداة جذريه للامبرياليه الغربيه من ناحيه الموقف من الولايات المتحدة رأينا ان المقاله اعتبرت يهود أمريكا المؤثرين كمثل لويس برنديس Lauis Brandeis حكيم فى المحكمه العليا للولايات المتحدة كأداة او كحلفاء للاستعمار البريطانيى فى تحقيق مصالح شريرة له من نوع قهر شعب فلسطين واستيراد مستوطنين أجانب لجعله اقليه فى أرضه اوطرده منها . ليس هذا فقط ، المقاله متشائمه من ناحيه التاريخ الماضى عن فعاليه القيم الاخلاقيه فى الحياة السياسيه الامريكيه القوميه فتصور الرئيس وودرو ويلسون مثلا يستجيب للضغط من طرف برنديس استجابه تخدم مصالح الصهيونيه والبريطانيه المتشابكه و تورط امريكا فى الحرب العالميه . فهذا المنظور نفس منظور جريدة ،،محمد سبيكس،، عهد اليجا التى رأيناها واعيه كل الوعى بقوة اللوبى اليهود

(The Jewish Minority Lobby) في السياسة الامريكية و فعاليتها في تعبئة ساسة الولايات المتحدة في خدم مصالح اسرائيل على حساب مسلمي الشرق الاوسط .

فالظاهر من تناول صحيفة ذى بلاليان نيوز لقضية فلسطين عام ١٩٧٨م ان تأييد المسلمين السود الامريكيين لعرب الشرق الاوسط، الذى سماهم الامام ولاص "اشقاءنا و شقيقاتنا المسلمين" (Muslim brothers and sisters) سوف يستمر رغم تزايد المحافظة السياسية للطائفة الا أن توترا حقيقيا قد يجئ ان اتخذت حكومة امريكية في المستقبل موقف معاداة صريحة من العرب في حال انهيار الانظمة العربية المتعاونة معها امام تيارات اكثر جذرية .

ثمة ناحيتين اخيرتين تستحقان الاشارة والتحليل من ردود فعل المسلمين السود ازاء غزوة اسرائيل للبنان في مارس من سنة ١٩٧٨م .

فرغم شعوره الاسلامي العميق بالتضامن مع عرب الشرق الاوسط في وجه هجومات جيوش اسرائيل، يتصور الامام ولاص محمد اشقاءه العرب من داخل الوعي الامريكي الذى يكتسبه السود الامريكان من البيئة الثقافية العامة . فرغم ان العرب المسلمين متاخرون ثقافيا و اقتصاديا بالمقارنة مع الغربيين اليوم، يبالغ الامام ولاص في تقديره لهذه الناحية ، مزاعم الصهاينة أنهم حققوا نصرا مزيفة، لأن جيوشهم المسلحة تسليحا عصريا راقيا والتى آزرتها بعض الامم

الكبرى (Backed up by great nations) استخدمت المدفعيه الحديثه لهجوم ''شعب لم يملك غير الجمال والاحصنه والسيوف و بعض البنادق القديمه،، فأى نصر هذا الذى يفتخر به الصهاينه أن ذبحوا و قتلوا ''شعبا من فلاحين،، يجولون من بلاد الى بلاد، من مدينه الى مدينه، من واحه الى واحه ''يشربون شيئا قليلا من ماء، يأكلون شيئا قليلا من طعام، و يصلون . . . ليس هذا من انتصار ابدا ! ،، فينظر الامام ولاص محمد الى العرب الى حدما من داخل قوالب امريكيه جاهزة تؤكد على بداوتهم، فلا يدرك مدى تأثير العصريه والتغريب (Westernization) فى أنماط حياة الفلسطينيين على وجه الخصوص . الامام ولاص يتكلم كزنجى أمريكى من داخل الحياة المصنعه المدينيه الامريكيه البعيدة من تجربه حياة الشرق الاوسط .

النقطه الاخرى تتعلق بابتعاد المسلمين السود تحت قيادته من الروح القوميه التى كانت تملأ تعاليم الطائفه الدينيه فى عهد ابيه اليجا . رأينا أن المسلمين السود فى الولايات المتحدة كانوا يعتقدون فيما مضى من فترات تاريخ تطور طائفتهم ان السود يمثلون الخير الاخلاقى بطبيعتهم وان البيض شياطين يجسمون الشر، و ان الله سيقضى على البيض كجماعه عرقيه بدون استثناء فى يوم الدين . الابيض السيئ لايستطيع أن يصبح مسلما بطبيعته اصلا، فمكتوب عليه الموت المحتم، كما ان الاسلام الدين الطبيعى للانسان الاسود الذى يحقق استرداده إياه الحريه والأخوة والمساواة له فى جماعته القوميه

المظفرة . منظور الامام ولاص غير هذا . المسلم الحقيقى يدعو الله ان يرحم كل البشريه بأسرها . من امثال ذلك حزن النبى محمد صلى الله عليه وسلم على وفاة نجاشى الحبشه الغير مسلم حينما انتهى خبر توفيه اليه . ليس المسلم متعصبا عنصريا او طائفيا . مقصد تنزيل الاسلام توحيد كل البشريه فى عائله واحدة . قد اتى الاسلام لإنقاذ العالم من السياسه القبيحه و القوميات المتعصبه . لايكثر المسلم الحقيقى كلاما من نوع "انا عربى، بينما انت يهودى"، او "هو أفريقى"، لا يصنف الاسلام الناس حسب انتماءاتهم العرقيه او اللغويه . من البين إذاً، أن الامام ولاص محمد يفرق بين جماعات الايمان الدينى والجماعات القوميه . الروح القوميه من الظاهرات التى قد تتخذها النفس الامارة بالسوء فى بعض الظروف تغطيه لتنفيذ بعض الاغراض العرقيه الانانيه على حساب عائله الانسانيه العامه التى يدعو وحى الاسلام الى اقامتها . المسلم الحقيقى مع اعتصامه بحبل امته الواسعه الضاربه مثلا نموذجا لعائله البشر، يردع عنف نزعات الجماعه القوميه الانانيه المنبثقه من نفسه بالرجوع الى قيم بديله تشمل كل الانسانيه تجئ من خارج شخصه و من خارج الاقوام من الله بواسطه ايحاء النبى محمد صلى الله عليه وسلم .

مهما يكن من نقاط ضعف فى توجيه الامام ولاص محمد الانتقاد ضمنا الى ضيق آفاق فى بعض القوميات العروبيه، فلاشك أن منظوره منظور دينى بالمعنى الصحيح انه قد تجاوز حدود القوميات البشريه او الفوارق العرقيه و تخطاها مرتفعا الى قوانين الهيه شامله تنزل على البشريه الآثمه بطبعها لتنطبق على كل الانسانيه بلامحاباة .

علاقة الامريكيين الأفارقة بالعالم الاسلامى في التاريخ المعاصر"

"تحويل الامام ولاص محمد لطائفة المسلمين السود بعد فبــرايـــر ١٩٧٥"

خلف الحاج اليجا محمدا بعد وفاته في شهر فبراير ١٩٧٥ ابنه ولاص ديليني محمد Wallaca Delaney Mohammad المولود سنة ١٩٣٣ الذى كان احد افراد طائفة المسلمين السود الذين ألموا باللغة العربية بطريقة فعالة نسبيا ، فأثر فيهم الاسلام الصحيح تأثيرا اعمق من العادى مما أخرجه من بعض خرافات اليجا الى نور الاسلام الصحيح .

قد أثبت الامام ولاص منذ توليه رئاسة ائمة الطائفة نشاطه و اقدامه و شجاعة حاسمة معينة ، فهو قد ثور تعاليم و ممارسات و تنظيم المسلمين السود.

من بين ابرز اصلاحاته :—

(١) تأكيده عقيديا ان محمد بن عبدالله العربى (صلى الله عليه و سلم) آخر الانبياء و ان امته تشمل مؤمنين بيضاء بالاضافة الى مؤمنين سود.

(٢) اقامته التدريجية لفرائض عبادات الاسلام كما يمارسها

مؤمنو آسيا و افريقيا .

(٣) محاولته الاريحيه" طمس ضغائن الماضى التى شابت الطائفه" بمديد الاخوة الى اتباع الشهيد ملكولم—واعادة جذبهم فى صفوف الطائفه" مرة أخرى.

(٤) تخليه العلنى من حلم الدوله" السوداء المستقله" التى ستبرز من خلال تقسيم للولايات المتحدة ، و اعلانه أن قلوب البيض الامريكان قد تغيرت و ان الامريكيين الافارقه" يستطيعون بالتالى الان ان يبنوا عالما جديدا بالاشتراك مع بيض وطنهم ، يوفر لهم الرخاء والمساواة بوصفهم مواطنين امريكيين.

(٥) حثه اتباعه السود لهذا الاعتبار على الاشتراك فى الاقتراع المحلى و العام الى جانب حثهم على خوض قضايا السود المحليه" بالشركه" مع المنظمات والقوى الاخرى العامله" بين جاليات السود فى الولايات المتحدة.

(٦) تشجيعه العلاقات الوديه" مع كنائس السود المسيحيه" (بخلاف تنديد ابيه العنيف اللهجة" للكنيسه" المسيحيه" والنصرانيه") كاجراء من اجراءات بناء نوع من جبهه" سوداء موحدة لتقديم مصانع السود المشتركه" بغض النظر عن طوائفهم. من اجراءاته فى هذا القبيل تشجيعه لاجتماعات مشتركه" فى سبيل اهداف معينه" ، و اجتماعات الحوار الدينى ، بين ممثلى الاديان المختلفه" بين السود.

تدل هذه الاصلاحات الجذريه" الكاسحه" على عزم حاسم حقيقى من الامام ولاص لانها، كما سوف نرى، انطلقت وسط معارضه" طبيعيه" من فئة" من عضويه" الطائفه" نظرا لهتافاتها عنصرية" عقائديه" الطائفه" الماضيه" التى ألهمها ظروف البيئه" الامريكيه"، و نظرا لان البيئه" و الاقتصاد الامريكيين قد دخلا فترة من عدم الاستقرار او فترة لايتنبأ بتطوره المستقبل مما وضع أكثر من علامه" استفهام حول سياسه" الامام ولاص الجرئ الايجابى المتفائل من الكيان الامريكى فى اذهان بعض النقاد السود داخل الطائفه" و خارجها.

رغم ابداع و جراءة اصلاحات الامام ولاص منذ توليه منصبه الحالى كالرئيس الروحى للجماعه" العالميه" للاسلام فى الغرب، لم يكن حدوث تغيرات جذريه" من نوع ما بعد وفاة اليجا محمد بغير متوقع تماما. لم يكن اى تحد صريح لسلطه" اليجا محمد بممكن ابان حياته نظراً لهيبه" و جاه الحاج اليجا بوصفه "النبى الذى رأى الله"، المتجسد فى شخص و الى فرد محمد وجها لوجه حسب خرافات الطائفه"، الا انه كان من المتوقع حدوث تغييرات جذريه" و عنيفه" فى طائفه" المسلمين السود بعد وفاة نبيها وقائدها اليجا محمد الذى قد اشرف على الحركه" عبر اربعه" عقود و نيف منذ اختفاء و الى فرد فى يونيو ١٩٣٤ — عقودا اربعه" ملأى بتحولات فى المحيط الاجتماعى للاتباع السود و بنمو متصاعد ملفت لاعداد العضويه" بعد اواخر الخمسينات و ببعض الفترات او الحوادث الصاخبه". فحتى وفاته فى فبراير ١٩٧٥، لم يزل اليجا يقبض على زمام السلطه" المطلقه" فى الطائفه" بقبضه" حديديه" بصفته النبى

الذى رأى Allah المتجسد فى شخص والى فرد وجها لوجه ، ذلك النبى الذى رفع اتباعه المسلمين من درجه" متواضعه" الى درجه" عاليه" اعطتهم مصانع و مزارع تحت علم النجمه" و الهلال. (ومما مكن اليجا من التشبث بهذه السلطه" المطلقه" حتى نهايه" حياته نشاطه و طاقته اللذان لم يثلمهما مرور السنين و أتعابها ، واللذان سكناه من قيادة اتباعه السود الخمسين الفا فى اقامه" شبكه" او اسبرا طوريه" رأسماليه" سوداء مستقله" فى ظروف اقتصاديه" واجتماعيه" غير مؤاتيه" تماما). و لكن ، رغم استحالة" تسديد نقد سافر او اى نوع من تحد حول القيادة الى شخص اليجا المهيب داخل الحركه" ، ابان حياته نظرا لعبادة عامه" الاتباع له ، الا أن مراقبين موضوعيين لاحظوا علامات انصداع داخل صفوف الطائفه" حتى فى حين لم يزل على قيد الحياة. فاقتطف لنكولن مثلا فقرات من بيان لا ليجانشر فى ''محمد سبيكس ،، ('' محمد يتكلم ،،) ، لسان حال الحركه" الاسبوعى ، فى اواخر ١٩٧١م استنكر فيه اليجا جماعه" '' المنافقين ،، او '' المرائين ،، الذين حسب ماقال كان هيكل الطائفه" رقم ٢ فى شيكاغو (اى مقر الطائفه" لعموم الولايات المتحدة و مكتها الرسزيه") '' يكتظبهم ،،. فأنذر اليجاسن انه لن يلبث ان يغلظ على اولئك المنافقين و يجاهدهم استجابه" لأمر القرآن الكريم ، و حذر المؤمنين من ان يتخذوا اولئك اولياء لان ''مصادقه" المنافقين خطر ،، على بقاء الأمه"ا لدينى. و الذى له دلالته أن لم يكن اليجا يعذر من فئه" قليله" معارضه" بين صفوف الحركه" بل من تذمر عام قد يكون قراؤه العاديون يصادفونه فى أعز الناس عليهم فى حياتهم

اليوميه : قد فصل القرآن الكريم، كتب اليجا، اعمال المنافقين الداله على كفرهم " لكي تعرفوا هويتهم ان كانوا في عائلتكم او في بيتكم ". من يدخل في المنافقين " يصبح عدوك ، بغض النظر عن كونه زوجك أو زوجه او من الابناء او البنات " .

فالرسول محمد سوف Weed them out عند أقرب فرصه . (لنكولن "المسلمون السود في امريكا " ص ٢٢٠-٢٢١) و كأن مقاله اخرى بقلم "مؤمن" يقطفها لنكولن يحدد هويه فئه خاصه في الطائفه عارضت قرار الرسول اليجا ببناء دار فاخمه لنفسه في شيكاغو بتكاليف نصف مليون دولار للاستراحه في سنوات تقاعده: " بعث بكم الى مدارس التحصيل العالى هنا و بالخارج . . . الا انكم عند عودتكم حاملين شهاداتكم أدار بعضكم ظهوركم عليه تتولون . . . تحاولون صد اخواننا و اخواتنا المساكين من التردد على مساجدنا المقدسه . . . " كان من بين نقاد اليجا محمد داخل الحركه ، اذاً ، جيل الشباب الذين تلقوا تحصيلا علميا في كليات و جامعات الولايات المتحدة او بالخارج ، و ربما في جامعات البلدان العربيه ، جيل مثقف جديد صاعد في صفوف امه اسلام محمد كانوا يكسبون عقولا منفتحه نقادة . و في نفس الوقت كان من بين الجماعه المعارضه بنوع ما بين صفوف اتباع الطائفه تلك الفئه التي تشبثت بتعاليمها الماضيه المتركزة حول فكرة التقشف في الحياة الشخصيه و عدم تبذير الاموال : " آخرون منكم سخاف الى حد يجعلكم ترتأون ان يحرم الاسلام عليكم اقتناء الاشياء الحسنى في الحياة " (لنكولن ص ٢١٥-٢١٦)

عند وفاة اليجا محمد قد برز فى الوجود نوع من معارضه" ساكنه" حقيقيه" و ان كانت معتدله" عبارة عن عدة فئات :-

(١) المثقفون الذين أتوا بعد تأسيس الطائفه" بكثير و تلقوا تحصيلا عاليا فى امريكا او فى العالم العربى لم يمتز به جيل المؤسسين. و كما ظهر فيما بعد، لم تكن انتقادات هذه الفئه" فقط انتقادات حول اتراف حياة القيادة " الرسول و بعض ائمته"، فحسب بل عقيديه" كذلك.

(٢) المتشبثون من مثقفين و عامه" الاتباع بفكرة التقشف فى تعاليم الطائفه" الاصليه" : ذلك التقشف و ذلك القرب من الجماهير السود و حاراتهم المتداعيه" التى قد ابتعد عنهما اليجا و جماعه" من أئمته باتخاذهم بيوتا فخمه" بعيدة عن اماكن اقامه" و معاناة جماهير السود. تقشف اتخذته الطائفه" كذلك وسيله" لجمع الراسمال الاولى الذى جعلوا منه اساس انطلاقتهم الراسماليه" الصغيرة.

(٣) فئه" عنيفه"، ثوريه"، أرادت مواجهه" مسلحه" مباشرة مع المضطهدين البيض كأسهام من قبل المؤمنين فى معركه" أر مجدون Armageddon بين قوات البر الالاهى و بين قوات حلف ملوك المعمورة الشيطانى (=البيض) و قوات الله ، تلك المعركه" التى ينتهى معه عصر حكومه" الشياطين البيض يلاحظ ان قد عبر ملكولم عن نقاط تذمر كل هذه الفئات قبل او بعد مغادرته لطائفه" المسلمين السود التى اعطاها صبغه" رسميه" فى ٨ مارس ١٩٦٤. و يلاحظ كذلك أن اليجا محمد عين " اماما قوميا " للطائفه"

بعد ممات ملكولم لويس فراخان الذى دربه ملكولم اول الامر والذى كان من أصدقاء ملكولم المقربين حين خروجه من الطائفه. يلاحظ أن لويس فراخان أصبح بعد وفاة اليجا من أنشط العاملين فى سبيل تحويل تركيب و تعاليم طائفه المسلمين السود كى توافق أفكار التجديد التى كان ملكولم ، حين حياته ، من أفصح و أصرح الذين نادوا اليها.

و لكن المسؤول الاول عن التحويلات الجذريه التى قد طرأت على الطائفه منذ وفاة اليجا فى فبراير ١٩٧٥ لم يكن الا ابن اليجا بالذات ، اى ولاص ديلينى محمد الذى خلف أباه قائدا للطائفه.

كأن ولاص محمد وقف وقفه تأييد حاسمه ازاء ذلك التذمر الذى غمرواجتاح صفوف الطائفه فى ١٩٦٣ و ١٩٦٤، مسببه انصداع وحدتها مع خروج ملكولم — منها رسميا فى ثامن مارس ١٩٦٤.

فأول من التجأ اليه ملكولم للبحث عن طريقه لمعالجه الازمه التى قد تنتج عن شائعات عن شوائب فى حياة اليجا محمد الخاصه لم يكن الا ولاص محمد بذاته لان ، بحد قول ملكولم "شعرت بان ولاص محمد ،،أميل ابناءمستر محمد الى الاشياءالروحيه ، ابنه الاملك لاتجاه موضوعى، دائما قد كنا نعى بقرب وثقه مشتركين استثنائيين ،، (سيرة ملكولم — الذاتيه ص ٦ . ٤) حوالى نفس وقت خروج ملكولم من صفوف الحركه، جهر ولاص محمد للصحافه الامريكيه بانتقادات من طرفه للمحترم اليجا محمد ، منها قضيه الانحرافات السلوكيه المرويه فى حياة اليجا الخاصه التى هزت الشائعات حولها ايمان ملكولم — ، و من بينها تبذير العناصر المترفه ذوات امتيازات معينه فى الحركه لاموال جمّعت من تبرعات

الاعضاء الكادحين بعناء جهود طويلة – اموال ما أشد حاجة الطائفة الى صرفها بدقة و عناية الى سهام البناء الاقتصادى و لكن من بين تحفظات ولاص ازاء الطبيعة المركبة التى قد اكتسبتها طائفة المسلمين السود كذلك وقفتها من اسلام العالم الاسلامى العربى ، فبين من سيرة ملكولم الذاتية ان ولاص ديليني محمد شجع حتى مدة سنين قبل تأزم علاقاتهما مع اليجا تحرك ملكولم المتزايد نحو اسلام الشرق " الارثوذكسى " شجع والاص ملكولم على تعلم المزيد عن اسلام الشرق " الارثودكسى " بعد ما أخبره ملكولم عن الاسئلة الملاى بالتحدى الدينى التى كان يطرحها الطلبة المسلمون البيض البشرة المقيمون بأمريكا بعد خطابات ملكولم فى جامعات الولايات المتحدة تبشيره باسلام اليجا محمد (سيرة ص ٤٣٠). و ان صح أن ملكولم اكتشف عند حجه الى مكة المكرمة اسلاما جديدا قادرا على محو وعى العنصريات او العرقية او حتى التعصبات القومية من صفوف المؤمنين الحاجين الى بيته من كل انحاء العالم ، ذلك الاسلام المنزل الذى لم يكن يخطر لملكولم على بال حين تبشيره الغيور باسلام اليجا محمد فى " قفر شمال امريكا " ، فكأن ولاص محمد نفسه قد حج روحيا الى مكة المكرمة قبل ملكولم. فكأن من أول السود الذى كتب اليهم ملكولم من مكة تلك الرسالات الطويلة التى شرح فيها تفاصيل الاخوة فى الايمان الدينى الذى قد شاهدها هناك للتو " ابن اليجا محمد ، ولاص محمد ، الذى قد عبر لى عن ايمانه بان الخلاص الممكن الوحيد لامة الاسلام (المسلمين السود فى الولايات المتحدة) قبولها و نشرها لفهم احسن للاسلام الارثوذكسى " (سيرة ص ٤٥٣) كان ولاص محمد ، اذاً ، يشارك ملكولم اكس ثورته على القوالب

الجامدة التي قد اخذت تحصر حركة المسلمين السود ، ثورة على انحرافات في سلوك البعض و ابتعادهم عن مثل التقشف و عدم تبذير الاموال و الموارد ، ثورته ، آخر الامر على بطئ مسيرتها نحو التلاقي مع جماعة امة الاسلام الدولية . . . و عسى ثورة ولاص كان أكثر ابعادا من ثورة ملكولم . الا أن ولاصا لم يستمر في ثورته . ولاشك انه لاحظ أن ملكولم لم يسجل اى نجاح سريع ، نتيجة الى حد ما لكثرة اسفاره في العالم العربي و افريقيا في تلك السنة الاخيرة من حياته بناء لعلاقة كفاح مشترك بين الامريكانيين الافارقة و العالم العربي الافريقي ، في بناء حركة اسلامية واسعة العضوية بديلة بين سود الولايات المتحدة .

فبقيت قاعدة ملكولم في الولايات المتحدة من الناحية التنظيمية هي نويورك (حارة هارلم الزنجية حيث عمل وكافح عبر سفراته في صفوف المسلمين السود) ، فقط . و في اثناء ذلك ، بقيت مسألة مستقبل طائفة المسلمين السود قضية حية : مصير ما تراوح بين . . . ١٥٠ و . . . ، ٤٠ مؤمنين قد حققوا أفعل حركة قومية سوداء في تاريخ الولايات المتحدة . فبعد اغتيال ملكولم ، تقدم ولاص محمد في قاعة اجتماع الاحتفال بـ " عيدالمخلص ،، السنوى يواجه الحاضرين الجالسين امامه فيستغفرهم على مروقه . فالتأمت جروح الانشقاق بينه و بين ابيه شيئا فشيئا ، لم يجهر ولاص ، مثلا ، بعد يوم التوفيق ذلك بالرأى الذى عبر عنه لملكولم بضرورة اقتراب الطائفة من الاسلام " الارثوذكسى ،، و عالمه . و في ضوء التام العلاقات بين الابن و الاب لم يكن من غير المتوقع ان يخلف ولاص محمد اباه قائدا عاما للطائفة كما

كان من المقرر منذ سنين اصلا حين وفاة اليجا في اوائل ١٩٧٥. الا أنه من الممكن أن تولى ولاص رئاسة الطائفة مثّل ايضا ادراكا متناميا بين مسلمين سود ذوى نفوذ و مكانة للتناقض بين اسلام اليجا المعهود و اسلام الشرق الذى كان تزداد اتصالات المسلمين السود به، و أن اصلاحات رئيس الأمة ولاص الجارفة، الكاسحة، التى اتبعت توليه لرئاسة المسلمين السود، لم تكن برنامجا خاصا به فرضه فرضا على اتباع الحركة.

المعلومات عن استمرار تاثير ملكولم × فى اتباع طائفة المسلمين السود فيما بعد خروجه من الطائفة و وفاته مبهمة بعض الشئ. لا شك من ادانات صحافة و كتاب الطائفة له أن مثلت رؤيا ملكولم عن أخوة الاسلام الانسانية الشاملة ابان حجه بمكة المكرمة تحديا عقائديا حقيقيا لاطار اتباع اليجا الفكرى . فيما سبق كان اليجا محمد يؤكد أنه كان ممنوعا على اى شياطين بيض دخول مكة المكرمة او المدينة المنورة : و لكن بعد حج ملكولم و ذيوع انطباعاته بين جمهور القراء بين الامريكيين الافارقة نجد نوعا من التصليب ضد اسلام الشرق الارثوذكسى يجد تعبيرا منقطعا فى جريدة محمد سبيكس : فاستهزأت الجريدة بملكولم — لانه "حصل لاول مرة (بمكة) على فرصة تناول الطعام من نفس الطبق مع الشيطان (البيض) . . . عاد ملكولم من مكة يعبد الشيطان. . ." (لنكولن ٢١٣) تكلم اليجا فى ١٩٧٢ عن اسلام جديد يقوده مسلمون سود فقط يحل محل الاسلام الارثوذكسى القديم الذى "قاده ناس بيض، مسلمون بيض" (لنكولن ص ٢٣٣) هكذا

نرى ردة فعل واضحه من ناطقى الطائفه ازاء التحدى العقائدى من الاخوة الاسلاميه التى الفت ملكولم انتباه سود اميركا اليها : فأمام هذا التحدى اعترفوا بأن فئه كبيرة و ربما فئه راجحه من مسلمى الشرق البيض ، مما يشكل اعادة تعريف للاجناس من قبل الطائفه اذ انهم كانوا فيما سبق يعرفون العرب و اجناسا اسلاميه اخرى مماثله بانهم " سود " ، حسب المغزى الواسع الذى كان عندهم لهذا الاصطلاح الذى كان يشمل الحمر والسمر والصفر و السود فى العالم فالآن اعترفوا بتمييز عنصرى ، بين انفسهم والعرب والاتراك والفرس الى آخره ، بدلا من تأكيد وحدة عنصريه اساسيه . كانت ردة الفعل الاولى امام اعتناق ملكولم أخوة الاسلام الشامله الابتعاد العلنى عن كيان اسلام آسيا و افريقيا .

منذ وفاة اليجا محمد ، قد ابتدأت فترة استيعاب سريع من طرف طائفه المسلمين السود لعقائد و ممارسات اسلام آسيا و افريقيا . قد انفتحت صفحه جديدة فى علاقات المسلمين السود مع العالم الاسلامى تختلف نوعيا من أى شئ سبقه .

هذا الاندماج فى عالم اسلام افريقيا و آسيا الذى قد قاده ولاص محمد دينى ، يعوزه عوامل القوميه الساذجه التى عقدّت العمليه فى عهداليجا . من مميزات الفترة كثرة الاقتطاف من القرآن الكريم و مؤلفات انكليزيه بقلم مؤلفين كمثل المصرى احمد جلواش عن دين الاسلام فى شروح ولاص محمد للديانه الاسلاميه فى محمد سپيكس و (من بعدها) فى بلاليان نيوز ، استعمال واسع لاشرطه تسجيل القرآن الكريم بين الاتباع ،

اتخاذ عبادات الاسلام الصحيحه ، اعادة ترتيب هياكل الحركه كي تصبح مساجد حقيقيه فيها اماكن خاليه من الكراسى السابقه يستطيع المؤمنون فيها تأديه فريضه الصلاة حسب الحركات الصحيحه كما ترى تأديتها في بلدان آسيا و افريقيا.

تطور آخر لابد من أن يؤثر في نوع العلاقه التى سيبنيها المسلمون السود مع الاسلام و مع عالمه محاوله الامام ولاص محمد قيادتهم الى الاندماج العضوى فى مجموعه الامه الامريكيه. فنشاهد تغير كثير من الاطر القوميه والسياقات القوميه الفكريه التى أثرت تأثيرا عميقا في تطور العلاقه الدينيه من قبل. فمما يدل على محض دينيه المجموعه الانسانيه التى يوكدونها اليوم مع العالم الاسلامى العربى قبول الامام ولاص لانخراط بيض في طائفته . محور جماعه المسلمين السود الآن ايمان ديني معروض على كل افراد البشر ليقبلوا او يرفضوا ، و ليس وراثه عرق او دماء يقتضيان للابد ما هو الدين المناسب الاصيل للفرد ما نعين عليه حريه الاختيار. هم يؤمنون الآن بدين شامل عالمي Universal لكل البشريه و ليس بديانه قوميه لعناصر محدودة. كان اول داخل امريكى ابيض في الطائفه الدكتورة ذوروثي دورسى ، استادة بثانويه الطائفه في شيكاغو.

من الاشياء التى قد حرص ولاص محمد ، بصفته رئيس ائمه الحركه ان يركز عليها الفعل انتماء اتباع مجموعته الى الجماعه العالميه للاسلام. من التعبيرات السطحيه بعض الشئ او الاصطلاحيه عن تأكيده هذا الموقف وهذه النقطه اقتراحه تبني اسم جديد للحركه في اكتوبر

١٩٧٦ — اى اسم " جماعة الاسلام العالمية في الغرب "
"The word Community Islam in the west" فالتشديد ، اذا ، منذوفاة
الحاج اليجا على عضوية انتماء اتباع " الاسلام الاسود فى الولايات المتحدة الى جماعة عالمية من مسلمين متمركزين فى افريقيا و آسيا يكون المسلمون السود في الولايات المتحدة امتداد اذا و جزيرة بعيدة لها فى قارة اميركا طبعا ، قد شعر مؤسسو و اتباع الحركة منذ نشأتها الاولى بعضوية انتمائهم الى كيان اسلامى دولى ، رغم اختلافات جذرية بين تعاليم فرد او اليجا و تعاليم الاسلام فى العالم العربى المسلم فى افريقيا او آسيا. و لكن قد فقد هذا الشعور هامشية السابقة الآن و اصبحت لقيادة الطائفة جادين فى تأكيد انتمائهم الى جماعة اسلامية عالمية ليست لاناس ملونين فقط بل لكل بنى البشر الذين يهتدون الى نفس الوحى المنزل ، فقال ناطق بلسان الحركة من شيكاغو: " اننا لسنا مسلمين سودا و لم يكن ابد الدهر ، اننا لسنا انفصا ليين سودا ، نحن جماعة عالمية — جماعة تشمل كل الناس. فى صفوفنا بيض Caucasians و شرقيون Orientals هم اعضاء وكلنا مسلمون فقط . " أكد كذلك ان اتباع الحركة لم يسموا انفسهم " مسلمين سودا " فى الماضى و " لم نقبل ذلك الاصطلاح ابدا " : فرضته عليهم صحافة البيض Nation of Islam Changes name to fight separatist image ٣٣.م نيويورك تائمز ١٩ اكتوبر ١٩٧٦ "

الا انه ، بدلا من تقليل عقائدية اليجا فى الخمسينات والسنوات الاولى من عشرية الستينات من الاختلافات العنصرية بين سود امريكا

الذين دخلوا فى الاسلام الاسود ، من جانب ، و بين عرب مصر او الجزيرة او الاتراك من جانب آخر ، نجد أئمة الحركة فى فترة احاطتها التامة الكاملة بفكرة دينية شاملة لكل البشرية ، نجد تاكيدا من طرفهم لخصوصية افريقية سوداء داخل تلك الفكرة العامة . ففى محل اطروحة اليجا عن " الانسان الاسود الاسيوى "، الذى نفى ضمنيا اصلا افريقيا اولا لسود المعمورة او اختلافا عنصريا جذريا بين السود و عموم سكان قارة آسيا ، اختار الامام ولاص لطائفته تسمية تؤكد أن السود المسلمين كيان بشرى متميز داخل اطار عالم الاسلام هم بلاليون ". فى حين واحد اكد الامام ولاص بهذا الاصطلاح عضوية علاقة السود برسالة النبى العربى محمد و تعاليمه و وجودهم الخاص كسود فى وعى المسلمين الاخر و أنفسهم . هكذا نرى التوصل لى حقائق (ايمان) دينية شاملة عامة الهيئة بمحو وعى الاختلافات االانسانية البحتة التى تبقى ككيانات فرعية مهمة داخل الوحدة الايمانية العليا الواحدة.

نرى على كل من المسرحين الامريكى الاسود و العالمى الاسلامى العربى ردات فعل لدخول المسلمين السود فى الاسلام الصحيح .

قد تلقى الامام ولاص استجابة ناشطة و بناءة من طرف حكومات و منظمات الاسلام فى العالم العربى لتاكيده عضوية انتماء المسلمين السود فى الولايات المتحدة الى ايمان الاسلام الصحيح و الى عالم الاسلام البشرى. ففى ديسمبر ١٩٧٦ و يناير ١٩٧٧ قام الامام ولاص محمد بجولة فى بعض الدول العربية فى الشرق الاوسط ، فى السعودية

اضافه جامعه" محمد بن سعود التى دبرت سلطاتها بعض المنح الدراسيه" كى يدرس طلاب مسلمون سود بلاليون و يتلقون تدريبا مهنيا فى السعوديه" يبدو أن الامام ولاص و سلطات الجامعه" ركزوا محادثاتهم على دراسات تمكن المسلمين البلاليين من ان يتغلبوا على احوالهم الاجتماعيه" و الاقتصاديه" المتأخرة فى الولايات المتحدة.

U.S. Muslim group visits Saudi Arabin فى مجله" ذى مسلم وورلد، كراتشى ١٥ يناير ١٩٧٧) تبرعت حكومات البلدان العربيه" التى تجول الامام ولاص فيها ١٦،٠٠٠،٠٠٠ (سته" عشر مليون) دولار و أعطت بعض الوثائق تعترف به كقائد و ناطق للاسلام الصحيح فى الولايات المتحدة. الا أن مستقبل تطور العلاقه" بين العرب و المسلمين السود فى امريكا سيعتمد الى حد بعيد على قدرة الحكومات العربيه" على التخطيط و التنفيذ الدقيقين الضروريين لعلاقات دوليه" من هذا النوع العامل المعقد هنا ان بعض الدول العربيه" التى هى ماليا فى وضع يمكنها من المساعدة من سوء الحظ لا تجيد هذه المشاريع المركبه" الطويله" المدى التى لابد من تخطيطها بدقه". صح ان هذه التغيرات و الاصلاحات التى أدخلها ولاص محمد تعرضت لبعض الانتقادات من قبل القوميين السود الانعزاليين بين الامريكين الافارقه" الذين لا يتحمسون فى اقامه" العلاقات الوثيقه" مع عالم العرب و الاسلام.

فنجد كاتبا فى "بلاك نيوز" النيويوركيه" مثلا (عدد نوفمبر ١٩٧٦) ينتقد ليس قرار الاذن للبيض بالدخول فى الحركه" بانه امتثال

لضغط من اتباع الاسلام العالمى ، مما يسهل الحصول على معونة مالية من دولهم ، (ص ٢٨) و لكن ينتقد كذلك تحويل اسم اتباع الحركة الى " بلاليون "، خطوة لها مغزاها الثقافى. فهجم الكاتب على هذه الخطوة الاخيرة بعنف مندداً اياه على اساس ان ربطهم بالعبد الاسود بلال – اى وضع المسلمين السود داخل اطار الاسلام " الارثوذكسى" – ينزع من الحركة كل معناها بحذفه اصطلاح " السواد " المطابق بهاسابقاً منطق (ولاص) ان اصطلاح الذين أسهل قبولاً عند مسلمى الشرق من اصطلاح " اسود "، أن الاسلام لالون له ، فيعوز اصطلاحات مثل اسود او ابيض اى معنى بالنسبة اليه. مما جعل الكاتب ينفجر : " شخصيا ، أعتبر وصف أناس سود داخل اصطلاحات الاسلام او النصرانية او اليهودية او اى دين آخر عمل اجرامى. ان اصطلاحات من نوع هاميين ، كنعانيين ، او بلاليين عمل محط لكرامة السود derogatory .نحن نعيش فى عالم لايزال يصف الناس فى اطار اصطلاحات السواد و البياض بغض النظر عن مشاعر بعض المسلمين. الاحسن التشبث باصطلاح " اسود "، لانه عام و مفهوم بين الجميع "

(ص ٢٩) و بدا كذلك فى نفس المقالة هجوما عنيفا على الاسلام نفسه ، اذ لام المسلمين السود على تنديداتهم الماضية بلاهوت النصرانية واستخدامه فى تجارة النخاسة واظطهاد السود عموما ، فى حين "اعوزهم النقد الذاتى الضرورى للاعتراف بان العرب المسلمين فعلوا نفس الشئ. . .كانت تجارة رق العرب (عبر الصحراء، شرق افريقيا ، السودان ، اثيوبيا) على نفس السوء او اسوأ من نخاسة

الأوربيين. ابتدأت تجارة رق العرب قبل تجارة اوربا و انتهت بعد تجارتها.. استعملوا القرآن لتبرير و حمايه" العبوديه" كما استعمل الأوربيون كتابهم النصراني المقدس.. الاختلاف الوحيد ان كانت للعبيد في الاسلام حقوق اكثر و معاملة" احسن و اندماج ابكر، الا أن عبدا لا يزال عبدا. " (ص ٢٨) عموما، اذا، قد أزعج بعض العناصر القوميه" السوداء الصارمة" بين الامريكيين الافارقة" ان، بحرف تعبير الكاتب نفسه،، أجريت زيادة من التغييرات في امه" الاسلام (السوداء) لترضيه" العرب " ب،، مكافآت نفسانيه" و ماليه" متعلقه" بقبول من عالم الاسلام ،، (ص ٢٩) في الشرق.

يمكننا أن نعزو هذه الانواع من اعتراضات او انتقادات يوجهها بعض القوميين السود في الولايات المتحدة ضدتحويلات ولاص محمد لعقائد و سياسات المسلمين السود الى اشياء ثانويه" لا تمس مطلقا قدرة الطائفه" على تجسيدو معالجه" تجربه" الجماهير السود في قارة شمال امريكا فجذب مهتدين جدد من بينهم بواسطه" تجاوبها مع مسشاعرهم القوميه". فالمهاجمه" اللفظيه" الموجهه" ضد " العرب البيض،، و تأثيرهم من خلال العامل المالي في اعادة سبك ولاص محمد لعقائد و ممارسات دين الطائفه" على نموذج الاسلام العربي نبعت الى حد ما من عامل عارض، اى عدم استجابه" الحكومات العربيه" لادانات القوميين السود المتكررة في اواخر الستينات و السنوات الاولى من عشريه" السبعينات بالصهيونيه" و بدوله" اسرائيل تاييدا لممارسه" الفلسطينيين لحق تقرير مصيرهم في وطنهم بعد العودة اليه، فلو كانت الدول العربيه"

قد استجابت بايجابيه" و فعاليه" اكثر مما كان الواقع ، تأكيدا لرابطه" خاصه" مع امه" الامريكيين الافارقه" ، كان من الممكن ان لم تركز امثال مجله" " بلاك نيوز " على كون العرب " بيضا " او كون كيانهم كيانا منفصلا انفصالا حادا عن كيان افريقيا ما وراء الصحراء الكبرى ، السوداء الى حد ما فعلت. و قد اغتنمت مجله" بلاك نيوز في حملتها على اقتراب ولاص محمد من الاسلام " الارثوذكسى العربى " رساله" من مسلم أرثوذكسى نشرها مجله" المسلمين السوداء الاسبوعيه" بلاليان نيوز (الاخبار البلاليه") تستهزئ بمحاولات ولاص تاكيد عضويه" اتباعه في جماعه" الاسلام الصحيح العالميه" ، فوصفت مجله" بلاك نيوز الرساله" بانها "منكرة (قبيحه") " و " عنصريه" " ، و مثل آخر من امثال العنصريه" المتأصله" في مجموعه" الاسلام العالميه" الى آخره . الا أن الترحيب الحافل الذى استقبلت به حكومات جزيرة العرب و الخليج الامام ولاص ووفده ذا خمسه" عشر شخصا حين جولتهم للجزيرة العربيه في شهر يناير ١٩٧٧ و شرعه اعتراف تلك الدول بمجموعه" السوداء كجزء عضو من جماعه" الايمان الاسلامى الصحيح في العالم و تقديم حكوماتها لمعونات ماليه" وفيرة لمساعدة طائفته على اجتياز المصاعب الاقتصاديه" التى سببها كساد الاقتصاد الامريكى منذ تصعيد الدول المصدرة للنفط لاسعار البترول سنه" ١٩٧٣ . ان كل هذه الاستجابه" السريعه" من طرف الحكومات و المؤسسات الاسلاميه"والعربيه" لطلب الامام ولاص الاعتراف منها قد اضعف كثيرا ايه" ادعاء من قبل عناصر قوميه" سوداء انعزاليه" أن ثمه" ايه" موانع عنصريه" ستحول دون قبول من طرف الجماعه"

الاسلاميه العالميه" للمسلمين السود فى امريكا كاخوان فى الايمان.

الا ان بعض معارضه" هذا النوع من قوميين سود لتحويل الامام ولاص للمسلمين السود تعبر عن تأكيد لانتماء خاص الى افريقيا ما وراء الصحراء فتبدو كأنها كانت تقريبا امرا محتماً لا يتجنب نظرا لانعزاليه" اطر افريقيتهم الفكريه" التى كان لا بدلها من ان تثير فيهم معارضه" لتأكيد المسلمين السود تحت قيادة ولاص الجديدة عضويتهم الكامله" بعقائدها و ممارساتها فى جماعه" دين شامل عالمى غطى قطاع من سكانها مساحه" من افريقيا السوداء و لكن بغير ان تشمل كل افريقيا السوداء و بدون أن تنحصر داخلها. فكان من المحتم ان بعض القوميين السود الذين قد اعلنوا انتماءهم الى ثقافات و لغات افريقيه" سوداء نشأت وانفتحت فى افريقيا ما وراء الصحراء الكبرى فقط سوف يقاومون تبنىولاص للاشكال "العربيه"" النموذجيه" لعقائد و عباديات الاسلام ، فلا ريب انهم سوف يعارضون تبنى سود امريكا و لاشكال غير مكيفه" عالميه" لأيه" عقائديه" شامله" من نوع الشيوعيه" مثلا فيفهم عنف رفض الاخبار السوداء Black News لما سمته ب "العنصريه" المنظمه"" "Institutionalised racism الموجودة حسب زعمها الباطل داخل الاسلام(!) كمثل كل الاديان الاخرى او ادانتها ببياض العرب و مما رستهم تجارة الرق على السود فيما مضى من التاريخ كرفض مبدئى لايه" عقائديه" هى شامله" وعالميه" و لاتهتم فى تأكيدها حقائق كونيه" او اجتماعيه" عامه" بالعرق المحلى الا اهتماما ثانويا.

يلاحظ أن حيويه" المناقشات فى مجله" بلاك نيوز حول الاتجاه

الجديد فى ” امة“ الاسلام ،، (المسلمين السود) تحت قيادة الامام ولاص محمد فى حد نفسها دلالة“ على أهمية“ العنصر المؤكد للاسلام فى تطور القومية“ السوداء فى الولايات المتحدة. فرأى قصيصى جيتوونوسى Kasisi jatu weuse أن ملكولم × قد أضل . . . كثيرين من اخواننا ” من أن يدركوا العنصرية“ المتأصلة“ فى مؤسسات كل الاديان بما فيها الاسلام بذيوع انطباعاته الايجابية“ عن أخوة اسلام الحجاز والبلدان العربية“ الاخرى التى زارها الا أن ووسى اعترف بان ”للاسلام جذور ثقافية“ عميقة“ بين شعوب افريقيا السوداء ” آخذا على ملكولم انه لم يؤارق الاسلام قبل قتله Black News, March 1975 p. 15

وصف ووسى طائفة“ المسلمين السود ايضا انها اقوى منظمة“ تنظيما و انضباطا قد تشيدة السودو احتفظوا بها حيا فى امريكا منذ وصولهم. ” الى القارة الامريكا ارقاء. (نفس المصدر ص ١٤) لابد ، اذا ، من رؤية“ طائفة“ المسلمين السود داخل سياقها الامريكى الذى تؤثر فيه تأثيرا مستمرا فحتى دينيا نجد ان السياق الامريكى حاسم. قد لاحظنا أن الحركة“ فى الماضى جذبت مهتدين لاسباب دينية“ و لنجاحها فى التعبير عن التذمر الاجتماعى بين الامريكيين الافارقة“ الفقراء. فتقليلها من محتوى الاحتجاج الاجتماعى قد يحد من نموها عدديا كطائفة“ دينية“ فى نفس الوقت ، سيسهم تطور العلاقات العنصرية“ بين السود و بيض امريكا فى نوع العلاقة“ الخارجية“ مع الشعوب العربية“ و الاسلامية“ التى سيطلبها اتباع الطائفة“.

علاقة القيادة الجديدة للمسلمين السود مع تراث ملكولم

هنا مقاربة بين آفاق السنة الاخيرة في حياة ملكولم × و اصلاحات الامام ولاص محمد بعد ممات ابيه اليجا مثيرة للاهتمام . ففي حين يبدو ان وصايا ملكولم الدينية قد نفذها الامام ولاص ، و نرى ولاص يمجد علنا صلته الماضية و صلة الجماعة بملكولم ، نجد الاستمرارية بين الشخصين في مواقفهما من الشؤون الداخلية الامريكية اكثر انقطاعا. ففي حين يؤيد استيعاب جوانب الحيوية والايجابية في تراث و مواقف ملكولم لصالح الطائفة ، يريد امام ولاص كذلك ان يستجيب بطريقة مبدعة لتعقيدات ما يسميه " العالم الجديد " ولا أن يعيش في الماضي ولا شك ان ولاص محمد قد أجرى على طائفة المسلمين السود تغييرات جذرية تدهش فعلا منذ توليه منصب ابيه كمدير الحركة و ناطقها الروحي : فقد أعلن عفوا عاما لاعضاء الطائفة (حوالى ربع العضوية الاجمالية) الذين خرجوا من صفوف المسلمين السود مع ملكولم × محرما على الاتباع تسمية ملكولم " منافقا " كما أعلن ، بين اجراءاته الاخرى الدينية او الطقسية ، اعادة تسمية مسجد الطائفة رقم ٧ في حارة (ملاح) هارلم الذى كان ملكولم اكس امامه قبل ما عزله اليجا او اوحاشيته منه سنة ١٩٦٤ و الذى هدمه انفجار قنبلى بعد اغتيال ملكولم في فبراير ١٩٦٥ . و اعيد بناؤه بقبة شرقية فخمة : فأمر ولاص محمد بعد وفاة ابيه بتغيير اسم المسجد الى " مسجد ملكولم شباز رقم ٧ " تشريفا لذكرى ملكولم اكس ، او الحاج ملك الشباز ، احدى عشرة سنة بعد مماته . ولا ريب ان في هذا العمل من طرف

ولاص محمد اعتراف ليس بملكولم كشخص او فرد او قائد جماهيرى شعبى بين السود ظلمه ابوه اليجا فقط ، بل اعتراف بتلك الرسالة" الاسلاميه" ، اسلام مكة" المكرمه" المنزل الذى محا توحيده بالله اكثر وعى مؤمنيه بوجود الوان او عروق تميز بعضهم عن بعض : ذلك الاسلام الذى طفق اليجا في سنواته الاخيرة يصفه بانه الاسلام القديم الذى كان يقوده بيض فسوف يحل محله اسلام جديد تماما يقوده مسلمون سود فقط. صح أن لويس Lauis فراخان ، امام المسجد رقم ٧ السابق و الناطق القوسى بلسان المحترم ولاص محمد ، نفى بلسانه أن اعادة تسميه" المسجد قبول مطلق لكل أعمال و فكرات ملكولم. و لكن عدم تاكيده أن اعادة التسميه" تكريم فحسب لمساهمات ملكولم. × و لكن في بناء الطائفه" قبل خروجه منها نبرة الايمان . فرغم ان فراخان ادان بـ " انتهاك ،، ملكولم لنظام او ضبط الحركه" — اى تصريح ملكولم أن اغتيال الرئيس كينيدى لم يكن غير " د جاجات امريكا البيضاء العنيفه" تعود لكى تجثم ،، الذى هدد الطائفه" بردة فعل عنيفه" من قبل الجمهور الامريكي المتحمس في موطنيته — مبررا طرد اليجا له من الحركه" ، الا انه (فراخان) في ادانه" لـ " اخطاء ،، ملكولم لم يدن الاستنتاجات الفكريه" التى وصل اليها ملكولم ، بل فقط الاستراتيجيه" او عدمها التىكان يحاول ملكولم بها نقل استنتاجاته من نطاق الفكر الى حيز الواقع العملي . فعين فراخان " خطأ ،، ملكولم اكس بانه " ان عرف المكان الذى لابد من ان تتجه امه" الاسلام (المسلمون السود) اليه — ذلك المكان الذى ستصل (الطائفه") اليه آخر الامر"

فعلا — الا انه اعوزه بصفته قائدا الصبر الضرورى لينتظر تطور عقول الاتباع نحو ذلك الاتجاه ،،. فاختلافات الرأى بين القيادة الجديدة للمسلمين السود و بين شبح ملكولم يكون احيانا اختلافا حول التكتيكات التى اتبعها و ليس حول المبادئ التى وصل اليها آخر الامر ، اللهم فى مسألة دور القيادة على مستوى التجريد النظرى ، فالظاهر معظم تحفظاتهم العلنية ازاء شخص ملكولم عبروا عنها فقط ارضاء للغلائل المتبقية ضده فى صفوف عامة الاتباع. و من الملحوظ ان فى نفس المقابلة الاذاعية التى ادلى فيها فراخان برأى ان الاعتراف الجديد بشأن ملكولم فى توسع الطائفة "سيبعث النمو و التطور ،، فيها ، زعم كذلك ان رد سبب تشجيع القيادة الجديدة بيضا امريكا نا على الدخول فى الطائفة بعد ان صدهم ،، اليجا ابان حياته كـ" شياطين زرق العيون ،، الى ان " لم يكن اليجا محمد انفصاليا (عنصريا) بالمعنى المطلق ، بل اعتقد بالاحرى ان على السود تطوير و عى حاد بذاتهم الخاص و بوحدتهم قبل ان ينضموا فى الغير ،، (انظر مقالة ،، اعادة تسمية هيكل المسلمين السود بهارلم تكريما لذكرى ملكولم × نيويورك تايمز ٢ فبراير ١٩٧٦ ص ١ ، ٤١) (!) فهذا قول يدل بدون ادنى ريب على الشكلية الصرفة المميزة لاشارات لويس فراخان و ائمة الحركة الاخرين اليوم ، فى كثير من الاحايين ، الى ذكرى اليجا و " تراث ،، مواقف فكره الاساسية.

منذ وفاة الحاج اليجا محمد فى فبراير ١٩٧٥ ، اذا ، نشاهد تبنى علنيا من قبل القيادة الجديدة التى يتراسها رئيس ائمتها الحالى المحترم

ولاص محمد لاسم ملكولم × على اساس ان عبر ملكولم عن ابعاد مركزيه من ماضى رساله و دور طائفه " امه الاسلام " السوداء فى الولايات المتحدة . نلاحظ نقطتين من توصيات ملكولم الأكثر تقدما نفذهما القواد الجدد على وجه الخصوص : (١) تدويل " الطائفه اسلاميا اى اعادة سبك عقائدها و ممارساتها العباديه حسب قوالب الاسلام الصحيح كى تصبح الطائفه جزءا عضويا من الجماعه الاسلاميه العالميه يعترف بها هذا العالم العربى الاسلامى رسميا و (ثانيا) نقطه التخلى من الرفض السابق — ذلك الرفض الذى تخلى منه ملكولم نفسه بعد حجه الى مكه المكرمه من قبل — لامكانيه مشاركه بيض فى مجموعه انسانيه واحدة مع السود ليس بوصف البيض جماعه انسانيه قد اقترفت او تقترف جرائم ملموسه محدودة من السود فى العالم و لكن فقط لانهم بيض لانهم ، بتلك الحقيقه ، شياطين تتنافى طبيعتهم مع امكانيه كونهم " مسلمين " : وحدة حد الدين وحد العنصر. فمع وفاة اليجا ، قد قبل ابنه والجيل الجديد المبدأ الاسلامى الاساسى أن الايمان بالدين المنزل مفتوح امام افراد البشريه بكل أجناسهم و ألوانهم ، ان الفرد حر ليقبل او يرفض ، و ان الافراد الذين دخلوا فى دين الله اخوة بغض النظر عن صدفه الوانهم او عروقهم ، و انهم جماعه دينيه واحدة .

قد استعملت مجله الاخبار السوداء Black News القوميه السوداء الامريكيه اصطلاح " الملكمه " Malcolmization لوصف تغييرات الامام ولاص محمد لتعاليم و ممارسات الطائفه منذ وفاة اليجا . الا اننا لا نقبل

هذا الاصطلاح بمعنى ، مطلق. فى نقطة" الجامعات الانسانيه" ، مثلا ، نجد ان القيادة الجديدة قد اتجهت الى انفتاح و قبول ايجابى ازاء البيض الامريكان و المؤسسات السياسه" و الاجتماعيه" التى اقاموها ابعد من اى شئ اقترحه" ملكولم ×. فبعد حجه الى مكه" ، ادرك ملكولم خطأ فكرة أن اى اناس بيض البشرة على المعمورة لا يمكنهم بطبيعتهم ان يكونوا اى شئ آخر غير شياطين معادين للسود ، و انهم لا يمكنهم مشاركه" السود جماعه" دينيه" او انسانيه" ايجابيه". فبعد حجه الى مكه" المكرمه" ، اعتقد ملكولم ان بعض المسلمين البيض البشرة فى العالم الاسلامى العربى قد حققوا اخوة دينيه" مشتركه" مع السود هناك ، و ان بيض الولايات المتحدة يمكنهم بواسطه" الدخول فى الاسلام تحقيق نفس الاخوة على تراب اميركا ، الا ان ملكولم ان لم يؤمن بعد مكه" بشيطانيه" البيض (شرهم الطبيعى) الا انه لم يزل يتصور جماعه" البيض الامريكيين فى الولايات المتحدة بأنهم ، استثناء بعض الافراد المتنيرين المخلصين ، العدو الجماعى للامه" السوداء الجماعيه" فى قارة شمال امريكا ، تاريخيا و اليوم . قد طرح ملكولم فى بعض المناسبات امام امريكا البيضاء اختيار الرصاصه" او الاقتراع The bullet or ballot اى اما ان تعطى السود الحقوق المدنيه" المتساويه" بالعمليات السياسيه" السلميه" و اما ان تستعد لانتفاضه" مسلحه" عنيفه" من قبل سودها المستعبدين فى السنه" الاخيرة من حياته كذلك ، تخلى ملكولم من فكرة الدولة" المنفصله" للسود فى قارة شمال اميركا. و لكنه لم يعلن ابدا ان سود الولايات المتحدة جزء من كيان امريكا

السياسي العام ، ان بيض شمال امريكا مواطنون حقيقيون لهم ، ان السود ليسوا أمة ثقافية منفصلة ، او ان السود يستطيعون تحقيق تحررهم من خلال عمليات مؤسسات امريكا البيضاء.

ان القيادة الحالية لطائفة المسلمين السود قد التقطت تلميحات ملكولم × عن " الاقتراع " The ballot فاعتنقت حركة الحقوق المدنيه البورجوازيه — التى (ليقال الحق) غازلها ملكولم مغازلة منقطعة ولكن التى هجم عليها المسلمون السود عامة هجوما عنيفا ، على اساس ان عمليات الحركة السلمية قد حققت بالفعل تحررا حقيقيا او امكانية التحرر و المساواة للسود فى الولايات المتحدة. ففى حين يضمون انفسهم ضما عضويا فى اسلام افريقيا و آسيا " الشرق " ، نرى المسلمين السود يحاولون ادماج انفسهم كذلك فى امة امريكية سياسية و حدوية ، يبلغون فى هذا مبلغا يتجاوز اية امكانية وفاق او وئام مستقبليين لمح اليهما ملكولم × فى السنة المستقلة الاخيرة لحياته. فقد امر الامام ولاص محمد اتباع الطائفة بالتخلى من كثير من رموز القومية السوداء المستقلة الانفصالية نظريا التى ميزت الطائفة ايام اليجا. فمع ان عقائديتها لم تسمح فى الماضى بدخول علم الولايات المتحدة لمعابدها و مدارسها الخاصة ، التى نصب المسلمون السود داخلها علمهم " القومى " الخاص من نجمة و هلال على خلفية الشمس الحمراء المشرقة واعلام الدول الافريقية والاسيوية) التى دينها السائد كان الا سلام، نجد الامام ولاص محمد يامر بنصب علم الولايات المتحدة فى مدارس الحركة وان يحييها الاتباع، كما انه ادخل علم النجوم و الخطوط

في مساجدهم كذلك، هكذا نرى اسلامهم، مع اقترابه المتزايد من اسلام افريقيا و آسيا الاصلي يصبح دينيا بحتا، فيتجرد او ينسلخ من كثير من دوره السابق كرمز او محور حامل لقوميه احتجاجيه اسود مقاومه لرجاحه البيض كمجموعه قوميه في بيئه الولايات المتحدة . قد يمكن الادعاء ان الاستعداد الجديد لتحيه العلم الامريكي تمديدلبعض بصائر ملكولم التي لمحت له في مكه المكرمه من مراقباته لعرب و مسلمي افريقيا و آسيا . الا ان من الامور التي لا ريب فيها ان تحيه علم الولايات المتحدة والتحليل الجديد للمجتمع الامريكي و تطوره المستمر الذي ترمز التحيه اليه تخل رسمي من اطروحات القوميه السوداء المستقله التي مثلها ملكولم أصدق تمثيل حتى آخر نفس من حياته، ان قبول تحيه العلم الذي رمز سيادة البيض في قارة اميركا على اقل تقدير وضع لتأكيد ملكولم لأصاله السود و نضالهم داخل سياق جديد من امه امريكيه و حدويه سياسيه و ان كانت متعددة العناصر pluralistic ذات اقوام متفرعه كثيرة اطارها الرابط البيئه الامريكيه المشتركه التي قد أصبح المسلمون السود اليوم يمجدونه بشعار "الوطنيه"، المهم، ان الامام ولاص محمد قد خفف كثيرا من نبرة الاحتجاج العنصري العنيف لفظيا التي ميزت الحركه في الماضي، و التي كان الحاج ملكولم الشباز لسان حالها و انه (الامام ولاص) قد ثور تعاليم و دور الطائفه امريكيا بوضعه المسأله القوميه داخل اطار يختلف نوعيا من اي شي جاء من قبل في تاريخ الحركه الممتد من ١٩٣٠،

اى ما يقارب نصف قرن .

من الدلائل على تصميم الامام ولاص على ادماج اتباعه فى الكيان الامريكى السياسى العام، و تخليه من ايه احلام متبقيه عن حياة قوميه سوداء مستقله سياسيا فى المستقبل، اعلانه اذنه لهم بالاشتراك في الحياة السياسيه العامه للولايات المتحدة، و على وجه التخصيص في الاقتراع ابان الانتخابات العامه . رغم ان ملكولم قد رأى امكانيه اسهام الاقتراع فى تحرير السود الفعلى، نستطيع ان نعتبر موقف الامام ولاص نوعا من اعتراف بمؤسسات و تركيب الولايات المتحدة جديدا تاما حين نقارنه بمواقف ملكولم او مواقف اليجا وائمته في الماضى .

رغم محدوديات عمليه "ملكمه" ولاص محمد لطائفه المسلمين السود — تنفيذها لرؤيا ملكولم عن اقتراب الاسلام الامريكى الاسود من اسلام افريقيا و آسيا في العقائد و العبادات و لكن تبعيد الطائفه كذلك شيئا فشيئا عن تمثيلها السابق للاحتجاج الاجتماعى العنيف بين جماهير السود الذى اراد الحاج ملكولم تصعيده الى مستوى جذرى جديد — نجد بعض رفاق ملكولم الاحتجاجيين الذين خرجوا معه و بعض القواد المستقلين للقوميه السوداء الواقفين خارج دائرة طائفه المسلمين السود قدرحبوا بتغييرات ولاص الى حد معين . صح ان كواكا او ووسو فى مجله بليك نيوز ("اخبار السود") شن هجوما على الامام ولاص لانه قد امر اتباع الطائفه ليتعا و نوا مع

دائرة الشرطه" للحد من التوترات و الاشتباكات العنصريه" المتمركزة في حارات السود في مدن شمال الولايات المتحدة الصناعيه" نظرا لان معظم القوميين السود في الولايات المتحدة يميلون الى اعتبار الشرطه" منظمه" لا يزال يستولى عليها عنصريون بيض رغم محاولات البعض المخلصه" لتوسيع تو ظيف سود فيها و تحسين علاقات الشرطه" مع جاليات زنجيه" محليه"، كما انتقد كواكو اوووسو كذلك تحالفا سياسيا مزعوما اكدته شوائع محليه" في اوساط السود بين الامام ولاص و حكومه" فورد المحافظه" الهابطه" الى الزوال . الا انه، رغم روح المحافظه" السياسيه" الناميه" التى يبدو انها انطوت تحت قرار الامام ولاص بادماج الطائفه" في امريكا سياسيا — الذى رمز اليه امره ان يحيى المؤمنون علم النجوم و الخطوط — رغم هذه المحافظه" السياسيه" الباديه" نجد ترحيبا عاما باصلاحات الامام ولاص على أساس أن انهاء عزله" الطائفه" التى فرضها ابوه المسن سيمكن المسلمين السود من تأديه" دورهم البناء القيادى في قضايا الامريكيين الافارقه" .

كان من القواد الاحتجاجيين الجماهيريين الذين رحبوا بالاصلاحات على هذا الاساس تشار لز كنياتا Charles Kenyatter وهو المسلم الاسود الشديد الغضب على اضطهاد البيض الذى خرج مع ملكولم في ١٩٦٤ و الذى كان نائبه الرئيسى و الذى أسس بعد مماته" الحاج ملكولم مالك الشباز منظمه" ماوماو بحى هارلم، لتنظيم جماهير السود الفقراء هناك على غرار تنظيم الكيكويو في كينيا في

عهد نزع الاستعمار من خلال العنف المسلح هناك : اى الرد على الاضطهاد البيض بواسطة" القوميه" النضاليه" و ان اقتضت الاحوال والدفاع عن النفس، بعنف مضاد يحقق تحرر السود فى فترة اصلاحات الامام ولاص، قد اصبح كنياتا يترأس لجنة" الجاليه" حول الاجرام فى فى هارلم The Community Crime Committee in Harlem "الساعيه" الى الحد من اعمال القساوة الشرطيه" و العنصريه" التى تقترفها دائرة الشرطه" يوميا ضد جاليه" السود فى هارلم "متطور اكثر جذريه" و تذمرا بكثير من الثقه" التى كان يعبر عنها ائمه" ولاص بتلخص الشرطه" تدريجا من روح ماضيها العنصريه" و استعدادهم للعمل معها فى مصلحه" الامن و السلام . و لكن كنياتا حى (معينا اياه كالسبب الذى دفعه الى الانخراط فى صفوف "امه" الاسلام،، السوداء مرة اخرى) اخراج الامام ولاص للطائفه" من انحصارها و انعزالها السابقين و "مطالبته اياهم ان يخوضوا شؤون و قضايا جاليه" السود العامه" . . . حتى فى عهد انعزالها انجزت امه" الاسلام منجزات ضخمه" فى مصلحه" عموم السود، فتستطيع ان تتصور مدى ما يمكن انجازه ان نفذت وصايا رئيس الائمه"،، (اى ولاص محمد) . (انظر مقابله" يوسف عبد السلام مع تشارلز كنياتا Rapping with Charles Kenyatter فى اخبار السود مارس ١٩٧٦) .

من الواضح ان خط رئيس الائمه" الجديد، المعتدل ازاء كيان اميركا العام و مؤسساتها قد يصطدم بعوائق و عقبات خطيرة فرغم ان الامام ولاص نجح فى اعادة بعض الذين خرجوا من المسلمين

السود مع ملكولم فى صفوف الطائفه" من جديد، نجد ان احد هولاء العائدين اى تشارلز "كنياتا قد صرح علنا ان من دوافع عودته فى الطائفه" التيقن بأن لا تستغل قيادات الطائفه" فى عهدها الجديد اسم ملكولم (اعادة تسميه" مسجد نيويورك الى آخره) ”لاهداف تجاريه" للاعلان و لجذب آلاف السود الذين لا يزالون يعجبون به و يحترمونه و يتبعونه،، . نفذ ولاص محمد الجانب الدينى من جولات ملكولم الفكريه" الروحيه"، استنتاجاته النهائيه" ابان بحثه الروحى بادماج طائفه" المسلمين السودعقيديا و العبادات فى صميم جماعه" الاسلام العالميه" الارثوذكسيه"، و لكن اعادة توجيه الامام ولاص لموقف الطائفه" من امريكا "ككيان سياسى تجاوز ابعد آفاق ملكولم انفتاحا نحو مؤسسات البلاد التى ولد فيها . ولاشك ان العناصر التى لا تزال تحتفظ بجذريه" و نضاليه" مواقف ملكولم فى قضايا السود الاجتماعيه" والسياسيه" الملموسه" لن يكفوا عن اشد الضغط على القيادة كى تتخذ مواقف صارمه" ازاء ايه" اعمال او سياسات عنصريه" من طرف اميركا البيضاء على أى من المسرحين المحلى او العالمى . فاطروحه" الامام ولاص ان امير كا قد اصبحت بلادا جديرا بالتأييد من خلال تحسينها للقوانين حتى تعطى العداله" للجميع و من خلال تأييدها لحقوق سود افريقيا بالخارج تعتمد على عوامل عرضيه" للتغير السريع . من الامثال على ذلك سياسه" اميركا الخارجيه" التى فى عهد كارتر تضغط على النظامين الابيضين العنصريين فى جنوب القارة الافريقيه"، اى ”روديسيا،، و جنوب افريقيا، ليعلنا تنازلات نحو ”حكم

الاكثريه"، و تصفيه" لمؤسسات التفرقه" العنصريه" ضد السكان السود . ولا شك ان حكومات اخيرة في اميركا انتهجت هذه السياسيه" سعيا وراء غايات ملموسه" جدا بالاضافه" الى المبادى الاخلاقيه" العامه" تكيفا امام ظروف متغيرة بالدوام . فاتخاذ أيه" حكومه" اميركيه" الاجراءات معاديه" لمصالح الافارقه" السود او العرب و المسلمين لا بد من ان يلحق ضررا بروح الاعتدال الجديد الذى يحاول الامام ولاص ان يغرسها في قلوب اتباعه نحو امريكا البيضاء و الرسميه"، رغم كرههم الواضح من ناحيه" عاسل اتجاهات الاوضاع الامريكيه" المحليه" فالبين انها بعيدة من ان تكون دائما مواتيه" لانفتاح المسلمين السود الجديد على مجتمع و دوله" اميركا العامين . اطروحه" الامام ولاص ان الحكومات الامريكيه" المتعاقبه" منذ الحرب العالميه" الثانيه" قد حسنت القوانين بانتظام كى تحمى السود و تعطيهم فرصا متساويه" مع البيض صحيحه" الى حد بعيد، و ان هذه المساواة القانونيه" الجديدة تجعل اميركا من وجهه" نظر سودها بمعنى من المعانى، كما يؤكد الامام ولاص، بلادا جديرة بالتأييد، الا ان تردى و تفاقم احوال جماهير السود الاقتصاديه" في مدن الشمال — انتشار البطاله" بينهم نتيجه" لاختلالات في الاقتصاداميريكى — و تباطؤ صعود الشباب الزنجى الطالب التعليم العالى فى درجات تركيب الطبقات الامريكيه" نتيجه" لمقاومه" مثقفى البيض (بما فيهم اليهود) تنفيذ مبدأ حدود ادنى من حجزاماكن لطلاب سود في الجامعات، قد يؤديان الى اصطدام عنصرى بين السود و اكثريه" البيض مرة اخرى. من الملحوظ هنا)

ان قضيه الحدود الدنيا في حجز اماكن للطلبه السود في الجامعه قضيه احد في جامعات مدن الشمال حيث يتمركز المسلمون السود) . ان انتقال مركز ثقل التوتو العنصرى من ولايات الجنوب كما كان إبان فترة الحملات في سبيل ''الحقوق المدنيه''، الى مدن الشمال يخلق مصاعب حقيقيه للامام ولاص محمد فى محاولته ادماج اتباعه في حياة اميركا العامه . و لكن، من الناحيه الأخرى، اعتدال المسلمين السود الجديد يضعهم الى جانب منظمات الحقوق المدنيه التى كانت فى ما سبق محافظة و ''معتدله''، و لكن التى قد اتجهت الآن بعض الشئ الى اليسار، الى روح النضال و الاحتجاج التى كان المسلمون السود من روادها فى الستينات . يبنى الامام ولاص محمد اليوم علاقات وديه مع كل المنظمات السوداء — بما فيها المنظمات المسيحيه من خلال تعديله معاداة ابيه الصارخ للنصرانيه بأصداره تأكيدات دينيه جديدة ان كل اتباع الاديان السماويه الذين ''يؤمنون بالاله الواحد . . . يشتركون في تقارب واحد . . . يشكلون عائله واحدة سواء أسموا انفسهم يهودا او مسلمين او نصارى،، فلا شك ان مقومات اتحاد صف جبهه عريضه من منظمات سوداء يشترك فيها المسلمون السود متوفرة .

من الواضح ان تطور الوضع الداخلى فى الولايات المتحدة لن تزال توجه و تقرر الى حد ما طبيعه علاقه المسلمين السود مع عالم

الاسلام و العرب — و علاقة السود الامريكان عموما — كما هو طبيعي عند طائفة كانت ضعوط امريكا المحلية هي التي وجهت المهتدين اليها نحو الشرق الاسلامي اول الامر.

****

مواقف للقوميه السوداء الثقافية من العروبه والاسلام فى الولايات المتحدة

يبدو ان استقالة الاسود اندرو يونغ من منصبه كممثل اميركا فى الامم المتحدة لسبب يتعلق بقضيه فلسطين و عنف ردات فعل سود الولايات المتحدة الموجهه ضد اسرائيل والصهيونيه التى تلت الاستقاله، قد لفتت انظار العرب الى ميل معين بين سود اميركا لاتخاذ مواقف مواليه نسبيا للعرب والعروبه .

هذه المقاله تحليل لاعتراف القوميين السود الثقافيين فى الولايات المتحدة بالعناصر العربيه والاسلاميه كبعد فى هويه افريقيا ماوراء الصحراء الكبرى (افريقيا السوداء) .

نظر تنا الاساسيه الى أقليه السود فى الولايات المتحدة ان مميزتها الثقافيه الاساسيه تاريخيا هى المسيحيه الانكلو سكسونيه . و لكن القطاعات الاجتماعيه الخاصه التى تؤيد القوميه السوداء الثقافيه تجتاز عمليه علمنه تجعل الطائفه الدينيه خارج مقومات الهويه القوميه . الانفتاح نحو الاسلام يعهد لقوميه افريقيه مركبه علمانيه .

بين سود الولايات المتحدة :

يلاحظ ان وسائل الاعلام السوداء فى الولايات المتحدة تقبل عرب افريقيا كعنصر عضوى من العناصر المشكله لكيان قارة افريقيا العام، الوطن الام الذى حمل سود اميركا منه في السلاسل . تعريف المفكرين السود فى الولايات

المتحدة لوطن افريقيا شاسل و غير جزئي، غير ضيق . اعطت مجلة "أبوني" في عددها الخاص "افريقيا قارة المستقبل" (اغسطس ١٩٧٦) الاولية الى افريقيا ما وراء الصحراء الكبرى، و لكن وصفت المجلة سكان شمال افريقيا بان "معظمهم يتكلمون العربية، و لكنهم يمثلون مزجا من تأثيرات عنصرية متباينة و مختلفة تتشعب مظهرا من البياض حتى سواد افريقي" : سكان افريقيا "تمثل عشر سكان العالم و كل عنصر يمكن تصوره تقريبا" . فمرة اخرى نصادف رفض الاميركيين الافارقة تعريف الوطن الافريقي المفقود بمقاييس عنصرية واحدة او جامدة، او اعتبارهم شمالى افريقيا العربى جزاء لا يتجزء منه . اكدت المجلة كذلك الطابع الاسلامى المسيحى الوثنى الممزوج لافريقيا ما وراء الصحراء الكبرى .

نجد بين المؤلفين والمفكرين السود الاميركيين الذين لهم خلفية بورجوازية وهم مسيحيون دينيا او علمانيون بتفكيرهم وعيا بوجود الاسلام كعنصر في الثقافة التقلدية للوطن المفقود — افريقيا السوداء — الذى يستردونه من خلال بحثهم الثقافي والروحي، فنجد في نفس العدد من مجلة ابوني مقتطفا لا ليكس هيلى عن رحلته الى تلك القرية الصغيرة المسلمة الحالمة، جوفورى في غامبيا التى اختطف من قربها الجنود البريطانيون اللابسون للمعاطف الحمراء سنة ١٧٦٧ شابا اسمه كونتا كينتى و باعوه في عبودية اميركا، فانحدر من جرثومته فيها هيلى وآله . فالوصف يذكر الطابع الاسلامى العربى للحضارة الغامبية المحلية : "اخذني رجال جوفورى في مسجدهم المبنى من الخيزران والعصف او القش و صلوا من حولى بالعربية فملخص دعائهم ترجم لى : الحمد لله على واحد فقد من بيننا اعاده الينا الله" .

كتاب هيلى " الجذور " بالاساس تاكيد لاستمرارية هوية السود في الولايات المتحدة عبر الاجيال . من وجوه تاكيد الاستمرارية الاميركية الافريقية

هذه اطروحه¨ عدم انقطاع علاقه¨ سود اميركا ببلاد اجدادهم، افريقيا . القسم الاول للكتاب يصور افريقيا السوداء قبل هجمه¨ الانسان الابيض الغربى عليها بواسطه¨ تجارة الرق . الكتاب يحتفل بكل من ناحيتى الثقافه¨ الافريقيه¨ السوداء المحليه¨ القبيليه¨ و ثقافه¨ العروبه¨ المكتوبه¨ في قريه¨ كونتا كينتى بغامبيا، .

الا ان اكبر ثقل الكتاب موجه الى حياة اجيال السود و تجربتهم فى الولايات المتحدة .

فعنصر الدين الاسلامى والقدرة على كتابه¨ العربيه¨ التى يملكها كونتا كينتى و يحاول الاحتفاظ بها في منفى العبوديه¨ فى شمال اميركا لا ينتقلان الى الجيل الجديد من السود المولود فى الولايات المتحدة، بخلاف بعض العلامات المتبقيه¨ من الثقافه¨ الغامبيه¨ او الافريقيه¨ المحليه¨ .

تتطور شخصيات اجيال السود داخل سياق المسيحيه¨ الاميركيه¨ البروتوستانتيه¨ و الثقافه¨ الاميركيه¨ العامه¨ .

الا ان الفيلم المصور لكتاب ”الجذور،، للتلفزيون العالمى قلل من عنصرى العروبه¨ والاسلام الذين كانا مذكورين بالتفصيل فى كتاب هيلى الاصلى .

و لكن من الطريف ان بعض الاصوات من الجمهور الاميركى الاسود تبرموا وتذمروا لان فلم ”الجذور،، قللت من عناصر عروبيه¨ كانت موجودة فى اصل الروايه¨ . فنجد جانيس ل . كوك تحتج فى ركن بريد القراء من مجلة¨ ابونى مثلا (مايو ١٩٧٧ — ص ٣١ — ٣٣) تحتج على تشويه الفيلم للروايه¨ بحذفه لبعد العروبه¨ :

”سلب الفيلم من السود (الاميركان) تراثهم الافريقى الغنى مرة اخرى . شرح اكثر من ثلث كتاب هيلى ثقافه¨ الشعب الماندينكاوى وانماط حياتهم . فروايه¨ الجذور تكشف واقع تدين شعبنا القوى وروحيتهم حتى قبل ادخال المسيحيه¨ فى افريقيا . لم يشر الفيلم الى هذا الواقع الا إشارة خفيفه¨ .

''ابدى الكتاب ان كثيرا من القبائل التى نحن منحدرون منها هنا فى الولايات المتحدة كانت عبارة عن ناس ذوى ثقافه كتابيه قرائيه عاليه كان يمكنهم قراءة و كتابه العربيه، لا ياتى ذكر لهذا الواقع فى الفيلم،، .

لا شك ان الارتباط النفسانى بعالم اسلامى او عربى الذى عبرت عنه حركه المسلمين السود و حركات زنجيه اسلاميه اخرى على مستوى رؤيا دينيه لاميركا والكون قد تجاوز بكثير دوائر زنجيه من الطبقات الادنى نستطيع ان نصفها بانها دينيه . ففى اواخر الستينات واوائل السبعينات نجد، عند بروز قوميه سوداء علنيه علمانيه الاتجاه، ان الشبان السود الذين كانوا لسان حال هذه القوميه على سطح الادب القومى يعرفون انفسهم بانهم ''افارقه اميركان،، لهم صبغه قوميه مزدوجه . و يعرفون و طنهم المفقود افريقيا الذى يدعون انهم استداده إبان سوصفهم له بمقاييس افريقيه وحدويه اى كافريقيا يسكنها عرب و مغاربه كما يسكنها سود ما وراء الصحراء الكبرى، و بانها، فوق الصحراء وورائه، وطن اسلامى الى حد بعيد . فبدون ان يكون و عيهم العلمانى بالاساس دينيا بمغزى خاص، صوروا صورة لافريقيا وطنهم الام كانها ميدان لقاء وانصهار كل العناصر و كل الاديان (الاسلام والنصرانيه والوثنيات) المتواجدة على تراب القارة، بل احيانا عرفوا افريقيا كانها لا تختلف كثيرا او تكاد لا تنفصل عن العالم العربى، فنجد الشاعرة الافريقيه الاميركيه الشابه فيرجينا سيمونز ميابونغو مثلا تتجه اتجاها بينا نحو العروبه فى رسمها للوطن الذى تشتاق الى استرداده فى قصيدة نشرتها فى اواخر الستينات عند انبلاج حركه السلطه السوداء .

ما هى افريقيا عندى ؟
انها ارض اجدادى
عاصفه رمليه عند الشفق

حين التطلع من جدران الواحة
الى الصحراء الكبرى المنبسطة الممتدة
نغمة الصحراء
التى تجذبنى ابعد فأبعد
موسيقى منتصف الليل ورقاص
فى خيمة
كسكس و رحيق
امرأة منتقبة هنا و هناك
ام تحمل طفلا فى ذراعيها
ركوبة على جمل
رداء شيخ قبيلة و عقاله
بسالة قائد و عزته
نخل و تمر و زيتون
أثمار استوائية
اذانات تدعو الى الصلوات . . .
طبول تدوى بنداء
"الحرية الحرية"

قصيدة لها صبغة سياحية الى حد ما، ولا ريب، فتكاد رسومها تبدو كأنها أخذت من وجه ملصق سياحة لدولة مغربية ما وجهتها ببعض التحفظات الباطنية الكامنة الى جمهور بلد غربى بعيد . و لكن فى القصيدة كذلك عاطفة جارفة حقيقية تنقذها من وجوه عاديتها مشاعر صداقة حارة نحو افريقيا الصحراوية العربية او (ان اخذت الصور من الحافة الجنوبية السودانية لتلك الصحراء) الاسلامية عامة . تجذب الشاعرة الى سكان الصحراء بعض مباهج حياتهم التى هى بالأكثر

غير دينيه" : موسيقاهم، رقصاتهم الصحراويه" الممتزجة" من عناصر عربيه" وزنجيه"، طعامهم، امومتهم البريئة" الحارة، ملابسهم التقليديه" الزاهيه" ، والخمر الذى يشربه قلة" من الضالين عن سواء السبيل .

المهم هو ان تعريف مفكرى و ادباء السود فى الولايات المتحدة لوطن افريقيا العام يختلف اختلافا بينا عن تعريف بعض العناصر الانعزاليه" بين مفكرى افريقيا السوداء التى تقلل من عضويه" علاقه" قسمهم من افريقيا بقسمها العربى الشمالى .

فالقوميه" السوداء فى الولايات المتحدة ترفض رسم حدود فاصله" واضحه" ثقافيا او عنصريا بين قسمى افريقيا و تؤكد وحدة الشعور و المصير والكفاح الرابطتين بين افريقيا ما وراء الصحراء الكبرى و افريقيا العربيه" .

—o—

تعليق

حول ''اسطورة تجسد الاله"

لفضيلة الشيخ عبدالصمد شرف الدين

يطلب من : جامعة الملك عبدالعزيز، جدة، المملكة العربية السعودية

نشر كتاب ''حول موضوع تجسد الاله،، في لندن صادف قبولا لدى القراء، حتى طبع مرتين في سنة واحدة ١٩٧٧م . أشترك في تاليف فصوله بضعة رجال من علماء اللاهوت، ولما اطلع عليه الأخ الفاضل عبدالصمد شرف الدين وهو مولع بتفقد الحكمة لأنها ضالة المؤمن أخذها أينما وجدها، فانتقاه لتعليقه، و استعرض بعض نقاطه الهامة بدون تحيز و تعصب . و طبع هذا الكتاب تحت أشراف جامعة الملك عبدالعزيز، على مستوى ذوقه الطباعي بصورة انيقة .

ان فضيلة الشيخ الأستاذ عبدالصمد شرف الدين كما رأيته، كرس حياته كلها لخدمة دين الله الوحيد الاسلام ، واول ما عرفت فضيلته عندما كان اقامتي ببمباى مع والدى المغفور له العلامة ابى عبدالله محمد بن يوسف السورتى و كان الشيخ عبدالصمد شرف الدين يشترك مع اخيه المرحوم عبدالحكيم فى حلقة تدريسه الخاص و كان العلامة السورتى يلقى المحاضرات حول اصول الحديث و شرح الجامع الصحيح لا بى عبدالله محمد بن اسمعيل البخارى رحمة الله عليه، والتفسير و سيرة النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم قابلته بعد ذلك زهاء أربعين سنة في الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة، و وجدته في عمره هذا أنشط من ذى قبل في البحث والتحقيق، والدعوة والارشاد و تاليف الكتب (التعليق عليها و شرحها، و طبع الكتب القيمة، في مطبعته القيمة ببمباى (الهند) بارك الله فيه و وفقه لخدمة دينه و علوم الحديث والسنة .

تلقينا قبل بضعة أشهر كتابه المذكور اعلاه : "حول اسطورة تجسد الاله،، بالعربية — والانكليزية . أن موضوع هذا الكتاب له صلة متينة بعددنا السابق لمجلة الدراسات الاسلامية حول العبادة، و يمكن لنا أن نلخص ما كتب حول العبادة بكلمة وجيزة : انه ليس هناك شريك لله في خلق الكون وهديه، هو الوحيد الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى، وان لله في خلقه سنة واذنا و كتابا ومشيئة، و ليس احد فيها شريكه، اذن فالمخلوقات كلها عباد الله و خاصة الانسان، سواء فيه الأنبياء والأولياء والعلماء والفلاسفة، و كل من فيه ذرة علم أو عقل يعترف بمخلوقيته و يؤمن بخالقية الله، ولا احد يستنكف ان يكون عبدا لله، لا المسيح ابن مريم ولا الانبياء الآخرون ولا الملائكة المقربون و هل يدعى الفانى أنه خالق الموت والحياة ؟ وهل يقدر الانسان العاجز ولو بلغ من العلم اى مبلغ و من القوة أعلى مداها، أن يقول ان الطبيعة تسير و فق ارادته و بقوته، و أنه هو الذى اعطى الاشياء خواصها ؟ وان كل مانرى من التغييرات في الكون انما هى رهن اشارته، و أنه هو الذى خلق الشمس و القمر و بيده نظام ادارتهما ؟ ؟

ثم ان العلوم الحديثة قد برزت جليا انه ليس في السموات والأرض

الانظام واحد، وان اول رجل صعد القمر و تمشى على أديمه اعلن بكل صراحة انه كان مستحيلا ان تبلغ عربتنا الى القمر او ان اضع قدماى على القمر لو كان في الكون نظامان، ولم ننجح في الصعود على القمر الا لأن في الكون نظاما واحدا، و كلما نجرب شئيا واحدا و نشاهده و نختبره ولوعدة مرات نصل الى نتيجة واحدة، وهي ان دلت على شئ فانما تدل على ان ليس في الكون الانظام واحد . اليس هذا الرجل الذى اعترف بواحدانية نظام الكون، صدّق قول الله تعالى : " لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا،، (الانبياء : ٢٢) و معنى ذلك ان العلوم الجديدة ترينا آيات الله في الآفاق وفي الأنفس، و لكن كل ذلك لايكتنهه الا من كان له قلب او القى السمع وهو شهيد .

ان هذا الكتاب "اسطورة تجسد الا له،، الذى اشترك في تاليفه جماعة بحاثة لجدير بان يترجم الى بعض اللغات الهامة العالمية و ينشر بين الناس ليعلموا حقيقة عقيدة تجسد المسيح عليه السلام، ويرجعوا الى انفسهم و يستيقنوا أنهم كانوا لايؤمنون بآيات الله، و يشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا خاطئين. و ان عبادة الله الواحد هو الصراط المستقيم، حيث ان الله واحد والرسل كله رسل الله، وانه لم يوح الى احد منهم رسالة تناقض رسالة الآخر، فصحف ابراهيم و موسى و انجيل عيسى و الكتاب المنزل على محمد صلى الله عليهم أجمعين من مصدر واحد ولو كان من عند غير الله لوجدنا فيها اختلافا كثيرا . وان الاختلاف الذى نراه فيها هو من سوء فهمنا ومن تحريفنا، فلو ترك الناس ادخال آرائهم ودس عقائد اسلافهم في هذه العيون الالهية الجارية الصافية لما

كان لها الاطعم واحد، طعم ماء عذب، يروى البشريه الحرى القلقه .

ان لله الدين الخالص و لكن الناس لا يصبرون على دين الهى واحد، و يستكبرون ان يكون الدين كله لله، فيلقون بأيديهم الى التهلكه، انما يريد الله ان يخفف عنهم و يضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم، و لكنهم يجمعون الغث والسمين و يخلطون الحابل بالنابل ولا يحملون ذنوبهم فحسب بل يحملون ذنوبهم مع ذنوب اسلافهم و كبرائهم فما اصبرهم على النار ! !

هذا الكتاب يزيل عن الناس طلسم التجسد، و كما يبدو فان أساس هذه العقيدة على نص الانجيل المقدس : والكلمه صارت جسدا و حل بيننا،، . (يوحنا ١ : ١٤) غير ان هذه الجمله لا تحمل صرح تجسد المسيح بن مريم عليهما السلام ولا تكفى لاثبات تجسد الا له فى سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام و لنا فى معنى الكلمه كلام فى غير هذا المكان .

هذا الكتاب شهادة رجال مؤمنين من أهل الكتاب و محاوله ناجحه لتحرير الحديث عن الله سبحانه و تعالى و عن شخصيه عيسى عليه السلام من كل تلبيس او خلط، و نحن نهنئ مؤلفى هذا الكتاب و ناشريه لانهم القوا لنا ضوءا على المسيحيه الصحيحيه و خطوا خطوة جريئه .

عبد الرحمن الطاهر السورتى

★ ★ ★

مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية

اسلام آباد، باكستان

		في باكستان (روبية)
١- Islamic Methodology in History	للدكتور فضل الرحمان	٢٥ - ٠٠
٢- Qura'nic Concept of History	لمظهر الدين الصديقي	٢٥ - ٠٠
٣- Al-Kindi, The Philosopher of the Arabs	لبروفيسور جارج ابن عطية	٢٥ - ٠٠
٤- Imam Razi's 'Ilm-al Akhlaq (ترجمة كتاب النفس والروح مع تعاليق)	للدكتور محمد صغير حسن المعصومى	٢٥ - ٠٠
٥- Alexander Against Galen on Motion	لبروفيسر نكولاس ريشير و ميكائيل مارموورا	١٥ - ٠٠
٦- Concept of Muslim Culture in Iqbal	لمظهر الدين الصديقي	١٥ - ٠٠
٧- The Early Development of Islamic Jurisprudence	للدكتور احمد حسن	٢٥ - ٠٠
٨- Proceedings of the International Islamic Conference	جامعه: الدكتور ايم - اے خان	١٠ - ٠٠
٩- مجموعة قوانين اسلامية الجزء الاول (باللغة الاردية)	لتنزيل الرحمان	٣٥ - ٠٠
١٠- ايضا الجزء الثانى ايضا	,,	٣٥ - ٠٠
١١- ايضا الجزء الثالث ايضا	,,	٣٠ - ٠٠
١٢- ايضا الجزء الرابع ايضا	,,	٣٥ - ٠٠
١٣- تقويم تاريخى (باللغة الاردية)	لمولانا عبدالقدوس الهاشمى	١٥ - ٠٠
١٤ الاجماع و باب الاجتهاد (باللغة الاردية)	لكمال الفاروقى	٤-٠٠
١٥ الرسائل القشيرية (باللغة العربية مع ترجمتها الاردية)	لابى القاسم عبدالكريم القشيرى - ترجمة الدكتور پير محمد حسن	١٠ - ٠٠

الدراسات الإسلامية

مجلة مجمع البحوث الاسلامية

اسلام آباد - باكستان

المجلد الخامس عشر — العدد الثالث

سبتمبر ١٩٨٠ م — رمضان ١٤٠٠ هـ

هيئة التحرير :

المحتوی

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيه

ان العدد القادم من الدراسات الا سلامية سيكون خاصا عن استقبال القرن الخامس عشر الهجرى، و كما سبق فان المجمع وجه دعوة الى العلماء ليسا هموا فى هذا العدد برسالاتهم و بحوثهم ليصدر العدد كاملا و يشتمل على افكار وآراء سامية فى هذا الموضوع، وان المجمع يوجه مكررا دعوته الى الكتاب والعلماء والمفكرين للمساهمة فى هذا العدد الخاص عن القرن الخامس عشر الهجرى .

ان بداية القرن الجديد يدعونا الى استعراض افكار وانجازات القرون السالفة، لنعلم انجازاتنا و خسائرنا فيها، و نبحث عن الوسائل التى تمكننا من تدارك مافاتنا و تلافى خسائرنا، و حتى يبرز لنا الهدف الذى نطالب الجيل القادم باصابته، وان نتفكر زرافات و وحدانا فى تزكية انفسنا وازالة الفحشاء والمنكر من مجتمعنا و توحيد كلمتنا واعلاء كلمة الحق فى العالم اجمعه.

الانسان أو الشعب فى هذا العصر لايعيش على انفراد، وانما هو مرتبط بعلاقات دولية، و كلما تتحسن هذه العلاقات كلما يتقدم الفرد أو الجماعة ـ فاذا كانت هذه العلاقات تتركب من مصالح شخصية على أساس أن يجلب كل الى نفسه، تتوتر هذه العلاقات و تتصادم، ولا يستقر النظام فى البلاد ولا يسود الامن، اما اذا كانن أساسها على المصلحة العامة والمبادئ السامية يتولد فى المجتمع التعاون على البر والتقوى والتوادد والتراحم والتناصر .

ان الله سبحانه و تعالى جعل هم المرء جله فى طلب الأولاد والأموال رمزا للمصلحة الشخصية و شجبه، وجعل الايمان والعمل الصالح و تبنى المبادئ السامية رمزا للمصلحة العامة و مدحه، فقال جل و علا: وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى، الامن آمن و عمل صالحا (سبا : ٣٤) و بذلك بتيسرلنا انشاء مجتمع جديد على أساس وحدة الأمة البشرية، تتلاشى فيه التعصبات كلها من سلالات و عناصر و قوميات و عقائد، و يكون الناس كلهم فيه عباد الله، يسعون لمحو الظلم وبث العدل، لايسلط فيه القوى مصلحته الشخصية على الضعيف، ولا يستغل الظالم فيه المخترعات العلمية الحديثة لاهلاك الحرث والنسل و تكون هذه الانجازات العلمية فى يد خيار الناس يستخدمونها لنفع البشرية جمعاء.

ان الأمن والتعايش السلمى لا يتحققان الا بالعدل والاحسان، وابقاء حرية الناس بدون أى طمع لاستعبادهم، حتى تلد الامهات أولادا أحرارا، و هذا ما يطلب من السلف ان يتركوا خلفهم في حريتهم بدون تقييد، حتى يتمتعوا بمواهبهم واستعملوا كفاءاتهم وأعملوا عقولهم لرفع مستواهم كي يعيشوا عيشه راضية، وان لا يسلطوا على من جاء بعدهم انظمتهم وآراء هم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ولا يلزموهم مالا لزوم له . لان السلف لهم الحرية فى أخذ الاحسن ولهم ما كسبوا وعليهم ما اكتسبوا، وللخلف مثله، لا يسأل السلف عما سيفعله الخلف ولا يسأل الخلف عما كان يعمله السلف . و هذا هو الطريق الوحيد الذى يمهد للاجيال القادمين فى القرن الآتى ان يعيشوا حياة طيبة سعيدة التى خلقها الله لهم.

اننا لانكر افادة الهيئات الدولية فى تحسين نظم العدل و تنفيذ العدالة الاجتماعية و سهرها لا يقاف الحروب التوسعية، وسعيها للنصر للمظلوم، غير أننا فى

حاجة الى أن تكون الهيئات الدولية قوية و فعالة، تنفذ قرارتها بجد و حزم، و تأخذ من الظالم ما اغتصبه من حق لضعيف المظلوم بقوة، و تلجيء القوى الى اداء حق الضعيف بلاهوادة ولا محاباة، حتى لا يطمع القوى فى ضرر الضعيف . و هذا ما دعا اليه الاسلام، و هذا معنى كلمة لا اله الا الله .

ان القرن الخامس عشر الهجرى سيطلع على العالم وهو يقظ منتبه واع لما يرثه من تجاربنا و حلولنا و علومنا و نحن على أمل و طيد أنه يجعل العلم والعمل الصالح نصب أعينه و يواجه مشاكله بجراءة و عزم .

(عبد الرحمن الطاهر السورتى)

مذاكرات علمية

د. محمد حميدالله

باريس (فرنسا)

ان مجمع البحوث الاسلامية فى اسلام آباد شرفنى بالدعوة الى لقاء مع اعضائه العلماء الأفاضل . و كما يقول المثل الفارسى "برك سبز است تحفه' درويش " اتحفت ارتجالا ما بعث بحوثا استفدت منها . ثم دونت بعد ذلك بأمر مدير المجمع فالأمر فوق الأدب . (محمد حميد الله)

(١)

غزوة بنى النضير

لما عجز مشركو مكة بعد انهزامهم فى ساحة بدر من ان يحاربوا النبى صلى الله عليه وسلم و أصحابه أرادوا الثأر بطريق الجبن والغدر فاعلنوا أن كل من قتل مسلما أو أسره فله مكافأة كذا . و كان هذا سبب ما حدث للمسلمين فى الرجيع وبئر معونة، كان النبى عليه السلام أرسل جماعات لتبليغ الدين و لكن هاجمهم بعض الكفار فأسروا سيدنا خبيبا و باعوه رجلا من أهل مكة ليقتلوه . اما بئر معونة، بلاد بنى عامر، فلم ينج فيها من المسلمين الا سيدنا عمرو بن أمية الضمرى فعاد، فلما وصل قريب المدينة، وجد رجلين من بنى عامر كان لهما عقد وجوار من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم به سيدنا عمرو بن امية. فلما عرف أنهما

من القبيلة التى فتكت بالمسلمين ببئر معونة أمهلهما حتى اذا ناما عدا عليهما و قتلهما . فلما قدم سيدنا عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم و أخبر الخبر وجب اداء الدية . قال ابن اسحاق : ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى بنى النضير يستعينهم فى دية ذينك القتيلين من بنى عامر، و كان بين بنى النضير و بين بنى عامر عقد و حلف فقالوا فى الظاهر : نعم، و طلبوا منه ان ينتظر و هموا بقتله بالقاء حجر طاحون من فوق بيت كان النبى عليه السلام جالسا فى ظله فجاءه الخبر من السماء فرجع الى المدينة وأمر بالتهيوء لحربهم . (سيرة ابن هشام، ص ٦٤٨ - ٦٥٣)

و لكن لماذا وجب على يهود بنى النضير أن يعطوا مالهم فى دية رجلين لم يقتلوهما، بل قتلهما مسلم ؟ بحثت و سألت العلماء منذ سنين و لكن بدون جدوى . و أخيرا صادفت المطلوب : فذكر السمهودى رواية ابن اسحاق التى نقلناها ثم زاد : "واصح منه مارواه ابن مردويه بسند صحيح أنهم أجمعوا على الغدر، فبعثوا الى النبى صلى الله عليه وسلم : أخرج النيا فى ثلاثة من اصحابك، و يلقاك ثلاثة من علمائنا، فان آمنوا بك اتبعناك. فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر . فأرسلت امرأة من بنى النضير الى اخ لها من الانصار، مسلم، تخبره بأمر بنى النضير . فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بأمر بنى النضير قبل أن يصل اليهم فرجع و صبحهم بالكتائب، فحصرهم يومه، ثم غدا على بنى قريظة فحاصرهم فعاهدوه . فانصرف عنهم الى بنى النضير فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء . . . رواه ايضا عبد بن حميد فى تفسيره) وفاء الوفاء فى اخبار دار المصطفى، للسمهودى،

بيروت ١٣٩٢هـ ١٩٧١م، ص ٢٩٨) . كان ناسخ كتاب ابن اسحاق (أو ابن هشام) سها ووثب على اسطر، او على ورقة ولم ينتبه الذين استنسخوا او قرءوا الكتاب . عفا الله عنهم و أثاب السمهودى .

(٢)

غزوة بنى قريظة

ان بنى قريظة غدروا زمن حصار الخندق وأرادوا الهجوم على المسلمين من خلفهم . فلما انتهت حرب الخندق ورجع أهل مكة و خلفاؤهم الى بلادهم، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذ نافأذن فى الناس : ''من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الابنى قريظة،، . و بعد حصار نزلوا على حكم أحد من المسلمين فامر ذالك الحكم ان يقتل الرجال و تقسم الاموال و تسبى الذرارى والنساء . . . وهم ستمائة او سبع مائة . (ابن هشام، ص ٦٨٤ - ٦٩٠)

كان النبى عليه السلام اكتفى باخراج يهود بنى قينقاع، و كذلك بعد ذلك بيهود بنى النضير عندما قاتلوه و انهزموا فنزلوا، اما بنو قريظة فقتل كل من كان منهم بالغا مقاتلا . و بحث فى سبب هذا الفرق المستشرق الولنديزى فنسنك A.J. Wen Sinck فى مجلة Der Islam الالمانية (ج ٢، ص ٢٨٦ - ٢٩١، من سنة ١٩١١م Mohammed und das Judentum راجع خاصة ص ٢٨٩) فقال : ''كان النبى قد عامل بنى النضير برأفة . و رغم ذلك أثاروا حصار الخندق المفزع . فكان هناك خطر مهالك كثيرة لو عفا عن بنى قريظة هذه المرة،، .

مسئلة أخرى . ان بني قريظة نزلوا على ان يحكم بينهم سعد بن معاذ الانصارى (صحيح البخارى ٦٣/١٢/٣٠، ٦٤ ٩ / ٣٠/٩) فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم الى سعد (وكان مريضا جريحا) فأتى على حمار . فلمادنا . . .قال (له النبى عليه السلام) ''هؤلاء نزلوا على حكمك،، فقال (سعد) : ''تقتل مقاتلتهم و نسبى ذراريهم .،، قال (عليه السلام) : ''قضيت بحكم الله، وربما قال : بحكم الملك،، . و فى روايه ابن اسحاق (راجع ابن هشام، ص ٦٨٩) : ''لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعه،، و نقل السهيلى (الروض الانف، ١٩٧/٢ - ١٩٨) عن ''الصحيح،، : ''من فوق سبع سماوات،، . و كلها متقاربة المعنى .

مربيالى أن المراد بحكم الله ماورد في التوراة . وكان من سياسة النبى عليه السلام أن يطبق على أهل الذمه قوانينهم الملية لما أمر به القرآن : '' ''وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه،، وما فى معناه . و فيما يتعلق بالتوراة، هناك أحكام فى كتاب التثنية (٢٠/ ١٠ - ١٧)، و كذلك احكام فى كتاب يوشع النبى (٦/ ٢١) و فى الكتاب الأول لاشموئيل النبى (Samuel) (١٥/ ٣) ولا بأس بأن ننقلها ههنا لمعرفة القارئ (ترجمتها عن النص الفرنسى الى العربية) :

(الف) ''عند ما تقرب (ياموسى) من بلدة للهجوم عليها، تقدم لها السلم . فان قبلت السلم وفتحت لك أبوابها فجميع الخلق الذى فيها يصير صاحب خراج لك، و عبدلك فان لم تقبل السلم معك بل ارادت أن تحاربك فحينئذ تحاصرها ثم

لما يعيطك (الاله) الابدى الذى هو الملك هذا الخلق فى يدك، فانت تقتل جميع الذكور بحد سيفك و تأخذ كالغنيمة" النساء والأطفال والحيوانات و جميع ما سيوجد فى البلدة وأنت تأ كل ما أخذت كالغنيمة من اعدائك، هذه الغنيمة التى يجعلها الأبدى الذى هو الملك فى يدك . و ستعمل هكذا تجاه جميع البلدان التى هى بعيدة جدا منك، و ليست جزءا من البلدان التى لهؤلاء الملل (من العمالقة) اما فى البلدان التى هى لهؤلاء الملل التى يعطيك الابدى الذى هو الملك *تراثالك، فانت لاتبقى الحياة لاحد من له تنفس*، بل تبيدهم . وهم الحيثيون، والعموريون، والكنعانيون، والفريزيون، والحيوتيون، واليبوسيون . . ،، (كتاب التثنية ٢٠/١٠-١٧) .

(ب) ،،فأخذوا البلدة وابادوا على حد السيف كل من كان فى البلدة من الرجال، والنساء، والاطفال، والشيوخ، حتى البقرة، والغنم، والحمير (كتاب يوشع ٦/٢١) .

(ج) ،،اذهب الآن وهاجم العمالقة، واييدوا كل من هو لهم ولا تبقى ولاتذر احدا منهم، بل تقتل الرجال، والنساء، والأطفال، والرضعاء، والبقرة، والغنم، والابل، والحمير،، (اول اشموئيل ١٥/٣) .

فالأخف والأهون فى هذه الاحكام ماهو مذكور تحت الاقتباس (الف) وهو من كتاب التثنية وهو كتاب ينسبه اليهود الى موسى عليه السلام، فكما تدين تدان . فأمر سيدنا سعد بن معاذ أن يطبق على اليهود ماكانوا يطبقونه هم على أعدائهم .

(٣)

صوم عاشوراء

هناك حديث فى صحيح البخارى ، ٣٠./٦٩/٥، كتاب الصوم، باب صوم يوم عاشوراء) : "عن ابن عباس رضى الله عنهما قال . قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء . فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بنى اسرائيل من عدوهم فصامه موسى . فقال (النبى صلى الله عليه وسلم) : فانا أحق بموسى منكم ! فصامه وأمر بصيامه" . و كذلك فى صحيح مسلم . و فى الصحيحين ايضا : "أرسل النبى عليه السلام غداة عاشوراء الى قرى الانصار : من أصبح مفطرا فليصم بقية يومه، و من أصبح صائما فليصم" . و كذلك : "دخل المدينة و اذا أناس من اليهود يعظمون عاشوراء و يصومونه" . و ليس فى أية هذه الروايات اشارة الى ان قدومه عليه السلام المدينة وقت الهجهرة كان يوم عاشوراء .

نعم، روى الحلبى فى السيرة ما قال حافظ بن ناصر الدين(وهو رجل غير معروف) : "و قدم المدينة يوم عاشوراء" . و هذا خلاف المعروف بأن قدومه المدينة كان فى ربيع الاول . ولا خلاف فى أن عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر محرم .

وتأكد هذا من حديث أسماء بن حارثة الأسلمى رضى الله عنه (المذكور فى الصحاح) وأنقله عن السمهودى (ص ١٣٣٥) "عن أسماء بن حارثة الأسلمى قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء ، فقال : أصمت اليوم يا

اسماء ؟ فقلت : لا . فقال : فصم . قلت : قد تغديت ! قال : صم مابقى من يومك وأمر قومك يصوموته . قال : فأخذت نعلى بيدى فما دخلت رجلى حتى وردت يين على قومى فقلت : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تصوموا بقية يومكم (قال نصر : "يين،، واد به عين، من اعراض المدينة على بريدمنها وهى منازل أسلم و خزاعة،،) . ولم تكن فى المدينة مستعمرات للمسلمين من قبائل خارج المدينة قبل الهجرة النبوية، بل أسست عندما أمر النبى عليه السلام بالهجرة الى المد ينة لكل من كان يعتنق الاسلام من بلاد نائية حتى يزداد عدد المسلمين فى عاصمة المدينة ولم يكونوا الا قليلين جدا وقت هجرة النبى عليه السلام الى هناك . فلا يمكن أن تكون يين مستعمرة مسلمى قبيلة اسلم يوم قدومه صلى الله عليه وسلم الى قبا فى المدينة . ولم يبق فرضية صوم عاشوراء بعد أمر صوم رمضان فى السنة الثانية للهجرة . فقصة أسماء بن حارثة تتعلق اما بمحرم سنة ١ او سنة ٢ للهجرة . اما سنة ١، فكان صلى الله عليه وسلم لا يزال فى مكة . فلم تبق الا امكانية محرم سنة ٢ للهجرة وهو المقصود .

كل هذا من جهة ، و من جهة أخرى : ان تقويم اليهود، ايضا قمرى، يبتدئ برؤية الهلال، و ينسئون و يزيدون شهرا فى شهور السنة مرة فى كل ثلاث سنوات . فالعاشر من الشهر لا يختلف بين تقويم العرب و تقويم اليهود ولو اختلف اسم الشهر عند هما . والنسئ لم يلغ عند المسلمين الا فى حجة الوداع . و لذلك يجب ان يكون عاشوراء العرب و عاشوراء اليهود فى نفس اليوم "فى محرم، لافى ربيع الاول .

و من المعروف ايضا وقت قدوم النبى عليه السلام الى قبا يوم الهجرة : لما سمعنا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة و توكفنا قدومه، كنا نخرج اذا صلينا الصبح الى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فو الله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال، فاذا لم نجد ظلا دخلنا، و ذلك فى أيام حارة . حتى اذا كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم جلسنا كما كنا نجلس، حتى اذا لم يبق ظل، دخلنا بيوتنا و قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت،، ، (سيرة ابن هشام، ص ٣٣٣ - ٣٣٤) . فلو كان قدم يوم الهجرة وقت الظهر كيف يرسل رجلا فى غداة اليوم الى بيوت الأنصار يأمرهم بالصوم ؟

ولكن بقى سؤال مهم : حديث البخارى و مسلم و بين آخرين يقول ان صوم عاشوراء عند اليهود يوافق عيد الفصح اى عبور البحر مع نجاة بنى اسرائيل و غرق فرعون . و بما أن صاحب البيت أدرى بما فيه، يجب ان نعتنى بما يعمل اليهود . فعندهم لا صوم يوم عيد الفصح ، ولاعيد العبور يوم صومهم و بنيهما فصل ستة أشهر، فصوم عاشوراء فى العاشر من أول شهور سنتهم و يسمونه صوم كبور (Kippur اى الكفارة) و يقع فى شهر تشرى . وهاكم شهور اليهود : تشرى، مرشيسوان، كسليف، تيبت، سبات، آدار، نيسان، ايار، سيوان، تموز، آب، ايلول . والشهر الثالث عشر، شهر النسئ يقع بعد آدار، فى وسط السنة، و يسمونه و يادار، أى آدار الثانى .

كان لابد من ان يبنى المستشرقون على هذا الأساس هجومهم على الحديث و قالوا : ان المسلمين ليس عندهم علم ولا ديانة، لان عيد عبور البحر قبل ستة أشهر من صوم يوم الكفارة .

الحق يعلو، ولا يعلى عليه، بحثت فيه لمعرفة الحق، و هاكم ماعثرت عليه:

ان يوم عبور البحر كان لبنى اسرائيل يوما عسيرا، غير يسير، و كان فرعون قد وصل قريبا منهم بتعا قبهم . فانفلق البحر فعبره بنو اسرائيل . ولما وصلوا الى الساحل المقابل كان لابد من ان يكون عندهم مسائل كثيرة منها خوف عبور العدو أيضا ولم يقدروا على ان يحتفلوا بالظفر فى ذلك الوقت بل اشتغلوا بالقيام والطعام و الشراب وما الى ذلك . و لما أيقنوا بالنجاة، و وجدوا ما احتاجوا اليه من المطعم والمسكن وجاء الخريف وزمن الحصاد، فكروا فى عيد، فاحتفلوابه على منهج الأنبياء . فصام سيدنا موسى وأمر الناس بالصوم فى ذكرى الخروج من مصر، شكرا لله، وطلبا للغفران وجعلوه عيدا طويلا . فبدءوا بعيد رأس السنة فى أول الشهر واحتفلوابه بانواع الفرح و المتعة، و كملوه بالصوم فى عاشر ذلك الشهر. وحجة ذلك ما يقوله اليهود أنفسهم . يوجد عند اليهود كتب "عمل اليوم والليلة، و كتب الأوراد و فى واحد منها الذى أمامى :

Grand Rabbin S. Debre, Rituel de prieres pour tous les jours de l'annee Paris 1932 و فيه النصوص العبرانية مع الترجمة الفرنسية . فأترجم لقرائى الى العربية :

ص ٥٧٩ ''عيد پانتكوت و سوكوت (Pentecote & Saukkot)
يستشفع يوم السبت : '' . . . لأن يوم السبت هو يومك (يارب) للرأفة وأنت الذى سميته، فى ذكرى الخروج من مصر، ألذ الأيام،، .

ص ٥٩٥ ''التقديس لأعياد الفصح و پانتكوت و سوكوت . فى اليومين الأخيرين من عيد سوكوت،، يقولون : ''أنت الذى أعطيتنا عيد الاختتام هذا، أوان مسراتنا المقدسة، و جعلت فى ودك مقدسا هذا العيد الذى يذكرنا النجاة من مصر،، .

ص ٦٠٧ ''عبادة يوم رأس السنة،، : ''فى اعتنائك الذى لا نهاية له، يا ابدى، انت أعطيتنا عيد التذكار، هذا العيد الذى نحتفل به بدق الشوفار (Shofar) والذى سميته عيدا مقدسا لتكريم الخروج من مصر،، .

ص ٦٨٩ - ٦٨١ عيد صوم الكفارة (كپور) : بفضل اعتنائك الذى لا نهاية له، يا أبدى، انت اعطيتنا الكفارة لغفران جميع خطايانا، و سميت هذا العيد عيدا مقدسا فى ذكرى الخروج من مصر،، . و هاكم نص هذا الاقتباس الأخير :

[illegible] באהבה את יום
(השבת הזה למנוחה ואת
יום) הכפרים הזה [illegible] ולסליחה
[illegible] את כל עונותינו
(באהבה) מקרא [illegible] זכר ליציאת
מצרים:

(*) Les mots entre ( ) ne se disent que le samedi.

[illegible] Grâce à ta sollicitude infinie, ô Éternel, tu nous as donné (*) (le sabbat pour le repos de notre corps et la sanctification de notre âme, et) le Kippour pour la rémission de toutes [illegible], et (*) (dans ton amour) tu as [illegible] une sainte solennité, [illegible] de la sortie d'Égypte

(*) Les mots entre ( ) ne se disent que le [illegible]

ان عيد الفصح فى شهر نيسان . و عيد رأس السنة فى الاول والثانى من شهر تشرى . و يوم الكفارة فى العاشر منه . و عيد سوكوت من الخامس عشر الى الحادى و العشرين من نفس الشهر (و هذا الأخير للاحتفال بما صانهم الله فى الصحراء . و فى كل هؤلاء يقولون ان ذلك اليوم صار مقدسا فى ذكرى الخروج من مصر والنجاة من فرعون . فلوكان قال يهود المدينة انهم يصومون عاشوراء في ذكرى الخروج من مصر، شكرا لله، فلا يوجد ادنى خلاف بين ما ذكر فى الحديث الشريف و بين عمل اليهود الى هذا اليوم .

٤

قول سيدنا عيسى عليه السلام : " انى عبدالله"

النصارى يقولون ان عيسى هو الله، وأنه ابن الله، وأ نه كلمة الله، وأنه نبى، ولكن لايقبلون قول القرآن ان سيدنا عيسى هو الذى قال "انى عبدا لله آتانى الكتاب" ولا قوله "لن يستنكف المسيح ان يكون عبد الله ولا الملائكة" . ففيما يتعلق بمصطلح "ابن الله"، يجب ان نعرف ما المراد منه فى الأناجيل . فهاكم اقتباسان :

(الف) "طوبى للذين يأتون بالسلم لانهم الذين يسمون بأبناء الله" (انجيل متى ٥ - ٩) . و يجوز، بل يجب ان أترجمه "طوبى للمسلمين لأنهم يسمون بأ بناء الله" . أليس فى الحديث الصحيح (للبخارى): "المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده" ؟ والذى يأتى بالسلم هو المسلم .

(ب) . . . و لكن احبوا اعداءكم، اعملوا الخير، و اعيروا بدون أن ترجوا شيأ فيكون جزاؤكم كبيرا، و تكونون ابناء العلى الكبير لأنه تعالى ذو مرحمة للكفار و الأشرار ايضاً (انجيل لوقا ٦ - ٣٥) .

و حتى فى التوراة (التثنية ١٤ - ١) يخاطب صاحب الكتاب بنى اسرائيل "انكم أبناء الذات السرمدى الهكم"، . و هذا لأن اليهود كانوا موحدين و ليس حولهم الا الكفار و عباد الأوثان .

فمصطلح "ابن الله" كلمة باطل اريد بها الحق .

اما مصطلح "عبدالله" لسيدنا عيسى عليه السلام، فيقول انجيل متى (١٢/١٦ - ١٨) : "و وصاهم (عيسى) بالشدة أن لايفشوه كى يتحقق ما بشربه النبى يسعيا : "هذا عبدى الذى اصطفيت، و حبيبى الذى يسربه نفسى" . ان بشارة سيدنا يسعيا عليه السلام التى يشير اليها سيدنا عيسى، موجودة فى العهد القديم، فى كتاب يسعيا، ٤٢/١، وما بعد. و هناك يقول الله : "هذا عبدى الذى أنصره، و مصطفاى الذى يسر به نفسى، وأنزلت عليه روحى، و يخبر الأمم بالحكم، ليس بصخاب، ولا يجهر بصوته، ولا يسمع صوته فى الأسواق . . ."

ان هذه البشارة للنبى الموعود، و حسب انجيل متى، يقول سيدنا عيسى : انه يعالج المرضى كى تتحقق تلك البشاره . ليس فى عبارة متى أى تصريح من سيدنا عيسى ان تلك البشارة تتحقق فيه، و يجوز ان يكون المرادبها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما يقول همام بن منبه التابعى . و لكن لو فرضنا ان مراد سيدنا

عيسى بها ذاته فسيدنا عيسى يفتخر، حسب انجيل متى، بان يكون هو ذلك ''العبد،، المصطفى .

(٥)

قول اليهود : ''راعنا،،

ورد في القرآن مرتين تهديد لليهود : ''لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا،، و (٢/١٠٤) : ''يقولون سمعنا و عصينا واسمع غير مسمع وراعناليا بالألسنتهم و طعنا فى الدين،، (٤/٤٥) .

ان السياق والسباق يدلان على ان كلمة ''راعنا،، لا يليق بذات النبى عليه السلام فلا بد أن يكون هذه كلمة عبرانية . فان ''راع،، صيغة الأمر من المراعاة والرعاية، و ليس له كبير معنى ههنا . ولما راجعت قواميس اللغة العبرانية وجدت أن ''راع،، معناه ''الشرير، المفسد،، .

(٦)

طب النبى عليه السلام

ورد عند البخارى أن النبى عليه الصلاة والسلام أمر بعض البدويين أن يشربوا لعلاج مرضهم ''ألبان الابل وابوالها،، . فقال : ''عن انس رضى الله عنه ان أناسا اجتووا فى المدينة فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم ان يلحقوا براعيه يعنى الابل فيشربوا من ألبانها وأبوالها . . .،، (كتاب الطب ٦/٧٦) ورد كذلك : ''عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : اذا وقع الذباب فى اناء احدكم فليغمسه كله ثم ليطرده . فان فى احد جناحيه شفاء و فى الآخر داء،، (البخارى ٧٦/٥٨).

لا بد من ان يكون هناك من الأطباء و غيرهم، خاصة من غير المسلمين، من يطعن فى الحديثين . لما كنت فى جامعة أرض روم بتركيا، تذاكرت مع مدير معمل الطب (Laboratory) و قلت له : توجد الا بل فى تركيا و من السهل لكم أن تبحثوا طبيا حديث العلاج بالبول : البول مع اللبن، كل واحد منهما على حدة و بعد ان تعلفوها انواع الاعلاف، فى ترتيب مختلف، و فى مقادير متفاوتة، والتجربة لأمراض مختلفة خاصة لانه يقال ان البدويين العرب لا يزالون فى بعض النواحى يعالجون هكذا، فوعدنى، ولو لم يف فمن واجب علماء الطب المسلمين ان يبحثوا علميا فى هذين الحديثين وأمثالهما والبحث فى أجنحة الذباب، من أصناف مختلفة، على اختلاف فصول السنة، من البلدان المختلفة، و ذلك ما يجب علينا لنكون مثل سيدنا ابراهيم عليه السلام الذى قال : ''بلى ولكن ليطمئن قلبى،، (٢/٢٦٠) . و مما ازيد ان العلاج بالبول لا يرد على أساس انه نجاسة او سم وكم من سم نحتاج اليه للتداوى . اليس الضرورات تبيح المخطورات ؟

لا يقال ان البحوث الطبية لاتدخل فى نطاق مجمع البحوث الاسلامية . أليس البحث المقترح ههنا جزءا من علم الحديث النبوى ؟ قال القرآن المجيد: ''الذى جعل لكم من الشجر الاخضرنارا ،، فاذا بحثنا لنعلم اى الشجر هو، فلايكون بحثنا هذا بحثا علميا يختص بالنبات بل فى جانب آخر يكون هذا البحث جزءا من علم التفسير و قسما من علوم القرآن !

(٧)

هبوط آدم الى الارض

فى الحديث القدسى : ''كنت كنزا مخفيا فأردت ان أعرف، فخلقت الخلق،، . ولما خلق، كان غرضه : وما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون،، (٥١/٥٦) .

ان فى افكار عامة المسلمين ان هبوط آدم عليه السلام من الجنة الى الارض عقوبة له لأنه عصى ربه الذى كان منعه من ان يقرب من شجرة معينة من اشجار الجنة . و لعل هذه الفكرة بسبب أفكار اليهود المبنية على ماروته التوراة المتداولة الآن بين ايديهم . بينما القرآن يقول :

(الف) ''فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها . . .،، (سورة البقرة ٢/٣٧ - ٣٨) .

(ب) ''و عصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى . قال اهبطامنها جميعا . . .،، (سورة طه ٢٠/١٢١ - ١٢٢) هل يقبل العقل أو الطبع السليم أن يعاقب الله احدا بعد قبول التوبة ؟ و هل معنى ''الهبوط،، هو السقوط من العلو الى السفل ؟ والذى يمر ببالى هو :

(١) ان الله أخبر الملائكة بتقديره : ''انى جاعل فى الارض خليفة،، (٢ - ٣٠) فلم يكادوا يدركون مصلحة الحكيم الخلاق أولا . ثم اعترفوا بخطأهم أخيرا و قالوا: ''لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك انت العليم الحكيم،، (٢/٣٢) .

(٢) ثم ان الله — الذى يقدر ان يقول ''كن فيكون،، والذى ''خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام،، و الذى خلق آدم فى آخر هذه الايام الستة وقت الظهر يوم الجمعة، كما صرح فى احد احاديث مسند احمد بن حنبل . لم يكن لآدم حينئذ اى مزية يميزه و يفضله على سائر الخلق، ولم يستبد الله بتخليف آدم فى الأرض . بل عرض هذه الامانة على جميع الكائنات : ''انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا،، (٣٣ / ٧٢) . ليس فيه جميع التفاصيل و لعل الامور حدثت بالنهج الآتى : لما عرض الله الأمانة و وظيفة الخلافة على الكائنات، اشتاق كل واحد منها، ان يؤتمن بها، فقالوا : ''على أى شرط، يارب ؟ ،، فقال : ''انا اقدر و يكون الخليفة هو المسئول،، . فقالوا : ''كيف يارب ؟ تقدر انت، و نكون نحن المسئولين ؟ لا يارب،، . ''فأبين ان يحملنها و أشفقن منها و حملها الانسان،، . كأن هذا الظلوم الجهول فكر ان الله لا يظلم أبدا، و لذلك لن يعاقبه على مالا يستحقه . فقبل تلك الامانة.

(٣) و بعد ذلك امر الله الملائكة، بل جميع الكائنات، ان يسجدوا لآدم، لا لمخلوق من طين، بل لخليفة الله فى الارض . ''فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس،، (٣٨/٧٣ - ٧٤) .

(٤) ''و قلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة و كلامنها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة . . .،، (٢/٣٥) .

(٥) ''فأزلهما الشيطان،، (٢/٣٦) . ''و عصى آدم ربه فغوى،، (٢٠/١٢١) . ثم بكى و تاب الى الله هو و زوجته . وقالا : ''ربنا ظلمنا انفسنا و ان لم تغفرلنا و ترحمنا لنكونن من الخاسرين (٧/٢٣) .

(٦) فتاب الله عليه و أنعم عليه حينئذوأرسله الى الارض خليفة .

(٧) ان كلمة ''هبوط،، وقعت مرتين فى القرآن، سوى ما فى قصة آدم، اولا فى قصة بنى اسرائيل : اهبطوا مصرا فان لكم ماسألتم،، (٢/٦١) . و ثانيا فى قصة سيدنا نوح : ''يا نوح اهبط منا بسلام،، (١١/٤٨) . و ليس فى احد هما معنى السقوط، بل الذهاب فحسب .

(٨) فآدم جعله الله خليفة فى الأرض . فبيته فى الجنة، و يسافر الى محل وظيفته و عند ما يكمل وظيفته سيرجع الى بيته، الى الجنة.

(٩) وما دام قدر الله ان يكون عمر آدم مختصرا، و عمر الأرض أطول بكثير، صار ابناء آدم خلفاء الأرض الى ان تقوم القيامة . ''فمنهم ظالم لنفسه و منهم سابق بالخيرات،، (٣٥/٣٢) . ''ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون،، . (١٠/١٤) . ''ياداود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق،، (٣٨/٢٦) . ''وهو الذى جعلكم خلائف

فى الا رض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم،، (١٦٥/٦) . ’’هو الذى جعلكم خلائف فى الارض فمن كفر فعليه كفره،، (٣٩/٣٥) ’’أمن يجيب المضطر اذا دعاه و يكشف السوء و يجعلكم خلفاء الارض ؟ أإله مع الله ؟ قليلا ما تذكرون،، (٢٧/ ٦٢) .

* * *

المضاربة مع تحديد العائد

عن طريق الحكومات والبنوك الاسلامية او بطرق مباشر

د ـ احمد شلبى

الاستاذ بجامعة القاهرة، مصر

هذا موضوع حى، يشغل بال الكثيرين من المسلمين، ولو أحصينا المسلمين الذين يستعملون صناديق التوفيرلأنفسهم او لأولادهم . و يأخذون ربحا على مدخراتهم بهذه الدفاتر، ولو أحصينا المسلمين الذين يشترون بمدخراتهم شهادات استثمار و يأخذون عائدها، لوجدنا ان تعداد هؤلاء و اولئك قد بلغ مئات الملايين، و من هنا كان لا بد من بحث هذا الموضوع بدقة، ومعاودة البحث .

و نحب ان نقرر بادى ذى بدء ان القول بالتحريم شئ سهل، يلجأله بعض الناس كسلا عن البحث، او ايثارا للسلامة، او أحيانا للتظاهر بعمق التدين، و يتحتم ألانحرم شيئا هناك وسيلة لحله، و القرآن الكريم يهتف بالمسلمين : "من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟(١)"، فاذا كانت هناك وسيلة لنجعل هذا العائدرزقا طيبا، فلا يمكن ان نجزم بتحريمه .

و نقرر نقطة اخرى هي ان اختلاف الرأى ممكن فى هذه المسألة و نظائرها، بل انه شئ طبيعى، و قد قابلنا فى مطلع صلتنا بالثقافة الأزهرية تعبيرا متكررا هو: "فيه قولان "، و أحيانا : "فيه اقوال"، فاذا كان هناك باحث يرى تحريم هذ االنوع

من المعاملة، و هناك آخر يرى حل هذا النوع فينبغي الا يحاول احدهما قتل رأى الآخر، فان تعدد المذاهب في الا سلام نعمة ينبغي ان نحرص عليها لخير الناس، و أن تظل نعمة، أى لاتنقلب الى سبب من اسباب الصراع والكراهية، و اختلاف الرأى شائع فى التفكير الاسلامى، و يوجد احيانا مع وجود النص، فمن المعروف ان زيد بن ثابت كان يعطى الأم ثلث الباقى بعد نصيب الزوج أو الزوجة اذا اجتمع الأب والأم وأحد الزوجين، مع ان الآية الكريمة تقول "ولأ بويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد، فان لم يكن له ولد و ورثه ابواه فلامه الثلث(٢)). أى ان القرآن الكريم نص على اعطاء الأم الثلث، ولكن اجتهاد زيد جعل يعطيها ثلث الباقى بعد نصيب الزوج او الزوجة، وقد سأله عبدالله بن العباس قائلا : هل فى القرآن ثلث الباقى ؟ فأجاب زيد : أنا اقول برأيي و انت تقول برأيك(٣).

و العجيب فى قضية الايداع بربح فى صناديق التوفير و فى شهادات الاستثمار أننا نجد أن الذين يقولون بالتحريم يلقون بآيات الربا فى وجه من يقولون بالحل، كأن آيات الربا لم تكن معروفة عند هؤلاء.

و نقرر نقطة ثالثة ذكرها علماء الاقتصاد و أوردتها فى مطلع بحوثى عن "المال فى الاسلام"، و هذه النقطة هي ان الذاتية كثيرا ما تسيطر على الباحث في مثل هذه الأمور المالية، فالذى ليست عنده مدخرات يميل للتشدد و تحريم هذه المعاملات وهو لو وصل الى درجة الغنى و أصبح عنده فائض فانه يميل لليسر والقول بالحل، و شواهد ذلك كثيرة .

و هناك نقطة رابعة هى ان الذين يقولون بالتحريم يفعلون ذلك احيانا تحاشيا لهجوم بعض الناس الذين يحلو لهم أن يهاجموا كل جديد، و أن يعدوا كل اجتهاد بدعة، بهذه المناسبة نشير لواقع مؤسف هو ان بعض المجلات الاسلامية تغلب عليها اتجاهات الشتائم والهجوم والنقد، فكأنها لاترى الاسلام الا فى محرريها و مفكر يها، و ذلك وضع يضر بالمسلمين و يصورهم بعيدين عن رحاب الاسلام، ولا يستبقى فى جانب الرضا الا جماعة قليلة تخسر لو ضعف الاسلام، و ان أكبر ما يعانيه الاسلام هو صراع للمسلمين بعضهم مع بعض، و صراع المفكرين المسلمين بعضهم ضد بعض، و اذا كان القرآن الكريم قد هتف بأهل الكتاب قائلا ”يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم الا نعبد الا الله ولا نشر ك به شيئا(٤)“، فان المسلم ينبغى ان يتذكر العلاقات الوثيقة الكثيرة التى تر بطه بأخيه المسلم، وانه ان اختلف معه فى الرأى فى قضية من القضايا فانه يتفق معه فى عشرات أخرى من القضايا التى يلتف حولها المسلمون، و نر جو ان تكون هذه المناسبة دعوة لمزيد من التعاون والحب بين المسلمين .

تلك مقدمات لم يكن منها بد، و فى ضوئها اعود لدراسة هذه القضية بمزيد من التفصيل، وقد اعيد هنا ما سبق أن ذكرته، فهدفى جمع الموضوع كله و دراسته دراسة شاملة، مستعينا بالنصوص الدقيقة و بآراء كبار العلماء والمفكرين .

وفى تقديرى يلزم لايضاح هذه القضية ان ندرس ثلاثة موضوعات هى :

١ - الربا وحدوده و موقف الاسلام منه .

٢ - المضاربة بالمقاسمة .

٣ - المضاربة مع تحديد العائد .

و ذلك ما سنشرع فيه :

الربا

ما الربا في التفكير الاسلامى ؟

الربا من اكبر الجرائم التى حرمها الاسلام، وقد مر تحريم الربا بمراحل اربعة(٥) كانت المرحلة الرابعة منها شديدة و حاسمة، وجاء تصوير المرابى فيها فى أقبح صورة قال تعالى ''الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس، ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا، واحل الله البيع و حرم الربا، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف و أمره الى الله، و من عاد فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون، يمحق الله الربا و يربى الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم(٦) . . . .

''يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله و ذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله و رسوله و ان تبتم فلكم رءوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، و ان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة، وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون(٧) .

و الناظر فى هذه الآيات الكريمة يلمح ما يلى :

اولا — الآخذون للربا لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كقيام المصروع .

ثانيا — اذا كان المرابى قصد تنمية ماله بالربا فأن الآيات الكريمة تثبت ان الربا سيمحق هذا المال، ''يمحق الله الربا'' .

ثالثا — المرابى يضع نفسه فى حرب مع الله و رسوله .

رابعا — ايضاح الفرق الكبير بين الربا و بين البيع .

خامسا — توحي الآية الأخيرة بعدم التضييق على المعسر، والانتظار عليه الى ميسرة، كما توصي بالتنازل عن بعض الدين او كله عند الضرورة .

و على هذا فليس هناك مسلم يقبل الربا، بل انه موضع سخط الجميع تبعا لسخط الله عزو جل .

أسباب تحريم الربا :

عني المفسرون المسلمون بيان سبب السخط على الربا، وقد ذكر الامام الرازي ذلك فقال ان في الربا عيوبا خلقية و اجتماعية و اقتصادية، ففي الجانب الخلقي يقطع الربا صلة المعروف والقربى بين الناس، فما دام القرض بربافلامواساة ولا معاونة ولا احسان، و في الجانب الاجتماعي يصبح الربا تسليطا لطبقة الأغنياء على طبقة المحتاجين و في ذلك الجوينشط العداء بين الطبقات و يكون تدمير المجتمع هو النتيجة التي لامفر منها، و في الجانب الاقتصادي يكون الربا من وسائل كساد التجارة و ضعف الصناعة لأن صاحب المال اذا ضمن الربح لما له عن طريق القرض لا يلجأ الى استغلاله عن طريق المشاركة في النشاط الاقتصادي الذي يؤدي الى منافع الخلق، و من المعلوم ان مصالح العالم لاتنتظم الا بالتجارات والصناعات و العمارات(٨) .

و يذكر المفكرون المحدثون جوانب أخرى ذات بال تكشف عن قبح هذه الآفة الخطيرة ، و فيما يلي جمل من كلام ابي الأعلى المودودي في ذلك :

الربا يرتبط بالأثرة والبخل و تحجر القلب و التكالب على المادة، وهو يقطع الأواصر في المجتمع اذ يكون فيه عوز شخص و فقره فرصة يغتنمها غيره للاستغلال، و الربا يقسم المجتمع الى طبقة مستغلة، وطبقة بائسة مستغلة، و مثل

هذا يحدث بين الأمم، فالدولة التى تقرض دولة أخرى بربا تضع حاجزا يفصل بين شعبى الدولتين، و مثل ذلك ما حدث من أمريكا عندما قدمت قرضا بربا الى بريطانيا (٩) .

حدود الربا :

ان مراجعة القرآن الكريم ، وما كتبه الامام الرازى، وما كتبه أبو الأعلى المودودى، و غير هما ترينا أن الربا مرتبط بالقرض، فاذا اقترض انسان من انسان قرضا لسبب من الأسباب كالزواج او الوفاة أو المرض او نحو ذلك، و اشترط ان يأخذ زيادة عما أعطى فان ذلك ينبغى أن يحارب، و القرآن الكريم يدل على ارتباط الربا بالقرض، فالآية الأخيرة من الآيات التى اوردناها توضح ذلك حين توصى بانتظار الميسرة فى السدادوبحط بعض الدين أوكله عن المدين، و فى تفسير هذه الآية الكريمة يتحدث الاستاذ الشهيد سيد قطب عن ذلك فيقول(١٠): اذا كان الدائن سيروح يضايق المدين و يشدد عليه الخناق وهو معسر لا يملك السداد . . . فان الآية تنصحه أن يتصدق بهذا الدين كله أو بعضه.

و مثل هذا ما يقوله الامام البيضاوى عن تفسير هذه الآيات فهو يروى هنا حديث الرسول الذى يقول : لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة(١١) .

و اذا عدنا للقرآن الكريم نجد ان الآيات التى جاءت بعد الآيات السابقة هى آيات توصى بتسجيل الدين و تنظم وسائل هذا التسجيل قال تعالى : "ياايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه . . ." مما يوضح أن هذه

الآيات استمرار للحديث عن القرض الذى شملته الآيات السابقة، كأن القرآن الكريم يرفض الربا على القرض و يوصى فقط بتدوينه والاشهاد عليه . . . .

و عند ما نعود الى ما اقتبسناه آنفا من الامام الرازى و من المودودى عن حديثهما عن الربا نجد أن كلاهما مرتبط بالقرض والدين فالامام الرازى يتحدث عن القرض و عن عدم المواساة و عن تسلط الأغنياء على الفقراء، و عن استغلال المال بواسطه القرض بربا فلا يحصل نشاط اقتصادى، و يتحدث أبو الأعلى المودودى عن عوز شخص و حاجته و استغلال الغنى لذلك منتهزا هذه الفرصة، كما يتحدث عن الدولة التى تقرض دولة اخرى بربا .

و هكذا تأخذنا كل الأدلة الى حصر الربا فى القروض،و من اجل مزيد من تحقيق هذه القضية نلجأ للفقهاء لايضاح انواع الربا، و يقول الفقهاء ان أنواع الربا ثلاثة هى ربا الفضل و ربا القرض و ربا النسيئة، و ربا الفضل هو الزيادة التى ينالها الرجل من صاحبه عند تبادل انواع من المطعومات او العملات المتماثلة كأن يكون لدى شخص نوع من القمح يريد ان يستبدل به نوعا أجود منه فيعطى كيلين مثلا نظير كيل واحد، فهذا ربا لعدم ضبط الحقوق، و يرى الفقهاء ان هذا النوع ليس من الربا بل هو بيع حرام قد يكون ذريعة للربا .

أما الربا الحقيقى فهو ربا النسيئة لقوله صلى الله عليه ''لاربا الا فى النسيئة،، و ربا النسيئة يتحقق عندما يحل موعد دين، فيقول الدائن للمدين : انسىء وزد . أى أخر السداد و أدفع زيادة، و ربا القرض مثل ربا النسيئة فى التحريم لان به زيادة يأخذها المقرض من المقترض نظير الأجل، و فيه يقول الرسول ''كل قرض جر نفعا فهو ربا(١٢) ،، .

و يصل الربح فى ربا النسيئة او ربا القرض الى رقم خيالى، و يقول الاستاذ أبو الأعلى المودودى انه يصل احيانا الى ١٣٠٠٪ و ان السعر الذى تجرى به المعاملات الربوية بالهند ١٥ ٪ و يكون المرابى كريما لو اتبع السعر العادى الذى لا يقل عن ٤٨ ٪(١٣) .

ذلك هو الربا و تلك هى حدوده كما أوردها كتاب الله و أحاديث الرسول و أقوال المفسرين والمفكرين المسلمين، و هذا الربا جريمة كبرى و انتهاز للفرص و اذلال للمحتاج، و قد حرمه الاسلام و حرمته الديانات الأخرى، و من قام به فهو فى حرب مع الله، و من كان فى حرب مع الله فالهزيمة تحيط به من كل جانب .

و تمشياً مع هذا الاتجاه نجد انه عندما يختفى القرض و الربا الذى يتصل به، و توجد أنواع من المعاملات الاخرى، فان الاسلام تظهر سماحته و يبدو يسره، فيبيح هذه المعاملات ليبسر على الناس حياتهم، و ذلك كالسلم والبيع المؤجل بسعر أعلى، مع وجود نوع من الفائدة بسبب تعجيل الثمن فى السلم، و نوع من الفائدة بسبب تأجيل دفع الثمن و تقسيطه، و مع هذا فان الاسلام يبيح ذلك تمشياً مع طبيعة الاسلام التى يبرزها قوله تعالى "يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر(١٤)"،وقوله "ما يريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج(١٥)" و قوله صلى الله عليه وسلم : "لاضرر ولا ضرار"، و كل ما يشترطه الاسلام فى السلم والبيع المؤجل بسعر اعلى ألا توجد مبالغات فى التقدير و الفائدة بحيث لا تنقلب هذه المعاملات الى انتهاز لفرصة و ظلم لمحتاج .

و اباحة السلم و البيع المؤجل بسعر أعلى أوضح دليل على ان ربح المال مباح ما بعد عن القرض، و ارتبط بلون من التجارة و المعاملة، ولاعطاء مثال

لذلك نذكر أن اقراض .٥ جنيها مثلا لتسترد على مدى عام فى كل شهر خمسة جنيهات حرام قطعا لأن المدين سيدفع عشرة جنيهات أكثر مما أخذ، و لكن اذا كانت هناك سلعة تباع نقدا بمبلغ خمسين جنيها و تباع بالتقسيط بحيث يدفع المشترى خمسة جنيهات كل شهر مدة عام فهذه الصفقة حلال قطعا، فالمسألة كلها تتصل بالقرض بربا، فهو حرام، اما المعاملات فلها جوانب و اسعة من اليسر والسهولة .

و نختم هذه الدراسة بقوله تعالى "يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم(١٦)"، و يقول المفسرون ان الباطل هو الغصب و الربا و القمار ، ثم يجيء الاستثناء المنقطع الذى يبيح ألوان التجارة بالتراضى بين المتعاقدين، و يقول البيضاوى(١٧) ان تخصيص التجارة سببه انها اغلب وأرفق المعاملات، و ذلك لا يستبعد الصناعات و نحوها .

المضاربة بالمقاسمة

المضاربة هى عقد بين اثنين يتضمن أن يدفع احد هما للآخر مالا ليتجر فيه بجزء شائع معلوم من الربح كالنصف أو الثلث، وقد وجدت المضاربة فى الجاهلية و أقرها الرسول فى الاسلام، فقد كانت قريش اهل تجارة و كان فيهم الشيخ الكبير او المرأة او الطفل، و كانت أموال هؤلاء تعطى لمن يتجر فيها بجزء معلوم من الربح، فاذا حدثت خسارة بدون اهمال كانت الخسارة على صاحب المال و يخسر العامل جهده، اما اذا كانت الخسارة عن اهمال فان العامل يضمن هذه الخسارة على حسابه، و قد روى عن الامام على قوله : فى المضاربة

الوضيعة على المال والربح على ما اصطلحوا عليه، و لكن ذلك بشرط عدم الاهمال فان ثبت اهمال العامل فعليه الضمان، و كان حكيم بن حزام صاحب رسول الله يقول للرجل اذا اعطاه ماله لذلك: شريطة الا تحمل ما لى فى بحر، ولا تنزل به بطن مسيل (مكان معرض للسيول). . . فان فعلت شيئا من ذلك ضمنت ما لى .(١٨)

و الذى ينظر فى هذه المضاربة يجد أن المالك كان يحتاط لماله أوسع احتياط كما رأينا فى شروط حكيم بن حزام، ثم ان هذه المضاربة كانت مرتبطة برحلتى الشتاء والصيف، فكان العامل يسير بالتجارة فى قافلة الرحلة و يبيع سلعته في الشام او في اليمن و يعود بسلعة اخرى يحتاجها اهل الحجاز و يبيعها عند الوصول في اسواق الحجاز، ويتم اقتسام الربح عقب ذلك، و هذه الصورة ترينا عدة عوامل :

اولا — الذين يعملون فى التجارة كانوا معروفين للجميع و امانتهم و اجتهادهم مشهود بهما .

ثانيا — القافلة فى وضع يجعل أفرادها يراقب بعضهم بعضا بقصد أو بدون قصد.

ثالثا — كان صاحب المال يرقب العامل بصور متعددة ليتأكد من امانته و اجتهاده، ويدلنا على ذلك ما فعلته السيدة خديجة مع الرسول صلى الله عليه وسلم فقد ارسلت معه غلامها زيد بن ثابت للمراقبة مع ما كان الرسول معروفا به من الصدق والأمانة.

رابعا — كانت القافلة تسير تحت رياسة شخص معروف بالقوة و النفوذ، و ينبغى ان نتذكر القافلة التى كانت من أسباب غزوة بدر و التى كانت بقيادة

أبى سفيان الذى استطاع بحكمته ان يفلت من المسلمين .

خامسا — بنهاية الصفقة ينتهى كل شئى و يتم اقتسام الربح بسهولة .

و لهذه الأسباب كان هذا النوع من المضاربة يسير بالمقاسمة و قد دلت التجارب على ان الربح كان و فيرا، وما كان المالك يقبل ان يحدد نصيبه، لأنه كان يتوقع الكثير.

تلك هى مضاربة الجاهلية التى أقرها الاسلام، و نريد أن نوضح أنها صفقات تجارية ليس فيها قرض و بالتالى ليس ما يحصل عليه صاحب المال ربا بأى حال من الاحوال، فقد انتقلت العملية من القرض الذى يرتبط به الربا الى صفقة تجارية يغلب ان يكون فيما كسب، و من المؤكد أن ما يناله صاحب المال من الربح حلال طيب، و هذة نقطة مهمة ستكون أساس دراستنا للمضاربة مع تحديد الربح فيما يلى، و مرجع اهميتها أن اعطاء المال فى المضاربة يختلف تماماً عن اعطائه قرضا، وان الربح فيه حلال طيب بالاجماع مادام الربح بطريق المقاسمة، أما تحديد قدر الربح فسنعالجه فى الدراسة التالية :

المضاربة مع تحديد العائد :

وضحنا آنفا نظم المضاربة التى كانت موجودة فى الجاهلية و أقرها الاسلام، و نريد أن نقول هنا أن ذلك النوع من المضاربة لم يعد يناسب عصرنا الذى نعيش فيه، فلم تعد المضاربة مرتبطة بسلعة و قافلة و رحلة، و من هنا توقف هذا النوع غالبا، ولم نعد نراه فى القرى و المدن الا قليلا جدا عندما تكون هناك صلة خاصة بين صاحب مال و عامل، وهو مالا يوجد الا فى القليل النادر .

و قد ابتكر العصر الحديث نوعا من المعاملة يناسب التعقيد الذى تسير فيه التجارة حاليا و تسير فيه الصناعة، والذى لا يتيح وقفة تصفية و حساب من حين لآخر لنعرف قدر المكسب و نقسمه بين المالك و العامل، و هذا النوع الذى ابتكره العصر الحديث هو مشاركة واسعة المدى تكون عن طريق الايداع بصناديق التوفير بالبريد او البنوك، و تكون كذلك بطريق شراء شهادات استثمار، و يحدد عائد بنسبة مئوية تتراوح بين ٦ ٪ و ١٠٪ تقريبا، و تقوم البنوك او الحكومات باستغلال هذه الاموال المدخرة فى امور التجارة و الصناعة و العمران .

وقد اتجه بعض العلماء الى تحريم هذا الوضع ذاكرين ان ذلك يدخل فى نطاق الربا، و هذا هو دليلهم الوحيد، ولا يبيحون المضاربة الا عندما لايحدد ربح بل يقسم الربح حسب اتفاق صاحب المال والعامل، و هذا الدليل الذى يقدمونه غير مقنع، اذلايوجد هنا قرض ولا دين، وانما هو نوع من المعاملة، و من اجل هذا أجازها بعض العلماء بعد دراسة و بحث، و أساس هذه البحوث هى :

١ - هذه معاملة تجارية فلا تدخل فى نطاق القروض و الربا على الاطلاق، وهى فى اتجاهها التجارى مثل المضاربة مع التقسيم المباحة بالاجماع، و مما يبعدها عن الربا بعدا تاما أنها لا توجد فيها من قريب او من بعيد مظاهر الربا التى ذكرها كل الباحثين و التى اوردناها فيما سبق وهى :

- قطع صلة القربى بين الناس .
- عدم المواساة .
- تسلط طبقة الأغنياء على الفقراء.
- الأثرة و البخل و تحجر القلب .

- اغتنام فرصة عوز شخصى لاستغلاله .

و عند ما لا توجد هذه المظاهر تنقطع صلة هذه المعاملة بالربا تماما .

٢ - هذه المعاملة ابتكار تجارى جديد يناسب روح العصر كما ذكرنا، ولم يتعرض الرسول صلوات الله عليه لها لعدم وجودها فى عصره .

٣ - ولأنها معاملة جديدة لم تعرف من قبل، لزم ان تدرس من جديد لا أن يدرس حكمها على انها مخالفة لما عرف من قبل ، و فى ذلك يقول فضيلة الاستاذ الامام الشيخ شلتوت : هذه المعاملة بكيفيتها و بظروفها كلها، و بضمان أرباحها لم تكن معروفة لفقهائنا الأولين، و ليس من ريب فى أن التقدم البشرى أحدث فى الاقتصاديات انواعا من العقود لم تكن معروفة من قبل، و نعلم من مدارستها ان هذا الربح ليس فائدة لدين حتى يكون ربا، ولا منفعة جرها قرض حتى يكون حراما، و انما هو تشجيع على التوفير و التعاون اللذين يستحبهما الشرع(١٩) .

٤ - و من أسس البحث ما أورده فضيلة الا ستاذ الشيخ على الخفيف و نصه :

ان اقرار الرسول للمضاربة التى يقسم بها الربح لا يعنى الزام المتعاملين بهذه الصورة فى استثمار الأموال، أو النهى عن غير هذه الصورة(٢٠) .

ثم ان هذه المعاملة تتفق مع كلام الرازى الذى اقتبسناه من قبل و الذى يقول ان مصالح الناس لا تنتظم بدون التجارات و الحرف و الصناعات، فاعطاء المال للمساهمة فى هذا النشاط ينبغى أن يكون مرغوبا فيه .

و بناء على هذه الأسس قال العلماء كلمتهم، و فيما يلى نصوص ما قالوه :

يقول ابن تيمية : ان الضرر على الناس من تحريم هذه المعاملات أشق عليهم من الأخذبها . . . لأن الضرر فيها يسير، والحاجة اليها ماسة، والحاجة الشديدة يندفع بها يسير الضرر، والشريعة جميعها مبنية على ان المفسدة المقتضية للتحريم، اذا عارضتها حاجة راجحة ابيح المحرم (كأكل الميتة) فكيف اذا كانت المفسدة منتفية(٢١) .

و قد عرض الامام محمد عبده لهذه المسألة فقال : ان مثل هذا الربح لا يدخل فى الربا، فليس حكم الربا كالحكم فى هذه المضاربة(٢٢) .

و يرى الاستاذ عبد الوهاب خلاف أن اشتراط بعض الفقهاء الا يكون هناك نصيب معين من الربح اشتراط لا دليل عليه، وهو يقول فى ذلك : ان هذا تعامل صحيح فيه نفع لرب المال الذى لا خبرة له يستثمر بها ماله بنفسه، و فيه نفع للتاجر الماهر، أو الصانع الناجح الذى يسعى للمحصول على رأس مال يستغل مهارته فيه فهو تعامل نافع للجانبين، و ليس فيه ظلم لأحد، ولا لأحد من الناس ما دام الربح مقبولا، فالله سبحانه لا يحرم على الناس ما فيه مصلحتهم و قد قال الرسول صلى الله عليه وسلم "لا ضرر ولا ضرار(٢٣)" .

و قد سئل فضيلة الاستاذ الشيخ شلتوت عن الربح المحدد فى صناديق التوفير فأجاب : الذى نراه تطبيقا للأحكام الشرعية أنه حلال ولا حرمة فيه، ذلك أن المال المودع لم يكن دينا لصاحبه على صندوق التوفير، ولم يقترضه صندوق التوفير

منه، و انما تقدم به صاحبه الى مصلحة البريد من تلقاء نفسه طائعا مختارا ملتمسا أن يقبل منه المال، وهو يعرف أن المصلحة تستغل الأموال المودعة بها، و يندر فيها ان لم ينعدم الكساد او الخسران .(٢٤)

و قد ذكر بعض الناس ان فضيلة الشيخ شلتوت عاد عن رأيه هذا قبل و فاته، و لكن صهره و مدير مكتبه الأستاذ احمد نصار الذى كان يتولى الاشراف على طبع كتب فضيلته كتب لجريدة الاهرام ينكر ذلك، و يقرر ان الشيخ لم يرجع عن هذه الفتوى(٢٥) .

و يقول الأستاذ عبدالكريم الخطيب : ان هذه العملية قائمة على تراض بين الطرفين، و على مصلحة محققة لكليهما، و اذا حصلت خسارة فى حالة، فان المكسب يحصل فى حالات كثيرة، و ان المشروعات الحكومية تقوم عادة على دراسات دقيقة مضبوطة، و على تنبؤات ذوى الخبرة، و بهذا يقل جدا أن تجئ النتائج على خلاف ما قدروه(٢٦) .

و يقول فضيلة الشيخ عبدالرحمن عيسى : اذا كان الشخص مقرضا و مثله المودع فان أقرض الحكومة او أودع احدى مصالحها كان ذلك جائزا و كان له أن يأخذ ما تعطيه من فائدة باعتبارها جزءا من ربح مضاربة و قراض، لأن الحكومة تستغل هذا المال فى وجوه مباحة شرعا(٢٧) .

و يقول فضيلة الشيخ على الخفيف استمرارالما اقتبسناه منه آنفا : ان المعاملة مع صندوق التوفير ليست ربوية فصندوق التوفير يختلف مع القرض اختلافا

واضحا، لأن المودع يمكنه ان يسترد أمواله فى اى وقت يشاء، وهو بذلك يخالف المرابى الذى لايستطيع أن يسترد الأموال، بل يخضع لظروف التعاقد بينهما، و يضيف الشيخ على الخفيف ان الذى أثار اللبس والشبهة فى هذا الموضوع هو مقارنة هذا التعامل بشركة المضاربة التى كانت معروفة فى الجاهلية و أقرها الرسول بعد الاسلام، و لكن اقرار الرسول لشركة المضاربة هذه لا يعنى الزام المتعاسلين بهذه الصورة فى استثمار الأموال أوالنهى عن غير هذه الصورة (٢٨)

و يقول الاستاذ عبد الجليل عيسى : ان اليسر سمة أصيلة فى الاسلام، و مبدأ المصالح المرسلة يغطى من الناحية الشرعية الاحتياجات التى تستجد فى المجتمعات الاسلامية، ثم ان هناك القاعدة التى اشار اليها ابن حزم وهى ان (المفسدة المفضية الى تحريم اذا عارضتها مصلحة و حاجة راجحة ابيح المحرم) و قد ذكرنا آنفا هذا فيما نقلناه عن ابن تيمية .

و يذكر فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى نماذج من نظام المعاشات، و ايجاد الأرض و غير ذلك، مما أبيح للضرورة مع وجود الغرر، و يقر أن الربا المتفق على تحريمه هو ربا النسيئة و يصفه بانه الربح المركب ، وهو الذى يخرب البيوت و يدمر الاقتصاد، ثم ان الحاكم كالاب بالنسبة لابنائه، فاذا رأى الادخار ضروريا جاز له بذل المال لتحصيل ذاك(٢٩).

و يقول الاستاذ الدكتور محمد عبدالله العربى : ان المضاربة التى حدد فيها الربح قد يعترض عليها بامكان الخسارة، و يجاب على ذلك بأن ولى الامر يملك

ان يفي للمدخر بالنسبة التى فرضها على نفسه، وهو دائما يجعلها فى حدود الاحتمال وقد دلت التجارب على ان الخسارة تحدث فى ١٪ من المشروعات و من هنا فان الربح فى الـ ٩٩٪ يغطى ما قد يحدث من خسارة(٣٠).

بقيت فكرة خطرت لكاتب هذه السطور، عندما كنا نبحث هذا الموضوع فى المؤتمر الاسلامى الدولى الذى عقد بماليزيا فى ابريل سنة ١٩٦٩ و كنت عضوا فى وفد مصر فى هذا المؤتمر فاقترحت على المؤتمرين ان تعلن الحكومات الاسلامية عن تشجيعها للادخار كما تشجع ألوان النشاط الرياضى و الثقافى، و أنها كما تمنح جوائز للمتفوقين فى الأنشطة المختلفة التى تعود بالخير على الدولة فانها ستمنح جائزة للمدخرين بنسبة مئوية مما يدخرون، و قد تذاكر اعضاء المؤتمر هذا الاقتراح، و كان طبيعيا انه بعيد كل البعد عن الربا و المحرمات، فليس الا جائزة من الدولة على نحو الجوائز الاخرى التى تدفع لمن يخدمون الدولة فى أى مجال من المجالات المفيدة، و أقرر ان اكثر اعضاء المؤتمر أو كلهم وجدوا فى هذا الاقتراح حلا طيبا لهذه المشكلة التى طال الحديث حولها .

المضاربة المباشرة مع تحديد العائد :

تحدثنا من قبل عن المضاربة مع تحديد العائد مع الحكومات عن طريق شهادات الاستثمار أو الايداع بصناديق التوفير، و ذكرنا اتجاه صفوة من المفكرين الى أن هذا النوع من المعاملة حلال، و ان الحكومات فى حالة الخسارة — وهي نادرة تدفع من خزائنها ما يكمل نصيب المتعاملين، و ولى الأمر له الحق فى ذلك، فتشجيعه للادخار عمل قام به لمصلحة المسلمين، و دفعه من مال

المسلمين، ما يمكن أن يحصل من خسائر، داخل في نطاق مسئوليته و تدبيره للأمر .

و نقول هنا ان هذا اللون من المعاملة جائز أيضا مع الأفراد، غاية الأمر ينبغي أن يكون الربح المتفق عليه معقولا و مناسبا للظروف المحيطة بالمعاملة، و ينبغي كذلك على صاحب المال ان يرقب المسألة من بعد و قرب، فان حصلت خسارة من اهمال كان عليه أن يتنازل عن الشرط فلا يأخذ ربحا، بل ربما دفع للعامل بعض المال تعويضا عن جهده فالشروط بين المسلمين ينبغي ان تتحكم فيها روح الاسلام و أخلاقه، و أن تكون للتنظيم اكثر من ان تكون قيودا .

و قد أجزنا هذا النوع من المعاملة لأن الذى يعرف التجارة يدرك أن النفع للعامل أكثر من النفع لصالح صاحب المال فصاحب المال يستطيع ان يستغل أمواله بطرق مختلفة كأن يشترى أرضا زراعية و يزرعها أو يؤجرها، و كأن يشترى بيتا او بيوتا و يؤجر شققها، اما العامل فهو الذى يحتاج للمال ليستثمر فى نشاطه، و ان أى توقف فى ذلك يكون ضرره على العامل أبلغ منه على صاحب العمل .

و الذين يميلون لتحريم هذه المعاملة يذكرون أن علة ذلك ان المال جلب ربحا بدون عمل . و نقول لهؤلاء ان المضاربة مع التقسيم تجلب ربحا بدون عمل وهى حلال قطعا .

و يقولون أحيانا ان المال جلب ربحا بدون مغامرة، و نقول لهؤلاء ان تأجير الشقق و الدور والأراضى الزراعية يجلب ربحا بدون مغامرة وهى حلال .

و نقول لهم أخيرا : لماذا تحرصون على الحكم بالاثم على ملايين الناس الذين اتبعوا هذه المعاملة مادام هناك رأى باباحتها ؟

و هناك نقطة يثيرها رجال الاقتصاد و هى ان انهيار العملة يحدث فى أيامنا بصفة شبه مطردة فما كان يساوى ألفا من الجنيهات من عشر سنوات أصبح الآن يساوى اضعاف هذا المبلغ، و ليس ما يقدم فى المضاربة أو فى شهادات الاستثمار الا جزءا لتعويض هذه الخسائر .

تلك دراسة هادئة لهذه القضية لم أكن فيها مبتكرا، ولم أكن فيها وحدى، و انما كنت تابعا كلام الله و كلام رسوله، و جامعا لأقوال المفسّرين و الباحثين و باذلا الجهد للتنسيق و التعليق، و لعلى بذلك أكون قد خدمت دينى و خدمت الوطن الاسلامى الذى لاتتوقف فيه التساؤلات حول هذه المسألة المهمة .

و مرة اخرى نستطيع ان نجزم الشيء لافكاك منه هو أن هناك رأيا يبيح هذه المعاملة، فاذا سأل سائل عن حل هذه المعاملة أو حرمتها كان من المحتم أن نجيب بأن هناك جماعة من المفكرين و المجتهدين أباحوا هذه المعاملة و أجازوها، فاذا لم يكن الحل مجمعا عليه فهو رأى من الرأيين، اما القول بتحريمها قولا قاضيا فالذى يقول به شخص لا يحترم آراء الآخرين، و من هنا فلايمكن ان نحترم رأيه و اتجاهه .

و نسأل الله التوفيق

المراجع

(١) سورة الاعراف الآية ١

(٢) سورة النساء الآية ١١

(٣) تاريخ التشريع الاسلامى للمؤلف ص ١٥٧

(٤) سورةآل عمران الآية ١٤ .

(٥) اوردنا هذه المراحل فى دراساتنا السابقة .

(٦) سورة البقرة ٢٧٥ — ٢٧٦

(٧) سورة البقرة ٢٧٧ — ٢٨٠

(٨) تفسير الفخر الرازى ج ٧ ص ٩٤ بتصرف .

(٩) أبو الأعلى المودودى : الربا ص ٤٠ - ٤٣ .

(١٠) فى ظلال القرآن ج ٣ ص ٣٨ - ٣٩

(١١) تفسير البيضاوى ص ٥٦

(١٢) بداية المجتهد لابن رشد ج ٢ ص ١٤٠ . القواعد النورانية لا بن تيمية ص ١١٧ . اعلام الموقعين لا بن القيم ج ٢ ص ١٣٥ — ١٣٧ . الفقة على المذاهب الأربعة للجزيرى ج ٢ ص ٣٠٨

(١٣) كتاب الربا ص ٤٦ .

(١٤) سورة البقرة الآية ١٨٥ .

(١٥) سورة المائدة الآية السابعة .

(١٦) سورة النساء الآية ٢٨ .

(١٧) تفسير البيضاوى ص ٨٥

(١٨) الشوكانى : نيل الأوطار حـ٥ - ٢٦٠

(١٩) الفتاوى ص ٣١٤ — ٣٥٢

(٢٠) مقال بجريدة الاهرام فى ٩ - ٥ - ١٩٧٥

(٢١) القواعد النورانية ص ١٣٣

(٢٢) نشر رأيه فى مجلة لواء الأسلام العدد ١١ .

(٢٣) مجلة لواء الاسلام العددان ١١، ١٢ .

(٢٤) الفتاوى ص ٣٥١ — ٣٥٢

(٢٥) الا هرام فى ٩ - ٥ - ١٩٧٥ .

(٢٦) السياسة المالية فى الاسلام صفحات ١٧٨ - ١٨١ - ١٨٤ .

(٢٧) المعاملات الحديثة و أحكامها ص ٢١ .

(٢٨) الاهرام فى ٩ - ٥ - ١٩٧٥ .

(٢٩) الاهرام فى ٩ - ٥ - ١٩٧٥ .

(٣٠) محاضرات فى الاقتصاد الاسلامى ص ٢٦٦ — ٢٦٧ .

حول معنى الأمى

فضيلة الشيخ محمد جعفر الفلوارى،
كراتشى

لقد شاع بين المسلمين ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يقدر على القراءة ولا الكتابة و بقى طول عمره على هذه الحالة لأنه كان أميا. ان كلمة "الأمى" وردت على بناء المفرد مرتين فى آيتين متصلتين من القرآن الكريم و هما :

(١) الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوارة والانجيل . . . (٧ - ١٥٧) .

(٢) فآمنوا بالله و رسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله و كلمته. . . . (٧ - ١٥٨) .

و كما وردت على بناء الجمع اربع مرات كالآتى:

(١) و منهم أميون لا يعلمون الكتب الا أمانى . . . (٢ - ٧٨) .

(٢) قل للذين أوتو الكتب والأميين أأسلمتم ؟ . . (٣ - ٢٠) .

(٣) ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل (٣ - ٧٥).

(٤) هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم (٦٢ - ٢) .

نحن نرى ان اهل العلم من المفسرين والمحدثين والمؤرخين واللغويين

يفسرون كلمة الأميين فى هذه الآيات بالذين لم يعرفوا القراءة و الكتابة . فينشأ هناكم اسئلة عديدة يجب جوابها لحل العقد .

فالسؤال الأول ان رجلاما ان كان عاجزا عن القراءة والكتابة فهل يعد هذا الوصف محمدة له ؟

والثاني : ايهما يعد معجزة ؟ كون الرجل عاريا عن وصف القراءة والكتابة أو كونه قادرا عليهما بغير ان يتعلم عند مدرس او معلم بطريقة معتادة .

والثالث : من ين نشأ ان الامى هو الذى يعجز عن القراءة والكتابة ؟

والرابع : ان لم يكن هذا المعنى صحيحا فما هو المعنى الصحيح وما شواهده ؟

فجواب الاول ان الجهل و عدم القدرة على القراءة و الكتابة ليس بوصف محمود ولا منقبة يثنى عليها احد من عامة الرجل فضلا ان يكون هذا نعت الرسول صلى الله عليه وسلم .

نحن نرى ان ابا البشر آدم عليه السلام أول مولود وأول نبى فعلمه الله الاسماء كلها فكيف بآخر الانبياء و خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم ؟ و الله يقول : علمه شديد القوى ذومرة . و قال تعالى : سنقروءك فلا تنسى . وأول وحى نزل فى غار حراء هو : ''اقرأ،، . . . الخ .

فهل يقال لمن لايقدر على القراءة : ''اقرأ،، ؟ و هل يقال اجاهل : علم الانسان مالم يعلم،، ؟ وهل يقال لمن لايكتب: علم بالقلم؟

و هناكم بعض النقاط الهامة لا يصرف عنها النظر . ليس احد يقال له : ''اشرب،، الا اذا كان المشروب موجودا بين يديه . و اذا قيل له : ''اشرب،، وليس بين يديه شئ يشرب فلا يكون جوابه : ''لا اشرب،، بل يسأل اولا : ماذا اشرب ؟ كذلك اذا قيل له، صلى الله عليه وسلم : ''اقرأ،، فجوابه صلى الله عليه وسلم : ''ما انا بقارئ،، تشير اشارة واضحة الى ان شيئا مقروءا كان هناك موجودا بين يديه. ولو لم يكن موجودا لقال : ماذا اقرأ ؟

فقوله صلى الله عليه وسلم : ''ما انا بقارئ يدل على ان شيئا مقروءا كان هناك موجودا بين يديه جاء به جبريل عليه السلام و عرضه عليه ثم قال له : ''اقرأ فاجاب صلى الله عليه وسلم : ما انا بقارئ. و يؤيد ماقلنا حديث رواه ابن كثير رحمه الله فى تاريخه البداية و النهاية ج ٣، ص ١٣ —— ١٤ قال صلى الله عليه وسلم : وجاءنى وانا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال : ''اقرأ،، فقرأتها ثم انتهى وانصرف عنى و هببت من نومى فكأنما كتب فى قلبى كتابا . (و ذكر النوم هنا تعبير عن كيفية الوحى) .

ثم بعد ذلك (اى قوله صلى الله عليه وسلم : ما انا بقارئ) غطه جبريل عليه السلام ثلاث مرات حتى بلغ منه الجهد . فهل حاجة هذه الغطات المجهودة الا ان الله رزقه اهلية القراءة و صلاحية الكتابة ؟ و هذا الذى اشار الله اليه بقوله : ''علم بالقلم — علم الانسان ما لم يعلم،، . فتعلم النبى صلى الله عليه وسلم القراءة والكتابة من لدن حكيم عليم بواسطة جبريل شديد القوى ذى مرة .

وانما هذه هي معجزته صلى الله عليه وسلم لاكونه عاجزا عن القراءة والكتابة. الجهل ليس بمنقبة لرجل عاسي فضلا عن معلم الكتاب والحكمة.

و يؤيد ما قلنا قوله سبحانه: وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (٢٩-٤٨). فمعنى هذه الآية الشريفة انه صلى الله عليه وسلم ما كان يعرف القرأة والكتابة من قبله أى من قبل نزول الوحى الاول و عرفهما بعد النزول من لدن عليم خبير. ولو كان يتلو ويخط قبل الوحى لارتاب المبطلون، ولقالوا انه لكونه عارفا بالقراءة والكتابة صنف القرآن من تلقاء نفسه ثم تقوله على الله. فعجزه عن القراءة والكتابة كان قبل نزول الوحى. واما بعد الوحى فاصبح عجزه هذا اعجازا له فصار قادرا على القراءة والكتابة بقدرة الله و فضله العظيم و تعليم الروح الأمين.

واما السؤال الثانى فجوابه واضح غير محتاج الى التصريح والتشريح. وهو ان العجز عن القراءة والكتابة ليس بمعجزة. المعجزة انما هو العلم والعرفان. والفرق بين علم النبى و بين علم عامة الناس ان الناس يتعلمون كالتلامذة عند الاساتذه فى المدارس و غيرها بطريق التعلم الرائج والنبى انما يعلمه الله و حياً من عنده. ان الكفار كانوا يقولون: انما يعلمه بشر، (١٦: ١٠٣) فقال الله سبحانه ردا عليهم و علمك مالم تكن تعلم (٤: ١١٣) اى علمه الله ولم يعلمه بشر.

و من المعلوم ان كل نبى اعطاه الله الكتاب كما جاء فى القرآن: فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين و أنزل معهم الكتاب بالحق... (٢: ٢١٣).

و لقد ارسلنا رسلنا بالبينت و انزلنا معهم الكتب والميزان . . .(٥٧ - ٢٥) . فهل ينزل كتاب على رجل لا يعرف قراءة الكتاب ؟ وهل يتلو رجل آيات الكتاب و ليس له معرفة الكتابة ؟

و جواب السؤال الثالث ان الأمي بمعني العاجز عن القراءة والكتابة ورد أول مرة فى بعض الروايات : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنا امة أمية لا نكتب ولانحسب . الشهر هكذا و هكذا و هكذا و عقد الابهام فى الثالثة والشهر هكذا و هكذا و هكذا يعنى بتمام ثلاثين (رواه البخارى و مسلم و ابوداؤد والنسائى عن اسود بن قيس عن ابن عمر مرفوعا) . وان هذه الرواية لا تصح عندى لوجوه :

(١) ان هذه الرواية تشير اشارة واضحة الى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان لايعرف عددا فوق العشر ولا يعرف تسعة و عشرين ولا ثلاثين . و كان ايضا لا يعرف هذه الاعداد احد من الامة فلذا تكلف صلى الله عليه وسلم الاشارة باصابع كلتا يديه كى يفهم السامع عدد تسعة و عشرين او عدد ثلاثين . فو الله ان هذا لبهتان عظيم على معلم الكتاب و الحكمة صلى الله عليه وسلم . من ذا الذى لا يعلم ان فى كتاب الله اعدادا من الواحد الى الف مائة للمعدود المذكر والمؤنث أو أحد هما . انظروا الاعداد المذكورة فى القرآن :

فمن الاعداد المفردة، من الواحد الى العشر : قل هو الله احد (١١٢ - ١) لله الواحد القهار (١٢ - ٣٩) احدى الطائفتين (٨ - ٧) اثنان

ذوا عدل منكم (٥ - ١٠٦) فان كانتا اثنتين(٤ - ١٧٦) ثلثة قروء (٢ - ٢٢٨) ثلث عورات لكم (٢٤ - ٥٨) اربع من الطير (٢ - ٢٦) اربع شهادات (٢٤ - ٨٠٦) و يقولون خمسة (١٨ - ١٢٢) ستة ايام (٧ - ٥٤، ١٠ - ٣) ويقولون سبعة (١٨ - ١٢٢ سبع ليال ٧/٤٩) ثمانية ازواج (٦ - ١٤٣) ثماني حجج (٢٨ - ٢٧) تسعة رهط (١٦ - ٤٧) تسع آيات (١٧ - ١٠١، ٢٧ - ١٢) اطعام عشرة مساكين (٥ - ٨٩) عشر سور (١١ - ١٣).

ثم يأتي بعد العشر اعداد مركبة : احد عشر كوكبا (١٢ - ٤) اثنا عشر شهرا (٢ - ٦٠) اثنتا عشرة عينا (٢ - ٦٠، ٧ - ١٦٠) عليها تسعة عشر (٧٤ - ٣٠) .

ثم يأتي العشرات :

ان يكن منكم عشرون (٨ - ٥٥) و حمله و فصاله ثلثون شهرا (٤٦ - ١٥) بلغ أربعين سنة (٤٦ - ١٥) الا خمسين عاما (٢٩ - ١٤) او اطعام ستين مسكينا (٥٨ - ٤) سبعون ذراعا (٦٩ - ٣٢) ثمانين جلدة (٢٤ - ٤) تسع و تسعون نعجة (٣٨ - ٢٣) .

ثم يأتي مئات :

مائة عام (٢ - ٢٥٩) يغلبوا مائتين (٨ - ٦٥) ثلث مائة سنين (١٨ - ٢٥)

ثم يأتي آلاف :

ان يكن منكم الف (٨ - ٦٦) يغلبوا الفين (٨ - ٦٦) بثلثة الآف (٣ - ١٢٤) بخمسة الآف (٣ - ١٢٥) خمسين الف سنة (٧٠ - ٤) الى مائة الف (٣٧ - ١٤٧).

ياأهل العلم والعدل الم يكن معلم الكتاب صلى الله عليه وسلم يعرف هذه الاعداد المذكورة في الكتاب — من الواحد الى الف مائة ؟ او كان يعرف "تسع و تسعون نعجة (٣٨ - ٢٣) ولم يكن يعرف" تسعة و عشرون يوما ؟ أو كان يعرف "ثلثون شهرا" (٤٦ - ١٥) و لم يكن يعرف "ثلاثون يوما" ؟ حتى تكلف الاشارة باصابع كلتا اليدين ست مرات و عقد الابهام فى المرة الثالثة ليعلم السامع عدد تسعة و عشرين .

(٢) والوجه الثانى ان البخارى و مسلما روى كلاهما عن ام سلمة رضى الله تعالى عنها والبخارى و الترمذى عن انس رضى الله عنه و مسلم عن جابر و عائشة رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الشهر يكون تسعة و عشرين يوما . و روى النسائى عن ابى هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال : الشهر يكون تسعة و عشرين و يكون ثلاثين فاذا رأيتموه (أى الهلال) فصوموا و اذا رأيتموه فافطروا فان غم عليكم فاكملوا العدة" .

انظروا الى هاتين الروايتين ثم احكموا بالحق . الم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف عدد تسعة و عشرين ؟ او كان يحتاج الى الاشارة باصابع يديه ؟ اليس كلمة تسعة و عشرين ايسر افهاما من اشارة الاصابع مرة بعد مرة ؟ اليس هذه الكلمة اسرع فهما للسامع ؟ واى رجل اعرابى جاهل لا يعرف ولا يفهم تسعة و عشرين أو ثلاثين و يحتاج لى اشارة اليدين ست مرات ؟

فبناء على رواية اسود بن قيس زعموا ان الأمى هو الذى لايعرف القراءة ولا الكتابة ولا يعرف الحساب الا من الواحد الى العشر . والله ان هذا لشئ

عجاب . والعجب كل العجب ان النبي صلى الله عليه وسلم بكونه يحاسب ادق الحسابات من الفرائض والارث فى نفس الوقت يزعمون انه ما كان يعرف حساب ايام الشهر ؟

ثم انهم استجهلوا الامة بأسرها وقد علموا انهم كانو يعرفون القراءة والكتابة فى الجاهلية وفى الاسلام ، قبل الهجرة و بعد الهجرة .

(١) كتبوا قصائدهم المشهورة — المعلقات السبع — و علقوها بجدار الكعبة .

(٢) كتبوا سورة الكوثر و علقوا على جدار الكعبة .

(٣) كان بعضهم يكتب الانجيل ثم ينقلها من العبرانى الى العربى .

(٤) كانوا يكتبون كل ما انزل من القرآن .

(٥) كانوا يكتبون المواثيق مثل ميثاق شعب بنى هاشم و فى المدينه ميثاق اليهود و فى الحديبية ميثاقها و غير ذلك .

(٦) جعل النبى صلى الله عليه وسلم فدية بعض اسارى بدر ان يعلموا صبيان الانصار الكتابة .

(٧) كتبت اسماء الذين اهدوا عطاياهم لغزوة تبوك .

(٨) ارسل النبى صلى الله عليه وسلم دعايات الاسلام المكتوبة الى ملوك العرب و العجم .

(٩) و مافى القرآن الكريم نجد ذكر الكتابة و تلاوة الكتاب و قراءة الكتاب اربع مائة مرة تقريبا نذكر بعضها أدناه :

(أ) ذلك الكتاب لا ريب فيه (٢ - ٢) .

(ب) اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتوبه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب (٢ - ٢٨٢) .

(ج) قل فأتوا بالتوراة فاتلوها (٣ - ٩٣) .

(د) كتاب مسطور . فى رق منشور (٥٢ - ٣٢).

(ه) نٓ والقلم وما يسطرون (٦٨ - ١).

(و) فى صحف مكرمة . . . بايدى سفرة (٨٠ - ١٣ الى ١٦) .

(ز) فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم (٢ - ٧٠) .

(ح) فويل لهم مما كتبت ايديهم (٢ - ٧٩) .

(ط) اقرأ . . . اقرأ . . . علم بالقلم (٩٦ - ١ - ٣ - ٤) .

و من المعلوم ان القراءة قلما يكون ابتداؤها بغير الكتاب المكتوب . فماذا رأيكم بعد هذه الشواهد النقلية و العقلية ؟ افكانت الأمة باسرها امية بمعنى انها لا تعرف القراءة ولا الكتابة ولا الحساب فوق العشرة ؟

والوجه الثالث الذى يشكك صحة هذه الرواية — رواية اسود (بن يزيد) بن قيس (النخعى الكوفى) — ان اسود هذا من رؤساء قتلة عثمان رضى الله عنه

اختفى فى زمن معاوية رضى الله عنه و ظهر بعد وفاته بصورة راوى الاحاديث، و تلامذته كانوا يدعون انه حج مع ابى بكر الصديق و عمر الفاروق و عثمان ذى النورين رضوان لله عليهم اجمعين . مات فى سنة خمس و سبعين و هو ابن ثلاث و ستين (كما قال ابى اسحاق السبيعى) فثبت بهذا انه ولد فى سنة اثنتى عشرة فلا يمكن حجه مع ابى بكر الصديق صلوات الله عليه. واسود هذا لم يكن فى عهد خلافته الا ابن سنة أو سنتين — فرواية اسود هذه مكذوبة خلاف القرآن و خلاف الحديث و خلاف العقل و خلاف عظمة الرسول صلى لله عليه و على اصحابه وسلم .

اما جواب السوءال الرابع فهو ان كلمة الأمى نسبة الى أم القرى . ولا يخفى على اهل العلم ان من عادة العرب الاختصار والاقتصار . اعنى اذا كان اللفظ مركبا من كلمتين فالنسبة اليه اما ان يكون بالجزء الاول او مركبا من بعض حروف الكلمتين واشلته كثيرة فى كلام العرب . فالعبدرى نسبة الى عبد الدار . و تيملى الى تيم اللات . و حضرمى الى حضرموت و سليمى الى سليمة الازد و عميرى الى عميرة كلب . و عبقسى الى عبد قيس . و عبد لى الى عبدالله . و فقمى الى فقيم كنانة . و ملحى الى مليح خزاعة . و مروزى الى مرو الشاهجهانى . مرقسى الى امرئى القيس ، وغيرها من النسب .

فالامى نسبة الى أم القرى وهي مكة المكرمة . والأميون على بناء الجمع معناه اهل ام القرى، ثم اطلق الاميون على بنى اسماعيل عليه السلام لان اباه ابراهيم عليه السلام اسكنه بواد غير ذى زرع عند بيت الله المكرم . فمكة

المكرمة هى موطن بنى اسماعيل عليه السلام الوراثى . و كثير منهم بعد ذلك انتشروا الى حوالى ام القرى و حوالى يثرب و غيرهما . فأينما ذهبوا نسبوا انفسهم الى ام القرى مفتخرين بهذه النسبة . فصار الاميون والاسماعيليون كلمتين مترادفتين .

قال الله سبحانه : قل للذين اوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ؟ (٣ - ٢٠) ''فالذين اوتوا الكتب'' هم بنو اسرائيل لأن عندهم الكتاب السماوى . والأميون هم اهل ام القرى اى بنو اسماعيل الذين لم يكن عندهم صحيفة سماوية . و هذا ما قال سبحانه : و منهم أميون لايعلمون الكتب الا أمانى . . . (٣ - ٧٨) فمعنى الأميين فى هذه الآية اهل ام القرى يعنى بنى اسماعيل الذين لم يكن عندهم كتاب سماوى كما كان عند بنى اسرائيل .

لا يمكن ان يكون معنى الأميين فى هذه الآية الذين لايعرفون القراءة والكتابة لان الآية التى بعدها ترد هذا المعنى ردا كاملا وهى ! فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون (٢ - ٧٩) فهل يمكن ان يكون ناس لايعرفون القراءة و الكتابة ثم يكتبون الكتاب بايديهم ؟ و معنى لا يعلمون الكتاب انهم لا يبالون بما كتب فى صحيفتهم الالهية بل يقتون من عند انفسهم كيفما شاءوا ويدعون بكونه من عند الله . وفى معنى اهل ام القرى كان بعض اهل الكتاب يقولون : ليس لنا فى الأميين سبيل (٣ - ٧٥) فليس معنى الأميين ههنا

من لايقرأ ولا يكتب ولا يحاسب. انما معناه بنو اسماعيل . و من المعلوم ان بنى اسرائيل كانوا يبغضون الأميين (اى بنى اسماعيل) لان فيهم بعث الله سبحانه رسولا حسب دعاء ابراهيم: ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك و يعلمهم الكتاب والحكمة و يزكيهم . . . (٢-١٢٩) . فبنو اسرائيل كانوا يرجون و ينتظرون ان ذلك النبى سيظهر من انفسهم لا من الأميين من بنى اسماعيل . لكنه لما جاء ذلك الرسول الموعود كفروا به بعد ما عرفوه حسدا من عند انفسهم . ولذا قالوا: ليس علينا فى الاميين (اذا مطلنا فى اداء اماناتهم) سبيل .

يجب ان نتفكر فى كلمات الدعاء من لسان ابراهيم عليه السلام المذكورة آنفا كيف تقبل الله دعاءه و بأى كلمات ذكره . قال سبحانه: هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم و يعلمهم الكتاب والحكمة . . . . (٦٢-٢) . ان ابراهيم عليه السلام كان دعاءه: ربنا وابعث فيهم اى فى ذريتى من سلالة ابنى هذا اسماعيل عليه السلام . و قال الله سبحانه: هو الذى بعث فى الاميين فصرح الله عزوجل ان بنى اسماعيل هم الأميون، و فى هؤلاء الأميين بعث الله النبى الأمى. لم يكن اولئك الأميون كلهم جاهلين لا يعرفون القراءة والكتابة ولا الحساب ولم يكن معلم الكتاب صلى الله عليه وسلم ممن لايقرأ الكتاب ولا يخط بالقلم ولا يعلم الحساب. فرحم الله الذين ترجموا هذا اللفظ بلسان الاردوية ''ان پڑھ،، اى غير متعلم .

هذا ما فهمت من الكتاب والسنة وما استفدت من كلام العلام محى الدين تمنا العمادى الفلواروى رحمه الله، ولا ادعى العصمة من الخطأ والنسيان و على الله التكلان.

الموسوعة الاسلامية

(مشروع ثقافي اسلامي)

الاستاذ عبدالمعين الملوحي
دمشق (سورية)

لا شك ان الاقطار الاسلامية لها مشكلا ت غير قليله، تحاول حلها والتغلب عليها، و من هذه المشكلات قضية التخلف الذى تعانيه اكثرها، و ضرورة بناء الحياة الجديدة و تطوير الاقتصاد والمجتمع، ولا شك أن هذه المشكلات تحجب عنها مشروعات ثقافية و حضارية ذات قيمة .

و فى زاوية من هذه الواجبات، و فى جهة من تلك المشكلات والضرورات يبرز لنا فى الميدان الثقافى مشروعان اسلاميان كبيران يجب ان نعمل لهما لكى نحقق بالمشروع الاول مرحلة من مراحل الحضارة و لكى نحقق بالمشروع الثانى خطوة لا يمكن ان نستغني عنها فى دراسة تاريخنا الاسلامى والكشف عن وجوه جديده فى تراثنا الثقافى .

---

(١) للاستاذ الملوحى مشروعان سبق طبع احدهما فى المجلدالثالث عشر، العددالثانى من الدراسات الاسلامية، فليراجع هنالك . واننا معه فى اقتراحه والله المعين .

قلت فى البداية : ان هناك واجبات و مشكلات و ضرورات اكثر الحاحا واشد قربا و عنفا ولكن ذلك لا ينبغى ان يحجب عن امتنا الاسلامية وجوها اخرى من الواجبات والمشكلات و الضرورات قليلة التكاليف و لكنها كثيرة الدلالة على الحضارة و على التطلع الى السير فى طريق التطور و التجديد .

و لست فى عرض هذين المشروعين اتوجه الى قطر واحد ولا الى الأمة العربية جمعاء، وانما اتوجه الى العالم الاسلامى فى كل اقطاره لعل فى هذه الاقطار من يستجيب لهذا النداء و يفهم مداه و يدرك خطره فيحاول ان يخرج بهذين المشروعين الثقافيين الاسلاميين الى النور .

الموسوعة الاسلامية :

تعريف الموسوعة و دائرة المعارف : كل مؤلف يجمع مما يدخل فى دائرة العلم الانسانى .

تاريخ دمشق الكبير

فى مقال سابق تحدثت عن مشروع ثقافى هو مشروع "الموسوعة الاسلامية"، و وعدت بالحديث عن مشروع ثقافى آخر هو نشر تاريخ دمشق الكبير او تاريخ ابن عساكر . و يتناول المشروع الاول قضية حضارية جديدة ينبغى ان تتم، و يتناول المشروع الثانى وثيقة تاريخية قديمة ينبغى ان تنشر .

لا شك ان تاريخ الامة الاسلامية، مثله مثل تواريخ الا مم كلها فيه جوانب مشرقة، وفيه جوانب مظلمة، وان هذا التاريخ قد ظفر بكثير من الدارسين من شرق و من غرب، ولكن هذه الدراسة كادت تسير فى اتجاهين متعارضين : اتجاه تمجيد و اسراف فى المدح والثناء يعتمد على تزيين المزايا و طمس العيوب، و اتجاه ظلم و اسراف فى الذم والبخس يعتمد تكبير العيوب وطمس المحاسن، وكلا الاتجاهين غير علمى ولا مصيب، و تاريخنا الاسلامى فى حاجة الى دارسين من نوع جديد يأخذون باساليب العلم والتحقيق فلا يتعصبون على المسلمين فلا يجدون فى تاريخهم الا النزاع، ولا يتعصبون للمسلمين فلا يجدون فى تاريخهم الا المآثر، والحق اننا لا يمكن ان نستفيد من تاريخنا الا اذا عرفنا مزايانا و نقائصنا خلال هذا التاريخ الطويل.

ومن أهم المصادر، بل لعله أن يكون أهم هذه المصادر وأكثرها دلالة و خطرا تاريخ دمشق الكبير الذى ما يزال يتكدس بمجلداته الثمانين فى المكتبات و بين المخطوطات ينتظر رؤية النور. و فى اعتقادى ان كل دراسة للتاريخ العربى تبقى ناقصة ما لم ينشر هذا التاريخ الكبير. ان كل اثر من آثار الحضارة الاسلامية القديمة مهما كان قليلا يظهر و ينشر يضيف الى تاريخنا مادة جديدة، فكيف اذا كان هذا الاثر هو تاريخ ابن عساكر الذى يمتد الى اواخر القرون السادس تقريبا، او الى عام ٥٧١ ه على وجه التحديد.

تواريخ العواصم الاسلامية

لقد ظفرت عدة عواصم عربية فى نشر تاريخها، و اذا تتبعنا هذه العواصم حسب تسلسلها التاريخي وجدناها كما ياتى

١ - المدينة

٢ - دمشق

٣ - بغداد

٤ - القاهرة

و هناك عواصم كثيرة لدول صغيرة ظهرت فى كل مكان من الوطن العربى الذى تمزقت اشلاؤه بعد ان ضعفت سيطرة الخلافة و خفت الحكومة المركزية.

١ - تاريخ المدينة :

للمدينة تواريخ كثيرة الفها ابن زبالة والعبيدى و ابن شبة وابن النجار والمرجانى و ابن عساكر نفسه . . و قد نشر عدد غير قليل من هذه التواريخ

٢ - تاريخ دمشق :

وهو الذى يدور بحثنا حوله .

وقد الفه الخطيب البغدادى (٣٩٢ — ٤٦٣هـ) احمد بن على بن ثابت البغدادى، احد الحفاظ المؤرخين المتقدمين. ذكر ياقوت ان له ٥٦ كتابا من مصنفاته منها تاريخ بغداد و يقع فى ١٥ مجلدة و قد نشر مرارا و من طبعاته طبعة مكتبة الخانجى فى القاهرة عام ١٩٣١ .

٤ ـ تاريخ القاهرة :

والفه يوسف بن تغرى بردى، وهو من اهل القاهرة مولدا و وفاة (٨١٣ — ٨٧٤) كان مورخا بحاثة وله كتب كثيرة اشهرها النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، و يبدأ تاريخ مصر من سنة ٢٠ اى من سنة فتح عمروبن العاص لها حتى عام ٨٧٢ اى قبل وفاة المؤلف بسنتين . و قد طبعته دار الكتب المصرية ولم تكمله، وجاءت وزارة الثقافة فى القاهرة لا لتتم اصداره و لكن لتصوره ممسوخا فقد حذفت فهارسه كلها و وعدت بجمع الفهارس فى آخر الكتاب، فلم يتم الكتاب ولم تنشر الفهارس، كما فعلت بكتاب الاغانى الذى صورته ايضا وخذفت فهارسه، مع ان الفهارس عنصر اساسى فى نشر الكتب و تحقيقها .

و ظفرت كثير من المدن الا سلامية بتاريخها كاملا او منقوصا، فحلب لها عدة تواريخ، و قد نشر المعهد الفرنسى بدمشق زبدة الحلب من تاريخ حلب فى ثلاثة اجزاء، كما تنشر وزارة الثقافة بدمشق در الحبب . . و نشر تاريخ داريا و تاريخ الرقة و تاريخ اصبهان وما يزال البحث مستمرا عن تاريخ بعض المدن الأخرى .

من هو ابن عساكر :

هو على ابن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقى (٤٩٩ — ٥٧١هـ) المؤرخ الحافظ الرحالة كان محدث الديار الشامية . و مولده و وفاته بدمشق .

بدأ في التعلم والسماع وهو في السادسة من عمره على علماء دمشق ولكنه لا يكتفي بهم بل يرحل الى العراق في طلب العلم و يبقى في بغداد سنة ثم يمضى الى الحجاز لقضاء الحج و يعود مرة ثانية الى العراق و يرجع الى دمشق و عمره خمس و عشرون سنة، ثم يرحل مرة ثانية الى خراسان و يزور اكثر مدنها و يعود الى دمشق و عمره اربعة و ثلاثون عاما . و ينصرف ابن عساكر الى التأليف و التصنيف معرضا عن المناصب رغم عرضها مرارا عليه و يحظى بالمكانة عند نور الدين الزنكى و صلاح الدين الايوبى و عندما توفى ابن عساكر خرج صلاح الدين فى تشييع جنازته، و دفن بمقبرة الباب الصغير بدمشق .

مؤلفاته :

لا بن عساكر اكثر من ٦٠ كتابا اكثرها فى الحديث وقد عنى بجمع احاديث قرى الغوطة : كالمزة و كفر سوسة و صنعاء الشام و الحميرين و جسرين و بيت سوا ودومة و مسرابا والقصير و حرستا و كفر بطنا . . وله فى الجهاد "اربعون حديثا في الحث على الجهاد" دعاه الملك العادل الى تأليفه . وله كتاب "فضل بيت المقدس" كان نتيجة من نتائج الحروب الصليبيه و كان مع الكتب المماثلة له دعوة الى الدفاع عن البلاد و تحريرها من انياب الغزاة .

تاريخ مدينة دمشق :

اوسع تاريخ المدن كافة فلم يظهر فى التاريخ الاسلامى كتاب مثله فى الضخامة والسعة والاحاطة، ولم يلحق به في تاريخنا مثله . انه ثروة ضخمة في التراث

الاسلامى . وقد قضى ابن عساكر فى تأليفه ثلاثين سنة و يقع هذا التاريخ فى ٨٠٠ جزء تشكل كل عشرة اجزاء منه مجلدة واحدة فهو اذن يقع فى ٨٠ مجلدة .

في المجلدة الاولى حديث عن فضائل الشام و فتوحاتها . و فى المجلدة الثانية يبدأ بخطط دمشق و ذكر مساجدها و كنائسها وابوابها ودورها وانهارها واقنيتها وقد نشر المعهد الفرنسى عام ١٩٥٩ كتابا وضعه المستشرق اليسيف فى وصف دمشق معتمدا على تاريخ ابن عساكر . ثم يبدأ فى القسم الثانى من المجلدة الثانية بالترجمة لكل من دخل دمشق او اجتاز بنواحيها "من انبيائها وهداتها و خلفائها وولاتها و فقهائها و قضاتها و علمائها و رواتها و قرائها و نحاتها و شعرائها" .

و يوسع الحافظ ابن عساكر ترجماته فنذكر كل من دخل الشام — بمعناها الجغرافى الاول — و يترجم لمن دخل صيدا و حلب و بعلبك والرملة و غيرها . فالتاريخ جدير ان يسمى تاريخ الشام لا تاريخ دمشق و حدها، بل ربما كان تاريخ الوطن العربى باعتبار دمشق عاصمة الدولة العربية الاموية، بل تاريخ الامة الاسلامية .

الحافظ ابن عساكر والمرأة :

يفرد الحافظ ابن عساكر مجلدة خاصة بالنساء و تبلغ تراجم النساء فى هذه المجلدة المئات، بينما نجد الخطيب البغدادى يترجم لست و ثلاثين امرأة فقط وفى موقف ابن عساكر من المرأة دليل على روحه العلمية وحرصه على العدل والانصاف.

ماذا ظهر من كتاب التاريخ الكبير :

كل ما ظهر من تاريخ ابن عساكر : المجلدة الاولى، و قسم من المجلدة الثانية، بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد فى عام ١٩٥٤ كما ظهرت المجلدة العاشرة بتحقيق الاستاذ محمد احمد دهمان، و وقف المشروع عند هذا الحد سنين طوالا .

و للتاريخ مختصرات كثيرة منها تهذيب الشيخ بدران ظهر منه سبع مجلدات و لكن المختصرات لا تغنى عن الاصل .

الوضع الراهن :

كان آخر الخطوات التى اتخذت لطبع الكتاب الرسالة التى وجهها كاتب هذه السطور الى بعض الوزارات والمجامع. والحلول المقترحة التي قدمتها تتلخص فيما يأتى :

الأصل فى هذا المشروع ان يقوم المؤرخون والعلماء والأدباء بتحقيقه وأن تقوم المؤسسات العلمية بطبعه و نشره و لكن هذا المشروع بعيد الاحتمال لسببين :

١ - قلة الراغبين فى تحقيق هذا الكتاب تهيبا لموضوعه او تهاونا بمكافأته .

٢ - وفرة تكاليف التحقيق ثم الطبع .

لذلك فالحلول المقترحة هي:

١ - انتقاء نسخة كاملة و صحيحة وواضحة الخط من النسخ الموجودة فى المجمع العلمى العربى . واغلب الظن ان هذا الانتقاء قدتم الآن او هو فى طريقه الى التمام.

٢ - تصوير هذه النسخة وطبعها على الاوفست . لقد لجأت كثير من دور الاستشراق و المكتبات الى هذه الطريقه و قام الاتحاد السوفييتى بنشر عدة مخطوطات عربيه مصورة .

٣ - هذا التصوير يضع ٢٠٠٠ نسخة او ٥٠٠٠ نسخة من الكتاب تحت تصرف الباحثين .

٤ - يمكن لمن يشاء بعد ذلك ان يرجع الى الكتاب وأن يحققه .

٥ - تكاليف التصوير حسب تقدير الخبراء لا تتجاوز ٤٠٠٠ الف ليرة سورية.

٦ - يمكن بيع هذه النسخ بالتكلفة او باكثر من التكلفة ويمكن ان تغطى الاجزاء الأولى نفقات بقيه الأجزاء .

والخلاصه :

هذا المشروع الثقافى الاسلامى يجب ان يظهر للوجود . انني اناشد كل مسلم و كل عربى فى كل مكان وخاصه فى الاقطار الغنيه ان يمد يده لانقاذ هذا الكتاب من ظلمات الاقبيه .

لعم هناك مشروعان اسلاميان هامان ينتظران التحقيق السريع :

١ - الموسوعة الاسلامية

٢ - تاريخ ''دمشق،، الكبير

و هما اكثر المشروعات في الميدان الثقافي والحضاری والتاريخي عنفا والحاحا. متی اری العلم والثقافة عملا اصيلا عملا جديا، عملا من صلب الحياة لا على هامشها متى ؟ (١)

---

(١) مصادر البحث :

تاريخ ابن عساكر – المخطوط – المجلدتان المبطوعتان من التاريخ – الاعلام – كنوز الاجداد – تاريخ بغداد – النجوم الزاهرة . . .

تعليق

الاستعراض الاقتصادى للبلادالمسلمه"

للسيد صبغة"الله الفاطمى

ناشر: مجلس تحقيقات اسلامى

ص، ب ۱۱۸۳

اسلام آباد (باكستان)

الصفحة: ۱۸۱،

الثمن: ١٥ ربية باكستانيه"

هذا كتاب جمع فيه المؤلف معلومات اقتصاديه" مفيدة لـ ٣٦ بلدا اسلاميا، و لاندرى لماذا ترك البلاد الاسلاميه" الاخرى، والكتاب فى اللغه" الانجليزيه"، و لذارتب اسماء البلاد حسب حروف الهجاء الانكليزيه" فاولها افغانستان وآخرها اليمن. واغلب ظننا ان المؤلف اعتمد فى تأليفه على معلومات وجدها عن طريق السفارات، غيرانه لم يذكرالمراجع فى موضع، على كل حال فالكتاب نافع للطلاب المسلمين الذين يبتدءون فى الاقتصاد لاسيما اقتصاد البلاد الاسلاميه".

و نجد بعد ذكر كل بلد اعلانا من شركه" تجاريه"، وا غلب ظننا ان المؤلف اراد ان يطبعه‌بنفسه ولم يجد سبيلا الى ذلك الا ان يطلب الاعانات الماليه" من الشركات التجاريه" المختلفه" كما نجد فيه بعض المعلومات التى لا علاقه" لها بالاقتصاد ايضا، ان موضوع الكتاب هام جدا ولايقتضى ان يكون المصنف خبيرا

بالاقتصاد فحسب بل يكون قادرا على استعراض الاوضاع الاقتصاديه" كاملا.

نرجو من المصنف ان يبرز الكتاب في طبعته الثانيه" احسن واشمل من هذه الطبعه".

عبدالرحمن الطاهر السورتي

— — —

مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية

اسلام آباد، باكستان

	في باكستان (روبية)
١- Islamic Methodology in History	
للدكتور فضل الرحمان	٢٥-٠٠
٢- Qura'nic Concept of History	
لمظهر الدين الصديقي	٢٥-٠٠
٣- Al-Kindi, The Philosopher of the Arabs	
لبروفيسور جارج ابن عطية	٢٥-٠٠
٤- Imam Razi's 'Ilm-al Akhlaq (ترجمة كتاب النفس (الروح مع تعاليق) للدكتور محمد صغير حسن المعصومي	٢٥-٠٠
٥- Alexander Against Galen on Motion	
لبروفيسر نكولاس ريشير و ميكائيل مارمورا	١٥-٠٠
٦- Concept of Muslim Culture in Iqbal	
لمظهر الدين الصديقي	١٥-٠٠
٧- The Early Development of Islamic Jurisprudence	
للدكتور احمد حسن	٢٥-٠٠
٨- Proceedings of the International Islamic Conference	
جامعه: الدكتور ايم - اے خان	١٠-٠٠
٩- مجموعة قوانين اسلامية الجزء الاول (باللغة الاردية) لتنزيل الرحمان	٣٥-٠٠
١٠- ايضا الجزء الثاني ايضا "	٣٥-٠٠
١١- ايضا الجزء الثالث ايضا "	٣٠-٠٠
١٢- ايضا الجزء الرابع ايضا "	٣٥-٠٠
١٣- تقويم تاريخى (باللغة الاردية) لمولانا عبدالقدوس الهاشمى	١٥-٠٠
١٤ الاجماع و باب الاجتهاد (باللغة الاردية) لكمال الفاروقى	٤-٠٠
١٥ الرسائل القشيرية (باللغة العربية مع ترجمتها الاردية)	
لابى القاسم عبدالكريم القشيرى - ترجمة الدكتور پير محمد حسن	١٠-٠٠

الدراسات الاسلامية

مجلة مجمع البحوث الاسلامية

اسلام آباد - باكستان

15 / 16 — (٤) (١)

الجلد الخامس عشر والجلد السادس عشر — العدد الرابع والعدد الاول

ديسمبر ١٩٨٠م — ذوالحجة ١٤٠٠ه

مارس ١٩٨١م — ربيع الاول ١٤٠١ه

ليس من الضرورى ان تتفق ادارة المجمع مع جميع
الآراء والبحوث التى ينشرها الكتاب فى هذه المجلة

المحتوى

— :: —

الافتتـــاحيـــــة

دخل العالم فى القرن الخامس عشر الهجرى* كما دخل من قبله فى قرون مختلفة و القرون تنقضى ولا تنقضى عجائب الدهر ، و ان اختلاف الليل و النهار ، و سبح الشمس و القمر فى الافلاک آية من آيات الله ، ليس لها أية صلة بانحطاط الشعوب ولا بارتقائها ، انما هى اعمال الامم ترفعها أو تحطها ، تفتح لها باب الجحيم او باب النعيم ، و مع ذلک كله فان لكل حركة تأثيرها ، ولشروق الشمس مفعول كما لغروبها ، فحلول القرن شيء هام بالنسبة الى الزمن ، و من هذه الناحية يمكن لنا ان نفهم ما نسمع من دوى القرن الجديد الهجرى فى المحيط الاسلامى.

نرى المؤتمرات تعقد ، و برامج جديدة توضع و تعرض ، و مقالات حول القرن الجديد تنشر فى المجلات و الجرائد من الاذاعتين المركية و المسموعة ، و المسلمون كلهم فى يقظة يهتفون بأن القرن الجديد قرن الاسلام ، و سوف تسود فيه مبادىء الاسلام و تعلو. و المفكرون المسلمون يستدلون بانواع الادلة على علو شأن الاسلام فيه ، كما يعرض الآخرون الافتراحات على برامج اصلاحية تضمن رفع شان الاسلام ، و المؤتمرات تعد التوصيات و القرارات لما فيه رفع راية الاسلام و غلبة المسلمين.

أخوانى و احبائى ! بكل احتــرام لعواطفكم و تطلعاتكم و نزعاتكم حول القرن الجديد الهجرى أريد ان ادلى اليكم بعض ما فى صدرى بصراحة ، ان الله سبحانه و تعالى ليس عنده المحسوبية ولا المنسوبية ولا ينال عهده الظالمين ، ولا

يضيع عنده أجر المحسنين. ولا تنفع أمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجزبه. و انه يدعونا الى عبادته و ذلك دينه الخالص ، فقال عز من قائل : امر ان لاتعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم و هذا هو الصراط المستقيم . قال تعالى : و ان اعبدوني هذا صراط مستقيم. فاللازم علينا ان نعتصم بحبل الله ، ولا نعبد الااياه و نعرف معنى العبادة .

ان العباده لا تتحقق الا بالعلم . لذا خلق الله آدم. للعبادة و علمه الاسماء كلها . و فضله بالعلم على جميع الملائكة . و الذى انكر فضل العلم صار ابليسا رجيما لعينا. و اكبر حاجز في سبيل عبادة الله هو اتباع ما الفينا عليه آباءنا بدون هدى . و ترک الاعمال على مجاری سلفنا بدون بحث و فحص ، و علمنا الله سبحانه و تعالى ان ندعو : رب زدني علما. و ذلک لان زيادة العلم تزيدنا في عبادة الله و تهدينا الصراط المستقيم و حيث ان الله تعالى قطع سلسلة الوحي و بعث الرسل بخاتم النبيين فلا سبيل لنا ان نزيد علما الا باتباع اوامر القرآن . ان ننظر مافي السموات وما في الارض و في انفسنا ، و ان نتفكر و نعمل العقول و القلوب و الاعين و الآذان و ان نعرف سنن الله في الحجر و الشجر و البشر و في كل مافي الكون من الاشياء لنزيد علما و نزيد عبادة لله.

انه من المستحيل ان نتصور في العصر الحاضر أي تقدم بدون التقدم العلمي . فان جوانب حياتنا كلها محاطة بالعلوم سواء كانت تجاريا أو زراعيا أو صناعيا أو تعليميا أو اقتصاديا أو سياسيا أو اجتماعيا وما الى ذلک . فاذا وضعنا العلوم في ناحية فلا مستقبل لنا ابدا ، ولا تجدينا الكنتية(١). يجب علينا ان نقوى شعورنا العلمي و نخطط المشاريع العلمية و ننفق في انجازها ، و نقدر العلماء الباحثين الدارسين و نزيل الحواجز و نميط الاذى عن طريقهم ، مالنا لانرى شبابنا مهتميـن بالعلوم جديا كاهتمامهم بالالعاب و السعي وراء نيل الشهادات ؟

و لماذا لا تنشأ المكتبات و المختبرات فى مدننا و حاراتها ولما ذالاتزود المكتبات بالمجلات و الجرائد و الكتب العلمية الكثيرة . ولماذا لاتملأ المختبرات بالاداوات العلمية الحديثة والمواد التى تحتاج اليها ؟ و لماذا ينحط نظام تعليمنا كل يوم ويتدهور ويرجع من سيء الى أسوا ؟ اننا لفى حاجة ماسة الى ان نحول اتجاه الامة الاسلامية الى العلوم. و يكفى للقرن الخامس عشر الهجرى بان يكون قرن يكون العلم حتى يعيدلنا تفوقنا فى العلوم .

فبا لعلم نعبد الله وبه نعلى كلمة الله ، و به نتمكن من ابلاغ رسالته الى جميع الناس ، و به نتحد و نوحد الانسانية ، وبه نتحرر من آصار الجهل و الاوهام و نحطّم اغلال التقاليد و الخرافات ، و نتخلص من الظلم و الاستعمار و ننجو من الفقر و سوء الحال. واعلموا انه لا يمكن لنا العمل بأحكام الدين الا بالعلم ، فلو جعلنا القرن الخامس عشر الهجرى قرن العلم واجتهدنا كل الاجتهاد فى طلب العلم ، واخذنا مافاتنا من العلم ثم بلغنا فوق مابلغـه الناس من العلوم لوجدنا امامنا سبيل النور ، يسعى نورنا بين ايدينا ، وحللنا قضايانا و استرددنا العزة التى هى لله ولرسوله و للمؤمنين فلنستنق العلم الذى هو أحسن الخيرات لنستعيد ما ضاع من مجدنا و كرامتنا.

اجتمـــاع الحـــج

منذ قرون نحن نجتهد لاتحادنا ولا نزيد الا فى اختلاف ، وقد اعيى الداء الزعماء و ذلك لاننا فقدنا السلطة الجماعية المنفذة التى تقاتل الفئة الباغية بكل قواتها و ترغمها الى تفيء الى امر الله . ثم اننا نتخذ لهذا الاتحاد والاتفاق سبيلا صناعيا غير السبيل الذى قرره الله تعالى لنا ، فالحج مؤتمر دولى اسلامى يأتى اليه الزوار بنفقاتهم من كل فج عميق ، فلو شكلت هنالك جمعية دولية

الشخصيات البارزة ذات نفوذ وخبرة وعلم ودين من كل دولة ، وتقيد كل واحد منهم بالحضور فی الحج ، وتعاهدوا علی الاعتصام بحبل الله وتنفيذ قرارات الجمعية بكل قوة . وبدون رأفة ومحاباة للظالم . لعولج هذا الداء العضال واتخذ المسلمون موقفا موحدا لحل قضاياهم . لقد كان الرسول عليه الصلوة والسلام وخلفاءوه الراشدون يستفيدون من اجتماعات الحج . وكانوا يستدعون اصحاب القضايا الهامه فی الموسم ويسمعون شكاوی المظلومين هناک . ويقيمون باجراءات لازمة لتقويم العوج ولم الشعث . و ذلک لم يک يكلفهم قليلا ولا كثيرا ، وفقدوا هذا الموقف الموحد عندما نسوا مكانة الحج واهميته ، فيجتمعون هنالک متنشرين غير متماسكين وبدون نظام . لا مفاوضة بين الوفود ولا تعارف بين الحكام واولی الامر وأصحاب المهن و الأساتذة ، ولا تبادل فی البضائع و الصناعات ولا ابتغاء من فضل الله . و ليس فضل الله التجاره فحسب و انما يشمل علی كل عمل يقتضيه العصر لتوحيد موقف المسلمين واعلاء كلمة الله ، فالاجتماعات لتقريب بعضهم الی بعض و توحيد انظمة تعليمهم و مناهجهم و تشكيل جمعيات لدراسة احوال الانظمة التعليمية والسياسية والصناعية والتقنية وتشكيل اللجان لحل القضايا الدولية و علی رأسها قضايا الدول الاسلامية المعارضة أو المتحاربة و ما الی ذلک . فكلها من فضل الله ، يجب علی المسلمين عامتهم و خاصتهم ابتغاؤه . أنا علی يقين ان المسلمين اذا عزموا الاستفادة من الحج جديا لانحلت قضاياهم بالتدريج . و كان له اثر عميق فی جوانب حياة الناس اجمعين.

و تتخذ اللغة العربية كلغة اسلامية دولية فی اجتماع الحج و مؤتمراته لانه لغة كتاب الله و لغة رسول الله و لغة معظم مفكری الاسلام. ويوضع فی مؤتمر الحج دستور دولی أسلامی تتفق عليه الدول الاسلامية كلها وتتبناه كافة الدول الاسلامية . و يثبت هذا الدستور فضله و تفوقه و عظمة الاسلام و تقدمه لدی دول العالم اجمعها ، كما يرتب هنالک خبراء التعليم والتربية منهجا موحدا لجميع مراحل

التدريس فى مدارس و معاهدالعالم الاسلامى.

ثم على مؤتمر الحج ان يرد الاسلام الى مجراه الحقيقى حتى يكون هدفه اقامة العدل والاحسان لكافة الناس وخدمة البشرية بدون امتياز الالوان والانساب والعروق والطبقات ، ولا ينشأ الجيل الجديد على عداوة احد من الناس الا من آذى االمسلمين و خالف كلمة الحق بعناد وسلب حرية العقيدة والقول والعمل من المسلمين .

و المؤتمر يدرس حاجات المسلمين ويشكل اللجان لحل مشكلاتهم العصرية وتحقيق رغباتهم وحاجاتهم الجديده حسب الظروف والمقتضيات . فلجنة لحل المشاكل الاقتصادية ولجنة للبحث فى نظريات معاصرة وهلم جرا .

ان هذا المؤتمر يعقد كل سنة فى موسم الحج تلقائيا فاذا طرأت لهم طوارىء عينوالها الموعد الجديد : لعقد مؤتمر طارئ .

عبد الرحمن الطاهر السورتى

---

(١) أى كان آباؤنا كذا و كذا. وكنا فى الماضى عملنا كذا و كذا كما يقول الشيخ كنت فى شبابى عملت كذا و كذا.

القرن الخامس عشر الهجرى الجديد
و أضواء على الحقائق التاريخية

استقينا هذا الخطاب المعرب لسماحة الشيخ ابى الحسن على الندوى من مجلة البعث، ان فيه لمحات من الحقائق التاريخية، ولكن مفعوله المجموع يشجع المعنويات وليقوى الايمان ويضمن للمسلم مستقبله المزدهر ويزيل من قلبه اليأس والوهن وييسره حياة فضل وعزة قعساء ان كان مؤمنا بكلمات الله

التحرير

تملأ العالم اليوم تنبئات وتطلعات حول القرن الخامس عشر الهجرى الجديد . ذلك القرن الذى يبتدىء من هجرة سيدنا محمد ﷺ إلى المدينة المنورة ، و كـــذلك القرون ابتدأت بوجه عام بميلاد شخصية كبيرة أو وفاتها أو قيام دولة أو تحقق انتصارات عظيمة فى التاريخ (١) و كانت مصدر تقويم مستقل ، ولكن الاسلام

---

(١) مثلا التقويم المسيحى الذى يسود العالم كله ينتمى إلى سيدنا المسيح عليه الصلاة و السلام ، و التقويم البكرمى الذى ساد الهنــد ينتمى إلى الملك « بكرماجيت » و فى إيران و لدى الزردشت عرف تقويمان ، وكلاهما ينتميان إلى يزدجرد الثالث ، أحدهما يبتدىء بتاريخ جلوسه على العرش ، والثانى يبتدىء بوفاته ، وكذلك التقويم الغريغورى ينتمى إلى البولس غرى غورى الثالث عشر الذى يسود فى أوربا كلها منذ عام ١٥٨٢م (باستثناء الاتحاد السوفياتى و اليونان) .

يتميز عن الديانات الأخرى فى ذلك، فلم يسم دينه باسم نبيه ، ولكن باسم رسالته إذ أن الاسلام ليس اسماً لشخصية إنما هو اسم لمنهج وحكم إلهى ، يعنى الخضوع أمام أحكام الله ، وتلك هى ميزة هذا القرن ، فانه لم يبتدىء بوجود شخصية ، حتى إنه لم يبدأ بشخصية سيدنا محمد ﷺ التى تعتبر أعظم وأحب شخصية بعد الله تعالى ، ولكن هذا القرن لا علاقة لها بولادته ﷺ ولا بوفاته ، رغم أنهما حدثان كبيران فى هذا العالم و لكنه يتصل بهجرة النبى ﷺ .

و معنى ذلك أن القرن الهجرى الجديد سيطلع علينا برسالة ودعوة ، وأنه لايجدد ذكرى شخصية أو أمة فحسب ، بل يجدد ذكرى رسالة ، و هى أن النبى ﷺ هاجر من وطنه العزيز إلى موطن جديد وراء غاية عظيمة ؛ إن هذه الهجرة تذكرنا برسالة و باقدام كبير ، لأن النبى ﷺ لم يقم بها لانقاذ نفسه أو أصحابه المعدودين ، و لكنه قام بها لصيانة رسالة الله و لاتاحة الفرصة لتبليغها إلى العالم كله ، إن هذا القرن يذكرنا بما للغاية الكريمة و الهدف العظيم من أهمية و قيمة تسهل على المرء أن يضحى فى سبيلها بكل نفيس وغال ، إنها رسالة حية ذات روح عالية فى تاريخ العالم كله ، تؤكد أن أمراً مهما كان نادراً وغريباً ، ومهما وضعت فى طريقه عراقيل و أثيرت ضده العواطف ، إذا كان نابعاً من إخلاص النية ، و كان القصد من ورائه إسعاد الانسانية مع تصمم العزم يتسع نطاقه و يشمل معناه و يتكلل بالنجاح عاقبة الأمر .

لذلك فان هذا القرن الخامس عشر الهجرى لا يبعث همة المسلين فحسب ولكنه يوجه رسالة حياة إلى النوع البشرى كله ، وإلى جميع من يتوخون غاية صالحة من وراء أعمالهم و نشاطهم ، و يحملون راية دعوة نافعة و يبذلون مجهودات فى سبيل هدف أفضل أو غاية عظيمة .

أما أن يكون هذا القرن الجديد سعيداً للسلمين و عن طريقهم للانسانية كلها أو يكون مشئوماً ؟ فذلك أمر لا يمكن أن نصدر حكما حوله الآن ، فمن قضاء الله تعالى و حقائق القرآن الأبدية التى لا تتغير ما قال الله تعالى : « و أن ليس للانسان إلا ما سعى » فان الانسان فى حياته الدنيا و فى آخرته لا يدرك أكثر مما يسعى ، إنما يدرك ما أنتج له سعيه كما يقول الله تعالى : « وإن سعيه سوف يرى » إنها رسالة حية ، للنوع البشرى كله ولجميع أدوار التاريخ ، إن سعى الانسان لايخلو من نتائجه التى يراها « ثم يجزاه الجزاء الأوفى » .

فان معانى سعى الانسان و ما ينتجه ويثمر له سعيه ، التى أشارت إليها الآية الكريمة إنما هى رسالة تحمل فى طيها معانى كريمة من الهمة العالية والروح الفياضة ، و إذا كان الشاعر الاسلامى محمد إقبال خاطب الانسان فى بيته الذى معناه : إن حياتك أيها الانسان إنما هى رهين عملك فاما إلى الجنة أو إلى النار ، فانك بفطرتك لست من أهل النور و لا من أهل النار » فانى أنشد هـــذا البيت و أخاطب به القرن الجديد ، فان هذا القرن و ما سبقه من قرون ليس فى طبيعته سعيداً و لا مشئوماً فى الواقع ، فان السعادة والشقاء إنما يتوقفان على مساعى الانسان و اتجاه أعماله . ونحن لا نستطيع أن نحكم مسبقاً لأى قرن أو سنة أو شهر و يوم وساعة أن فيه سعادة أو شئوماً ، ليس فى الاسلام نظرية الشقاء أوالسعادة التى كانت ولا تزال توجد لدى أمم جاهلية ظلت بعيدة عن تعاليم الأنبياء عليهم السلام ، لا يسمح لنا الاسلام بأن نحكم حول قرن قادم أنه سعيد جداً ، تسعد فيه الأمة الاسلامية كل السعادة ، أو أن هذا القرن مشئوم لأمة أوللاقدار الانسانية ، إنه ليس تفكيراً إسلامياً و لا يؤيده الكتاب والسنة ، ذلك لأن التصور عن زمن خاص أنه سعيد ميمون بوجه دائم ، أو باعث على الشؤم والشقاء يضر بقوة العمل الانسانية ، إن الانسان

إذا اعتقد أن هناك ساعة مشئومة تستقبله قريباً باءت قوته العملية بالانهيار، وتعطلت قوة حكمه بتاتاً .

إن رسول الله ﷺ قضى نهائياً على التعلق بالأوهام والمغالاة فى الاعتقاد بشئ و الاعجاب بشخصيـة . انكسفت الشمس ذات مرة فى عهده ﷺ و صادف ذلك وفاة سيدنا إبراهيم بن رسول الله ﷺ بقليل (١) وكان الله سبحانه قد أراد فى ذلك حكمـة التربية، لأن العرب المسلمين آنذاك كانوا قريبى العهد بالجاهلية و لم يكن العالم قـد تخلص من تأثيرها تماماً، ثم إن حادث الوفاة كان أمراً غير عادى أثار العواطف فتكلم بعض المسلمين و قالوا كيف لا تنكسف الشمس و قد توفى ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لو كان مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه المناسبـة الحزينة أى داع من الدعاة أو زعيم من الزعماء أو قائد دعوة و حركة وجماعة لسكت على هذا الكلام إذا لم يوفق إلى نفيه، ظناً منه أن ذلك الكلام إنما هو فى مصلحـة دعوته و حركته، و ظن أنه لم يتول لفت الأنظار إلى هذه الناحية، بل إن الناس بأنفسهم فكروا فى ذلك و قالوا إن الشمس إنما انكسفت لوفاة ابن رسول الله ﷺ، فلاحاجة إلى نفى هـذا التفكير، و ذلك هو الفرق بعينه بين النبي وغيره، فان الأحداث التى يستغلها أصحاب الفكر السياسى، وإن كانت حوادث طبيعية، يرى الأنبياء الكرام عليهم السلام استغلالها على حساب الدين حراماً، وأمراً يرادف الكفر، ولا أدرى أن أحداً سوى محمد ﷺ يكون قد صدق فى هذا الامتحان من غير الأنبياء و من مؤسسى الجماعات و زعماء السياسة، و هنالك قام رسول الله ﷺ خطيباً فى القوم فقـال : « إن

---

(١) توفى سيدنا إبراهيم عليه السلام عام ١٠ من الهجرة، وكان ابن سنة ونصف.

الشمس و القمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد و لا لحياته » (١) . كأن النبي ﷺ سألهم عما ذا قالوا؟ ثم رد عليهم بأن الشمس و القمر لايتغيران لموت أحد من الناس و لا لحياته ، إنما هما آيتان من آيات الله ، و متقيدان بقانون يخصهما . لايؤثر عليهما موت ولاحياة ، و لوأن رسول الله ﷺ آثر السكوت فى هذه المناسبة لم يك ذلك سبباً لفساد ، بل إن ظناً خاطئاً كان قد وجد سبيلا إلى قلوب الناس بناءاً على الحب و الاعجاب بشخصية الرسول ﷺ ، وبحكم الاضطرار، ولكن لم يتحمله رسول الله وسرعان ما نفاه وقال : كلا ، إن ذلك الحادث لاعلاقة له بأسرتى أو بولدى . فان الكون أوسع من ذلك ، و إن ذات الله تعالى أغنى عن ذلك ، و قانونه أرفع من مثل هذه الأمور ، لقد كان ذلك إرشاداً مبدئياً يتعلق بالأساس ، وجه إلى النوع البشرى كله بل العقل الانسانى كله ، فان العقل الانسانى أعم من النوع الانسانى و إنه يحكم النوع الانسانى كله و ليس بالعكس ، لقد كان ذلك انحرافاً للعقل الانسانى خطيراً ، و كان لا بد من وضع الحد عليه .

كنت أتحدث وأقول : إن قرناً من القرون ليس سعيداً بذاته ولا مشئوماً ، وأضرب لكم مثالا للكأس ، إنها إذا كانت فارغة لا نحكم عليها بشئ ، إن ذلك يتوقف على مافيها من الماء البارد ، فان كانت فيها خمر - لاقدر الله - كانت الكأس كأس الخمر ، أو كان فيها سم دعيت بكأس السم ، و أما الكاس بذاتها فهى بريئة وشئ حيادى ، و الأمر إنما يتوقف على من يملأ الكاس فان ملأها بالزمزم فهى كأس الزمزم . و إن ملأها بالخمر فهى كاس الخمر ، و هذا نستطيع أن نقول إن سعادة أو شقاء هذا القرن إنما يتوقف على سعى الأمة التى أخرجها الله تعالى لحمل رسالته الأخيرة .

(١) صحيح مسلم ، كتاب الكسوف ج ١ ٢٩٦ .

و بالمناسبة أضرب لكم ثلاثة أمثال ، مثالان منها لقرنين ابتـدءا بأحداث هائلة مخيفة وأحوال سيئة تبعث على اليأس وتقطع الآمال ، فقد استقبلهما مورخو ذلك العهد بشئ كثير من القلق والحزن وبالجروح والدموع ، وقد شهد المؤرخان ابن أثير وابن كثير كيف أن الأوساط الاسلامية استقبلت القرن السابع الهجرى ، فقد كانت الدلائل و الموشرات كلها تشير إلى أن ذلك القرن ليس فى مصلحـة المسلمين و لا فى مصلحة الأمة/الاسلامية ، و فى مصلحة الاسلام . وسيكون أشام قرن فى حق الانسانية كلها ، فقد كان هذا القرن استهل بحادث غير عادى كما يقول المؤرخ ابن أثير الجزرى (المتوى ٦٣٨هـ) « فلو قال قائل إن العالم منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً ، فانّ التواريخ لم تتضمن ما يقاربها و لا مايدانيها » (١) .

و أعنى بذلك زحف التتار الذى تم فى عام ٦١٦هـ على أكبر مملكة فى ذلك الوقت و هى مملكة خوارزم شاه ، كان ذلك فى مبدأ القرن السابع الهجرى و فى القرن الثالث عشر الميلادى ، و قد نهض التتار كجراد منتشر و سيطروا على العالم الاسلامى كله ، و دمروا تركستان و إيران ، و أتوا على المدن الكبيرة بأسرهـا و أبادوها ، حتى إنهم رفعوا مناور عالية من رؤس القتلى و جثثهـا ، و تسلقوا عليها ، و تحويلهم المدن إلى مقابر ، و لكى نقـدر هول الحادث يحسن بنا أن نقرأ ما كتبـه « إيدورد جبون » فى كتابة (سقوط و انحطاط الروم) (De'cllne_ _And Ifal of the Roman Empire) .

« إن أهالى السويد اطلعوا على الزحف التتارى عن طريق روسيا ، و قد بلغ الرعب والخوف فى قلوبهم مبلغاً عظيماً حيث إنهم لم يخرجوا للاقتناص كعادتهم

(١) الكامل لابن أثير ١٢ - ١٤٧ .

ظل دعاة الاسلام مشغولين بوظيفتهم فى صمت من غير دعاية ، و لا أدرى بما إذا كان المسلمون قد أسسوا حينذاك جمعية لدعوة التتر إلى الاسلام أو نشروا إعلاناً عما إذا أسلم التتار أفاد ذلك عودة المسلمين إلى الحكم المفقود والحصول على السلطة ، لا أعلم أن شيئاً من ذلك قد وجد و لكننى أعلم أن هؤلاء الدعاة قاموا بواجب الدعوة فى هذه الأمة التتارية من غير أن يطلع عليه الناس ، وما هى إلا مدة قليلة إذ فوجئ العالم باسلام الأمة التتارية جمعاء .

إننى مثلت لكم بالقرن السابع الهجرى والثالث عشر الميلادى الذى بدأ بأحداث مروعة أفزعت قلوب المسلمين ، و لو لا أنهم كانوا يتمتعون بقوة العقيدة لهجمت عليهم ردة فكرية و حضارية إن لم تكن ردة إيمانية ، و لكن لم تحدث هناك ردة حضارية و لا فكرية فضلا عن الردة الايمانية .

وأضرب لكم مثالا آخر للقرن العاشر الهجرى (القرن السادس عشر الميلادى) ولا أتوغل بالمناسبة فى تاريخ العالم الاسلامى الواسع بل أتحدث عن الهند التى أظل عليها أواسط القرن العاشر الهجرى فى ظروف قاسية ، كانت تهـدد حرمان الهند قيادة الاسلام و توجيهاته ، بل كادت تحرم فضل الاسلام ونعمته ، كان يبدو أن ذلك يتم فى ظرف أيام ، إقرأوا تفاصيل ذلك فى كتب التاريخ (١) .

وقد و جدت آنذاك فى العالم الاسلامى مملكتان كبيرتان ، مملكة العثمانيين فى آسيا الصغرى ، و مملكة المغول فى شبه القارة الهندية ، و كانت المملكة الصفوية فى إيران على الدرجة الثالثة ، و قد حدث هنا فى الهند أن عدداً من عباقرة العلماء و المثقفين ـ يتميز من بينهم أبو الفضل و فيضى عن غيرهم ـ انضموا إلى حركة كان يقودها امبراطور عظيم ذو عزم أكيد وذكاء نادر و غزو و انتصار ، وكانت

---

(١) مثلا ـ رجال الفكر و الدعوة « المجلد الرابع » للمؤلف .

«أرنولد» فى كتابه: الدعوة إلى الاسلام (Preching of Islam) أن يصور أوضاع المسلمين من اليأس والشعور بالهزيمة ، وكان يستطيع فى ذلك الوقت كل شخص يتمتع بالشعور و المشاهدة و قوة الاستنتاج من ترتيب المقــدمات والأسباب ، أن يتنبأ فيعتقد أن الاسلام قد ولى عهده و أوشكت شمسها على الغروب . و لا شك فان المسلمين هم الذين كانوا هــدف الهجمات التتارية فى الواقع و قد ضاق عليهم مجال العمل و الأمل معاً ، يقول « آرنولد » وهو يتحدث عن منافسين قويين للاسلام و هما : البوذية و المسيحيــة « كانا يحاولان إحراز قصب السبق فى ذلك المضمار و ليس هناك فى تاريخ العالم نظير لذلك المشهــد الغريب ، و تلك المعركة الحامية التى قامت بين البوذية و المسيحيــة و الاسلام . كل ديانة تنافس الأخرى لتكسب قلوب أولئك الفاتحين القساة ، الذين داسوا بأقدامهم رقاب أهل تلك الديانات العظيمة ذات الدعاة و المبشرين فى جميع الأقطار و الأقاليم » (١) .

كل الدلائل كانت تشير إلى أن المسيحية ستنتصر لأنها لم تكن الخصم المناهض فى هذه الحرب ، ثم إن المسيحيات والمسيحيين كانوا فى قصور أمراء جنكيز خان ، فاذا كانت هناك مسألة اعتناقهم بدين كانت المسيحية فى مقدمة كل دين ، لم يكن يشك أحد فى اعتناقهم بها ، و لكن هل تعرفون ماذا وقع ؟ لقــد اضطر آرنولد إلى الاعتراف بالواقع ، يقول : « و لكن لم يكن بد من أن ينهض الاسلام من تحت أنقاض عظمته الأولى و أطلال مجده التالد ، كما استطاع بواسطة دعاته أن يجذب أولئك الفاتحين المتبربرين و يحملهم على اعتناقه » (٢) .

و يقول : « و على الرغم من جميع المصاعب أذعن هؤلاء المغول والقبائل

(١) الدعوة إلى الاسلام ص ٢٥٠ .
(٢) أيضاً ص ٢٤٦

المتبربرة آخر الأمر لدين هذه الشعوب التى ساموها الخسف و جعلوها فى مواطئ أقدامهم » (١) .

إن القرن الذى بدأ بالشؤم ـ إذا كان فى الاسلام مجال لكلمة شؤم ـ القرن الذى بدأ بالظلام الشامل و اليأس العام ، إنما تحول إلى قرن « فتح مبين » للاسلام و بهت به العالم وقضى العجب مما رأى من أن التتار الذين لم تزل أيديهم مخضوبة بدماء المسلمين كيف خضعوا للاسلام ، يقول : « هورث » .

« وقد بلغ من سوء المعاملة التى لقيها هؤلاء أن راتضى الخيول من أهالى الصين كانوا إذا عرضوا أشباحاً أظهروا البشر والحبور فى صلف و إعجاب بعرض صورة تمثل رجلا مسنا ذا لحية بيضاء يجره حصان قد ربط ذيله برقبة هذا الرجل . إنما كان هؤلاء يفعلون ذلك ليظهروا للناس كيف يتصرف فرسان المغول فى معاملتهم للسلمين » (٢) .

و الواقع أن المسلمين إنما كانوا قد فقدوا كل شئ و لكنهم لم يفقدوا الاعتماد على الله و الايمان بالله ، و العقيدة ، و القوة الروحانية ، و لذلك فان المسلمين لم يلاقوا الهزيمة ، وإنما كانت الهزيمة نصيب الملوك المسلمين الأشقياء ومجتمع مريض فاسد ـ أقول ذلك بصراحة و تألم ـ أما الاسلام فقد كان ثابتاً فى مكانه من غير أن يصاب بأدنى فتور فى نشاطه و قوته . كان المسلمون قد ظنوا أن إخضاع التتار بالسيف مستحيل ، لأن سيف الاسلام مفلول بل مكسر ، أو عائد إلى الغمد ، و قد أثبت التتار أن لديهم قوة عسكرية أقوى من المسلمين ، و أنهم بعيدون عن أدواء الثراء و السياسة و المدنية و يملكون من قوة التحمل و الصبر

(١) أيضاً ص ٢٥٨ .

(٢) تاريخ المغول لهورث ج ١ ص ١٥٩ .

على المكاره و الشدائد ما كان ميزة العرب الأقوياء و فاتحى الاسلام فقط ، وأنهم لم يخرجوا من محيط الصحراء إلا بعد قرون حيث إن طاقتهم لاتزال كامنة عندهم لا يمكن أن تقاومها السيوف .

هل تعرفون من انتصر على التتار ، من حبب إليهم كلمة الاسلام ؟ لقد تمثل أمامهم فى ذلك الوقت العصيب و الظلام الحالك رجال من أصحاب القلوب كانوا يتمتعون بالقوة الروحية ، فتولوا من إسلام التتار كأمة فى ظرف نصف قرن ، إن التاريخ كله يزخر بقصص إسلام الناس أفراداً و جماعات و مدناً بأسرها . و لكن أمثلة إسلام الناس كأمة لا تتجاوز ثلاثة أو أربعة أمثلة فيما أعلم ، فان العرب أسلموا كأمة ، والأفغان أسلموا كأمة ـ و هم يعانون اليوم مع الأسف من المحن ما لا يخفى ـ و كذلك الأتراك و التتار لم يسلموا أفراداً إنما دخلوا فى دين الاسلام كأمة ، مأة فى المأة ، إنه لغز من ألغاز التاريخ و قد واجهته أنا شخصياً كذلك ، و هو أن يتم هذا الواقع الذى غير مجرى التاريخ و خلف تأثيراً عميقاً على مستقبل العالم كله ـ أعنى به إسلام التتار كأمة ـ ثم لا نجد فى التاريخ أسماء من تولوا إسلام التتار و يرجع إليهم الفضل فى ذلك ؟ ! ما السر فى ذلك ؟ !

لقد تذكرت بالمناسبة قصة جندى مسلم فى فتح المدائن عثر على تاج كسرى ، فأخفاه فى ثيابه ـ شأن المال المسروق ـ وجاء به إلى قائد قوات الجيش الاسلامى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، و قال أيها الأمير : يبدو كأن هذا شئ ثمين ، و أنا أسلمك إياه ، لكى تجعله فى بيت مال المسلمين ، و قبل أن يقبل التاج رأى الأمير ـ و هو من العشرة المبشرة ـ إلى الرجل بشئ من الدهشة ، وتحدث فى نفسه فقال : كيف لم تفسد نية هذا الرجل المسكين البدوى فى هذا التاج الثمين ، المرصع الغالى ؟ كيف لم يفكر فيما إذا ذهب به إلى خيمته وامتلكه دون أن

يسله إلينا ، فسأله الأمير عن اسم الرجل ، فتولى عنه و قال : إن الذى قمت له بهذا العمل يعرف اسمى و انصرف .

هذه قصة فرد واحد ، و أظن أن الذين تولوا إسلام التتار كانوا يتسمون بهذه الميزة ، وأنهم أخفوا أسماءهم . و قد واجهت أنا صعوبة فى تحقيق أسماء هؤلاء العظام حينما عرضت لى حاجة إليها أثناء تأليفاتى ، و بعد بحث و عناء طويل عثرت على اسمين ، أحدهما لوزير صالح يدعى بالأمير توزون (١) الذى كان رئيس الوزراء للملك التتار ممن كان يحكم العراق ، كان هذا الوزير رجلا صالحاً من العباد و الزهاد و ظل يلقى إلى الملك قولا عن الاسلام و يحببه إليـــــه حتى فوجئ أهل بغداد فى يوم جمعة أن رأوا الملك التتارى السلطان قازان و وزراوه معه متجهين نحو الملك يحملون بأيديهم السبح ، يقول ابن كثير فى البداية والنهاية : و نثر الذهب والفضة على رؤس الناس يوم إسلامه و تسمى بمحمود ، و شهد الجمعة و الخطبة وخرب كنائس كثيرة ، و ضرب عليهم الجزية و رد مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد ، و ظهرت السبح و الهياكل مع التتار ، و الحمد لله وحده » (٢)

و المأثرة التاريخية الثانية هى للشيخ جمال الدين ، و قد انتشر الاسلام بفضل إخلاصه وورعه فى إحدى أسر التتار التى عرفت بأسرة جغطائى التى كانت فى البلاد المتوسطة و كان مركزها كاشغر ، وأسلمت الأسرة بكاملها ، و مما يحكى أن الشيخ جمال الدين كان متجهاً مع جماعة إلى جهة ، وكان التتار يكرهون الفرس ويبغضونهم وما كانوا يقيمون لهم أى وزن ، وكان الشيخ فارسياً ، وصادف ذلك يوم الصيد للأمير تغلق تيمور ولى عهد الأسرة الجغطائية ، وقد كانت مناسبة تتويجه قريبة ،

---

(١) يسميه آرنولد و غيره من المؤرخين « نوروزبيك » .

(٢) البداية و النهاية ج ١٣ - ٣٤٠ .

و معلوم أن الصيد يضم فى طيه أوهاماً ولاسيما الأمراء هؤلاء كانوا يعتقدون بأوهام وخرافات ، فلما رأى الأمير أن الشيخ جمال الدين قد توغل إلى الأرض التى كان قد خصصها للصيد لنفسه أمر بأن توثق أيديهم وأرجلهم ويمثلوا بين يديه ، لأنه تشاءم بهم وتنغص من أجلهم ، و سألهم فى غضب : كيف جرؤوا على دخول هذه الأرض ، و لما علم أنهم من الفرس قال لهم : إن الكلب أغلى من أى فارسى ، و أشار إلى كلبه ، تصوروا كيف يكون المنظر و ماذا تكون حال الشيخ جمال الدين بعد هـذا الكلام ، ولكنه لم يحدث فيه أى تغيير ولا ثورة ، بل إنه أجاب فى هدوء وقال : إنه لا يمكن أن نحكم الآن فى هـذا ، فسأله الأمير و متى يمكن ذلك ، فقال : إن ذلك يتوقف على خاتمتى ، إذا كانت على الايمـان فأنا أحسن وأغلى من الكلب . أما إذا لم أسعد بحسن الخاتمة فلا شك أن الكلب هو أغلى منى .

أثر هذا الكلام الصريح فى قلب الأمير لأنه كان صادراً من القلب فرتع فى القلب ، و كم ذا من الدموع و الدعاء تكون قد تبعت هذه الكلمة ، وكأنه قد قال بلسان حاله : اللهم إليك أشكو ضعف قوتى و قلة حيلتى ، و أنت تملك أن تمنح كلامى هذا تأثيراً فى القلب ، وتلك هى لحظـة قضاء الله فى إسلام الأمير ، لأنه إذا سعد بالاسلام سعد به حظ المسلمين (١) .

وعرض الشيخ على الأمير تغلق تيمور قواعد الاسلام فى غيرة وحماس ، انفطر لهما قلب الأمير حتى كاد يذوب كما يذوب الشمع ، وصور له الكفر بصورة مروعة اقتنع معها بضلال معتقداته وفسادها ، وقال : « لكنى إذا اعتنقت الاسلام الآن ، فلن يكون من السهل أن أهدى رعاياى إلى الصراط المستقيم فلتمهلنى قليلا ، فاذا

---

(١) ذكر « آرنولد » رد الشيخ على الأمير ضمن هذا الحادث و هو أنه قال : نعم قد كنا أخس من الكلب وأبخس ثمناً منه لو أننا لم ندن بالدين الحق » .

ما آلت إلى مملكة أجدادى ، فعد إلى » وذلك أن إمبراطورية جغطاى انقسمت فى ذلك الوقت إلى إمارات صغيرة ، وظلت على ذلك سنين طويلة حتى نجح تغلق تيمور (Tuqluq Timur) فى توحيد الامبراطورية كلها تحت سلطانه ، وجمع كلمتها كما كانت من قبل ، و فى هذه الأثناء كان الشيخ جمال الدين قد عاد إلى بلده حيث مرض مرضاً شديداً ، فلما أشرف على الوفاة قال لابنه رشيد الدين : « سيصبح تغلق تيمور يوماً ملكا عظيماً ، فلا تنس أن تذهب إليه وتقرئه منى السلام ولا تخش أن تذكره بوعده الذى قطعه لى » ولم يلبث رشيد الدين إلا سنين قليلة حتى ذهب إلى معسكر الخان ، و كان قد استرد عرش إمبراطورية آبائه ، تنفيذاً لوصية أبيه ، و لكنه لم يستطع أن يظفر بالمثول بين يدى الخان برغم ما بذله من جهود ، و أخيراً لجأ إلى هذه الحيلة الطريفة : فنى ذات يوم أخذ يؤذن فى الصباح المبكر على مقربة من من فسطاط الخان ، فأقلق ذلك الصوت نوم الخان و أثار غضبه فأمر باحضاره و مثوله بين يديه . وهناك أدى رشيد الدين رسالة أبيه ، و لم ينس تغلق تيمور وعده وقال : « حقاً ما زلت أذكر ذلك منذ اعتليت عرش آبائى ، ولكن الشخص الذى قطعت له ذلك الوعد لم يحضر من قبل ، والآن فأنت على الرحب والسعة ، ثم أقر بالشهادتين ، و أصبح مسلماً منذ ذلك الحين ، و أشرقت شمس الاسلام و محت بنورها ظلام الكفر .

و دعا الملك تغلق تيمور رئيس وزرائه ، و قال له : إننى أحمل فى صدرى سراً منذ زمن ، لقد وقع ما سمعتــه الآن مع الشيخ جمال الدين ، و لا يزال له تأثير فى قلبى ، فقد قضيت أن أسلم فما رأيك ؟ فقال له الوزير أيها الملك : إننى مسلم من زمان ، و كنت أخفى إسلامى ، و قد اهتديت إليه فى إحــدى رحلاتى إلى إيران ، و دعى الوزراء و الأمراء إلى الملك ، و أسلموا بعد ما علموا باسلامه .

هؤلاء التتار لم يكونوا يتمتعون بالعلم و لا بالحضارة ، و لا بدين سماوى تستسيغه عقولهم ، و قد كانوا أخذوا القوانين من المسلمين « ولله جنود السماوات و الأرض » (الفتح ٧) و كان ذلك حكمة إلهية إذ لم يكن بوسع التتار أن يقوموا بتدبير هذه المملكة الواسعة الراقية ، كان هناك مقننون من المسلمين ، ونظام الرى ، و جباته الضرائب ، و أحكام القضـــايا ، و كان لدى التتار قانون محدود للتعزير وضعوه على أساس تجاربهم فى حياة الصحراء المحدودة ، فكانوا فى أشد حاجة إلى المسلمين من قبل ، و كان المسلمون من العلماء و خبراء القانون قد أدوا واجبهم نحو هذه المملكة الواسعة ، إنهم ساعدوهم فى تدبير شئون المملكة ، و طبعوا فى نفوسهم توجيهات الاسلام للحياة و كفاءته الواسعة فى تنظيم المجتمع و الدولة ، إنهم رأوا أن مرحلة الايمان و العقيدة التى كانت تترقب دورها قد تحققت الآن .

وما أن أسلم الملك تغلق تيمور إلا و قد أسرع التتار فى إيران نحو اعتناق الاسلام وتم إسلام الجميع فى عدة أيام ، و كانت الأسرة التتارية الحاكمة فى العراق قد سبقتهم إلى الاسلام بجهود الأمير توزون ، و كانوا يتتابعون فى قبول الاسلام ويتسابقون فى عدد جم يبلغ مئات الآلاف ، و كل ذلك قد تم بفضل مجهودات العلماء و الوعاظ والدعاة المخلصين ، وخاصة بالجهود المخلصة التى بذلها العلماء الربانيون من أهل القلوب ، و تلك حقيقة لايختلف فيها اثنان ، فان التاريخ شاهد عدل على ما قام به أصحاب القلوب المؤمنة هؤلاء من عمل جبار فى سرية و خفاء نحو تحبيب الاسلام إلى هؤلاء التتار ، و استدركوا بذلك ما لقيه المسلمون من هزائم سياسية ، و ما واجهوه من إخفاق فى مجال السياسة ، و قلبوا الوضع ظهراً على بطن .

وقد أشارالبروفيسور هتى (HITTI) إلى هذه الحقيقة التاريخية وصدقها بقوله : « طالما حدث أن « الاسلام الدينى » أحرز نجاحاً كبيراً فى أحرج ساعات

« الاسلام السياسى » (١)

ويقول أحد الفضلاء الهولنديين لوكےگارد (FREDE LOKKE GOARD)

« رغم أن الاسلام أصيب بالانحطاط السياسى مرات كثيرة إلا أن الاسلام الروحانى ما زال متقدماً نحو الأمام (١)

و هـــذا المستشرق الشهير (H. A. R. GIBB) ألقى ذات مرة خطاباً أمام مجلس جامعة أوكسفورد ، فقال :

« طالما شهد تاريخ الاسلام أن الثقافة الاسلاميـة قوبلت بمنافسات شـديدة ولكنها لم تنهزم رغماً من ذلك ، ذلك لأن الأسلوب الصوفى وتفكير العلماء الربانيين أسرع إلى دعمها وتأييدها ، ومنحها قوة لم تصمد فى وجهها أى طاقة مضادة »(٣) .

و لا شك فان هؤلاء التتار يسجلون فى كتاب العلماء الربانيين ، وإن هؤلاء الآلاف المؤلفة الذين غيروا مجرى التاريخ حينما يبعثون يوم القيامـــة ، يعـــدون فى حسابهم ، وأولئك هم الذين ينطبق عليهم قول الحطيئة .

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذى سدوا

ضربت لكم مثلا بالقرن الذى بدأ بأحداث هائلة كانت تهـــدد بقاء الاسلام لكن المسلمين لم يخسروا الهمة العالية إذا كانوا قد خسروا الدولة و المملكة ، وتلك حقيقة ثابتة ، فان الدولة يمكن أن يخسرها المسلمون عشر مرات ، ولكنها تستطيع أن تعود فى المرة الحادية عشرة ، أما الهمـــة إذا خسرها صاحبها مرة واحـــدة فانها لاتعود فى أغلب الأحوال .

---

(1) History of Arabs P, 475 .

(2) Islami Taxtation in the Clanic .

(3) Islamic Culture 1942 P, 265 .

ظل دعاة الاسلام مشغولين بوظيفتهم فى صمت من غير دعاية ، و لا أدرى بما إذا كان المسلمون قد أسسوا حينذاك جمعية لدعوة التتر إلى الاسلام أو نشروا إعلاناً عما إذا أسلم التتار أفاد ذلك عودة المسلمين إلى الحكم المفقود والحصول على السلطة ، لا أعلم أن شيئاً من ذلك قد وجد و لكننى أعلم أن هؤلاء الدعاة قاموا بواجب الدعوة فى هذه الأمة التتارية من غير أن يطلع عليه الناس ، وما هى إلا مدة قليلة إذ فوجئ العالم باسلام الأمة التتارية جمعاء .

إننى مثلت لكم بالقرن السابع الهجرى والثالث عشر الميلادى الذى بدأ بأحداث مروعة أفزعت قلوب المسلمين ، ولو لا أنهم كانوا يتمتعون بقوة العقيدة لهجمت عليهم ردة فكرية و حضارية إن لم تكن ردة إيمانية ، و لكن لم تحدث هناك ردة حضارية و لا فكرية فضلا عن الردة الايمانيه .

وأضرب لكم مثالا آخر للقرن العاشر الهجرى (القرن السادس عشر الميلادى) ولا أتوغل بالمناسبة فى تاريخ العالم الاسلامى الواسع بل أتحدث عن الهند التى أظل عليها أواسط القرن العاشر الهجرى فى ظروف قاسية ، كانت تهـدد حرمان الهند قيادة الاسلام و توجيهاته ، بل كادت تحرم فضل الاسلام ونعمته ، كان يبدو أن ذلك يتم فى ظرف أيام ، إقرأوا تفاصيل ذلك فى كتب التاريخ (١) .

وقد وجدت آنذاك فى العالم الاسلامى مملكتان كبيرتان ، مملكة العثمانيين فى آسيا الصغرى ، و مملكة المغول فى شبه القارة الهندية ، و كانت المملكة الصفوية فى إيران على الدرجة الثالثة ، و قد حدث هنا فى الهند أن عدداً من عباقرة العلماء و المثقفين ـ يتميز من بينهم أبو الفضل و فيضى عن غيرهم ـ انضموا إلى حركة كان يقودها امبراطور عظيم ذو عزم أكيد وذكاء نادر و غزو و انتصار ، وكانت

---

(١) مثلا ـ رجال الفكر و الدعوة « المجلد الرابع » للمؤلف .

وكانت تهدف هذه الحركة إلى تغيير وجهة الهند من الاسلام إلى دين جديد اخترعه الامبراطور « أكبر » وسماه الدين الالهي ، و إلى وحدة الأديان التى كانت الكفة فيها راجحة إلى جانب آخر بصفة دائمة (١) .

كان ذلك بجمعاً خطيراً للقوة المادية و الذكاء النادر أو كانت مؤامرة ضد الاسلام تتولاها مملكة مطلقة ، و عقلية منحرفة يتعذر نظيرها فى التاريخ ، و كان الناس يعلنون جهاراً أن القرن العاشر أوشك على النهاية و القرن الحادى عشر على الأبواب ، وإن ألف سنة ، مدة كبيرة لأى دين من الأديان ، وقد قام رجال من العلماء و المثقفين ، ممن لم يكونوا على جانب كبير من العلم و الورع ، و كانوا يحرصون على المناصب ، فوفروا لذلك دلائل فى ضوء تاريخ الديانات ، و أبثوا أن ديناً لم يدم أكثر من هذه المدة ، وكلما مر عليه ألف سنة حل محله دين جديد و قيادة فكرية جديدة ، و قالوا : إن الدين العربى قد قضى حاجته ، و مر على نبوة محمد ﷺ ألف سنة ، فان الجيل الجديد بحاجة إلى دستور جديد و شريعة جديدة ، وما أكثر الفتن التى تنشأ من فلسفات تتحرر عن قيود الدين والأخلاق!

تصوروا هذا الخطر المتفاقم ، لقد كان حامل لواء هذه الحركة و رمزها ذلك الامبراطور الذى كانت الهند كلها ترتجف أمام سيفه ، الذى كان قد ذلل كل

---

(١) إن هذه الحركة التى أسست على التسامح والصلح الكامل لم تكن عادلة فى حق الاسلام فرجحت فيها طبعاً كفة الديانة و الفرقة التى كانت ذات تأثير فى البلاط و يميل إليها الامبراطور ، فقد اعترف مؤرخو « تاريخ الهند بايجاز» و، « مورليند ، و ا ، س ، « جترجى : بأن قوانين البلاط الأكبرى كانت أقرب إلى الديانة الهندوكية منها إلى دين الاسلام و أكثر حماية لها .

عقبة كاداء ، وما كان يعرف للهزيمة و الفشل معنى ، كان دم الشباب و القوة يجرى فى عروقه و شرايينه ، ويقتفى آثار آبائه و أجداده فى حل المشكلات و الطموح إلى المعالى . فبينما هو إمبراطور إذا هو عبقرى ، خلف وزراءه كتابات تشهد بعبقريته و فرط ذكائه .

فـــــــــــــــــــماذا كان ! حلت أواخر القرن العاشر تحمل فى طيها دلائل ثورة ضد الاسلام و تنبئ أن الاسلام لم يعـــد له قرار فى هذه البلاد ، ويكاد يودع أهلها ، الأمر الذى يعنى أن السلطة الدينية والروحية تكاد تنتقل من أهلها إلى طاقات و فلسفات جديدة مع انتقال السلطة السياسية إلى غير أهلها ، إن هذه الثورة كادت تقضى على تلكم المجهودات التى بذلها الغزاة المغامرون لفتح هذه البلاد منذ عدة قرون ، و فى جانب آخر كانت تضيع ثمار ذلك الجهاد الذى قام به الشيخ معين الدين الجشتى و خلفاؤه المخلصون ، أولئك الذين وجهوا من داخل زواياهم إلى أرواح سعيدة ، دروس الانسانية و الحب والمساواة والعدالة الاجتماعية ، و أشرفوا على الحكومـــة الحاضرة دينياً و خلقياً من خارج زواياهم . و هيأوا للدولة و المجتمع أفراداً صالحين أقوياء أمناء ورعين محبين للانسانية ، و نفخوا فى حركات البلاد العلمية و التربوية روحاً جديدة (١) .

ثم ماذا حدث ؟ لقد طلع نجم من زاوية الايمان والاخلاص و العلم والحكمة وحدها التى ظلت متدفقة بالحيـــاة و النشاط على الدوام ، و إنه لم يطلع من أفق مادى أو سياسى ، و قد عرف باسم الشيخ أحمد السرهنـــدى مجدد الألف الثانى

---

(١) للاطلاع على التفاصيل راجعوا « تاريخ مشايخ الجشت » للبروفيسور خليق أحمد نظامى . و كتاب « نظام تعليم و تربية المسلمين فى الهنــد » للشيخ مناظر أحسن الجيلانى .

(٩٧١ ـ ١٠٣٤هـ) ذلك الرجل العظيم الذى تحدث عنه محمد إقبال الشاعر الاسلامى فقال ما معناه :

« ذلك الرجل الكبير الذى نهض لصيانة تراث الدين ، و أكرمه الله تعالى بالعلم والمعرفة ، ذلك الذى لم يحن رأسه أمام الملك جهانكير ، ونفخ فى الأحرار روحاً وثابة من الايمان و الحنان » .

ولمقاومة تلك المؤامرة ضد الاسلام التى دبرها عباقرة ذلك العصر يقوم رجل فقير فى إحدى زوايا « سرهند » و يعتزم أن ذلك لا يكون ، إنه تساءل نفسه ، فقال لماذا يحرم المسلمون فى هذه البلاد أن يعيشوا أحراراً أعزاء متمسكين بشعائرهم الدينية و لماذا يضيق عليهم وحدهم مجال الحياة ؟ ؟ .

فماذا كانت النتيجة ؟ لما بدأ القرن الحادى عشر الهجرى رأى العالم أن الأوضاع تغيرت و أن مستقبل الاسلام فى هذه البلاد أصبح مضموناً إلى ما بعده بقرون ، قام هذا الرجل العظيم من سرهند لدحض الأباطيل والمغالطات العلمية والاشراقية التى عمت ضد حاجة و بقاء النبوة والرسالة المحمدية وضد مكانة الشريعة ودوام السنة ، و أعاد ثقة الناس إليها (٢) كما سد منافذ هذا الخطر الكبير و وضع عليه حداً بحكمة عملية ، من غير إعلان أو استنكار ، و لم يحاول تنظيم قوة ضد الامبراطور « أكبر » لقد تفطن بدراسته التاريخية و بصيرته القرآنية أنه يخفق أيما إخفاق إذا أبدى خصومته له ، وتمثل أمامه كخصم ، و سوف لا تنفتح له طرق العمل ، فينبغى له أن يدعو الله و يجمع حوله مخلصين أكفاء و يتناولهم بالتربية الشاملة التى تنجو بهم من مزالق المال والحكم و تجعلهم بحيث لا يطمحوا إلى الجاه والمنزلة

---

(٢) من أراد التفصيل فليراجع « رجال الفكر و الدعوة » للمؤلف ج ٤ الباب الخامس .

إنه فكر فيما إذا عاطب قلوب الأمراء المسلمين الذين كانوا يشغلون مناصب عالية في بلاط جهانكير و حكومته ، و إذا كتب إليهم يذكرهم بمسئوليتهم نحو الاسلام الذي يمر بمرحلة خطيرة في الوقت الحاضر ، حتى يقوموا بدورهم بأسلوب على فكرى بناء ، وبثقة من القلب و يقين منه .

إنه فكر في ذلك و بدأ يراسل هؤلاء الأمراء الذين تطول قائمـــة أسمائهم ، و يجدر بالذكر منهم عبد الرحيم خان خانان ، و الأمير مرتضى خان (سيد فريد) فكانت النتيجه أن الوضع تغير في ظرف ١٥ـ٢٠ عاماً ، وأضحى مسلمو الهند موضع اهتمام العالم الاسلامى كله في الروحانية و علم الحديث و حتى في لغة العرب ، التي كانت تختص بالبلاد العربية وحدها ، و إن المكانة التي حظيت بها الهند في خدمة العلوم الاسلامية و وجود رجال العلم و الدين الكبار فيها إنما يرجع الفضل في ذلك إلى هذه الجهود المخلصة التي بذلها الامام السرهندى ، و ظلت مصابيح العلم و التحقيق تتوقـــــد في أرجاء هذه البلاد ، و ظهر بعد مدة الامام أحمد بن عبـــد الرحيم الدهلوى (١١١٤ ـ ١١٧٦هـ) الذى أسس علم كلام جديد ، وقام بشرح وإيضاح معنى نظـام الخلافة وعرض مخطط الحكم الاسلامى الصحيح الذى لم يسبق له نظير فيما أظن ، مع ما بذل من محاولات لانقاذ الحكومة الاسلامية في الهنـــد ـ التى لم يكن لها بديل في ذلك الوقت ـ من الوضع المنهار ، و بعث روح جديدة في جسمها ، ذلك أن سقوطها وضعفها كان يهـــــدد بخطر الاضطراب الكبير خلقياً و سياسياً (١) .

و قام أبناؤه الموفقون الأفاضل (وفى مقدمتهم الشيخ عبد العزيز رحمه الله) بنشر علوم الكتاب و السنة في هذه البلاد و إنشاء ذوق لدراسة القرآن و تفهم

---

(١) لمزيد التفصيل راجع « المكاتيب السياسية » للبروفيسور خليق أحمد نظامى .

معانيه ، و خدمة جليلة للحديث الشريف و إصلاح العقائد و الأعمال و التقاليد .

كانت حركة الاصلاح و الجهاد و إحياء السنة و الخلافة الجليلة التى قادها الامامان الشهيدان أحمد بن عرفان الشهيد (١٢٤٦هـ) و محمد إسماعيل الشهيد (١٢٤٦هـ) فى هذه القارة الهندية ، حلقة متينة ذهبية لهذه السلسلة الذهبية ، و قد وفقت هذه الحركة الجليلة لتقديم نماذج من السيرة الاسلامية و الحبة الدينية و تربية الانسان و صناعة الرجال ، جددت ذكرى القرون الأولى ، إن هذه الجماعة تابعت جهودها على جبهة الدعوة و الاصلاح الواسعة التى يتعذر نظيرها فى تاريخ العالم الاسلامى سابقاً (١)

ثم جاء عهد المدارس الدينية ، و تأسست مدرسة دار العلوم بديوبند ، و مدرسة مظاهر علوم بسهارنفور ، و دار العلوم ندوة العلماء فى لكهنؤ ، وغيرها من المدارس الاسلامية فى أنحاء البلاد التى قامت على أساس الكتاب والسنة ونشر تعاليمها (٢) و قد تم بجهود مؤسسى هذه المدارس الكبار و أفاضلها المخلصين و الراسخين فى العلم إصلاح العقائد و الأعمال على أوسع نطاق ، و نشأ ذوق دينى و غيرة إسلامية فى الناس ، و أسهم منهم عدد وجيه فى حركة تحرير البلاد و النشاطات العلمية و الأدبية ، و من أجلهم أخفق مبدأ فصل الدين عن الدولة (شأنه فى بعض البلدان الاسلامية) و لم تستغن جماهير هذه البلاد و الطبقة

---

(١) راجع للتفصيل « حركة الهند الاسلامية الأولى » للاستاذ المرحوم مسعود الندوى » وكتاب « الامام الذى يوف حقه من الانصاف و الاعتراف » بقلم المؤلف .

(٢) للاطلاع على تفاصيل هذه المدارس راجع كتاب المؤلف « المسلمون فى الهند » وهو استعراض تاريخى .

المثقفة عن قيادة العلماء و توجيهات أهل الدين فضلا عن الثورة ضدهم .

وبفضل جهود هؤلاء العلماء العلمية تمتعت الهند بمركزية دينية حتى إذا أراد أحد في اليمن و المراكش و غيرهما من الدول الاسلامية أن يبرع في الحديث الشريف ويتخرج فيه ، أم الهند ، وكذلك من أراد منهم أن يكمل تربيته الدينية والتزكية النفسية و يتدرج إلى مدارج الروحانية العليا توجه إلى الهند ، ظهر الشيخ خالد الرومى في الجزء الشمالي للعراق و الشام الذي كان ضمن تركيا ، و أتم دراسته الدينية في « شهرزور » و « دمشق » و لكنه لما أراد أن يطفئ ظمأه الروحي و يقوى إيمانه بأوامر الله و حقائقه الغيبية مثل الايمان بالبديهيات و نتائج الرياضي . قصد الهند . و وصل من بلده « شهرزور » إلى دهلي رأساً ، و نزل في زاوية الشيخ غلام علي (م١٢٤٠هـ) و لازمه حتى أذن له بعد تكميل دروسه الروحية بالعودة إلى بلده . و أفاد الخلق بعلمه و أخلاقه و الحقائق الدينية في بلدان العراق والشام و تركيا ، و نفخ فيها روحاً جديدة لا تزال لها آثارها .

إن حديثي هذا و إن كان محدوداً إلى ذكر حركات الهند الاصلاحيـــــة والتجديدية إلا أنه لا بد بالمناسبة من ذكر بعض الحركات الدينية التي قامت خارج الهند ، و خاصة حركة تطهير العقائد و دعوة الدين الخالص الكبرى التي قامت في مركز الاسلام (الجزيرة العربية) و أسسها الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦هـ) الذي عاصر شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى في الهند (١) ، وقد كسبت دعوته هذه — نظراً لأسباب تاريخية وسياسية خاصة —

---

(١) شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب سن شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم تقريباً ، إذ أن الشيخ الدهلوى ولد في (١١١٤هـ) والشيخ عبد الوهاب

نجاحاً لم يلقه كثير من الدعاة والمصلحين ، فقد نشأ نتيجة لها جيل مستقل ، ومملكة واسعة ، و مدرسة فكرية بلغ تأثيرها إلى أنحاء بعيدة ، وفى نفس هذا العصر ولد فى اليمن العلامة محمد بن على الشوكانى (١١٧٢ -١٢٥٠هـ) وفى «عسير» أحمد بن عبد الله بن إدريس الحسنى مؤسس السلسلة الادريسية ، و فى ليبيا السيد محمد بن على السنوسى (١٢٠٦ - ١٢٧٦هـ) (١) الذين قاموا فى بلادهم بمهمة إصلاح العقائد و التقاليد ، و نشر الكتاب و السنة ، وتربية الجهاد و السيرة النموذجية ، و يحاول مستشرق الغرب إثبات أن هؤلاء المصلحين كلهم من نتائج حركة و دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه مباشرة أو بواسطة ، ولكن لا دليل عليه ، إن العقلية الغربية عاجزة عن تفهم هذه الحقيقة ، وهى أن دراسة الكتاب والسنة الواعية أنجبت فى كل عهد شخصيات إصلاحية بارزة واجهت الأوضاع الفاسدة و الأفكار الزائغة بشجاعة ، و ستمتد هذه السلسلة إلى يوم القيامة ، و برز بعد ذلك بقليل إلى ساحة العمل والدعوة العلامة السيد جمال الدين الأفغانى (م ١٣١٤هـ - ١٨٩٧م) فنفخ فى صور الغيرة الاسلامية و وحدة العالم الاسلامى الذى ارتج به الوطن الاسلامى من مصر و الشام و تركيا ، لقد أسهم هو وتلميذه النجيب المفتى محمد عبده المصرى (م١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م) فى إيقاظ الوعى الفكرى لدى الشباب

☀ من مواليد (١١١٥هـ) و للاطلاع على أحوال الشيخ محمد بن عبد الوهاب و ترجمة حياته راجع كتاب « محمد بن عبد الوهاب ، مصلح مظلوم » للاستاذ المرحوم مسعود الندوى .

(١) المجاهد الشهير و المصلح الكبير سيدى أحمد الشريف السنوسى (الامام السنوسى) كان حفيد الشيخ محمد بن على السنوسى الذى أبلى فى حرب طرابلس و برقة ضد الطليان بلاء عظيماً ، و ظل يقاوم إلى مدة ١٣ عاماً -

المسلم القلق الذكى إسهاماً كبيراً (١) .

أما ما يتصل بالقرن الرابع عشر الهجرى فانه من وجهة نظر المسلمين قرن الانتصارات والاخفاقات ، و الأخطاء و تداركها ، وقرن بساطة الشعوب الاسلامية و اغترارهـا ، و قرن الوعى و اليقظة السياسية ، و قيام دول و حكومات مسلمة كثيرة ، و قرن حركات إسلامية قوية متعددة ، فان هــذا القرن يجمع من تنوع الحوادث و الوقائع و تناقضها ما يتعذر نظيره فى القرون الماضية

لما ابتدأ القرن الرابع عشر كانت الخلافة العثمانيـة موجودة بسعتها و قوتها ، وكانت ظلال الخلافة الاسلامية تظل المسلمين ، وكان السلطان عبد الحميد خان الثانى (١٣٢٧ - ١٢٩١هـ-١٩٠٩ - ١٨٧٦م) متمكناً من عرش الخلافة . الذى ظل هدفاً

ـــ هذه القوة الكبرى بنجاح كبير و قوة صامـــدة ، لقد جمع بين السلاح و السبحة و السيف و المصحف فى وقت واحد ، كان يعتبر من كبـار المربين فى عصره ومن أولياء الله ، توفى بالمدينة المنورة فى عام (١٣٥١هـ ١٩٣٣م) وللاطلاع على التفاصيل راجع كتاب «حاضر العالم الاسلامى» للأمير شكيب أرسلان ج ٢ .

(١) منذ سنوات عديدة ماضية أصبحت كلتا الشخصيتين (الأستاذ والتلميذ) موضوع البحث و النقد ، و نشرت الجرائد و المجلات العربيـة مقالات و ألقيت محاضرات فى الندوات العلمية ضدهما مما قلل عظمة الشخصيتين و لم تعد كما كانت قبل اليوم بربع قرن ، و لـكن الواقع الذى لا ينكر أنهما مثلا دوراً رائعاً فى إعادة ثقة الشباب المسلم بكفاءة الاسلام وفكره ، ومن أراد التفصيل فليراجع كتاب المؤلف « الصراع بين الفكرة الاسلامية و الفكرة الغربية فى الأقطار الاسلامية » .

للنقد والطعن إلى أواسط القرن العشرين ، و إن المؤلفين الغربيين ركزوا أقلامهم على تشويه وجهه ، و لكن البحوث والدراسات التاريخية التي نشرتها بعض المجلات العربية و التركية الموقرة ، أثبتت في ضوء مذكراته أنه كان خليفة ذا حمية وغيرة إسلامية كبيرة ـــ رغماً من بعض خصائصه الطبعية ومواضع الضعف التي قد تكون خصيصة للملكة الموروثة و رد فعل للخالفات الداخلية و الخارجية و المؤامرات التي دبرت ضده من كل جانب ـــ لم تكن تستطيع القوى الغربية في عهده أن تنجح في توزيع تركيا واحتلال اليهود في أي جزء من فلسطين ، و هو الذي رفض بازدراء كل ما تقدم به الوفد اليهودي الممتاز إليه من مساومات و رشى ، و قال لهم ، و قد حمل حفنة من تراب الأرض : أنتم تريدون مني بيت المقـــدس ، و أنا لن أرضى باعطائكم مثل هذه الحفنة من تراب فلسطين (١) ، وهو الذي أنشأ في جسم الخلافة الاسلامية روحاً جديدة و في العالم الاسلامي حماساً جديداً للوحدة الاسلامية و « الجامعة الاسلامية » .

إن الدولة العثمانيـــة التي كانت تتشرف بتولي الحرمين الشريفين و شرف الخلافة الاسلامية كانت حصاراً حديدياً للقدسات الاسلامية والدول العربية ومنبع قوة وعزة الأمة الاسلامية ، أينما تكون . رغم ضعفها والفتن الداخلية والخارجية و المؤامرات المروعة التي كانت تحيط بها ، فلم تكن هذه المقدسات و الدول العربية ـ التي كان يتعلق بها حظ المسلمين وعزتهم ـ لكي توزع كمال اليتيم ، إن الدولة العثمانية كانت تمتد و تتسع في بداية هـــذا القرن إلى اليمن وعسير شرقاً ، و في أوربا إلى أدرنة و ألبانيـــا ، و في إفريقيا إلى طرابلس و تونس و فزان غرباً ، و إلى

(١) حدثني بذلك سماحة المفتي المرحوم محمد أمين الحسيني عدة مرات ، و هو من أوثق رواة هذا الموضوع .

أسوان و مصر، و برقة جنوباً ، و إلى بلغاريا و دويلات بلقـــان ، طرابزون و أدريانوبل شمالا ، و كانت الدولة العثمانية تتضمن معظم أجزاء آسيـا الصغرى كالشام (و ضمنها كانت فلسطين الحالية و لبنان و الأردن) و مصر ، والجزيرة العربية و العراق والقبرص ، و لم تكن أوربا كذلك بمعزل عن سلطة هذا « الرجل المريض » (١) .

و لكن المسلمين لم يقدروا هذه النعمة ، التى كان الله سبحانه قد أنعم بها عليهم فى صورة الخلافة وإمبراطورية مسلمة واسعة ، إن عزل السلطان عبد الحميد خان فى عام ١٩٠٩م لم يكن حادثاً ذا شأن يغير مجرى التاريخ ، و يمكن أن يكون ذلك نتيجـــــــة الأوضاع السياسية فى ذلك الوقت أو نتيجة المؤامرات و الدسائس ضد السلطان ، و قد تتابع على عرش الخلافة بعده السلطان رشاد و السلطان وحيد الدين خان والسلطان عبد المجيد ولكن الحادث المؤلم الذى نكب به العالم الاسلامى كله و أهين ، والذى خسر من أجله المسلمون بيت المقدس ، و كما يقول العلامة شبلى النعمانى : تطلع المستعمر نتيجة له إلى الحرم أيضاً » هو احتلال الاستعمار الغربى فى الدول العربية كمصر والشام العظيمة الواسعة و العراق ، و الجزء الشمالى لافريقيا إما مباشرة أو بواسطة ، و يبدو أن مدة هذا العقاب (خاصة فيما يتعلق بالدول العربية فى آسيا الغربية) لم تنته بعد ، لقد كان إقداماً عجيباً ضد الأتراك تولاه العرب لما وقعوا فريسة مؤامرة الأقلية المسيحية الداهية التى كانت تقطن فى الدول العربية و وثقوا بمواعيد الاتحاديين الخداعة ، وسحروا بسحر القومية العربية بمناسبة الحرب الكونية الأولى فى عام ١٩١٤م ، و كان قائده شريف حسين ، شريف مكة ، الذى

(١) إن المؤلفين و السياسيين الأوربيين يسمون المملكة التركية والأمة التركية بالرجل المريض (Sick Man) .

رفع السلاح ضد الأتراك فى ١٠ يونيو ١٩١٦م ، و تحررت الشام و فلسطين من سلطة الأتراك كنتيجة له فى عام ١٩١٧ م و تمت السلطة البريطانيـــة على مصر ، و احتل الانجليز بيت المقدس فى ٩/ ديسمبر ١٩١٧م ، و فى أول أكتوبر لعـام ١٩١٨م دخل الأمير فيصل نجل شريف حسين والجنرال النبى منتصرين فى دمشق ، و اتجـــه الجنرال الفرنسى غورو إلى قبر فاتح بيت المقـــدس و عزة الاسلام السلطان صلاح الدين الأيوبى (رحمـه الله) و ضربه بحذائه قائلا : لقد انتصرنا اليوم يا صلاح الدين و دخلنا عقر دارك ، فالى متى تنام أنت ؟ و مع نهاية شهر أكتوبر ١٩١٨م كانت الجزيرة العربية و الشام و لبنان و العراق و دول العرب كلها قد خرجت من أيدى الأتراك و تم عليها تسلط الاتحاديين .

لقد كان العالم الاسلامى كله قلقاً بهذا الوضع والمسلمون مهانين ، ولكن مسلمى الهند أحسوا بهـــذا القلق أكثر من الجميع و تظاهروا باضطرابهم القلبى و الفكرى ، فى نفس هذا الوقت قامت حركة الخلافة فى الهند (التى كانت تعتبر أكبر حركة شبه دينية و شبه سياسية فى هذا القرن) وهزت الهند كلها بقيادة العلماء المسلمين وقادتهم كالشيخ عبد البارى الفرنجى محلى ، و شيخ الهند مولانا محمود حسن الديوبندى ، و مولانا أبو الكلام آزاد ، و مولانا محمد على جوهر ، و مولانا شوكت على ، و مولانا ظفر على خان و غيرهم من العلماء و القادة الذين يندر نظيرهم فى العالم الاسلامى كله فى قوة الشخصية و الغيرة الاسلامية ، و الحماس الخطابى ، و بهذه المناسبـــة سالت قلوب المسلمين دماً ، و تفجر شعورهم الملى كالبركان ، إن هذه الحركة العملاقة أنشأت فى الهند كلها مسلمين وغيرهم ، وعياً سياساً وكراهية شديدة للسلطة الغربية و الحضارة الغربية ، حتى الزعيم غاندى إنما أيد هذه الحركة تأييـداً كلياً ، و قام مع زعمائها بجولات واسعة على مستوى عموم الهند .

و لكن لما أعلن مصطفى كمال باشا (كمال أتاتورك) فى ٣/ مارس ١٩٢٤م نهاية الخلافة مادت بالمسلمين الأرض و أظلمت عليهم الدنيا ، و فى هذه المناسبة بالذات قال الشاعر محمد إقبال ما معناه .

« لقد شق التركى الجاهل خلعة الخلافة ، ما أشد المسلم سذاجة و عدوه دهاءاً » .

كان هذا العصر مدهشاً مؤلماً للعالم الاسلامى ، و كان مماثلا فى شئ كثير بالنصف الأول من القرن السابع الهجرى الذى قضى فيه التتار على السلطة الاسلامية بالهجوم على بلدان العالم الاسلامى المركزية المخصبة ثم باحتلالهم فيها ، و أبدلوا عزة المسلمين بالذل و العار ، ولكن ذلك لم يكن إلا غارة عسكرية لشعب شبه متوحش لم يصمد فى وجهه العالم الاسلامى المتمدن المترهل ، و لم تكن ترافقه فلسفة فكرية ، و حضارة جديدة و أفكار و قيم جديدة ، و لكن غارة الأمم الغربية و بلدانها التى تمت فى الثلث الأول للقرن الرابع عشر الهجرى و أوائل القرن العشرين الميلادى اختلفت عنها كلياً فقد رافقتها فلسفات جديدة ، و نظام جديد للتعليم و التربية . و أفكار و قيم جديدة ، و جيش هائل جديد للالحاد و التشكيك و مذهب جديد للمادية .

و مما زاد الطين بلة أن الثورة البلشفية حدثت فى مارس ١٩١٧م ، التى لم تكن تتناول التاريخ و الجغرافية و الخريطة السياسية بالتغيير و التحريف فقط ، و لم تكن مقصورة فى مجال الاقتصاد و السياسة فحسب إنما كانت تهدم أسس العقيدة و العمل و الأصول و المبادىء و الأخلاق و المجتمع بل أساس الحياة الانسانية و الشعور الانسانى بأسره لكى تقيم على أنقاضه بناءاً جديداً ، و كانت تهدف الاسلام والمسلمين بأضرارها و ضرباتها أكثر من أى شئ ، أولئك المسلين

الذين كانوا من اتبـاع و دعاة دين إيجابي واضح و خاتم للاديان كلها ، و الذين كان واجب « احتساب الكون » من بين واجباتهم الدينية ، وحقائق دينهم ، ومع الأسف لم يكن هناك من يشعر بهذا الخطر الداهم فى وقته و يقاومـه إلا قليلا ، وإنهم لم يثبتوا فراستهم الايمانية التى كانت تتوسم أقل الأخطار قبلها ، ولقد شعر بخطر «البلشفية» شعوراً صحيحاً فى غربى العالم الاسلامى المؤمن المجاهد الغازى المرحوم أنور باشا وزير حرب تركيا سابقاً الذى أسس جبهة قوية ضد الشيوعيين بتنظيمه سكان تركستان ، وقد وقعت عدة اشتباكات بينه و بين البلشفويين فى الفترة بين ١٩٢١م ١٩٢٢م ، و فى ٤ أغسطس ١٩٢٢ شن غارة بمقربة من قرية « شكن » عـلى كتيبة من القوات الروسية و كان عددهم كبيراً فاستشهد فى هذه الغارة أنور باشا رحمه الله ، صادف ذلك يوم الجمعة ٧ من شهر ذى الحجة ١٣٤٠هـ على الأغلب (١)

هذه الثورة البلشفية لم تشمل دول آسيا المتوسطة الخصبة التاريخيـة ذات السكان المسلمين ، و تركستان الروسية و الصينية وحدها و لم تهددها بالردة الفكرية والحضارية فحسب بل جعلت أجيالها الصاعدة فى مواجهة الردة الايمانية والعقائدية ، وأصبحت تعيد تاريخ الأندلس الذى حدث فى القرن التاسع ، بل الواقع أن الدول العربية و مركز الاسلام ـ عدا هذه القارة التحتانية ـ أجبرت على مواجهة هذا الخطر الكبير و على الحكم بأن تكون مناصرة حليفة لها أو معارضة ضدها ، وقد بلغ الأمر ببعض الدول العربية (٢) إلى أنها لم تكتف باستيراد السلاح والصناعات

---

(١) للاطلاع على تفاصيل دوافع أنور باشا الاسلامية و خدماته الجليلة راجع مقالة الأمير شكيب أرسلان الرائعة (الذى كان يعرفه معرفـة شخصية) على حاشية كتابه « حاضر العالم الاسلامى » .

(٢) كالشام و العراق و اليمن الجنوبية .

الجديدة منها بل استوردت فلسفتها و أيدولوجيتها ، و تحمست فى حمايتها والدعوة إليها ، وبالأمس القريب تم لها الغزو العسكرى فى أفغانستان التى كانت تعتبر معدن الشجاعة الاسلامية والحمية الدينية ، والتى هيأت للهند فى كل عهد إداريين أكفاء ، و الحكام و القادة و العلماء الربانيين ، و كانت حصنها الخارجى و حارس حريتها الأمين . و هكذا وصلت هذه الفتنة العالمية إلى أبواب شبه القارة الهندية .

ومن خلال هذا الظلام الحالك الذى عم أواسط القرن الرابع عشر الهجرى حينما لم يكن يتراءى بريق أمل فى العالم الاسلامى من أقصاه إلى أقصاه بدت تباشير يقظة جديدة كما صورها إقبال فى شعره الذى معناه :

« جرى دم الحياة فى شرايين الشرق الميتة ، إنه لسر لا يستطيع أن يدركه سينا و الفارابى ، والواقع أن موجة الغرب الهائلة بعثت فى المسلم حياة من جديد ، و من تلاطم أمواج البحر ترتوى الأصداف ذات الدرر » .

نشأ فى العالم الاسلامى وعى سياسى بشكل بارز فى جانب و رفعت أعلام الحرية و الاستقلال ضد الاستعمار الأجنبى فى البلدان المتعددة ، مما أنتج استقلال مصر و الشام (بجميع أجزائهـــا) و العراق و ليبيا ، و تونس ، و الجزائر والمغرب ، و قامت فى أفريقيا دول مسلمة جديدة ، و تحررت إندونيسيا وماليزيا وتكونت مملكة باكستان الاسلامية العظيمة ، وأسهم مسلمو الهند فى حرب التحرير و قدموا فيها تضحيات غاليـة كانت دليلا على وعيهم السياسى وحبهم للوطن ، حتى برزت على خارطة العالم السياسى أكثر من ٤٥ دولة مسلمـــة مستقلة ، ٢٤ منها تتمتع بعضوية الأمم المتحـدة و تخفق أعلامها على مبنى الأمم المتحـــدة الشامخ كما يتمتع المسلمون بوزن خاص فى الأمم المتحدة ، و فى المشكلات والمذاكرات العالمية ، و فى كفـــة ميزان العالم السياسى أيضاً ، و لو أن هؤلاء المسلمين نضج

وعيهم السياسى و نشأ فيهم شعور بقوتهم السياسية و تمت لهم الوحدة، لاستطاعوا أن يكفوا ألواناً من الجور والظلم، وساعدوا كثيراً من الشعوب المضطهدة والدول الضعيفة، ولو أن الله سبحانه رزقهم قادة مخلصين متعففين، أو أكرم زعماء حكوماتهم بالتوفيق والهداية، لاستطاعوا أن يؤسسوا دولة إسلامية صحيحة فى بلدانهم الاسلامية و مناطق نفوذهم، وينفذوا النظام الشرعى ويطبقوا القوانين الشرعية، واستطاعوا أن يقيموا فى حدود دولهم و أقطارهم مجتمعاً إسلامياً نموذجياً، وبيئة فاضلة خلقية وروحانية ذات طاعة ومسئولية، لا يوجد لها أمثلة إلا فى صفحات التاريخ بمسافة قرون، و قطع منها العالم أمله بتاتاً وحتى المسلمين أنفسهم أغفلوها و استغنوا عنها، وهى تكفى اليوم أيضاً لكى تنبه الفكر الانسانى وتجبر المعسكرين الشرقى والغربى على على التفكير فى القضية، و أن تمهد لنشر الاسلام طريقاً جديداً.

كذلك إذا عزم المسلمون على استعمال وزنهم و أهميتهم السياسية فى محلها وأحسوا بمسئولياتهم و واجباتهم إحساساً كاملا لاستطاعوا أن ينقذوا تلك الانسانية التى يمتلك مصيرها المعسكران الشرق والغربى بزعم منهما، و إنهم فى الهند كذلك لا يستطيعون أن يصونوا حقوقهم الملية لحسب بذكائهم و تضامنهم و قوتهم الخلقية بل يتمكنون من منحها قيادة خلقية و روحية مع إنقاذها من ذلك الدمار العام الذى يخطو إليها بخطوات حثيثة من أجل القلق السياسى المتزايد وأزمة الأخلاق.

هذا و قد نشأت فى العالم الاسلامى حركات ثورية فكرية و إصلاحية على نطاق أوسع و أقوى يتعذر وجود نظيرها فى سعتها و قوتها فى الأمس القريب، و من مزايا هذه الحركات الباعثة على الأمل أنها تصلح للتأثير فى طبقة الخاصة و الأذكياء (Intellectuals) و توفير معلومات علمية واضحة جذابة لاقناعها وإعادة ثقتها بالاسلام فى جانب، و فى جانب آخر فان نطاقها فوق الحدود الجغرافية

وهى تغطى مساحة واسعة فى العالم الاسلامى ، كما أن لها جانباً لامعاً آخر يسترعى الانتباه و هو أن الشباب المثقف لأول مرة فى التاريخ لم تعجب بها فحسب بل إنها تحمست فى الدعوة إليها و الانتصار لها أكثر بالنسبة من سبقهم من الشباب المسلم ، و نستطيع أن نضرب لذلك مثلا بحركة « الاخوان المسلمون » فى مصر ، و الحركة النورية فى تركيا ، و حزب التحرير فى الأردن و فلسطين ، و حزب ماشومى فى إندونيسيا ، و دعوة التبليغ العالمية فى القارة الهندية والجماعة الاسلامية فيها ، و يمكن أن لا يوافقها أحد مأة فى المأة إلا أنه لا يمكن أن ينكر ما لها من التأثير و السعة و القبول ، كما أن لشعر محمد إقبال القوى وفكره المشرق (الذى يفوق فى القوة والتأثير والشمول بين الأدب الاسلامى وشعره ، فى القرون السابقة) سهماً كبيراً فى بعث الايمان و الهمة و الاباء بين الشباب المسلم و الطبقة المثقفة .

لقد أظل القرن الخامس عشر الهجرى العالم كله . و إن الأمة الاسلامية والعالم الاسلامى إن لم يكن لهما حظ فى هذا التراث العظيم وهذه الثروة الهائلة من العقيدة والفكر و العلم والسياسة و الطبيعة و الانسان ، و هذه الحركات القومية والدول المستقلة الكثيرة ، والممالك الواسعة التى أشرنا إليها بايجاز لم يكن هناك مبرر لليأس ولا داع إلى التشاوم ، لأن لديهما صحيفة الله القرآن الكريم ، و رسالته الأخيرة الخالدة الاسلام ، اللذين ينفخان فى جسم الأمة الميت و قلبه الهامد روحاً من حياة جديدة فى كل زمان ، و يأتيان بالعجائب و المعجزات .

ثم إن المسلمين هم وحدهم موئل آمال الانسانية فى هذا العصر ، وحرسة رسالة الله الأخيرة و أمناء البشرية ، و لعل هذا القرن يكون نقطة تحول حاسمة ذات تأثير عميق فى العالم البشرى كله ، فلا ينبغى أن نيأس من روح الله ، فان شقاء الانسانية وذلة الانسان بالغان إلى آخر المدى ، الساعة التى تتحرك فيها رحمة الله و غيرة الرب ، و يواجه فيها العالم ثورة كبيرة .

« إن الحضارة الغربية أشرفت على الانهيار . و آذنت بالأفول و الزوال ، إنها لا تعيش ولا تواصل سيرها بمجرد قوتها الذاتية ، و جدارتها للحياة و البقاء

بل لأنها ليست فى هذا المجال ـ من تعاسة الحظ ـ حضارة تحل محلها وتسد فراغها ، إن جميع الحضارات المعاصرة و القيادة الحديثة اليوم لا تعدو نوعين ، إما هى مقلدة جامدة و صورة باهتة للحضارة الغربية ، وإما هى ضعيفة هزيلة ، مريضة سقيمة ، منسحبة منهزمة ، لا تستطيع أن تواجه هذه الحضارة أو تقف معها جنباً إلى جنب ، فاذا قامت هذه الدول الاسلامية ، والعالم الاسلامى بصورة عامة لسد هذا الفراغ الذى سيحدث بعد نهاية هذه الحضارة و انسحابها عن مسرح القيادة رد إليه منصب قيادة الجنس البشرى ، و توجيه الشعوب المعاصرة مرة ثانية ، المنصب الذى لا يفوض إلا إلى أمة فتية قوية أبية تحمل كل عناصر البقاء والاستمرار و التقدم و الازدهار ! سنة الله فى الأرض « و لن تجد لسنة الله تبديلا . »

فلينظر هؤلاء القادة و الحكام ما هو أولى لهم و أجدر بشأنهم ، التمسك بأذيال الغرب و الوقوف على بابه كالشحاذين ، أم منصب قيادة الانسانية و هداية الشعوب الضالة التى لا كرامة ـ بعد النبوة ـ مثل هذه الكرامة ؟ ذلك المنصب العالى السامى الذى تتلاشى عنده جميع هذه الألقاب و الشارات ، و الشعارات والهتافات والمناصب الرفيعة ، و الحياة الناعمة المريحة و الاغراءات المادية الجنسية ، إنها سلعة غالية لا يخسر بها المشترى ، و لو ضحى بنفسه مأة مرة (١) » .

ويحلو لى أن اختم هذا الاستعراض السريع وهذه الرسالة المخلصة بأبيات للشاعر الاسلامى محمد إقبال ، دافقة بالقوة والروح ، وقد خاطب فيها المسلم فقال مامعناه :

« قد آن لبانى البيت الحرام و حامل رسالة الاسلام أن يقوم و ينهض من غفلته و يصلح ما أفسده الأوربيون ، فانه أمين رسالة الاسلام و قاعدة ملوك العالم ، و هو أوسع من الزمان و المكان ، فلينهض من حضيض الأوهام إلى سمو الايمان و لينفض من عينه نوم السبات و ليعد إلى بناء العالم من جديد » .

---

(١) « الصراع بين الفكرة الاسلامية و الفكرة الغربية فى الاقطار الاسلامية » للمؤلف .

بسم الله الرحمن الرحيم

القرن الخامس عشر الهجرى الجديد
قـــرن الاسـلام مـن جديـد

الاستاذ سعيد الاعظمى
عضو رئاسة التحرير
البعث الاسلامى ـ ندوة العلماء لكناؤ الهند

من خلال أحداث خطيرة سجلها التاريخ على مدى الاشهر الاخيرة لعام ١٤٠٠هـ يطلع علينا القرن الهجرى الجديد .

فان حادث تهويد القدس و تحويلها الى عاصمة يهودية أبدية موحدة كان من أخطر موجات النكبات والمآسى التى مرت على المسلمين منذ عدة أشهر والتى كانت سببا مباشرا لاسراع بعض الجهات المسؤلة فى العالم العربى الى اعلان الجهاد ضد اسرائيل ، وقبل أن ينال هذا الاعلان الهام طريقه الى التنفيذ قرع آذان المسلمين نبأ صدامات مسلحة بين ايران والعراق ، استمرت الى مدة غير قصيرة وتحولت الى حرب ساخنة دموية أدت الى خسائر فادحة من كل نوع ، هذا بالاضافة الى حالة ذعر نفسى وتوتر عصبى كانت تسود على عدة دول اسلامية ، وعاشها المسلمون فى وضع متفجر بين مقاومة باسلة ، وروح ثائرة من الجهاد والشهادة .

من خلال هذه الأحداث القاسية وأخرى غيرها ، يطلع على الأمة الاسلامية القرن الخامس عشر الهجرى الذى تترقبه الأمة منذ فترة طويلة ، وتعلق به آمالا و أحلاما ، وتتمنى أن تستقبل فيه رسولا للأمن والسلام وسفيرا للحب والوئام ، وتجد فيه قائدا الى ساحة العز والسعادة ومنطلقا نحو الاسلام من جديد .

ولا يسعنا بهذه المناسبة التاريخية العظيمة أن نتناسى ما حدث فى الحرم المكى الشريف مع مطلع العام الهجرى الجديد ١٤٠٠هـ من اعتداء خارق . على يد شرذمة قليلة من المسلمين المنحرفين اتخذتها الجهات المتآمرة آلة لانتهاك حرمة أقدس المقدسات التى ينتمى اليها المسلمون فى العالم كله عاطفة وايمانا .

ومجرد انتزاع هيبة هذا الحرم العظيم واخراج قدسيته من قلوبهم يمهد لها الطريق الى تحقيق مآربها الخبيثة فيما زعمت ، غير أن هذه العملية الحمقاء التى أشبهت فى النوايا السيئة بعملية «أبرهة » المجنون ، لم تصمد أمام ارادة الله ازاء بيته ومع حرمه ، وباءت بالفشل الذريع ، ولقى المجرمون مصايرهم من غير تأجيل فى القضية .

ولكن المؤامرة ضد الغيرة الدينية لم تنته باسدال الستار على المسرحية الفاشلة وتجربة الحرم الشريف بل تنوعت وتوسعت وأكب الخبراء المتخصصون فى هذا الفن على تعميق جذورها وتنفيذها بحكمة بالغة وبألوان مختلفة ، واتفقت كلمة الدول الشرقية والغربية على هذه النقطة وتضافرت جهودها فى هذا المجال بالذات، والواقع أن ما تجدد بعد ذلك من أحداث الشقاق والنفاق فى صفوف المسلمين ، وما استحدث من أساليب القمع والارهاب ، والتكنيك الجديد لضرب المسلمين على المستوى العالمى ليس مما يخفى على متابعى الأحداث ومتتبعى الحقائق الراهنة .

لقد تزايد هذا النشاط الهدام لدى الغرب والشرق والتركيز على تجريد المسلمين عن ثرواتهم المادية والمعنوية منذ أن برزوا كعنصر مهم جدا على أفق العالم الأممي ودخلت دولهم المنتجة للبترول فى سباق الاقتصاد العالمى كعضو، له من الأهمية مالا يستهان به . فمن أهم ما أهم الغرب والشرق غير المسلم هو أن يحكم كل واحد منهما قبضته على هاتيک الدول ويضعف سلطانها على منابع ثرواتها وخيراتها ، ورغم أنه لايملها ولكنه يحاول أن يتصرف فيها ويمتلك زمامها الاقتصادى فيملى عليها ارادته فى ضوء مصالحه ، مع اضعاف ثقتها بالدين وصلتها بمنبع القوة واقصائها عن مركزه الأصيل فى الحياة الاجتماعية والسياسية من غير أن تشعر هى بأى شيء من ذلک .

ولو لا أن الغرب و الشرق لقيا نجاحا كبيرا فى مخططاتهما ضد الاسلام والمسلمين لم يوجد هناک فى العالم الاسلامى بوجه خاص تلک البلابل الفكرية والقلاقل الاجتماعية والسياسية . ولم تشغل شعوبه ثورات واشتباكات ، ومعارضات على المستوى الشعبى ضد الحكام المتطرفين و تصفية العناصر الحرة من الجماهير المسلمة بأمر من هؤلاء الحكام . الى غير ذلک من مبكيات مخزيات ، مما ينتكس له رأس الحياء ويتندى له جبين الغيرة .

هذا وهناک جوانب أخرى عديدة شغلت أفكارها وقوانا ، وصرفت مواهبنا وطاقاتنا من وجهتها الصحيحة الى مالا يهم المسلم من أمور هزيلة ولا يدر عليه نفعا فى أى مجال حيوى ، وكان ذلک خسارة لا تعوض ، وتعدت هذه الروح المريضة الى أجزاء الجسم الصحيحة ، وأغلقت عليها أبواب الجد والنصح والأمانة والصدق والعفاف ، والنزاهة والسمو ، والفضيلة والورع ، وبالتالى أبعدت المرء المسلم عن مكانته الحقيقية وأوهت علاقته بالانسان ، والكون والحياة ، وحولته الى كائن مادى بحت ، لايهمه الا المعدة والمال ، ولا يشبع نفسه الجشعة الا غذاء

مادى ، ولا يفكر الا فى أساليب الاقتصاد و التجارة التى تدر عليه أرباحا لاتنتهى ، وتغدق عليه قناطير مقنطرة من المال والمتاع .

ولكن الاسلام حينما يشجع حياة الجد والكفاح ويطالب المسلم بالكسب الحلال والاشتغال بالتجارة وأمور المعاش فانه لا يبيح الاسراف فى كسب المال ولا يرضى بادخار الكنوز ، وانما يطالب بالاقتصاد فى كل ذلك ، ويحث على الاتزان فى الأمور الدينية فضلا عن أمور الدنيا ، أنه يذم البخل والجشع والنهامة الزائدة فى الجانب المادى ، ويترقب أن يرى المسلم عادلا متزنا لافيما يتعلق بدينه وحسب ، بل فيما يتصل بحياته المادية ، وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم الى هذا الجانب المهم فيما روته كتب السنه فى معنى القصد والعدل وتأمين الارواح والأموال ، وصيانة الحقوق من كل نوع .

ومن ثم فما أجدر بالأمة الاسلامية وهى تسعد باستقبال القرن الهجرى الجديد . وهو حدث تاريخى غير عادى لايقاس على أحداث التاريخ العادية ـ وتعلق به آمالا ضخمة فيما يجدد النشاط والقوة ويعيد الى المجتمع الانسانى الاعتبار والقيمة ، أن تدرس حياة صاحب الهجرة صلى الله عليه وسلم من جديد ، تدرسها من زاوية الحياة الجديدة وفى ضوء ما يمر به العالم المعاصر ويواجهه من قضايا ، وأحداث وتحديات وفلسفات ، عسى أن تجد فيها ضالتها ، فتسعف الأجيال والشعوب التى تعانى من صراع نفسى شديد ، وتسعى باحثة عن علاج لأدوائها التى استعصى عليها دواؤها .

ان هذا العالم الحديث لا يختلف فى التيه والحيرة عن العالم القديم الذى سبق الاسلام وعاش فى ظلام وجهل و فوضى ، فاذا كانت الديانات وأصحابها لم يتمكنوا من اخراجه من ذلك الظلام قديما فان الأيدلوجيات الجديدة والفلسفات العلمية الحديثة لم تتمكن من تخويل العالم الحديث أمنا وهدوءا،ومن توجيه سعادة

وطمأنينة اليه ، أما العلم الحديث والصناعات العملاقة والابداعات الواسعة المدى فأى شيء من ذلك لم يوفر له راحة نفسية ، وان كان فيها توفير للوقت ولكن ذلك لايغنى عن الخواء الروحى والشقاء اللازم للانسان الغربى ، ولمن على شاكلته من أهل الشرق الاسلامى .

ومثل هذا الوضع الخطير الذى يعيشه عالمنا المعاصر يحتم على دعاتنا وعلى المعنيين بالعمل الاسلامى أن يركزوا قويا على دراسة هذه السيرة العظيمة ونشر ظلالها الوارفة على المجتمعات الانسانية الضاحية تحت شمس الحضارات الزائفة والمدنيات الضائعة ، ففى تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم وتجارب حياته غنى عن التعاليم الوضعية والنظريات الكاذبة ، وفيها حل شامل لجميع مايتعرض له العالم من المشكلات والأزمات الخلقية والمادية التى تهدده بالفناء والدمار أن لم يتخلص منها فى أسرع فرصة ممكنة .

فى حياته الطيبة الكريمة أسوة حسنة للمسلم قبل كل واحد ، فيها نموذج مثالى عظيم للحياة الانسانية السعيدة للانسان الناجح السعيد ، فيها مثال كريم خالد للذين يتمنون السعادة والهدوء ويتوخون لذة الحب والأيمان ، ويبحثون عن نعمة العز والعافية ، فيها أسوة لكل نوع من الأنسان ، وقدوة كاملة للانسان الكامل من جميع النواحى ، للانسان العبد الذى يتمتع بالحب الخالص لله ، للانسان الأب والأخ والزوج والمحب والمربى ، والمجاهد والجندى ، والقائد والمعلم والحاكم ، والسيد ، والصديق والرفيق ، والهادى ، وحدث عن البحر و لاحرج ، «لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

حاجة المسلم اليوم الى حياة النبى صلى الله عليه وسلم والتأسى بأسوته الحسنة أمس من حاجة غير اليها ، فان ما قد ألم بالمسلمين من الضعف والخذلان والتأخر والتمزق مرده هو ابتعادهم عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتناسيهم

نعمة الله التي أتمها عليهم عن طريقه عليه الصلاة والسلام ، وامتن بها عليهم باعلانه الصارخ الدائم فقال : „اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا „ . وافترنت بها نعمة الاخوة الاسلامية والوحدة والألفة التي ذكرهم بها وطلب منهم أن لاينسوها في زحمة المسئوليات وصراع الحياة ، فقال „واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على سفا حفرة من النار فأنقذكم منها „ .

وكلما أغفل المسلمون نعمة الله هذه الكبرى و طووها في ذ يل الغفلة والنسيان عادوا الى سيرتهم الأولى من التناحر والتصارع وتفرق الكلمة وتمزق الوحدة وتشتت الشمل ، وارتموا الى احضان الجاهلية فبدرت منهم أفاعيل ، وصدرت منهم أمور تعجز عن تأويلها العقول ، و حتى اتخذوا أعداء الله أولياءهم ولم يروا أى عار فيما اذا باعوا ضمائرهم ودينهم بثمن بخس دراهم معدودة ، وارتضوا بأن يتخذهم الناس وصلة لتحقيق مآرب خسيسة ، أو التآمر على سلامة بلد مسلم أو على صيانة عقيدة دينية .

هنا العبرة للمسلم قبل كل شخص في هذه الحياة العطرة ، سيما وهو يستقبل القرن الهجرى الجديد ، ويذكر حدث الهجرة وما والاها من انتصارات وما اتصل بها من مجهودات كفاحية في سبيل دعم المبادئ الخلقية ، فقد كان الرجل المسلم قد خطا حينذاك نحو التمكن والاستقرار والقوة والايمان بخطى حثيثة واسعة ، وخرج من مرحلة المراهقة الفكرية الى مراحل النضج والقوة والاكتمال ، وآذن الله باكمال الدين واتمام النعمة والارتضاء بالاسلام للأمة الاسلامية ، وبشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أصحابه وأمته وقرأ عليهم قول الله تعالى „اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا „ فلما سمع به اليهود قالوا يا معشر المسلمين لقد نزلت عليكم آية لو علينا معشر اليهود نزلت

لاتخذنا ذلك اليوم عيدا .

وكلما أعيدت قصة الهجرة النبوية الكريمة وجعلت أحداثها وأخبارها وآثارها موضوع الحديث ومبنى المناسبات تجلت أمام الأعين تلك الحياة النبوية وتمثلت ذكرياتها بجميع ما فيها من عبر ودروس ، وتوجيهات وتعليمات لبناء الحياة السعيدة ، والمجتمع المثالي ، ونشر معاني المودة والاخوة والحب والسلام . والقضاء على جوانب الشقاق والفرقة والانقسام ، وتغيير عوامل الفساد والعداوة والخصام بعوامل الصلاح والحب والوئام .

وما أحوج عالمنا المعاصر الى مواصفات الحياة الكريمة السعيدة وخصائص الانسان الكامل العظيم صلى الله عليه وسلم . ففي سيرته كفاية للانسان في كل مجال وفي كل زمان ومكان ، وفيها حلول ناجعة لجميع ما يجتازه من مشكلات وويلات .

فهلا انتهزنا فرصة افتتاح القرن الهجري الجديد لدراسة سيرة صاحب الهجرة وهلا جعلناه قرن الاسلام من جديد ؟

(مع الشكر للبعث الاسلامي)

****

مفهوم المعرفة فى الاسلام

الاستاذ الدكتور عبــد الواحد هاليبوتا
مدير مجمع البحوث الاسلامية ـ اسلام آباد ـ باكستان

لا يمكن تحديد نظرية المعرفة فى الاسلام الا اذا اعتبرنا معناها من خلال لمث من الآيات الوارده فى القرآن الكريم، و التى تشير الى المعرفة فى أكثر من سيى. و كذا من خلال أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، وما قاله السلف لصالحون فى سأن المعرفة و هدفها و سروطها و مقاصدهـا فى عملية تطـور لانسان الى سخص كامل ذى شخصية كاملة.

ان القرآن الكريم هو أكبر معين و مصدر للمعرفة الاساسية والعالمية على ضونه تستطيع البسرية أن تنفذ الى آفاق ما وراء نوافـذ العالـم المحيط والـى المجالات الروحية من التجربة الانسانية أى الى الأنفس. ويشير الكثير من الآيات الفرآنية الى عديد لا يحصى من ميادين الملاحظة والاكتشافات الممكنة ولقد تم اكتساف البعض من هذه الميادين فى حين أن البعض الآخر لا يزال ينتظر ان يكون محل تفكر و تدبر عن طريق استخدام جوارح السمع والبصر والفؤاد.

ان الاسلام دين عالمى وشامل، وينتج عن تعاليمه تصور يشمل جميـع جوانب الحياة الظاهرة وعلاقتها بالحقيقة. لذا لا تكتمل المعرفة للظواهر الا اذا تجلت فيها النظرة الكاملة والمنسقة لمجموع مشاكل الانسان، تلك النظرة التى هى متصلة بالظواهر العالمية فى مختلف جوانبها المادية والروحية والذهنية. ان المعرفة الجزئية هى عبارة عن قطع قوس من دائرة. فهى لا تنسجم مع النظرة

العالمية الشاملة التى هى نظرة المؤمن بالتوحيد، والـــذى ينظر الى البشرية ككل واحد أى كانسان كبير حسب تعبير « شاه ولى الله» والى العالم كله كشخص واحد كما يشير الى ذلك التعبير «الانسان الأكبر».

ان المعرفة هى احدى صفات الانسان الأساسية التى تتكون حولها ذاته وشخصيته، وأن مستوى ومكانة الفرد ترتفع بقدر ما يحصل عليه من المعرفة والوعى والادراك لحقائق الحياة وقد ورد فى القرآن: يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين وأوتوا العلم درجات.

يعتبر اكتساب المعرفة و تطويرها فى التعاليم الاسلامية حجر الزاوية الذى تبنى عليه الحضارة الاسلامية وطبيعة المجتمعات الاسلامية وأفرادها. ويعد اكتساب العلم من مميزات عهد الاسلام. ولذا كانت الفترة ما قبل نزول القرآن معروفة بالجاهلية، حيث ساد فيها "الجهل والقساوة. ان القراءة والكتابة هما مصدر المعرفة والمفتاح الأساسى للحضارة الاسلامية . وهذا ما يؤكد الأمر الأول الذى ورد فى القرآن الكريم ، أى «اقرأ».. كما أن هناك سورة من بين أولى سور القرآن الكريم معرفة بسورة القلم (ن والقلم). و تدعو هذه السورة كلها الى التحلى بالقراءة والكتابة، وما تبقى من القرآن الكريم انما هو مزيد من التوضيح لهذا الأمر، اذ يبين ما هو صالح للقراءة وكيفية قراءته.

وفى السورة الاولى التى انزلت من القرآن الكريم تشير بعض العبارات مثل: الرب، خلق ، وعلم، الى ان اكتساب العلم ينبغى ان يستهدف التربية وتنمية عقل الانسان بصورة مناسبة، ان العلم و التعليم يجب ان يؤديا الى اقامة رباط مع الرب الذى هو دائما مصدر التربية ومصدر الخلق وملهم الوعى وبفضل هذه العلاقة يؤدى نشاط اكتساب العلم والقراءة الى التربية والى تنمية القدرة الابداعية وادراك الانسان لكونه عبدا ضعيفا خلقه الله تعالى ولولا فضل الله ونعمته عليه لما كانت له حياة ولا معيشة ولا تطور وان العلم الذى يكتسب عن غير وعى بالله والعلاقة

الاساسية مع مصدر الحياة الاسمى يؤدى الى تنمية غير متوازنة للذات. يمكن ان يحصل المرء على مهارات جسيمة فى استخدام بعض الالآت الميكانيكية الا ان تنمية الانسان لذاته تبقى متجمدة ويصيبها انحلال فى بعض الحالات اذا تم الحصول على المعرفة بصورة منفصلة عن العلاقة بالرب خالق الكون.

وعند متابعة هذه الوصية فاننا نجد كل سور القرآن الكريم . تبتدىء بالبسملة (ماعدا سورة واحدة) وأصبح من تقاليد المسلمين ان يشرعوا فى عملهم بذكر اسم الله وكل كتاب و كتابة تبدأ بالبسملة والحمد لله سواء كانت دينية او علمية، كيماوية، فيزيائية، هندسية، تبدأ بالبسملة والحمد لله باعتبار ان ذلك العمل الهام لا يكون مثمرا الا اذا بدىء به بالبسملة والحمد لله.

ومن الغريب ان نجد اليوم ملايين من الكتب فى المكتبات وآلاف المؤلفات تكتب سنويا دون ان تبتدىء بكلمة باسم الله، وكنتيجة لهذا فان كل فرع من فروع المعرفة التى تؤدى الى تنوير أصيل لفكر القلب تتوقف ظاهريا على الاشعاع الداخلى الذى هو الرؤية الداخلية للانسان والتى يمكن ان تتوسع بفضل المعرفة.

تكتسب المعرفة بدراسة الشعور بالله والظواهر التى تستحق الدراسة الى جانب الحمد من المتجولين للعالم الذى خلقه الله، والتى تعد من اعظم خصال الانسان التى اذا ما يحظى بها اصبح قريبا من خالقه.

ان صفة المعرفة، وباتباعه للطريقة الصوفية التى تدعو الى التخلق بخلق الله، فانه يرتفع بمكانته كانسان ان المعرفة التى تكسب حسب مضمون القرآن تضمن نورا وتطبيقها حكمة.

اصبح الدين الاسلامى دينا عالميا واقر نظرية لشمولية الحياة والواقع، وجعل منظار المعرفة يتسع اكثر ليشمل كل المظاهر الطبيعية مثل ما هو الامر بالنسبة لعلم الانسان الروحانى، ان طريقة وأسلوب تعليم القرآن والذين اصبحا مع

الزمن يعرفان بالطريقةالاستقرائيةالعلمية، ازالت السديم للثروة المختفية لهذه الظاهرة.

وبعد الوحى للنور والكتاب المبين وايضا بعد نزول القرآن الكريم اختفى ظلام الجاهلية والاسرار الخرافية و نوع الصوفية السائدة قبل الاسلام وتفشى كل سر يخص حياة الانسان ، فالارض مضاءة بنور الله كما يقول القرآن الكريم: «جاء الحق وزهق الباطل».

ان الطريقة الاسلامية للتربية واكتساب المعرفة ونقلها سملت كل انواع المعرفة او بطريقة اخرى المعرفة الموجودة فى العالم . فالاسلام دين متمم جاء ليقضى على الانقسامات. الاسلام يجعل التعليم اجباريا لكل المستويات ، والطبقات المنغلقة على نفسها والجنسين، الذكور والاناث.

فالتربية الاسلامية هى تلك التعليمات التى ظهرت فى الفترة الاولى فى عهد القرآن ، وأى شىء آخر هو مضر لهذا التقدم فيه هذه المرحلة غير اسلامى. كما ان كل ما يبطل ما يهدف اليه القرآن لتحقيق حاجيات الانسان بعد تربية غير صالحة ، فالتربية الفاسدة ، ليست تربية اسلامية ، هى تلك التربية التى تؤدى بالانسان من النور الى الظلمات.

ان نظام الاسلام فى التعليم واكتساب المعرفة لكل المواضيع الهامة فالعلم والصناعة لهما مكانتها الهامة مثل ما للعلوم الانسانية و انه من الخطأ التصور بان العلوم الانسانية لا تساهم فى تقدمنا المادى ورفاهيتنا الاقتصادية، بل ان العلوم الاساسية تعد وسيلة فى تقدمنا اكثر من العلوم فى ايجاد نظرةالتوازن الشاملة والتى تعد ضرورية لتقدم الانسانية والتناسق فيما بين الثقافات البشرية. فالفلسفة ، الدين، التاريخ، والأدب، هى تلك العلوم التى تجرى محاولة لدمجها و و تركيب نتائج البحوث لهذه العلوم مثل الفيزياء ، الجيولوجيا ، والاحياء علم الفلك، والاقتصاد والسياسة وهذا هو المرغوب من

التعليم الجامعي . ان مصطلع الجامعة استعمل من فبل المسلمين اولا.

فالعلوم مصنفة الى خمسة انواع فى القرآن الكريم كما اشار اليها شاه ولى الله حيب تشمل كل ميادين المعرفة وتلبى جميع حاجيات الانسان فى مواقفه الروحية المستلهمة من تعليم الفرآن . وحيب يمكن للطلبة الدارسين لعلوم الفيزياء والكيمياء ان يرفعوا من مستواهم الروحي فان يواصلوا دراستهم حسب تعاليم القرآن الكريم وذلک لموجب الآيات المؤدية الى التفكير والتدبر والمؤدية كذلک الى العلافة با لخالق ومخلوفة. و انطلاقا من هذا المبدأ فان المسجد لا يعتبر فقط مكان عبادة. بل يعتبر ايضا المخبر الذى يعد مكانا للعبادة هنا فى المسجد حيث يمكن للمسلم الواعي بالله من دراسة عجائب الكون. التى تثير مستاعر الحمد والتسبيح فى ملب المتأمل فى المخبر.

فالمعرفة العامة هى احدى المقومات الاساسية للطريقة المعروفة بالتدبر العلمى وان الحجب التى وضعت بين الانسان والحقيقة قد ازيلت. فهذه المعرفة تؤدى بالانسان الى حالة السعادة نعمة وسعادة الانسان) والذى يعتبر الهدف الاخير لكل تعليم الدين. فقد صنف الامام الغزالى المعرفة على أساس أهميتها. وهناک نوع من المعرفة ما يسمى فرض عين ونوع آخر من المعرفة يسمى بفرض كفاية وكل هذه التقسيمات ينظر اليها من حيث اهميتها لنوع المعرفة لحاجيات الانسان الاساسية لحياة الأنسان فى جوهرها وعلاقتها بنعمة وسعادة الانسان فى الحياة الدنيا والأخرة ان معرفة مختلف العلوم الطبيعية هى بلاشک تعد من العوامل الاساسية فى تطوير الانسان فكريا وذهنيا. وبالتالى سمح بتنمية ذاته روحيا.

يعتبر الامام الغزالى ان دراسة علم الاحياء وعلم التشريح وسيلة لمعرفة الله.

وفد بعت النظرة الاسلامية للعلم تحت توجيه القرآن وسيرة الرسول ﷺ عددا كبيرا من القيم وسيرة عملية نوعية يترابط مع العلم وسن التعليم وفى سيرة

الرسول ﷺ نجد جانبا كبيرا يهتم باقتناء العلم و تعليمه للاخرين. ويعتبر اعتراف العلم وتعليمه للغير بمثابة حسنة دائمة ويعتبر عمل العالم أهم للتكوين الشخصى من عمل الزاهد الذى يكرس نفسه للطاعة الروحية ويلتزم بأداء العبادات والتورع لعدة ساعات فى الليل. ويعتبر اقتناء التعليم أمرا اساسيا وضرورية حتمية لكل من هو مسلم. وبنفس الطريقة كل من حصل على علم يجب عليهم ان يلقنه لغيره وبعبارة اخرى يكون مستعدا لاخذه من الغير ليس فى هذا العالم فحسب بل فى عالم الغد ايضا.

وفى نطاق اقتناء العلم وتعليمه للاخرين ورصانة الهدف وروح الخدمة غير الانانية والروح الحقيقية للطلب والحق والاستقامة نلاحظ انه تم الالحاح على كل هذه الامور فى عدة احاديث للرسول ﷺ و فى المجتمع الاسلامى يجب ان يكون كل معلم مثالا حيا لجميع هذه القيم فالى جانب الفهم الفكرى المجرد للافكار الاحصائى وممارسة ما وجد عن طريق العمل فالعلم بلا عمل يعتبر غير مجد وهو علم غير نافع والوصول الى تطبيقه بعد من اكبر القيم.

فالهدف الاساسى من وراء كل عمليات التدريب والتعليم هو تقديم مساعدة وعون الى الافراد البشرية فى اتجاه بلوغ حالة السعادة الحقيقية التى تتمثل فى النمو المنسجم على الطرق الطبيعية وهذا يعنى انه يجب على الانسان ان ينمى فى ذاته وفى شخصيته وفى كل مواهبه وفى كل جوانب كيانه الملازمة له سواء أكانت منتمية الى الوجهة الفزيائية ام الوجهة البيولوجية الفزيائية او الروحية لكيانه و ذلك للتقدم على سبيل سعادته الحقيقية وعليه فان القيم التى تلح على تنمية الوجهة الفزيائية للفرد يجب ان تكون كل هذه الامور ثابتة فى نظام التعليم لامتنا ، وللثقافة الفزيائية والتعليم الفزيائى اهمية متفاوتة فى نمو الفرد ولا يجب جهلها.

غير انه يعتبر نمو الا وجه النفسية العميقة والقدرات الروحية هدفا اخيرا

للتعليم القائم الطرق الاسلامية للتعليم. وبدون تأكيد على هذه الاوجه السامية للانسان لا يمكن ايجاد تنمية منسجمة. والتعليم الخالى من الالحاح على هذه الاوجه سيؤدى لا محالة الى تكوين افراد ينقصهم الصفات الحميدة الانسانية ، فالهدف من وراء نظام صحيح للتعليم يجب ان يحول الافراد الى أناس يتسمون باخلاق أصلية انسانية. كما يجب ان يحسن اوضاعهم و يرفيهم مستوى عاليا.

وعن طريق هذا التحليل ، نلاحظ ان الوجهه النفسية العميقة للفرد تؤدى وظيفتين منفصلتين.

تعتبر هذه الوظائف فكرية وعاطفية. وينبغى المحافظة على هذه القيم وصيانتها جعلها موضوعية بالنسبة لأنظمة التعليم فى مجتمعنا وهى القيم المؤدية الى تنمية الوظيفة الفكرية والوجدانية و تنظيما بالنسبة للاحكام القرآنية المتعلقة باستعمال السمع والبصر استخدام القلب فهى تعتبر قيما هامة. وحسب القرآن فان التدبر فى الآيات والنقاط الهامة فى الحياة وفى الافاق حول النفس وداخلها . . . . يعتبر من القيم الاساسية ويؤدى هذا الى تنمية الفكر.والى جانب ذلك يجب تلقين روح الاعجاب اثناء التدبر لروائع الخلق و ذلك لتنمية المظاهر الفكرية وارهاف الشعور والحس. ويساعد على ذلك الشعور بالحب والحنان لامثالنا من البشر ويؤدى التواضع والشعور النفسانى العميق بالتسجيل الى تنمية الوظائف العاطفية فى نفس الفرد. و تعتبر الظرافة والاذواق السليمة من القيم الهامة التى تساعد على الوصول الى النمو المنسجم ، ومع روح التساؤل والتدبر فى الكون المؤدى الى الاكتشافات العلمية والتقدم فى مجال العلوم الفزيائية تعتبر من العوامل المساعدة على فهم الظواهر الميتافيزيقية وهى ايضا قيم هامة لتزويد الفكر بنظرة منظمة ومناسبة الى الحياة ـ وتؤدى عالمية الهدف فى سيرة الانسان و كذلك نظرة واهداف وغايات سيرة الفرد الى تكوين الانسان على اسس مناسبة وطبيعيه. وبمرور الزمان يغدو روح الايمان بالتوحيد واقعا وتصبح جميع القيم المنبثقة عن

ذلك والقائمة على نظرة الوحدة، القوة السائدة لحفز الشخصية وتكوين الطبع لدى الفرد فيجب أن يحافظ نظام التعليم على القيم القائمة على الفكرة والعقيدة والنظرة الى التوحيد فى المقام و ذلك بغية ايجاد امة ذات اخوة عالمية متسمة بالوحدة و التضامن وروح الحرية ولتوسيع النظرة الضيقة للجنس واللون.

وينبغى الا يهدف التعليم الى المقومات المؤدية الى تلقين القيم المألوفة والاخلاق الحميدة الانسانية والتطور الفكرى والتقدم العلمى فحسب بل يجب ايضا ان يوفر بشكل منظم الوسائل ويتبنى الطرق التى تساعد على استئصال كل العوائق التى تعترض سبيل النمو الطبيعى والتطور، وتنجم هذه العوائق عن نزوات الطبيعة الفزيولوجية والبيولوجية او ترجع الى العواطف السلبية المنبعثة من العمليات الميكانيكية او التى يتسبب فيها الشعور الضال بالحقيقة و كذلك التعاليم الخاطئة او السيئة ، يجب ان يلح التعليم على القيم التى من شأنها ان تساعد على قيام صفات اخلاقية سامية فى الانسان وكذلك المثل العليا للاسلام ومن بين هذه الاشياءوتعليم صفات الاله وأسماء الله الحسنى و بالتالى خلق شخصية قوية للانسان تجعله قادرا على اظهار الخصال الاصلية مثل العلم والقدرة على التدبر والاصالة والخلق الخ يجب ان يهدف نظام تعليمنا الى تكوين شخصية متزنة اتزانا حسنا و منسجمة بشكل تكون فيه الآفاق مفتوحة امام الافراد الموهوبين والذين لهم مستوى عال من الوعي وخبرة عالية وهي من ميزات الذين بلغوا الحالة المعروفة بالاحسان او حالة الغبطة او السعادة البالغة التى يتمتع منها الفرد بالنور الربانى والوعى الاصيل به وكذلك الشعور الملازم بوجود الله والتجربة الرائعة المصاحبة لذلك.

العلم هو مصدر الطهارة والغبطة للفرد وللجماعة بصفة عامة، وتعتمد الحياة وتقدم المجتمع، على العلماء الصالحين. ويزول العلماء لدى انحلال المجتمع وموت العالم يؤدى الى امكانية فناء العالم وعندما يتنصل العلماء من

المسؤوليات الملقاة على عاتقهم يصبحون سببا فى خراب الامة. وهناك حديث، يقول ان الناس على دين ملوكهم.

بئس العلماء الميالون الى الشر والايذاء وهم علماء السوء المنتمون الى حزب الشيطان وهم مصدر السوء الذى تعانى منه الأمة. اذن فمن واجب العلماء المحافظة على مستوى سجيتهم وشخصيتهم وطهارة افكارهم وأنفسهم كما يجب المحافظة على الاخلاص والرصانة فى ابتغاء الهدف يجب عليهم ان يكونوا قدوة ومثلا يحتذى فى الطبع لانهم هم الذين تتجسد فيهم الاسوة الحسنة، وان يعملوا حسب المثل القائل: تخلقوا باخلاق الله.

* * * * * *

الملتقى الرابع عشر للفكر الاسلامي
في الجزائر

عبدالرحمن الطاهر السورتي
مجمع البحوث الاسلامية
اسلام آباد

تلقينا دعوة من وزارة الشؤون الدينية ، بالجزائر لنشترك في الملتقى الرابع عشر للفكر الاسلامي ، وقد سمعنا عن هذا الملتقى قبل ، وقد حضره الباكستانيون من قبل ، غير انهم دعوا هذه المرة علماء مجمع البحوث الاسلامية وكأن احدا أوعزهم بتوجيه هذه الدعوة وعرفهم بهذا المجمع الذي غرضه الوحيد اعداد البحوث حول المسائل الحاضره والبحث عن الحلول للمشاكل المعاصرة ، وكاني أرى في كل هذا يدا لسعادة السفير الجزائري السابق محمد العربي دماغ العتروس ، الذي كان في أيام سفارته كثيرا مايختلف الى المجمع ويزور مكتبته الحافلة بالكتب القيمة ، ويقابل الباحثين وكأنه واحد منهم ، وكثيرا ما ناخذ معه اطراف المسائل ويعرف بعضنا رأى الآخر حول مشكلة أو موضوع ، وكثيرا مارأينا في خلال المناقشة أنّ سعادة السفير متعمق في الموضوع ، متضلع من البراهين متفتح في رأيه ، متقدم في فكره ، جل همه أن يصل الى الدين الاصلي ويزيل من الدين ما تركب عليه من اوهام واهواء ويفرده من الشخصيات والاحبار والرهبان ، ولا انس ما سمعت منه يوما انه كان مع عقيلته يستمع اذاعة بلد اسلامي ، وكان

محاضر يتحدث حول مكانة المرأة ، ويحط من قدرها ، وينال من كرامتها ، و يضيق عليها حريتها ، سئمت السيدة المثقفة من كلامه وقالت : كان اجدر بهذا المحاضر ان يكون في مستشفى المجاذيب بدل أن يكون في الاذاعة .

لم تصلني رسالة الدعوة الاقبل اسبوع وقد كنا نسمع قبل ذلك أن الدعوة وجهت الينا ، ولما علمت انهم خصصوا اربع نقاط للبحث والمحاضرة وهي

١ ـ الونشرنس قلعة من قلاع العلم والنضال » .

٢ ـ الاسلام والمذاهب الاجتماعية الحديثة .

٣ ـ آفاق التربية الاسلامية .

٤ ـ آفاق الدعوة الاسلامية في القرن الخامس عشر الهجري .

بادرت في اعداد عجالتي عن موضوع الدعوة الى العبادة » .

كان الوفد الباكستاني مكونا من أربعة اعضاء وهم الدكتور الاستاذ عبدالواحد هالي بوته ، مدير مجمع البحوث الاسلامية وانا والاستاذ محمود أحمد غازي والاستاذ محمد الغزالي ، وكان مدير المجمع الدكتور عبدالواحد هالي بوته رئيس الوفد ، واستلمنا تذاكرنا من السفارة الجزائرية باسلام آباد في ٢٦ / أغسطس ١٩٨٠ م وتأهب كل واحدمنا للسفر وكان موعد المتلقي اولا من ٢٧ / أغسطس الى ٣ / سبتمبر ١٩٨٠ م ثم غير الموعد وأجّل الى ٣١ / أغسطس حتى ٧ / سبتمبر ١٩٨٠ م ، وسافرنا من اسلام آباد عن طريق دمشق ، روما ـ الجزائر ، ووصلنا ليلة ٣٠ / أغسطس الجزائر ، وكان مسئول وزارة الشئوون الدينية في استقبالنا وابلغنا الى فندق مزافران . فبتنا الليلة فيه ، وكان الجو لطيفا معتدلا ، لم نحتج الى مكيف أو مروحة ولا الى دفاية .

وفي صباح ٣١ / أغسطس في الساعة التاسعة بالضبط ابتدأ الملتقى الرابع عشر ، وقبل موعد الجلسات تعرض الاناشيد الوطنية الاسلامية ، وقد دعى في الملتقى الف طالب وخمسمائة طالبة ومائة وثلاثون استاذا من الجزائر وكانوا

ضيفا على الحكومة ، كما دعى فيه أكثر من ثلاثين وفدا دوليا من العلماء والمفكرين الباحثين من باكستان والهند وروسيا والصين وايران وانجلترا وفرنسا وسورية وتركيا وغانا والاردن ومصر والعراق والمملكة العربية السعودية واليابان وقطر وتونس وكان هؤلاء الممثلين الاجانب حوالى ستين .

وعندما كان يبدأ بالقاء الاناشيد ترتج القاعة باصوات الطلاب والطالبات التى كانت تتردد ، وتتوافق نغماتهم مع اصوات المغنى بانسجام ، وسمعنا عدة مرات المغنى يسمعنا انشودة العلامة محمد اقبال : الصين لنا والهند لنا ، والعرب لنا والكل لنا ، وهنا تمثل أمامنا شخصية اقبال الاسلامية وبرز فكره جليا أمام الحفل ، وذكرنا ، الشيخ صاوى على شعلان الذى ترجم هذه القصيدة .

وكانوا يحكمون الدقة فى نظام الملتقى ومواعيدها اذ كان المتكلمون كثيرين والوقت ضيقا ، ففى البداية اعطى كل محاضر نصف ساعة ليلقى كلمته بالايجاز ويركزها فى النقاط الهامة التى يدرو حولها البحث و فى اليوم الاخير جعلوه ربع ساعة لكل محاضر .

وافتتح المؤتمر معالى عبدالرحمن شيبان وزير الشؤون الدينية بالجزائر ، وهو عالم متخرج من المدرسة الدينية ، ذو نظر واسع فى العلوم الحديثة ، يعرف المشاكل المعاصرة ، وكان يحضر كل جلسة ويسمع المحاضرات والتعقيبات ، وكان جو الملتقى مفتوحا حرا ، يعطى كل محاضر فرصة ليبدى آراءه كاملة بصراحة وبحرية بدون أى قيد سوى قيد الموضوع ، حتى لايخرج المتكلم من حدود موضوعه . وكان يحضر بعض الوزراء فى بعض الجلسات كما شرف الملتقى . بالحضور فخامة الرئيس الجزائرى الشاذلى بن جديد ، وقابل الوفود وتعرف عليهم فى جو خال من الرسميات .

وكانت كل جلسة تبدأ بتلاوة آيات من القرآن المجيد ، وما كان هناك مجودا خاصا يتلو كلام الله ، بل كانوا يطلبون من أى محاضر أن يتلو عليهم ما تيسر

من القرآن الحكيم ، فمرة تلا الاستاذ الروسى محمد صلاح الدين بن محى الدين الطشقندى وأكثر من مرة تلا فضيلة الشيخ طيار آلتى قولاج آى القرآن وكان لتلاوته تاثيرا بالغا لكونها سلسة منسجمة مرتلة بدون أى تعمد وتكلف ، لايضع يده على اذنه ولا تنتفخ اوداجه . والاستاذ طيار آلتى قولاج هو رئيس الشؤون الدينية والمفتى الاعظم بتركيا . وسألته مرة هل أنتم سجلتم تلاوتكم فى الاشرطة ؟ فقال نعم ، انا سجلت القرآن كله فى الاشرطة ، وهى عندنا فى تركيا ، وسوف اهديكم القرآن الكريم مسجلا بصوتى . وكثيرا ما يطلب منه المسئولون أن يتلو آيات القرآن فى الجلسات .

وكانت هيئة الملتقيات تعين لكل جلسة رئيسا ونائب رئيس من العلماء الممثلين المحليين والاجانب ، ومرة سمعنا من الدكتور داؤد كاون استاذ فى قسم الشرق الادنى والاوسط وبمعهد الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن ، وكان رئيس الجلسة يدعو نائبه قائلا : قبل أربعين سنه وكنت ادرس فى الازهر الشريف كان معنا طالب صينى ، التقيت به بعد أربعين سنة فى هذا الملتقى فليتفضل الاستاذ الحاج سليمان تشانغ بينغ دو . وجلسات الملتقى تستمر من الساعة ٣٠ ، ٨ صباحا الى الساعة ٣٠ ، ٢١ ليلا ، تتخللها فترات لتناول بعض المشروبات واستراحات قصيرة للصلوة والغداء ، وكانت هذه هى فرص التعارف ، وعندما كنا نخرج من القاعة تحف بنا جماعات الطلاب الجزائريين لايمكن لى أن اعبر عن تعطشهم لمعرفة أخبار باكستان والنشاطات الدينية فيها ، وتطبيق الحكومة قوانين الاسلام ، وكانوا يوجهون الينا اسئلة حول الجماعات الدينية فى باكستان وصلة الحكومة بالجماعات الدينية ، وكانوا يطلبون منا مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية فى اللغة العربية وخاصة ، مجلة الدراسات الاسلامية التى تصدر من المجمع فى كل ثلاثة اشهر مرة ، كما اعطانا بعضهم عناوينهم وسوف نلبى لهم رغباتهم فى المستقبل القريب ، ان شاء الله تعالى .

وكما علمتم ان الملتقى خصص للبحث أربع نقاط ، فكانت النقطة الاولى تتعلق بالمنطقة المحلية «الونشريس» وكان هذا موضوع جلسات اليوم الاول وقدم عدة من الباحثين الجزائريين والفرنسيين مقالاتهم حول الونشريس وتاريخها الثقافي والسياسي ومساهمة سكانها في النضال للتحرر من الاستعمار وابرزوا مكانتها بكونها قلعة من قلاع العلم والنضال . وفي ختام المقالات حول كل نقطة من نقاط الملتقى كانت تعقد جلسة للتعقيب على المقالات ، فالعلماء كانوا يعقلون ويناقشون آراء المحاضرين بغاية الحرية ، والمحاضر يرد عليهم بهدوء من طريق علمي ،وكان هناك جلسة خاصة بعد الانتهاء من كل نقطة تفرد الطلاب والطالبات للتعقيب عليها ، يوجهون فيها الاسئلة الى أصحاب المقالات . يستوضحون ما أسكل عليهم من جوانب المقالات . وكانت من ميزات هذا الملتقى انه كان يعطى الطلاب فرصة لازالة شكوكهم واستفهام النقاط الصعبة ، وكأن هذا الملتقى كان فصلا لتعليمهم وتدريبهم وتربيتهم ، و عمل تربيتهم هذا مستمر من الملتقى الاول . وما في ذلك من شك ان تكرار هذا العمل يكون قد اعد لالجزائريين جماعات من الاساتذه والطلاب الذين يستطيعون حل مشاكلهم عن طريق البحث العلمي الديني ويفهمون مسائلهم حق الفهم .

وكانت النقطة الثانية «الاسلام والمذاهب الاجتماعية الحديثة » وهذا الموضوع الهام استغرق يومين كاملين وقدم البحوث حول جوانبه العديدة افاضل العلماء الباحثين ، واتفق كلهم على أن الاسلام هو الدين الوحيد الذى يقدم للانسان مبادىء متينة سامية ناجحة لحل مشاكله وان جميع المحاولات والافكار والنظريات التى ظهرت بعد الاسلام ، لافرق بين الشرقية منها والغربية ، فشلت في حل مشاكل الانسان و اسعاده .

وبعد ما تنتهى المقالات حول النقطة تعقد جلسة التعقيب وكانت التعقيبات ايضا لم تكن تعقيبات مجردة تنتقد و تشير الى بعض النقص ولكنها كثيرا

ما تضيف معلومات ثمينة الى موضوع المقالات كما تقدم أفكارا جديدة لفهم الموضوع .

وكانت لغة المحاضرين عامة اللغة العربية ، وقدمت بعض المقالات فى الفرنساوية والانكليزية ايضا غير ان نظام الترجمة كان جيدا جدا ، وكانت المقالات المطبوعة توزع فى اللغة العربية والفرنساوية معا ، وكانت جماعة المترجمين يترجمون بعض المقالات ترجمة فورية ، وكلنا يعرف صعوبة ترجمة هذه المقالات العلمية الدقيقة ، وعلى كل فكانت الترجمة مفهومة.

وقد شاهدنا فى خلال المناقشات والتعقيبات ان القيود الصناعية والحدود المتخذة من عند انفسنا ، والاسماء التى ما انزل الله بها من سلطان تضيق كثيرا آفاق حريتنا ، ولكن المناقشات كانت فى بيئه علمية وجو هادىء ، وفوق ذلك فان تعليمات هيئة الملتقى قررت ان لا تعقيب على التعقيب .

وكانت النقطة الثالثة تتعلق بآفاق التربية الاسلامية وقدمت مقالات قيمة فى هذا الموضوع ، شارك فيه الدكتور محمد الغزالى ، استاذ كلية الشريعة ، بمكة المكرمة ، كما قدم الاستاذ الشيخ بو عمران (جامعة الجزائر) مقاله بعنوان فلسفة محمد اقبال الدينية والسياسية . وقدم الدكتور موريس بوكائى الفرنسى تجربته الشخصية بخصوص تفاسير القرآن وترجماتة الحديثة ، والدكتور موريس بوكائى معروف بمؤلفه «القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم » والدكتور موريس رأيه فى ترجمة القرآن المجيد انه لا يؤدى حقها الا من كان ذا ثقافة علمية بجانب ثقافته الادبية . ويضرب لتفصيله مثلا ماجاء فى القرآن خلق الانسان من علق « فالعلق » ترجمه المترجمون «الدم المتجمد أو الدم المتخثر » وذلك خطأ واضح بل يجب أن يؤخذ فى معناه الاولى ، أى هو شىء يعلق .

ان هذه السنة هى السنة الاخيرة من القرن الرابع عشر الهجرى والعالم سوف يدخل بعد نهايتها فى القرن الجديد القرن الخامس عشر الهجرى ، القرن

الذى يدعونا الى ان نتفكر فى استقباله . نستعرض امكانيات نشر الدعوة الاسلامية فيه ويحتم علينا ان نبرز الدعوة الاسلامية بصورتها الاصلية حتى لانتيه ولا نضل و يتطلب منا ان نطبق الاسلام الحقيقى على انفسنا ونغدق على مجتمعنا ثمراته وخيراته وبذلك نثبت أمام العالم أفادة الاسلام . ولكن ما هى الدعوة الاسلامية وآفافها . وكيف نطبق الاسلام على أنفسنا ومحتمعنا . كل ذلك حاجة اليوم . ولكى نتفكر فى هذا الموضوع حال وفت البحث حول النفطة الرابعة فى الملتقى .

ان الذى يريد ان يتبع الحق فعليه اولا ان يعرف ماهو الحق ىم ليتبعه ، كذلك امر الدعوة الاسلامية يفتضى ان نعرف اولا الاسلام حق المعرفة ، ان الاسلام دين الله الخالص ، هو الذى سرعه واكمله وليس لاحد غيره ان يضيف اليه من تلقاء نفسه سيئا ، اما الاسلام الآن فهو مركب من افكار الرجال ، يشتمل على فائمة طويلة من الحرام والحلال وكلها من عند غير الله .

وكان خلاصة مقالى „الدعوة الى العبادة „ ان الانبياء كلهم دعوا الناس الى عبادة الله وحده وما خلقهم الا لعبادته . وعبادة الله وحده هو الدين والاسلام ، الفاظ مختلفة ومعناها واحد . فالعبادة هى التمسك بالحق واتباعه واقامة العدل ، فاينما وجد الحق والعدل فاتباعه هو شرع الله ودينه وعبادته ، كما قال العلام ابن القيم الجوزية :„فبأى طريق استخرج بها العدل والقسط فهى الدين وليست مخالفة له . وان السياسة ما كانت فعلا يكون معه الناس اقرب الى الصلاح وابعد من الفساد وان لم يضعه الرسول ﷺ ولا نزل به وحى „ . واستخراج الحق والعدل يقتضى العلوم الكثيرة ، ولا يمكن لنا ان نعبد الله الا بالعلم ، و ان الجهل واتباع ما الفينا عليه آباءنا حاجزان فى طريق عبادة الله . والعلم بالطبيعة التى هى سنة الله فى الكون ومشاهدتها ومعرفة اذن الله ومشيئته وقدر الله وفطرته تقربنا من الله . فهى عبادة الله . وان الصوم والصلوة والزكوة والحج ليست غايات وانما هى وسائل لتعويد النفس على اتباع الحق أى عبادة الله وحده فى جوانب

الحياة كلها . ويجب علينا ونحن على باب القرن الخامس عشر الهجرى ان نخصصه لعبادة الله وحده ، وان نجعل اعمالنا كلها عبادة ، ان يكون هدفنا الأعلى العبادة لله وحده ، نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله .

و كان ملخص مقال الاستاذ محمود احمد غازى كالآتى : العلوم الاجتماعية التى ورثها العالم الاسلامى من الغرب انما هى مصبغة بالصبغة الاوربية الالحادية ، لأنها ظهرت وتطورت فى بيئة الجادية ، ولذلك فليس من المستحسن أن نأخذها كما هى بل الأحسن أن ننتقدها انتقادا علميا اسلاميا ونأخذ منها ما صفا ووافق القرآن والسنة وندع منها ما كدر وخالف القرآن والسنة والخطوة الأولى فى هذا الاتجاه هى الثورة على استيلاء الغرب الفكرى والحضارى فان رفض امامة الغرب مرحلة يجب أن تسبق مرحلة اثبات الاسلام وتطبيقه .

و كان موضوع الاستاذ محمد الغزالى الباكستانى "آفاق الدعوة الاسلامية وواقعنا الفكرى اليوم " وخلاصة مقاله : ان الانسانية عامة والأمة الاسلامية خاصة تمران بمرحلة حاسمة فى تاريخ مصيرهما . فالانسانية سوف تدرى عاجلا أو آجلا أن الوضع العالمى الحالى يحتم عليها أن تختار بين أحد الأمرين أما أن تواصل مسيرها فى مسالك الحياة الحالية المتفاوتة التى تجعل الناس أشتاتا أو تبحث عن بديل لها بعد أن جربت المسيحية كدين ودولة ، واختبرت الرأسمالية الطبقية الظالمة وذاقت طعم الشيوعية الملحدة المستبدة . وكل هذه التجارب التى مرت بها الأمم مازادتهم الا اضطرابا وانتشارا وفوضى مع أنه خيل للناس أنها تلبى بعض حوائجهم وتعالج بعض مشاكلهم ولكن كان عاقبة أمرها خسرا ولم تملاء الأرض الا ظلما واستغلالا ، واحلت أتباعها دار البوار ففى هذه المرحلة تترتب على المسلمين المسئولية الكبرى ليظهروا للانسانية الحائرة حقيقة الدين الخالص و هذه المسئولية لابد من أدائها فاننا لن نكون من المفلحين الا بأداء مسئولية

الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وهذه الدعوة الى الاسلام لن تنجح مالم نصحح الأفكار الخاطئة التى تشوه وجه ديننا الصافى . وهذه الحركة التصحيحية تقوم من وجهين :

١ ـ بفتح باب الاجتهاد فى الشريعة الذى هو بمثابة الروح للشريعة الاسلامية والقضاء على الجمود الفكرى والركود العقلى .

٢ ـ بالوقوف موقف الاجتهاد من كل ماتلقينا من الغرب من علوم فنعرضها على معيارنا الخاص فان وجدناه مطابقا له أخذناه والا رددناه .

وبعد احداث هذه الثورة فى التفكير يجب علينا أن نطبق الاسلام على أنفسنا أولا ثم ندعو العالم اليه . فان العالم اليوم لا يكاد يقبل أى فكر أو نظرية الا واختبره فى المختبر العلمى ، فلا يكفينا أن نقول للعالم أن الدولة الاسلامية كانت دولة عظيمة فى القرون الخالية (وأن المجتمع الاسلامى كان مجتمعا عادلا وتقدميا وانسانيا وديموقراطيا فى الماضى . فالعالم لن يقتنع بحقانية الاسلام اذا عشنا فى العهود الماضية (نوستلجيا) ولم نهتم ببناء المجتمع الاسلامى اليوم ولم نقد أمام العالم مثالا عمليا حيا ولم نبرهن على قابلية الاسلام للحيوة والتقدم والتطور .

وكان مقال الدكتور عبدالواحد هالى بوته حول موضوع مفهوم المعرفة فى الاسلام .. سيجده القارىء فى هذا العدد.

حقا ان الملتقى الفكرى الاسلامى كانت فرصة طيبة لتبادل الافكار بين العلماء ومفكرى الامة الاسلامية على اختلاف الاقطار ومعرفة التيارات الفكرية لديهم ، وانى لمتاكد ان هذا الملتقى سوف يوجه الطبقة المثقفة الجزائرية الى حياة فضلى ويعودهم على البحث والنظر فى المسائل الحاضرة ، وان التوصيات التى أعلنت عقب الملتقى ستعطى المسلمين فرصة للا نجازات فى مجال تطبيق الاسلام

*****

العلوم الكونية
واثرها فى تدعيم الايمان

الاستاذ محمد عبدالستار نصار
كلية اصول الدين : جامعة الازهر ،
القاهرة

تمهيد :

تقدمت العلوم التجريبية فى هذا العصر تقدما هائلا وذلك بفضل جهود كثير من العلماء الذين أفرغوا كل مافى وسعهم للوصول الى نتائج جديدة ، كل فى دائرة بحثه .

ولاشك أن هذا الاطراد له أثره على الدين ، ايجابا أو سلبا ويرجع تنوع هذا الأثر الى المنطلق الأساسى ، الذى يبدأ منه الباحث مزاولة تجاربه وأبحاثه ، فالباحث المادى الذى لايؤمن بشىء وراء العالم المحسوس يحاول أن يجذب نتائج بحوثه لتدعيم موقفه المنكر لوجود قوة غير منظورة تدبر أمر هذا الكون .

وهذا ـ لعمرى ـ خطأ جسيم فى منهج البحث لأنه يخرج بالباحث عن دائرة الموضوعية والحيدة ، الى دائرة الذاتية والتعصب .

ولا يقل ـ من حيث المنهج ـ عن هذا الخطأ موقف المتدين الذى يحاول أيضا جذب نتائج تجاربه وبحوثه لتدعيم موقفه المؤمن اذا كان الارتباط بين هذه النتائج وبين الايمان غير واضح ويمكن أن يقال : ان المواقف المعلنة سلفا من قضية الدين هى التى أملت على هذا وذا ك أن يتخذ كل منهما موقفه من القضية .

ترى ؟؟؟ أى موقف يمكن أن يوفّى هذا الموضوع حقه دون أن يميل الى أحد الحدين ؟ فى تصورى أنه الموقف الموضوعى المحايد ، ولا يعترض على هذا بأن الجانب الذاتى فى الدين ـ لدى المعتقد ـ قد لايجعل له سبيلا الى اتخاذ هذا الموقف ذلك لأن استبعاد العواطف والرغبات حين الحكم فى مثل هذه القضية ليس بالأمر العسير ، من ثم سنحاول فى هذا البحث الذى قدمنا له بهذه المقدمة أن نقوم الموقف الرافض للدين والموقف المؤيد له ، فى ضوء براهين كل منهما ، ولن ننسى فى ذلك ، الكشف عن المنطلقات الأساسية لكلا الموقفين ـ وادخالها فى دائرة التقويم أيضا ، وسيظهر ـ كنتيجة للبحث المحايد ـ أن كشف العلم التجريبى للقوانين التى تحكم عالم المادة والوقوف عند هذه الغاية وعجزه عن تعليل حدوث الظواهر الكونية هو فى الوقت نفسه افساح لعقل المتحرر ليتلمس علة أخرى غير منظورة لتفسير هذه الظواهر ، تلك التى هى محور الايمان وجوهره

وسنسير فى بحثنا حسب الخطوات التالية :ـ

(١) طبيعة العلم التجريبى ودائرة أحكامه.

(٢) القوانين العلمية من حيث مصدرها.

(٣) وجهة نظر القائلين بالمصادقة فى تفسير الظواهر الكونية.

(٤) القوانين العلمية المحايدة وعلاقتها بالايمان.

(٥) انفراج الأزمة التى اختلقها الملحدون بعد ظهور الأبحاث المحايدة.

(٦) هل يمكن قيام حضارة على علم بلا روح ؟

١ ـ طبيعة العلم التجريبى ودائرة أحكامه :

وظيفة العلم التجريبى هى دراسة العالم المحسوس لاكتشاف القوانين التى تحكم ظواهره والوصول الى هذه الغاية دونه ضروب من التجارب والملاحظات الكثيرة والفروض الأولية ثم النهائية لتفسير الظواهر ووصفها ، وماكان لهذا العلم أن يتجاوز طبيعته هذه والاظهر القصور والعجز فى وظيفته من ثم لايمكن لأى عاقل أن يتصور للعلم وظيفة وراء هذه التى ذكرناها كما أن العلم لايكشف عن كل الحقائق الخفية وراء ظواهر المادة ولكنه يمشى الى غايته رويدا رويدا ولو لم تكن المسألة على هذه الشاكلة لكنا أمام مجموعة غير محصورة من الكشوف العلمية . التى تعبر عن ممارسات الانسان ومزاولته للبحث منذ أصبح أهلا لذلك ولما تردد فى تاريخ البحث العلمى أفكار وملاحظات ومكتشفات . تعفى على آثار السابقين من الباحثين الأمر الذى يبرر فى النهاية أن حقائق العلم لانهائية من حيث قيمتها ، بل هى تفسيرات للظواهر ، ولعل هذا هو مايبرر القول بأن النظرية العلمية ليست الافرضا لم يثبت خطؤه ويؤكد هذا أيضا أن قانون . الاحتمالات » والاعتراف بعدم الحتمية فى الطبيعة فى حدود امكانيات الانسان المتاحة لايزال له احترامه فى كثير الدوائر والأكاديميات العلمية .

ونتيجة أولية لما تقدم تبين لنا أن جانب «المدرك » (بكسرالراء) يلعب دورا خطيرا فى تفسير الظواهر ولذا فان أساطين العلم يقررون أن النظريات التى يتوصل اليها الباحثون فى تفسير بعض الظواهر ليست الاصورا ذهنية لتفسير القوانين الحقيقية التى تحكم هذه الظواهر وربما كان السبب فى ذلك راجعا الى طبيعة الانسان نفسه ، وقدراته المحدودة .

وقد يخلع الباحث على النظرية العلمية شيئا من الأهمية اذا ماشعر بأثرها في الواقع والحياة ـ حتى ولو لم تكن هي التفسير الصحيح أو القريب من الصحيح للظاهرة موضوع البحث ، وهنا يكون للمنفعة دورها المؤثر في البحث العلمي .

ولعل هذا هو مادعا البروفيسور «سوليفان » الى توجيه نقده الى النظريات العلمية بقوله :

ان النظريات التي نعتبرها اليوم حقيقة ليست الاقياسا على وسائلنا المحدودة للملاحظة ، ولا تزال قضية «الحقيقة » في ميدان العلم ، قضية عملية نفعية

وكأني بهذا الباحث يقرر ضمنا : أن العلم من حيث هو ، بعيدا عن هوى الباحثين وبعيدا أيضا عن الحقائق الكامنة خلف عجزه عن تفسير وتعليل كثير من الظواهر التي يدرسها ليس الامنهجا محايدا ، لاعلاقة له بالدين نفيا أو اثباتا ، ويترتب على هذا أن التفسيرات التي يدلي بها أصحابها في هذا المقام ، ينبغي أن تقبل أو ترد عن بينة حتى يظل لمنهج البحث احترامه .

وتتضح المسألة التي نحن بصددها أكثر اذا حاولنا ترتيب موضوعات العلوم ، بحسب مقوماتها النوعية وتكامل عناصرها ، أننا سنحصل على هذا الترتيب التصاعدي بحيث نرى كل واحد يحتوي على ماقبله ويزيد ، وينقص عما بعده بقدر مافيه من زيادة في مقوماته ، فالحياة النباتية تستلزم وجود الجسم بأجزائه وجزئياته وعناصره وذراته وطاقاته وتزيد على وجود الأجسام التي لاحياة فيها ، وظائف أخرى هي مقومات الحياة النباتية والحياة الحيوانية ، تحتوي الحياة النباتية بجميع وظائفها ، وتزيد عليها وظائف أخرى هي من مقومات هذه الحياة والحياة الانسانية فيها كل مقومات الحياة الحيوانية وتزيد عليها وظائف هي من خصائص هذه الحياة ، وهذه الوظائف نفسها طبقات بعضها فوق بعض ، أبرزها وأعلاها الوظيفة

الروحيه التى تتطلع الى الحقيقة الكبرى .

ان هذا البيان يحدد لنا طبيعة العلم التجريبى ودائرة أحكامه ، كما يبين الصلة بين هذا العلم وبين العلم الالهى (علم الدين) .

وهذه ، الصلة ليست صلة وحدة فى الموضوع والاشتراك فى الأهداف ، لأن المشاكل التى تعالجها العلوم الكونية الطبيعية ، لايمكن أن تكون هى المشاكل التى تجيء الأديان لمعالجتها ، لأنها انما تبحث فى دائرة الموجود المادى من الكائنات ، وليس هناك علم من العلوم التجريبية . يبحث عن مبدئها الأول وغايتها القصوى . (١)

١ ـ الحقائق المستنبطة :

غير أن العلوم التجريبية كلها يمكن أن تعطى للدين بعدا جديدا ، يمكن فى صمتها عن التعليل الحقيقى لحدوث الظواهر ، وحينئذ تكون وظيفتها وظيفة وسائلية بالنسبة للدين وهى بالاضافة اليه تكون كالمقدمات للنتائج والوسائل للمقاصد ، فكما أن ـ المجهول لايتوصل اليه الا عن طريق المعلوم ، والغائب لايدرك الاعلى ضرب من القياس على الشاهد ، كذلك الحقائق العليا ، لايسهل الصعود اليها الاعلى سلم من الحقائق الدنيا(٢) ، وهذه الحقائق هى موضوع العلوم التجريبية . وما يأخذه الباحث من حقائق عن هذا السبيل انما يكون استنباط من ملاحظاته وتجاربه . فالطبيعة الماثلة أمامنا انما تنعكس صورها على أعين الناظرين ولاتعطى ـ من حيث عملية نقل الصور بلا انفعال ـ سوى انعكاس الواقع على العين ، ولكن اذا تجاوزنا هذه العلمية الى ماوراءها لاستنبطنا دقة النظام المحكم ووجود خطة وتدبير فى الطبيعة ، وهذه بدورها تؤدى الى استنباط وجود منظم لها ضرورة .

واذن فما وراء معطيات العلم من حقائق انما كان نتيجة طبيعية لحدود امكانياته ودائرة أحكامه . ولايستطيع باحث حقيقى أن ينكر ماوراء العالم المادى من حقائق مهما تذرع بالحجج التى يحسبها تؤيد وجهة نظره ، لأن علاقات الانسان من حيث كونه كائنا راقيا أوسع من أن تحد بهذا العالم المادى فقط .

كما أن وجهة النظر التى تعبر عنها حينئذ ، لايمكن أن ترقى الى مستوى الحكم العام ، ووجهات النظر أو الأحكام الخاصة لاتملك سلطة الالزام العام ، لأن طبيعتها ليست كذلك .

٢ ـ القوانين العلمية من حيث مصدرها :

ان القول بآلية حركة الكون ، بمعنى : خضوعه لقانون داخلى ذاتى فى عملياته المتطورة والمتغيرة ، واستبعاد أن يكون محكوما بقوة خارجة عنه ، هذا القول ليس وليد البحوث الحديثة ، التى أفرزتها الاتجاهات المادية فى دراسة الكون والحياة ، والتى بلغت ذروتها فى مباحث «أرنست هيكل » و «جوليان هكسلى » وغيرهما من رواد هذا الاتجاه ، ولكنه يمكن تلمسه فى ظل الحضارات المتعاقبة ، وقد ظهرت هذه الفكرة بوضوع لدى ممثلى المدرسة «الذرية » فى القرن الخامس قبل الميلاد فى بلاداليونان .

وقوام نظريتهم ان كل مايحدث فى العالم من كون أو فساد ، انما يخضع لقانون «المساكنة » الذى تحتوى عليه المادة ، والوجود والعدم انما يأخذان هذا الوصف بضرب من المجاز ، لأن المادة والخلاء هما أساس الكون . كما أنهما بالضرورة أزليان ، ومرجع الحكم على الأشياء بالوجود أو بالعدم ، انما هو الى الذات العارفة « لحواس » واذن فنحن نجزم بوجود الشىء حينما يصير فى حالة نستطيع معها أن نحسه باحدى حواسنا ، ونحكم بانعدامه حينما يصير فى حالة يدق

معها عن تلك الحواس ، وليست الأولى وجودا حقيقيا ، ولا الثانية انعداما حقيقيا ، وانما الأولى اجتماع للذرات عندما تشاكلت ، والحالة الثانية انعدام لها عندما تخالفت ، لأن الموجود لاينعدم والمعدوم لايوجد ، فالوجود لاينتج عدما والعدم لاينتج وجودا .

وفى تأكيد فكرة تقليد المحدثين من أصحاب المنزع المادى لأسلافهم يقول الباحثان : „جانيه " و „سياى " : ان الفكرة الإغريقية عن المادة قد وصلت فى عهد„ديمقريطس " الى ادراك جلى واضح ، اذ هوالذى وضع كل المبادىء العظمى التى تسود علم الطبيعة فى العصور الحدينه ، سيادة آخذة فى النمو ، ومن تلك المبادى التى وضعها ، مبدأ عدم قابلية المادة„للفناء " ، ومبدأ„بقاء الطاقة " ذلك المبدآن اللذان يعبر عنهما فى البيئات العلمية بهذه العبارة : (لم ينشأ شىء من لاشىء ولن ينتهى شىء الى اللاشىء) .

ومنها : ارجاع جميع الظواهر الكونية الى مصدر واحد هو الحركة ، ومنها القول بانفراد القانون„الميكانيكى " بالسيادة على العالم الطبيعى (٣).

ويلاحظ أن عدوى التلقيد والمحاكاة هى التى وقفت بال[illegible] والمعاصرين من أصحاب هذا الاتجاه الميكانيكى . عند التشبث به ، وعدم الا[illegible] لمقتضيات العقل المتحرر والبحث المحايد ، وهذا فى حد ذاته كاف فى الح[illegible] على مؤقف هؤلاء ، وكل ماقدموه من آراء لتقوية موقفهم انما هى مزاعم لاتثبت عند النقد العلمى ، وسنمتحن بأنفسنا هذه المزاعم .

والحق الذى تمليه طبيعة الدراسة الموضوعية ، أن هذه المبادىء لم تأخذ هذا المعنى الافى نظر قائلها ، ومن ثم فهى مرفوضة باسم العلم الحقيقى .

ان مبدأ عدم قابلية المادة للفناء ومبدأ بقاء الطاقة ينتجان بالضرورة أزلية

وأبدية العالم لذاته ، وهذه النتيجة غير مقبولة من وجهة نظر الباحثين المحايدين . ولقد ساق هؤلاء وجهة نظرهم على مستويين اثنين ، أحدهما نظرى رياضى والثانى علمى تجريبى . فأصحاب لمستوى الأول يرون أن الكون من حيث هو «ممكن» بدليل أنه موجود ، ولا يمكن أن يكون واجبا لما يطرأ عليه من التغير والتحول اللذين هما دليل امكانه ، وفى كلامهم هذا رفض لمزاعم الذين يرون أن الوجود ليس الامن عمل الوهم والخيال . وامكان العالم عند هؤلاء يعنى أنه فى حد ذاته منفعل ، أى متأثر بقوى تحدث فيه حركة الايجاد أو الاعدام ، ويقيمون الأدلة النظرية التى تنتهى بهم الى ضرورة عقلية واضحة هى :

أن هذا الكون معلول لعلة خارجة عن ذاته ، لا اذ لايعقل أن يكون الشيء علة نفسه فيكون علة من حيث كونه معلولا ، وهذا خلف ، اذ لابد من المخالفة بين طبيعة كل من العلة والمعلول من جهة واحدة ، وفى حالة معينة .

واذا كان العالم الماثل أمام أعيننا شيئا لايمكن جحوده ، فان كونه كذلك يعنى أن علة وجوده ، بل والقوانين التى تحكم سيره حسب مايتمتع به من نظام ودقة واحكام انما هى وليدة تلك القوة الخارجة عن ذاته (٤).

وقد كان لمفكر الاسلام العظيم . الامام أبى حامد الغزالى موقف من مسألة «السببية» شديد الصلة بما نحن بصدده ، انه يرى أن الاطراد فى الظواهر الكونية ليس مرجعه الى الضرورة الصارمة التى لاتتخلف ، والتى يشهد معها العقل بأن أحداث الكون انما تسير على نمط آلى ، وغايته من هذا الموقف تقرير أن القوانين المبثوته فى الطبيعة انما تفعل بارادة العلة الحقيقية لأحداث هذا الكون ، لاالعلة الظاهرة ولذا يرى أن اطراد الحوادث والظواهر انما يرجع الى الالف والعادة ، لاالى الضرورة العقلية . يقول فى ذلك : الاقتران بين ما يعتقد فى العادة سببا وبين مايعتقد مسببا ليس ضروريا عندنا ، بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولاذاك

هذا. ولااثبات أحدهما متضمنا لاثبات الآخر .

ولانفيه متضمنا لنفي الآخر ، فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ولامن ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر (٥) .

ويقدم الغزالي يؤكد به وجهة نظره ، وهى أن تأثير عناصر الكون بعضها في البعض الآخر ، ليس ذاتيا لهذه العناصر ، وانما يخضع ذلك لارادة حرة ، وفاعل مريد .

فظاهرة الاحتراق التي تحدث عند ملاقاة القطن للنار ليست ضرورية لأن الفاعل ليس هو «النار» كما يرى في الظاهر ، لأنها جماد لايعقل ولايريد والفاعل على الحقيقة لابد أن يكون مريدا ، وبما أنها ليست كذلك بل هي مطبوعة على فعلها واذن فتأثرها ليس لذاتها وليس لم يد عى أنها المؤثر حقيقة في الظاهرة من دليل سوى مشاهدة حصول الاختراق عند ملاقاة النار ، وفرق هائل بين حدوث الظاهر عندها . والحصول بها (٦) .

وأما المستوى الثاني : الذى هو وليد البحث التجريبي ، فقد قرر أصحابه أن قوانين ـ الديناميكا الحرارية تدل على أن مكونات هذا العالم تفقد حرارتها تدريجيا ، وأنها سائرة تصير فيه جميع الأجسام تحت درجة من الحـرارة بالغة الانخفاض هى «الصفر المطلق» و عندئذ تنعدم الطاقة ، وتستحيل الحياة ، أما الشمس المستعرة والنجوم المتوهجة ، والأرض الغنية بأنواع الحياة ، فكلها دليل على ان أصل الكون أو أساسه ، والقانون الذى يحكم حركته وصيرورته وكونـه وفساده ، انما يرجع الى مؤثر أزلى له بداية ، محيط بكل شيء قوى ليس لقدرته حدودلا بمن أن يكون هذا الكون من صنع يديه (٧) .

٣ـ وجهة نظر القائلين بالمصادفة فى تفسير الظواهر الكونية :

لايمكن أن يكون هناك ما هو أشد غرابة ممن يقولون بالصدفة فى تفسير الكون ذلك لأن قولهم هذا لايمكن أن يقارن بما يقوله المحمومون ومن يعتريهم الخبل العقلى والاضطراب العصبى ، فضلا عن أن يكون كلاما يصدق بأوليات العقل ، أو محصلة التجربة الدقيقة ، ان أبعد الأمور عن القياس وأعمها استحالة هو أن نؤمن بأن الكون وقطيعته الرياضية جاء نتيجة الصدفة».

ولعل مما يزيد استغراب الباحث المتنزن أن يصدر هذا القول ممن يشهد لهم بالتفوق فى العلوم الرياضية.

مما يؤكد الأمزجة المتطرفة تلعب دورا خطيرا عندما يمس البحث مسائل تتصل بالعقيدة ، فها هوذا برتراندرسل ، صاحب المباحث المتقدمة فى علوم الرياضة يقرر وجهة نظر الماديين عموما حين يرى أن الانسان وليد عوامل ليست بذات أهداف ، وأن بدأه ونشؤه وأمانيه ومخاوفه ، وحبه كلها جاءت نتيجة ترتيب رياضى اتفاقى فى نظام الذرة ، وأن القبر ينهى حياة الانسان ، ولاتستطيع أية قوة احياءه مرة أخرى .

ولاشک أن أصحاب هذا القول لن يقتنعوا بالنتائج التى توصل اليها معارضوهم ذلك لأن عقولهم قد أو صدت دون الحقائق العلمية المستنيرة ، التى جاءت ثمرة للعقلية المتحررة ، التى لم تسيطر عليها خرافات وأباطيل أصحاب هذا الاتجاه.

ان وجود الآثار فى غيبة المؤثرات ، ممايرفضه العقل والتجربه معا ، واذن فحاجة الآثار الى عللها وأسبابها مما يدرک بالبداهة ، وأصحاب الاتجاه المادى فى تفسير حركة الكون يعترفون بأنه «لا يوجد شىء من لاشىء » وهذا القول شطر

من مبدئهم العام ، الذى أقاموا عليه نظريتهم ، فكيف يصح هذا ادعاؤهم بأن الكون فى وجوده صيرورته خاضع للصدفة ؟.

ان الواقع ـ وهو أقوى الأدلة ـ يشهد برد هذا القول ، ذلک لأن الطبيعة التى يدعون أنها وجدت وتسير حسب تفسيرهم المصادفى ، هى فى نفسها فى حاجة الى تفسير.

ولا يملک العلم ـ مهما تقدمت وسائله وارتقت مباحث العلمـاء سوى تفسير الظواهر بمعنى : وصفها بما تؤدى اليه نتائج التجارب أما تعليلها ، بمعنى معرفة لماذا تحدث الظواهر ، فدون ذلک استحالة واضحة ، ولقد صدق ماقيل فى هذا المقام «ان الطبيعة حقيقة من حقائق الكون ، وليست تفسيرا له » وما قاله عالم البيولوجيا الأمريكى «سيسل بايس هامان : « كانت العملية المدهشة فى صيرورة الغذاء جزءا من البدن ، تنسب من قبل الى الاله ، فأصبحت اليوم بالمشاهـدة الجديدة تفاعلا كيميائيا ، فهل أبطل هذا وجود الاله ؟ ان صح هذا فما هى القوة التى أخضعت العناصر الكيميائيه لتصبح تفاعلا مفيدا ؟ ان الغذاء بعد دخوله فى الجسم الانسان يمربمراحل كثيرة خلال نظام دقيق ، ومن المستحيل أن يتحقق وجود هذا النظام المدهش باتفاق محض ، فقد صار حتما علينا أن نؤمن بعد هذه المشاهدات ، بأن الله يعمل بقوانينه العظمى التى خلق بها الحياة (٨) »

وقد استطرد هذا الباحث قائلا «ان الطبيعة لاتفسر شيئا من الكون وانما هى ، نفسها بحاجة الى تفسير » ثم افترض ادارة حوار على هذا الشكل : لو أنک سألت طبيبا:ماالسبب وراء احمرار الدم ؟ لكان الجواب : لأن فى الدم خلايا حمراء حجم كل خليه منها كنسبة ١ : ٧٠٠ من البوصة ؟ ، فلو سألته . ولماذا تكون هذه الخلايا حمراء ؟ لكان الجواب : فى هذه الخلايا مادة تسمى «الهميوجلوبين » وهى مادة تحدث لها الحمرة حين تختلط بالاكسوجين فى القلب ، فاذا سألته : ولكن

من أين تأتى هذه الخلايا التى تحمل «الهميوجلوبين » ؟ لأجابك : انها تصنع فى الكبد فاذا سألته وكيف ترتبط هذه الأشياء الكثيرة من الدم والخلايا والكبد وغيرها ، بعضها ببعض ارتباطا كليا ، وتسير نحو أداء واجبها المطلوب بهذه الدقة الفائقة ؟ لأجابك : هذا مانسميه بقانون الطبيعة الذى ينظم الحركات الداخلية للقوى الطبيعية والكيميائية . فإذا سألته ولماذا تهدف هذه القوى دائما الى نتيجة معلومة ؟ وكيف تنظم نشاطها ، حتى تطير بعض الحيوانات فى الهواء ويعيش بعضها فى الماء ، ويعيش الانسان على ظهر الأرض بجميع مالديه من الامكانيات والكفاءات العجيبة المثيرة ؟ لكان الجواب : لاتسألنى عن هذا فان علمى لايتكلم الاعن مايحدث « ليس له أن يجيب عن لماذا يحدث » (٩) .

ان ماكشف عنه البحث العلمى فى تطوره وارتقائه من نظم وقوانين تتخلل عناصر الطبيعة يؤكد دحض فكرة المصادفة فى تفسير الظواهر ، حتى ان كثيرا من الباحثين يرون أن القول بهذه الفكرة فيه مناقضة صريحة للكشوف العلمية ، ويؤيدون هذا بقانون العناصر الدورية ويرون أنه ليس من الممكن أن يطلق العلماء على هذا النظام الرائع فى «الطبيعة عبارة ، « الصدفة الدورية » وانما هو القانون الدورى » وليس من الممكن أيضا انكار ماتتطلبه الظوابط والنظم فى الطبيعة من وجود اله مدبر ، ذلك لأن عدم ايمان العلم الحديث بهذا الاله انما هو فى الواقع انكار لكشوفه كنتيجة حتمية .

ان قانون «المصادفة » يفسر بأن حظها من الاعتبار يزداد وينقص بنسبة معكوسة مع عدد الامكانيات المتزاحمة ، فكلما قل عدد الأشياء ازداد حظ لمصادفة من النجاح وكلما كثر عددها قل حظ المصادفة (١٠) .

وبناء على هذا فان فرصة خروج عشر قصاصات من الورق كتبت عليها الأعداد من واحد الى عشرة ، من حافظة مغلقة ، بنفس الترتيب انما تجىء بنسبة

واحد الى عشرة بلايين من المحاولات . واذا كان الممكن المتزاحم هنا محصورا في هذا العدد فما بالنا اذا اتسعت الممكنات ؟ لقد انتهت أبحاث العالم الرياضي السويسري «تشارلز لزبوجين» الى أن امكان حدوث الجزء البروتيني عن «الصدفة» يتطلب مادة يزيد مقدارها عن المادة الموجودة الآن في الكون بليون مرة ، وأما المدة التي يمكن فيها ظهور نتيجة ناجحة فهي أكثر من مائتين وثلاثة وأربعين صفرا توضع أمام الرقم «عشرة» من السنين : ولعل هذا الأمر المعقد هو الذي حمل العالم الأمريكي «كريسي موريس» على القول بأن الهدف من اثارة مسألة «الصدفة» ليس الا أن توضح كيف تتعقد الوقائع بنسبة كبيرة جدا في مقابل الصدفة ، وان للحياة فوق كوكبنا شروطا جوهرية عديدة .

بحيث يصبح من المحال حسابيا أن تتوافر كلها بالروابط الواجبة بمجرد المصادفة ذلك لأن أهم ما تنطوي عليه هذه الفكرة هو فقدان التوجيه والتسديد نحو هدف محدد وهذا مايرفضه نظام هذا الكون (١١) .

٤ ـ القوانين العلمية المحايدة وعلاقتها بالايمان :

العلم ادراك مباشر أو غير مباشر لموضوعه وغايته الكشف عن الروابط التي تحكم الظواهر الكونية . والتي تسمى «القوانين العلمية» ، ومتى وصل الى هذه الغاية يكون قد أدى رسالته المنوطة به . ولكن يبقى وراء ذلك مسألة يدهش منها الباحث ، ملحدا كان أم مؤمنا وهي : التعليل الحقيقي لاحداث الظواهر وأولهما : يفسر دهشته بما يتفق مع هوى نفسه ، وثانيهما : يرجعها الى ماتقره طبيعة الانسان المعتدل ، ذلك لأن الانسان من حيث وقد زود بشعور عميق وقوي ، بأن وراء الوجود المادي وجودا أسمى وأقوى هو الموجود على الحقيقة ،واذا كان في احقاب التاريخ السحيقة قد تلمسه في بعض الظواهر الكونية التي شعر منها بما تمده به من وسائل الحياة وطرائق العيش وإذا كان هذا التصور خاطئا لدى أصحاب الأديان

الصحيحة المنزلة ، فان هذا الخطأ فى نظرنا لايتجاوز الايمان الى مقابله وهو الا لحاد غير أنه ايمان قد أخطأ موضوعه الصحيح ومن ثم جاءت الأديان السماوية كلها لتصحيح تصور البشر للاله ، ولم تنشىء لديهم ايمانا لم يكن موجودا فى أصل فطرتهم .

ان كثيرا من علماء اللاهوت والنفس يتحدثون عن أصل الغريزة الدينية التى يولد الانسان مزودا بها ، ويقرون أنه فى حاجة ضرورية الى مبدأ دينى أو أخلاقى ليضبط سلوكه اذا أريد له ألاتكون نفسه مسرحا للصراع المحتدم ، والفوضى التعسة ، فعلماء اللاهوت يتكلمون عن «غريزية الدين » بفكرة الميثاق الواردة فى الكتاب المقدسة . التى تظهر بشكل واضح فى القرآن الكريم ، وتفسر بأن الانسان فى مرتبة وجودية سابقة قد تعرف على ربه ، وأقر بذلك .

يشير الى هذا ماجاء فى القرآن الكريم «واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » (١٢) .

وجمهور علماء النفس يقرون هذه الغريزة وأن اختلفوا فى تفسيرها ، ولعل أظهر تفسير لها ماقال به كل من : « شيلر ماخر » و « تيليح » من أن أصل الدين من الوجهة النفسية يرجع الى : الادراك النظرى فى الانسان الخاص بالسببية ، والشعور بالتبعية ، والحدس باللانهائى ، وكلام الأول من هذين الباحثين، يكاد ينطق بوحدة وجود ظاهرة اذ يرى أن « اللامتناهى » يوجد فى كل مايحيا ويتحرك ، وفى كل نمو وكينونة ، فى كل عمل ومعاناة ، واننا نمتلك الحياة ، ونعرفها عن طريق احساسنا المباشر بهذا الموجود (١١) .

واذن فوقوف العلم عند حدود تفسير الظواهر دون تعليلها ، يؤدى الى افساح المجال امام العقل لتلمس علة مقبولة ، خارجة عن دائرة الطبيعة موضوع

البحث ، وادراك هذه العلة انما يكون بوسائل غير التى تدرك بها القوانين العلمية، كما أنها لاتخضع فى ادراكها لماتخضع له عناصر الطبيعة .

واذا كان الأمر كذلك فأى قصور يمكن أن توصف به فكرة الماديين الذين يذهبون الى أن صدور الحوادث عن قوانينها تلغى نسبتها الى أسباب فوق الطبيعة .

ذلك لأن القانون لايؤثر فى احداث الظواهر ـ وهذا أمر قدسبق ذكره ـ ولكنه مستنبط منها كنتيجة لها ، وكون النتيجة هى السبب فيه قلب للحقائق ، وهذا مرفوض بأوليات العقل .

ويضاف الى قصور الملحدين وصف آخر أدخل فى مقام الذم من هذا الوصف ، وهو «التعصب» الشديد لما يذهبون اليه وعدم الاكتراث بما يذهب اليه الغير ، ولو كان صحيحا ، ولقد عبر عن موقفهم هذا العالم الانجليزى الشهير «جيمس جينز» حين قال : ان فى عقولنا تعصبًا يرجع التفسير المادى للحقائق »

اختيار بعض القوانين :

العناصر البيولوجية الرئيسية لحياة الكائن الحى هى : الأوكسيجين والهيدروجين وثانى أوكسيدالكربون والكربون ، وتوجد هذه العناصر فى محيط الحياة الأرضية بنسب مضبوطة ،

ويقرر كثير من الباحثين التجريبيين أن العالم ليس لديه ايضاح لهذه الحقيقة ، وقد تأدوا الى حقيقة هامة فى هذا السبيل هى : أن هذا التوازن النسبى بين العناصر لولم يكن على هذه الحالة التى هو عليها الآن لما كانت هناك حياة ،

بكل صورها : الانسانية والحيوانية والنباتية ، فلو أن نسبة الأوكسيجين المقررة فى الغلاف الجوى بمقدار ٢١٪ زادت بما يتجاوز حالتها الراهنة لأدى ذلك الى أن جميع المواد القابلة للاحتراق تصبح عرضة للاشتعال ، حتى انه اذا حدثت شرارة برقية مثلا ، فان ذلك يؤدى الى اشتعال كل ماهو قابل للاحتراق ، وبالتالى لو أن نسبة الأوكسيجين هبطت عن معدلها ، فان الحياة أيضا تصبح مستحيلة على هذه الصورة من الرقى والمدنية ، و اذن ففى اختلال نسبة وجود عنصر واحد مقيسا الى العناصر الأخرى اللازمة للحياة اطاحة بالحياة كلها .

وهذا التناسب بين هذه العناصر هو مايطلق عليه «قانون التوازن بين العناصر» ولسنا فى حاجة الى أن نتوسع كثيرا فى ضرب الأمثلة ، ولكن يكفينا أن نشير هنا الى أن أحد العلماء الاثبات قد أقر بأن العلاقة العجيبة التى بين الأوكسجين وثانى أوكسيد الكربون ، فيما يتعلق بالحياة الحيوانية والنباتية قد استرعت أنظار كل العالم المغربى (١٢) .

وموضع الدهشة هنا يمكن فى العلاقة التبادلية فى الحياتين : الحيوانية والنباتية ، فالأوكسيجين هو قوام الحياة الحيوانية (الانسان والحيوانات) وأن أكسيدالكربون هو من مخلفات هذه الحياة ، وهو فى نفس الوقت قوام الحياة النباتية والأوكسيجين من مخلفاتها ، فكأن مابه حياة أحدالطرفين هو من مخلفات الطرف الآخر.

ولو كانت هذه المقايضة غير قائمة ، فان الحياة الحيوانية أو النباتية كانت تستنفد فى النهاية كلا العنصرين ولا يكون هناك مابه قوام هاتين الحياتين (١٣) .

ان العلماء المتجردين ـ وقد أدهشهم هذا النظام الذى لم يستطيعوا له تفسيرا علميا انما يقرون ـ انطلاقا من هذا الموقف ـ بالروح الكونية المتعالية التى

تدبر أمر هذا الوجود .

حتى قال بعضهم : من الممكن أن نسأل أى رجل . . مؤمنا بالله كان أو منكرا له . أن يثبت كيف يمكن أن يكون هذا التوازن فى صالحة اذا كان الكون قد وجد بمحض الصدفة (١٤) .

وبجانب قانون التناسب بين العناصر ، توجد قوانين أخرى ، لعل أظهرها بالنسبة للحياة مايمكن أن يسمى بالتوازن بين الكواكب من حيث أبعادها وأحجامها النسبية .

لقد قرر العلم أن الأرض ـ ونخصها بالذكر لأنها الكوكب الذى تظهر فيه حياتنا ـ لو كانت أقل أو أكثر مما هى عليه الآن لاستحالت الحياة فوقها ، فلو كانت أقل لقلت جاذبيتها تبعا لذلك وتصبح والحالة هذه غير قادرة على امساك الماء والهواء اللازمين لحياة الكائن الحى .

كما هوالحال الآن فى كوكب القمر ، فضلا عن برودتها الفائقة ليلا وحرارتها الفائقة نهارا . مما يؤكد استحالة الحياة .

ولو كان حجمها أكبر مما هى عليه الآن ، الى الضعف مثلا لتضاعفت جاذبيتها ، وتبعا لذلك ينكمش غلافها الجوى ، وهذا بالضرورة يتنافى مع حياة الكائن الحى ، نظرا لتضاعف الضغط الجوى .

وهكذا نرى أنه على أى فرض من الفروض تنعدم الحياة على البسيطة ، وهذا مايقره العلم نفسه ، ولا يملك العلماء أيضا الا الدهشة من هذا النظام العجيب حتى ان بعضهم ليطلق على هذه الظاهرة اسم : ١٩ عجلة التوازن العظمية » (١٥) .

ان كوكبنا ليس ثابتا ، بل يدور بسرعة يبلغ مقدارها ألف ميل فى الساعة ،

ووضعنا عليه أشبه مايكون بحصاة وضعت على محيط عجلة تدور بسرعة ، يوشك أن تقذف بها في الفضاء ولكن الأرض لا تقذفنا ، بل نحن مستقرون عليها ، فكيف تمسكنا وهي تدور بهذه السرعة . ؟

ان فى الأرض جاذبية غير عادية ، تشد كل شىء اليها ، فهذه الجاذبية مع ضغط الهواء المستمر يمسكاننا فوقها بنسبة معلومة .

لقد كشف « نيوتن » عن قانون الجاذبية ، ولكنه لم يستطع الوصول الى تعليل لهذا القانون ، من ثم وقف عند هذا القدر ، وماكان له أو لمثله أن يتقدم خطوة الى الأمام ليعلل لهذه والظواهر بماهو فوق الطبيعة وفوق قوانينها وبعد أن لوا محصورين فى اطار العالم المادى ، أما أصحاب العقول المتحررة من العلماء فلم يعجزوا عن تعليل مثل هذه الظاهرة وغيرها بوجود روح كونية تسرى فى هذا الوجود ، تعطيه معنى وهدفا ، لقد علق ـ «هوايت هيد » على قانون الجاذبية » الذى كشف عنه نيوتن بقوله : لقد كشف نيوتن حين سلم بهذا عن حقيقة فلسفية عظيمة ، هى أن الطبيعة بغير روح فلن تفسر نفسها ، كما أن الشخص الميت لايستطيع أن يحكى لنا واقعا ، ان جميع التفسيرات الطبيعية والمنطقية لم تزد أخير على أن تكون اظهارالهدف ، لأن الميت لايمكن أن يكون عمل أهداف .

ولايمكن أن توجد هذه الروح المدهشة الا فى ظل سلطان وجود ذى ادراك هو علة هذا الكون (١٦) .

وما ذكرناه ليس أمثلة حاصرة ، ولو شئت اختبار أى قانون علمى على ضوء ماذكرنا فلن يملك الافصاح بلسان المقال عن التعليل الحقيقى لوجود الظواهر ، لأنه لايتجاوز دور الرابطة التى تحكمها ، ولكنه ينطوى على معنى أعمق من القول ، يدركه الباحث المحايد البعيد عن الهوى والتعصب انطلاقا من نفسه

هو ، باعتباره كائنا ، يصعب تفسيره وتحليله من جميع جوانبه فى ضوء معطيات العلم القاصر ، ولقد صدق الى حد بعيد قول «أوسبورن » .

بين جميع الأشياء التى لايمكن ادراكها فى الكون ، يقف الانسان فى الطليعة ، وبين الأشياء التى لايمكن ادراكها فى الانسان تتركز الصعوبة الكبرى فيما له من مخ وذكاء وذاكرة وآمال وقوة كشف وبحث ، وقدرة على تذليل العقبات(٧٠)».

ومما لاشك أن العلم فى تقدمه واطراده وكشفه عن الجديد ، يصادف كثيرا من المشاكل التى تتمتع على العقل البشرى ، بحكم طبيعته من ناحية ، وبحكم طبيعة الوجود من ناحية أخرى ، مما يؤكد أن الانسان اذا قصر معارفه على ماوصل اليه عقله ، فان فى ذلك استنامة لفكره ووجدانه وروحه ، وأما اذا اعتقد فيما ور اء حدود العقل ـ بناء على طبيعة العقل نفسه ـ فان فى هذا ترقيا لعقله وروحه معا ويتبين لنا من هذا كيف يكون العلم سندا للايمان وتدعيما له .

٥ ـ انفراج الأزمة التى اختلقها الملحدون بعد ظهور الأبحاث المحايدة :

فى الاقترا ب من الروح العلمية الحقيقية مايدعو الى التفاؤل بالنسبة للايمان ، ذلك لأن العلم كلما أخذ طريقه نحو غايته ، تكشفت له السنن الكونية بقدر مافى جهد العلماء من محاولات جادة ، ويتأكد فى ثنايا هذا الجهد المبذول أن قانون الظواهر أو بلغة المؤمنين السنن الكونية ليست ذاتية للمادة ويؤكد ذلك ايضا أزمة مبـأ الحتمية اذ لو كانت هذه السننن ذاتية لما أمكن تخلفها ، لأن مابالذات لايتخلف كما يقال ، ولانستطيع تفسير هذه الأزمة بفكرة «المصادفة» بعد أن بينا أن الحياة فى كنفها يفقد أهدافها .

ولقد انفرجت الأزمة التى أحدثتها بعض البحوث التى وقفت بأصحابها عند تخوم عالم الظواهر فى القرن الماضى ، بعد أن ظهر ت الى الوجود مباحث

الاثبات من أساطين العلم فى عصرنا ، حتى ان بعضهم ليصف مباحث الأسلاف ، التى لم تأخذ طريق البحث الصحيح ومن ثم لم تصل بهم الى ادراك الحقيقة الكلية المطلقة الكامنة وراء موضوعات بحوثهم بأنها مباحث فجة ، ولعله يعنى أن هناك روابط قوية بين البحث العلمى الصحيح وبين الايمان .

يقول : «كريسى موريسون « والذين أتيح لهم العلم بالعالم لايحق لهم أن ينظروا نظرة الازدراء الى فجاجة أولئك الذين سبقوهم ، أو الذين لايعرفون الآن الحق كما نراه . بل اننا على العكس من ذلك يجب أن تأخذنا الروعة والدهشة والاجلال لاتفاق البشر فى نواحى العالم على البحث عن الخالق والايمان بوجوده .

أو ليست روح الانسان هى التى تشعر باتصالها بالله ؟ أم نخشى أن نقول بأن الحافز الدينى الذى لايملكه الا الانسان . هو جزء من الكائن الواعى كأية صفة أخرى من خصائصه ؟ » (١٨) .

ونلمح فى الفقرة الأخيرة من النص السابق القول بفطرية التدين » وأنه خاصية من خصائص الانسان ، وهو قول يتمشى مع الفطرة كما سبق أن أشرنا .

وكأن هذا الباحث يقرر أن فى التقاء نتائج البحوث العلمية الجادة مع مطالب النظرة الانسانية مايبرر تدعيم العلم للايمان الواعى ، ان البون شاسع بين أولئك الذين قام ايمانهم على ضرب من المحاكاة والتقليد ، أو من وقف بهم مباحثهم عند منتصف الطريق ، فأصبح ايمانهم مستهدفا من أصحاب الايدلوجيات الملحدة وبين أصحاب الايمان الراسخ ، الذين تأدوا اليه بعد طول المعاناة وبذل الجهد مع كل الطريق التى تصل بهم الى الحقيقة الثابته .

وهل هناك ماهو أجدى على الايمان من وقوف الباحث على أقصى

درجات الطاقة البشرية ليكتشف نفسه عجز العقل البشرى الطلعة عن تعليل كثير من ظواهر الكون ويقر ـ تبعالذلك ـ بالقوة المطلقة والعقل الحكيم ؟ .

ويمكن القول بأن البحوث التى وقفت بأصحابها عندهذه النتيجة،قدتنوعت حتى شملت كل ألوان المعارف العلمية التجريبية ، من طبيعية ورياضية وبيولوجية وفلكية الى آخره ، وربما كان موقف العالم الرياضى من بين مواقف الباحثين الآخرين أرجع فى هذا المجال ذلك لأن الكون من خلال هذه المباحث يتراءى للناظرين فى اطار من النسب الرياضية ، مما يمكن معه صحة قول الأقدمين : ان الله يهندس ». وان الهندسة تترجم لنا حكمة الله فى مخلوقاته العلوية وعلى السواء.

وممن برع فى هذا المجال «آرثر أدنجتون » الذى قرر فى مباحثه أن تفسير الكون بالحركة الآلية لايسيغه العلم الحديث ، وان الكون أحرى أن يفسر بالنسب الرياضية فى عقل عاقل ، ولكن الانسان هو سر الكون الأكبر ، وهو الذى يدرك هذه النسب ، ويدرك مابين عقله وعقل الكون من علاقة وثيقة ، وأنه اذا جاز للحركة الآلية أن تخلق فى المستقبل انسانا آليا » فليس مما يجوز فى العقل أن تتخيل ذلك الانسان سائلا عن الحقيقة أو مباليا بأسباب الحق والباطل ولكن هذا الشوق الى الحقيقة هو لب لباب الحياة ، وهو محور الوجود الانسانى ، منذ نجم من صلب هذه الطبيعة : هذا هو الذى يجعل الانسان شيئا مغايرا كل المغايرة لما حوله من الظواهر الطبيعية ويجعله قوة روحية . . . ومتى ارتفعت الصيحة من قلب انسان : فيم كل هذا ؟ لم يكن صالحا لتلك الصيحة أن ننظر الى هذه التجارب التى نتلقاها من حسّنا ونقول : كل هذا هو ذرات وفوضى . بل الأحرى أن نفهم أن كل هذا وراءه روح يستوى الحق فى محرابها ، وتمكن فيها قوابل لتنمية الذات ، بمقدار مافيها من النزوع الى تلبية عناصر الخير والجمال . . » (١٩) .

وليس «أدنجتون » الاواحدا ممن التزموا جادة الحق فى مباحثهم العلمية

فأدى هذا الى تلك النتائج الروحية ، ولا تزال أمثال هذه المباحث تترى فى بلاد الغرب ، على أيدى كثير من المحققين فى عصرنا ، ولعل أظهرهم العالمان الكبيران «كريس موريسون » و«ألكسيس كاريل » وجاءت كتابات الأول فى مؤلفه العظيم «الانسان لا يقوم وحده » شاهدة صدق على تدعيم الايمان بمكتشفات العلم . لقد ساق فى هذا المؤلف سبعة أسباب للايمان بالحقيقة الالهية، يعرفها الطبيعيون والرياضيون ولا تستطيع العقول الصحيحة أن تردها الى المصادفة ، لأنها لاتختل أبدا ، ممايدل على التلازم المستمر بين الظواهر وأسبابها فى نطاق الأمور العادية ووقوع هذه الظواهر بمحض المصادفة لا يتجاوز الواحد الى ألوف الملايين كما ذكرنا .

ان « الجينات»التى يتولد منها البشر جميعا اليوم ، لو أمكن وضعها فى حيز ، فلن يتجاوز هذا الحيز حجم « قمع الخياطة » ومع ذلك فان هذه « الجينات » تحتوى على جميع الخصائص الآدبية لملايين البشر ، وكيف يفسر العلم فضلا عن المصادفة ـ انطواء هذه «الجينات » على جميع عوامل الوراثة ، المستقاة من الأسلاف ، مع الاحتفاظ لكل فرد بمقوماته النفسية وهى موجودة فى هذا الحيز الصغير ؟ (٢٠) .

ان هذا الدليل أحد الشواهد التى ساقها هذا العالم الممتاز ، وكلها سيقت لنقض مزاعم المنكرين باسم العلم «للحقيقة الكبرى » وبيان لتهافت هذه الدعوى باسم العلم نفسه ، مما يؤكد أن مباحث المنكرين لم تسلم فى كثير منها من الخبط والتعصب اذا العلم ـ من حيث هو ـ برىء من هذا الانكار والتعطيل الذى يشل العقول ويفقدها شجاعة الاعتقاد ، فاذا جاز له أن ينكر فانما يجوز له ذلك بحجة واحدة : هى أنه يجهل وليس أنه يعلم ، ومن الجهل لامن العلم أن تجعل الجهل مرجعا للوجود من أعلاه الى أدناه ، فليقل «العالم » انه يجهل لأن

الأمر أكبر من أن يعرفه ويحيط بحدوده ، ولكن الأمر الـذى لايعرفـه ولايحيط بحدوده موجود لاشك فيه » وعدم العلم ليس علمـا بالعـدم كمـا قال المفـكر الاسلامى « ابن تيمية » .

ولعل أطرف ماقيل على لسان « موريسون » فى مقام الرد على المنكرين وان كان الكتاب كله كان ردا على ماجاء فى كتاب « الانســان » يقـوم وحـده « لجوليان هكسلى » تلك العبارات التى قال فيها : لقد قال : « هيكل » أعطنى هواء ومواد كيماوية ووقتا وأنا أصنع انسانا ولكنه أعقل وحدات الوراثة « الجينات » وأعقل الحياة نفسها ، لقد كان عليه لو استطاع - أن يجد وينظم الذرات غير المرئية ووحدات الوراثه ويمنحها الحياة ، وحتى فى هذه الحالة كانت النتيجة بنسبة واحد إلى ملايين ، انه كان يأتى بوحش لامثيل له ، ولو أنه نجح فى ذلك لقال ان الأمر لم يكن مجرد مصادفة ، ولكن ثمرة عقله ! ! ! حقا ان الله يخلق معجزاتـه بأساليب تخفى على الأذهان (٢٢) .

وما كان لهذا العالم أن يتوسع فى السخرية باسم العلم من هؤلاء الأدعياء بعد أن أصاب حقيقة عجزهم ومكان تعجيزهم ، فى حاجتهم الى المادة التى منها يمكن صنع الانسان فى نظرهم ،وعقليتهـم عن الجانب الحيوى الذى به ٢٥ تقوم الحياة ، وهل هناك أدعى للعجز والتعجيز من الاحتياج والقصور ؟

والشاهد الآخر من باحثى هذا العصر على صحة انفراج أزمة الانـكار المفتعلة هو الطبيب الفرنسى الشهير « ألكسيس كاريل » صاحب كتاب الانسان ذلك المجهول ، والحائز على « جائزة » نوبل عن بحوثه المتقدمة فى عالم « الطب » لقد جعل من الانسان مركزا لدراساته ووضع يده على كثير من المجاهيل التى لايستطيع العلم تعليلها . وجهل العلماء بها أصبح جهلا مطبقا لأن أغلب الأسئلة التى يسائل بها أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشرى فظل بلا جواب

لأن هناك مناطق غير محدودة فى دنيانا الباطنية لاتزال غير معروفة ، فنحن مثلا : لانعرف حتى الآن مع التقدم العلمى الهائل ، الاجابة على أسئلة كثيرة مثل : كيف تتحد جزئيات الموارد الكيماوية لكى تكون المركب والأعضاء المؤقتة للخلية ؟ وكيف تقرر «الجينس» الموجودة فى نواة البويضة الملقحة صفات الفرد المشتقة من هذه البويضة ؟ . . . .

ماهى طبيعة تكويننا النفسانى والبيولوجى والفسيولوجى ؟ اننا نعرف أن الانسان مركب من الأنسجة والأعضاء والسوائل والشعور ، ولكن العلاقات بين الشعور والمخ لاتزال لغزا .

اننا مازلنا بعيدين جدا عن معرفة ماهية العلاقات الموجودة بين الهيكل العظمى والعضلات ووجود النشاط العقلى والروحى ، وما زلنا نجهل العوامل التى تحدث التوازن العصبى ومقاومة التعب والكفاح ضد الأمراض . . . .
اننا لانستطيع أن نهب أى فرد ذلك الاستعداد لقبول السعادة بطريقة صناعية . . . الخ

ويتابع عالمنا الكشف عن هذه المساير ، وينتهى الى الحقيقة الرائعة . وهى أن جميع ماحققه العلماء من تقدم بالنسبة للانسان من حيث دراسته ٢٦ لايزال غير كاف ، وأن معرفتنا بأنفسنا مازالت بدائية فى الغالب (٢٣) .

أجـل ! ! ! ان الانسان على ضآلة حجمه بالنسبة لكثير من الموجودات الأخرى سيظل مستودع الأسرار . وان المساتير كلها قد انتهت اليه ؟ ولقد صدق ماقيل فيه :

وتزعـم أنك جـــرم صغيـر
وفيك انتهى العالم الأكبر

وحسب هذا الباحث الفذ أن يقرر في اطمئنان أن مصير الحضارة معقود بنواصي الانسان متى عرف نفسه (٢٤) .

ومن محاولاته سيشعر بالعجز التام ازاء كثير من العلاقات التي تحكم كينونته وتركيبه وسيكون هذا خطوة للاعتراف بماوراء عالمه من قوة مدبرة ، ويد صناع ، مجالها الايمان ، والايمان وحده ، وليس الحس أو العقل أوكلاهما .

٦ ـ هل يمكن قيام حضارة على علم بلا روح ؟ :

الحضارة في أدق تصورها انعكاس لمطالب الانسان من حيث هو . ولما كانت هذه المطالب أوسع من أن تحد باحتياجاته المادية ، فان أشواقه الروحية لابد أن تكون داخله في المركب الحضاري للانسان ، وتكون العلاقة بينها وبين المطالب الأخرى أو النماذج المكونة لهذا المركب علاقة ترابطية ، من ثم نرى أن أية حضارة أغفلت جانبا ضروريا للانسان قد حكمت على نفسها بالانهيار . وحينئذ يظهر لكل دارس بأدنى جهد ـ بناء على هذه القاعدة ـ أسباب قيام وسقوط الحضارات وكذلك تقسيمها الى ديننا وعلمنا وغير ذلك من التفريعات التي يراها مؤرخو التطور الانساني .

ويهمنا الاجابة على السؤال الذي طرحناه كعنوان جانبي لهذا المبحث ، على مستوين .

أحدهما : نظري والآخر واقعي تطبيقي.

فأما على المستوى النظري فان الانسان ليس ذلك الكيان المادي الذي يشغل حيّزا من الفراغ فحسب ، ولكنه مزيج من المادية والروحية معا ، وليس لنا أن نقرر أكثر من هذا بعد مابيناه من مباحث سلفت ، واذا كان العلم قد تكفل

باشياع الجانب المادى فيه ، وذلك باكتشاف مايلائم حاجاته ومايحفظ عليه كيانه هذا ، فان الجانب الآخر فيه هو أيضا فى حاجة الى أشباع ، وليس من سبيل الى هذا الاشباع الابالدين الصحيح الذى يملأ على الانسان كيانه الروحى .

وأداء هذه المطالب فى جانبيها : المادى والروحى بالنسب اللازمة ، هو الذى يحفظ على الانسان حيويته ونشاطه بكل أبعادهما ، وما يقال على الانسان الفرد يقال أيضا على المجتمع ، وفى تصورى أن أى رأى فى دراسة الحضارات ، يتجاوز هذه القاعدة لايعبر الا عن نزعة خاصة أو تصور ذاتى ، وليس مرتكزا على
٢٨ كيان الانسان من حيث هو كينونة متعددة النزعات . وأن عامل احتفاظها يمكن فى المعادلة النسبية بين هذه النزعات .

ومن أظهر الباحثين المعاصرين الذين لهم رأى مرموق فى قيام الحضارات وانحلالها المؤرخ الانجليزى أرنولد توينبى » وهو يذهب الى أن انحلال الحضارات يرافقه فساد يدب فى أرواح الناس ، وتغيير جذرى يطرأ على سلوكهم ومشاعرهم وحياتهم كلها ، ويحل محل الصفات الباهرة والقوى المبدعة ، التى كانت تزخربها ذواتهم فى دور النمو الحضارى ، ثنائية من النزعات والمواقف العقيمة المتناقضة . . . .

وفى هذا الدور يتعرى الفساد الروحى عن فوضوية فى الأخلاق ، وانحطاط بسود الآداب والفنون (٢٥)

ويبدو أن هذا المؤرخ قد حدد العلاقة بين الجانب المادى والجانب الروحى فى كيان الانسان ، ولكنه يرى أن التردى فى الناحية الأولى يتبعه ـ كنتيجة السقوط فى الناحية الأخرى وهذا فى تصورى تجاوز فى تقدير كل من الكيان المادى الروحى وأثر كل منهما فى قيام أو سقوط الحضارة ، اذ الحقيقة التى

لايمكن للعقل أن يردها أن الجانب الروحى فى الانسان هو السبب الحقيقى لما وراءه من حيوية أو خمول ، ويؤكد هذا ، مانطق به القرآن الكريم ، وقضاياه حاسمة فى كل قضية يتعرض لها ، لأنه الكتاب الوحيد الذى يكاد يتم اجماع الباحثين الأثبات ، فى الغرب والشرق على السواء على صحة نسبته الى الله سبحانه وتعالى ، خالق الانسان ، والعالم بكل أسراره التى تخفى علينا ، يقول الله فى ذلك : ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (٢٦) » . ويقول أيضا : قد مكرالذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لايشعرون (٢٧) » .

ومعلوم أن تغيير مابالنفس ـ ايجابا أو سلبا ـ أمر يسبق معانيه نتائجه ، كما هو صريح هذين الشاهدين ، والشواهد الأخرى فى القرآن الكريم .

تلك سنة تكشف عن طبيعة العلاقة بين الجانب المادى والروحى فى الانسان ولا نملك ردها ، لأن صدقها أمر مقرر ـ بحكم مخلوقية الانسان لله ـ كما أن الواقع يؤيدها .

وأما على المستوى التطبيقى ، فان الواقع الذى يعانى منه العالم الغربى المعاصر مع الاطراد الهائل فى الانماط الحضارية التى هى وليدة التقدم العلمى ، لأكبر شاهد على مانقول .

ان العلم فى ظل هذه الحضارة جعل الانسان عبدا للآلة بدلا من أن يكون سيدالها ، ومقهورا تحت وطأة الميكانيكية التى تجتاح كيانه الروحى ، واذن فشقاء الانسان الغربى المعاصر قد جاءه من حيث ظن أنه سيسعد ، و الا فكيف نفسر تلك الظواهر الشاذة فى سلوكه ؟

انها تعبير عن تمزقة الداخلى . سببه أنه تمسك ببعض الحقيقة وفقد

أكثرها ، لقد وقف عند ظاهرها المادى ، فأحست نفسه بالقلق والتمزق ، انه اكتفى بالعلم والعقل والمادة ، ولايشكل هذا كله الاجناحا واحدا لطائر مكسور الجناح الآخر (٢٨) .

ان فى أعماق انسان اليوم فراغ موحش ، لايمكن أن تملأه حضارة مادية وسوف لايكف الانسان عن هذا النداء الداخلى ، ولاسبيل الى الاجابة الصحيحة الا بملء روحه بالدين الصحيح ذلك الدين الذى تقدم للاجابة على ماعجز العلم عن تفسيره ، من مشاكل المبدأ والمصير والغاية ، لأنها حقائق فوق طاقته ، اذ هى من عالم مغاير ، كما أنها فوق طاقة العقل ، والالما تعددت اجابات الفلاسفة على هذه الأسئلة :

من أين ؟ والى أين ؟ ولم ؟

ان انسان العصر ـ وبخاصة فى البلاد الغربية على الرغم مماله من فلسفات نقدية ، وتخصص علمى ، يجد نفسه فى ورطة ، فمذهبه الطبيعى قد جعل له سلطانا على قوى الطبيعة لم يسبق له مثيل ، لكنه قد سلبه ايمانه فى مصيره هو ، ان نشاطه المادى والعقلى جعله يكف عن توجيه روحه الى الحياة الروحانية الكاملة . التى تتغلغل فى أعماق النفس ، فهو فى حلبة الفكر فى صراع صريح مع نفسه وفى مضمار الحياة الاقتصادية والسياسية فى كفاح صريح مع غيره ويجد نفسه أيضا غير قادر على كبح أثرته الجارفة ، وقد استغرق فى الواقع الظاهر للعيان ، فأصبح مقطوع الصلات بأعماق وجوده ، وأخف الأضرار التى أعقبت فلسفته المادية ، ذلك الشلل الذى اعترى نشاطه ، والذى أدركه أحد زعماء الاتجاه المادى «هكسلى» وأعلن سخطه عليه (٢٩) .

ان حضارة اليوم اذا ظلت فى اتجاهها ، لن تكون أسعد حظا من تلك

الحضارات التى عاشت الأم السابقة فى ظلها ، من تطبيق سنة الله الكونية ، وهى الأخذ بالذنب نتيجة الادبار عن الايمان الصحيح بالله ، ايمانا يستأهل به الانسان معنى الخلافة فى الأرض .

«وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لايشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » (٣٠) .

واذن ففى الايمان بالله وعمل الصالح ، تمكين فى الأرض لتعميرها على أساس من الاذعان لسنة الله الكونية ، وفى المقابل نرى صورة الحضارات المتداعية ، التى لم تقم على أساس من الايمان بالله ، : قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين (٣١) .

فكلا أخذنا بذنبه ، فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا ، وماكان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٣٢) .

ان ماتفرزه الحضارة المادية ليس من طبيعته الاستقرار ـ بحكم سنن الله الكونية وكما هو ظاهر فى التاريخ ، وأنه ليعز على السماء والأرض ـ فضلا عن الانسان العاقل أن يذرفا الدمع على سقوط حضارة من هذه الحضارات أو يفرحا بقيام اخرى ، طالما أنها لم تقم على أساس صحيح ، لأن ماجاز على أحد المثلين يجوز على الآخر : «كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوما آخرين ، فما بكت عليهم السماء والأرض وماكانوا منظرين » (٣٣) .

صدق الله العظيم

(بعـــــــد)

فلا نملك ـ في نهاية المطاف ـ الاالقول بأن المباحث العلمية اذ أخذت طريقها الصحيح فلن تكون الانقـلت بالانسان من مقام الايمان التقليدى الـى الايمان الواعي ، كما أن ماوصل اليه العلم وماسيصل اليه ، انما هو سعي في مدارج الحقيقة الكبرى ، وصدق الله العظيم اذ يقول :

«سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أولـم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » (٣٤) .

****

المــــــراجع

(١) د : محمد عبدالله دراز : الدين ص ٧٥.

(٢) نفس المصدر.

(٣) د محمد غلاب : الفلسفة الافريقية ج ١ ص ١١٣.

(٤) انظر التفصيل : ابن سينا : الاشارات والتنبيهات ، نمط الوجود وعلله.

(٥) تهافت الفلاسفة ص ٢٣٧.

(٦) نفس المصـــدر.

(٧) فرانك ألن : نشأة العالم هل هو مصادفة ص ٦ من كتاب «الله يتجلى فى عصر العلم».

(٨) وحيدالدين خان : الاسلام يتحدى ص ٤٢.

(٩) نفس المصدر ص ٤٤.

(١٠) نديم الجمر . قصة الايمان ص ٢٩٣.

(١١) العلم يدعو للايمان ص ٥١.

(١٢) سورة الأعراف آية ١٧٢.

(١٣) د : محمد كمال جعفر : فى الدين المقارن ص ٣٤ ، ٣٥.

(١٤) كريسى موريسون : العلم يدعو للايمان ص ٧٠.

(١٥) نفس المصدر.

(١٦) الاسلام يتحدى ص ٨٤.

(١٧) نفس المصدر.

(١٨) نفس المصدر ص

(١٩) العلم يدعو للايمان ص ٤٦.

(٢٠) العلم يدعو للايمان ص ٢٠٢.

(٢١) عباس العقاد : الله ـ ص ٢٨٨.

(٢٢) العلم يدعو للايمان ص ١٣٩.

(٢٣) عباس العقاد : الله ص ٢٩١.

(٢٤) العلم يدعو للايمان ص ١٥٠.

(٢٥) الانسان ذلك المجهول ص ١٨.

(٢٦) نفس المصدر ص ٣٥٩.

(٢٧) د . عمادالدين خليل : التفسير الاسلامى للتاريخ ص ٨٧.

(٢٨) سورة الرعد : آية ١١.

(٢٩) سورة النحل : آية ٢٦.

(٣٠) أنورالجندى ـ سقوط العلمانية ص ١٢٠.

(٣١) د : محمد اقبال ـ تجديد الفكر الدينى فى الاسلام ص ٢١٤.

(٣٢) سورة النور : آية ٥٥.

(٣٣) سورة آل عمرآن : آية ١٢٧.

(٣٤) سورة العنكبوت آية ٤٠.

(٣٥) الجاثية الآيات من ٢٥ ـ ٢٩.

(٣٦) سورة فصلت آية ٥٣.

****

(أهـــم المــــراجـع)

١ ـ القـــرآن الكـــريم :

(١)	الاسلام يتحـــدى	وحيـد الدين خان
(٢)	العلم يدعو للايمان	كريس موريســـون
(٣)	قصـــة الايمان	نديـــم الجمـــر
(٤)	الديـــــن	د /محمد عبدالله دراز
(٥)	فى الدين المقارن	د /محمد كمال جعفـــر
(٦)	كتاب « اللـــه »	عباس محمود العقاد
(٧)	الله يتجلى فى عصر العلم	مجموعة من الباحـــثين
(٨)	سقوط العلمانية	أنـــور الجـــندى
(٩)	الفلسفة الافريقية	د /محمد غـــــلاب
(١٠)	تهافت الفلاسفة	أبوحامد الغـــزالى
(١١)	الاشارات والتنبيهات	ابن سيـــــنا
(١٢)	المنطق الحديث ومناهج البحث	د /محمود قاســـم
(١٣)	نحن والحضارة الغربية	ابوالأعلى المـــودودى
(١٤)	التفسير الاسلامى للتاريخ	د /عمادالدين خليل
(١٥)	تجديد التفكير الدينى فى الاسلام	د /محمد اقبـــال

****

تصحيح الاغلاط

فى عددنا الماضى المؤرخ فى رمضان ١٤٠٠هـ وقعت بعض اغلاط الطبع فالمرجو من القراء أن يصححوها وهى كمايلى :

صفحة	سطر	غلط	صحيح
٨	١٤	باعوه رجلا من اهل مكة	باعوه من رجل من أهل مكة
١٩	١١-١٢	العهد التقديم	العهد القديم
٢٤	١٣	ومنهم سابق	ومنهم مقتصد ومنهم سابق

الاجتهاد

دور الاجتهاد، و مجال التشريع فى الاسلام

لمحة تمهيدية

د. الاستاذ مصطفى احمد الزرقاء
كلية الشريعة، الجامعة الأردنية
عمان (الأردن)

ان الكلام عن الاجتهاد هو قديم و جديد —

— فهو موضوع قديم لان اسلافنا اشبعوه بحثا و بينوا حقيقته و شرائطه و ضرورته والصفات الواجب توافرها فى المجتهدين . و حدثنا المتأخرون عن اقفال باب الاجتهاد بعد القرن الرابع الى غير ذلك من المباحث القديمة .

— وهو جديد لان الاجتهاد يجب ان يبحث بحثا جديدا، وان ينظر من زوايا و آفاق جديدة لم ينظر احد منها الا قليلا . واني في هذه المحاضرة السريعة لا استطيع ان احيط بمباحث الاجتهاد كلها .

لذلك أقتصر على بعض ملاحظات جديدة عن الاجتهاد من زاوية جديدة نسلط منها نوراً من الماضي لتكشف لنا طريقا الى المستقبل .

ما هو الاجتهاد فى اصطلاح الفقهاء ؟

الاجتهاد — كما يستخلص من تعريفه الفقهي — هو عملية استنباط الاحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية فى الشريعة . و معنى ذلك ان للشريعة حكما في كل حادث ممكن و فيها ادلة كافية لتهدى الباحث المجتهد الى ذلك الحكم الشرعي .

وهذه الأدلة الشرعية كما هو معلوم فى نظر علماء الشريعة اربعة :—

(١) نصوص القرآن، (٢) و نصوص السنة (بجميع وجوه الدلالة فيهما)،

(٣) و اجماع علماء الأمة الاسلامية في أي عصر كان، (٤) والقياس.

و يلحق بهذه الاربعة ثلاثة مصادر تبعية دل القرآن والسنة النبوية على اعتبارها وهي :—

أ — الاستحسان وهو طريق مشروع لاثبات حكم استثنائي على خلاف مقتضى القواعد القياسية لاعتبارات توجب هذا العدول فيه عن مقتضى القواعد .

ب ـ الاستصلاح، او قاعدة المصالح المرسلة لاثبات الاحكام الشرعية وفق الضرورات التنظيمية والاصلاحية فيما ليس فيه نص آمر أو ناه، ولا مخالفة للقواعد القياسية .

ولا نعتد هنا برأى من يخالف في اعتبار الا ستصلاح، او الاستحسان، او القياس مصدرا للاحكام، لان مخالفتهم لم يؤخذ بها ولم تثمر .

ج ـ العرف الذى لا يصادم نصوص الشريعة و قواعدها الثابتة .

ففى ضوء هذا التحديد لمعنى الاجتهاد ولأدلة الشريعة نستطيع ان نتلمس دور الاجتهاد فى مجال التشريع الاسلامى .

دور الاجتهاد

نريد بدور الاجتهاد وظيفته التى اداها و يؤديها فى اقامة بنيان فقه الشريعة الاسلامية و فى تطبيق احكامها.

و من المناسب المفيد فى مجال البحث عن دور الاجتهاد ان نعرف موقع الاجتهاد من الشريعة الاسلامية و فقهها، اى شانه و وظيفته فى تقرير أحكامها .

(١) موقع الاجتهاد من الشريعة و فقهها :

فى هذا المقام نستطيع ان ندعى و نعلن بان الاجتهاد هو بمثابة الروح للشريعة الاسلامية ، و منبع الحياة لفقهها . ولا يعقل ابدا ان تؤدى الشريعة وظيفتها وان يكون لها فقه حى ينظم مصالح البشر باستمرار دون الاجتهاد .

لذلك وجد الاجتهاد منذ ولدت الشريعة فى عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) . فقد اجتهد الرسول نفسه عليه السلام فى حوادث عديدة، و اجتهد اصحابه فى حياته بتوجيه منه .

و من المشهور حادثة سيدنا معاذ بن جبل الصحابى الجليل عندما أرسله النبى عليه السلام الى اليمن معلما و قاضيا، اذ سأله الرسول :—

— بما ذا تقضى فيهم يا معاذ ؟

— قال بكتاب الله.

— قال فان لم تجد ؟

— قال فبسنة رسول الله.

— قال فان لم تجد ؟

— قال اجتهد برأيي ولا آلو (اى لا أقصر فى الاجتهاد و تحرى الصواب الاقرب الى روح الشريعة) فاستحسن النبى منه ذلك و قال — الحمد لله الذى وفق رسول رسوله الى ما يرضيه .

و الدليل على ان الاجتهاد هو روح الشريعة الاسلامية و حياة فقهها هو مايلى — ان الاجتهاد له ارتباط وثيق، لا ينفك ابداً، بمهمة الاسلام و خصائصه، فلكى نعرف حقيقة موقع الاجتهاد من الشريعة الاسلامية يجب ان ننظر الى مهمة الاسلام و خصائصه لنعرف مدى ارتباطهما بالاجتهاد .

مهمة الاسلام و خصائصه :—

(أ) — فمهمة الاسلام بحسب نصوص القرآن والسنة هى اصلاح الحياة البشرية من جميع جوانبها اصلاحا عاما شاملا فى الشؤون الفردية والاجتماعية و الحاضر والمستقبل . و هذه هى عقيدة المسلم فى الاسلام، و كل انتقاص منها هو خروج عن الاسلام .

ب) — اما خصائص الاسلام المتفرعة عن مهمته هذه فهى ثلاث خصائص :—

١ — الآخرية : اى كون الاسلام هو آخر الشرائع الالهية وأن رسوله عليه السلام هو خاتم الرسل، فليس بعد الاسلام شريعة تنسخه، ولا رسول جديد .

٢ - الخلود : اى ان الدعوة الاسلامية ليست موقوتة بوقت مستقبل محدود يقف عنده وجوب الدعوة، و يترك بعده البشر ليديروا تنظيم حياتهم بأنفسهم دون ان يكونوا مكلفين باتباع شريعة الاسلام و تطبيقها .

٣ - الاستيعاب التام فى النظام القانونى من شريعة الاسلام : اى ان الاحكام الشرعية و قواعدها التى يتألف منها النظام القانونى فى الاسلام هى محيطة بجميع الحوادث الواقعة او الممكنة الوقوع، وهى قابلة لأن تستجيب الى جميع الاحتياجات التشريعية فى كل زمان و مكان، لما فى قواعد الشريعة من عموم و مرونة و تدابير أصلية واستثنائية و رعاية لمختلف الظروف .

و لذلك يقرر علماء الشريعة فى شتى المناسبات من كتب الفقه انه لا يمكن ان تقع واقعة فى حاضر الزمن و مستقبله دون ان يكون لها حكم فى الشرع الاسلامى مستند الى نص او الى قياس و اجتهاد، بحيث يدخل تحت الاحكام الخمسة — الايجاب، والندب، والاباحة، والكراهة، والتحريم .

ولست الآن فى هذه المقالة العجلى بصدد اقامة الدليل على صحة هذة الخاصة الثالثة والاتيان بشواهدها. فهى قضية مسلمة لدى فقهاء الشريعة، و صحيحة فى ذاتها .

النتيجة :—

فاذا كانت مهمة الاسلام و خصائصه هى كما رسمناه فقد ثبت ما ادعيناه من ان الاجتهاد هو بمثابة الروح للشريعة الاسلامية وهو منبع الحياة لفقهها . اذ كيف يعقل ان تكون تلك الشريعة اخيرة و خالدة، وان يكون فيها حكم لكل موضوع، و لكل حادث واقع او ممكن الوقوع اذا لم يكن فيها اجتهاد قائم دائم .

يقول العلامة الشهرستانى فى كتابه (الملل والنحل) : —

"ان الحوادث والوقائع فى العبادات والتصرفات لا تقبل الحصر والعد . و نعلم قطعا انه لم يرد فى كل حادثة نص، ولا يتصور ذلك ايضا (اى لا يمكن) . والنصوص اذا كانت متناهية والوقائع غير متناهية، وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى، علم قطعا ان الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار، حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد" .

مما سلف ايضاحه يتضح ان توقف الاجتهاد يتنافى مع خصائص الشريعة الاسلامية، لأن الاسلام والمسلمين سيواجهون باستمرار حاجات واموراً جديدة فى مختلف الازمنة والامكنة، وسيجابهون مشكلات تحتاج الى حلول مناسبة و مستمدة من نصوص الشريعة وروحها . فتوقف الاجتهاد معناه جمود الفقه الشرعى، وتوقفه عن ان يقدم للحوادث والحاجات والمشكلات الجديدة حلولا شرعية.

و هذا يتنافى مع خصائص الخلود، و قابلية الاجابة على جميع الوقائع فى الشريعة . هذا موقع الاجتهاد من الشريعة و فقهها، فهو بمثابة الروح لهما .

(٢) —اما دور الاجتهاد فاننا فى ضوء ما تقدم بيانه، نقسمه الى مرحلتين:ـ

— دور الاجتهاد فى الماضى

— ودوره فى المستقبل

و هما دوران مختلفان فى طبيعتهما تمام الاختلاف .

دور الاجتهاد فى الماضى

ان الاجتهاد قد ادى وظيفته خير اداء فى خدمة الشريعة واقامة صرح فقهها العظيم، فملأ الفراغ الذى خلفته وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد خلف الرسول عليه السلام بضع مئات من آيات الاحكام فى القرآن، و قدراً محدودا ايضا من الاحاديث النبوية، اعنى احاديث الاحكام .

و لكن هذه النصوص على قلتها عدداً كان فيها المرونة والعموم والاستيعاب والتعليل، و تقرير المبادئ التشريعية ذات القيم الثابتة الخالدة، مما جعلها أساسا

صالحا لامداد الفقه والاجتهاد بفيض زاخر من القواعد والنظريات القانونية، والا حكام الحكيمة .

مثل قول القرآن العظيم — : ''يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود،، .

وقول الرسول عليه السلام — : ''لا ضرر ولا ضرار،، الذى يعتبر أساسا عاما لأنواع المسؤولية التقصيرية و الضمانات .

والضرار مقابلة الضرر بالضرر. فمن اتلف لغيره مالا لايجوز ان يقابل باتلاف ماله جزاء له، بل يجب تضمينه تعويضا عما أتلف .

ولا يتسع المجال هنا لسرد الامثله الكيثرة من هذه النصوص الغنية الخصبة .

و كان المجتهدون في القرون الثلاثة الاولى من الصحابة و تابعيهم و تابعى التابعبن اكثر من ان يحصوا فى الجزيرة العربية و فى سائر البلاد المفتوحة . و كان لكل مجتهد منهم اصول و طريقة فى فهم النصوص و فى تخريج الاحكام واستنباطها و تنزيل الحوادث الجديدة عليها . وقد يتفق كل منهم فى هذه الأصول مع غيره و قد يختلف .

و بذلك اثمرت هذه القرون الثلاثة لنا مذاهب اجتهادية بعدد اولئك المجتهدين الكثيرين، اذ كان لكل مجتهد مذهب يتألف من آرائه الفقهية فى جميع المسائل — اى ان كل مذهب يؤلف قانونا شرعيا كاملا فى جميع المباحث والفصول .

هذه المذاهب منها ما اندثر بموت اصحابه ولم يبق منه الا منقولات متفرقة فى كتب اختلاف الفقهاء . و منها مارزق تلاميذ حفظوا ما نقلوا عن امام المذهب و دونوه و وسعوه، و تلقاه الناس عنهم، فكتب له البقاء كاملا، و استمرت خدمة الاجيال له وتوسيعه، وهى المذاهب الأربعة. ثم بسبب استقرار هذه المذاهب الاجتهادية و تكاملها و توافر الكتب المؤلفة فى فقهها، ثم لابتعاد معظم الناس مع الزمن تدريجيا عن الانكباب على التبحر فى علوم الشريعة واللغة المؤهلين للاجتهاد،

كثر اتباع هذه المذاهب المقلدون لها . و كان فى كل مكان من العالم الاسلامى سيادة لأحد هذه المذاهب، و قضاة و مفتون من اتباعه منذ ازدهار العصر العباسى .

ثم كثر التفريع والتوسيع والتخريج والتأليف فى هذه المذاهب الاربعة على ايدى كبار العلماء من اتباعها، ورأى هؤلاء الاتباع أن الكفاية قد حصلت، وأن مؤهلات الاجتهاد المطلق قد اصبحت نادرة فيخشى ان يضعف تمييز جمهور الأمة وادراكها لمؤهلات الاجتهاد الحقيقية، فيقدم على ادعاء الاجتهاد من ينخدع به الناس و ليس بأهل، فيفسد على الناس دينهم، فأفتى اتباع المذاهب باغلاق باب الاجتهاد بعد القرن الرابع من الهجرة .

و لكن قد استمرت حركة اجتهاد مقيد ضمن اصول هذه المذاهب، كان فيها كبار الاتباع خلال العصور يواجهون الامور الجديدة بحلول اجتهادية على اصول مذاهبهم مستندة الى القياس على مسائل المذهب، او الى الاستحسان او الى قاعدة المصالح المرسلة .

و بهذا الطريق أسست أحكام بيع الوفاء فى المذهب الحنفى فى القرن الخامس الهجرى للخروج من مشكلة الربا عند ازدياد الحاجة الى القروض و تداول الأموال . و أفتى المتأخرون من فقهاء المذاهب بعدم نفاذ الوقف و سائر التصرفات المالية الصادرة من المدبون بدين مستغرق لأمواله الا اذا رضى الدائنون، لكيلا يتخذ المديون طريق الوقف او الهبة او نحوها ذريعة لتهريب امواله من وجه الدائنين الى غير ذلك من المسائل الاستحسانية الكثيرة .

لكن هذا الاجتهاد المقيد ضمن المذاهب كان هو نفسه ايضا يتضاءل و يقل مع الزمن لتضاؤل الكفاءات تدريجيا، حتى ابتلى فقه الشريعة اخيرا بالعقم المطلق عن كل نتاج جديد، واصبح مجرد حفظ و تكرار لما هو موجود .

حتى كان فيمن يسمون علماء او فقهاء من يستنكرون فى دراسته الفقه البحث عن ادلة الاحكام والآراء المذهبية، قائلين–''ما لنا و للأدلة ؟ هذا شأن المجتهدين،، !

و فى هذه اللمحة التاريخية المختصرة التى عرضناها نرى دليلا واقعيا آخر على أن الاجتهاد هو روح الشريعة و حياة فقهها .

و كانت النتيجة ان اصبح الحكام الزمنيون فى العالم الاسلامى منذ اواخر العهد العثمانى يرون ان الشريعة و فقهها لا يستطيعان امداد البلاد بالتقنينات اللازمة لتنظيم الحاجات العصرية الآخذة بالتطور والتجدد السريع فالتجؤوا الى أخذ القوانين الاجنبية التى ادت اخيرا الى دفن الفقه الاسلامى فى مكتباته علما و عملا .

و يظهر ان طلائع هذه النتيجة كانت بادية منذ عصر ابن القيم، فان له فى هذا الموضوع نفسه كلاما نفيسا مخلدا سجله فى كتابه (الطرق الحكمية) و فى (اعلام الموقعين) ايضا، نعى فيه واستنكر على اتباع المذاهب جمودهم و تضييقهم لمنابع الشريعة و آفاقها، حتى الجوءوا الحاكمين من ملوك و امراء الى اصدار قوانين زمنية تسد الحاجة لعدم كفاية الاحكام الفقهية، بينما الضيق ليس فى الشريعة السمحة بل فى عقول أتباع المذاهب ! ! هذا ما سجله و أخذه ابن القيم على المذهبيين المتضيقين من فقهاء عصره .

يتراءى بعد هذا للناظر المتأمل ان اغلاق باب الاجتهاد كان كارثة عظمى نزلت بالشريعة الاسلامية و فقهها الجليل .

و الواقع ان الاجتهاد لا يملك احد اغلاقه مادامت خصائص الاسلام تستلزمه حتما، حتى ان المتأخرين اللاسعين من اتباع المذاهب الاربعة يصرحون فى كتبهم بانه اذا وجد من بلغ رتبة الاجتهاد فى علمه و توافرت شرائطه و مؤهلاته فيه لايجوز له ان يقلد مذهبا من المذاهب . و لكنهم عمليا لا يسلمون لاحد ببلوغ

هذه الرتبة . فباب الاجتهاد ليس ممنوع الفتح فى نظرهم بل هو مفقود المفتاح .

و يقول العلامة عزالدين بن عبد السلام و هو من اكابر فقهاء الشافعية فى القرن السابع الهجرى — ''اختلفوا هل انسد باب الاجتهاد ؟ على اقوال — . . . . . .و كلها اقوال فاسدة فانه ان وقعت حادثة غير منصوصة، او فيها خلاف بين السلف فلابد فيها من الاجتهاد من كتاب او سنة، ولا يقول سوى هذا الا صاحب هذيان،، انتهى(١) . . .

و لكى نكون منصفين فى الحكم على توقف الاجتهاد، ان لم نقل على اغلاقه، لا بد من نظرة تحليلية تكشف لنا عن طابع الاجتهاد و طبيعته فى الماضى —

طابع الاجتهاد و طبيعته فى الماضى

كان الاجتهاد اثر وفاة الرسول عليه السلام يتسم بطابع الشورى. فكان أبو بكر ثم عمر رضى الله عنهما يجمعان الصحابة فى الحوادث الطارئة الهامة، من حقوقية و سياسية، و يستشيرانهم فى الحلول الشرعية و السياسية لها، وفقا للتوجيه القرآنى الى الشورى التى وردت فيه مطلقة شاملة لجميع الامور، و وفقا لقول الرسول عليه السلام، لعلى رضى الله عنه، عند ما سأله عما يعمل المؤمنون اذا وقع لهم امر لا يجدون له نصا فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله، فاجابه بقوله — ''اجمعوا له العالمين، ولا تقضوا فيه برأى واحد،، أى برأى فرد .

ثم بعد ذلك اصبح الاجتهاد فى العصور التالية يتسم بطابع الفردية، فكان كل مجتهد يستقل برأيه و فهمه فى اجتهاده، لتفرق الصحابة و من بعدهم فى الأقطار، مما يصعب معه اجتماعهم و تشاورهم .

و كان الناس فى العصور الاسلامية الاولى قريبى العهد بمولد الاسلام،

---

(١) انظر رسالة (الاجتهاد والتقليد) للاستاذ عبدالوهاب خلاف صفحة ١٦

و كان أثره فى نفوسهم غضا، و كانت احاديث الرسول صلى‌الله عليه‌وسلم، فى القرن الثالث لا تزال تنقل رواية و تلقيا شخصيا، الى جانب ما جمع منها فى المدونات التى شاعت بين العلماء .

و كان الكثيرون يتبارون فى التفقه و دراسة القرآن والحديث النبوى واللغة، و ينقطعون مدى حياتهم للعلم . و كان تمييز العالم الثقة الورع عن غيره يعرف بسهولة .

فلما ابتعد الزمن بالناس عن عصر الرسول الذى هو مشعل الاسلام و نبراسه، و قل وضعف تمييز الناس بين العالم الحقيقى والمتعالم، و قلت الكفاءات والورع، خشى أتباع المذاهب الاربعة فى القرن الرابع ان يوجد من يستغل دعوى الاجتهاد لبث البدع والسموم الفكرية و افساد قواعد الشريعة، ورأوا فى تفاريع المذاهب المستقرة غنى و كفاية، فأفتوا باغلاق باب الاجتهاد .

و فى ضوء هذا التحليل لطابع الاجتهاد و طبيعته فى الماضى نقول :—
ان الاجتهاد الفردى فى بدء تأسيس الفقه الاسلامى على ايدى اولئك المجتهدين الأوائل قد عاد بالخير الكثير على هذه الامة، لانه قد جند العزائم لحراثة ارض الشريعة واستنباطها، و تبارى اساطين العلم فى استنباط القواعد و تأسيس النظريات القانونية فى فقه الشريعة على ضوء نصوصها و قواعدها، حتى اسسوا ثروة فقهية متشعبة، و فيها القواعد والنظريات والأحكام الفرعية الصالحة لان تمد العصور الى الابد بمعين فقهى لا ينضب، مما لم يعهد له نظير فى جميع الامم .

و لم يكن من الممكن ان يحصل هذا الانتاج الفقهى لولا هذا الاجتهاد الفردى فى القرون الثلاثة الأولى. ثم كان من الخير و الحكمة ان يغلق بعد ذلك باب هذا الاجتهاد الفردى دفعا للمحاذير التى تخشى من بقائه مفتوحا، كى لا يصبح الامر فوضويا.

و لكن الخطأ انما كان في توقف الاجتهاد توقفا مطلقا ادى الى ان ترمى الشريعة و فقهها بالجمود والقصور، و بفقدان الحيوية . فقد كان من الواجب ان لا تعالج فوضى الاجتهاد بتحريم الاجتهاد، بل بتنظيمه و جعله في يد الجماعة لا يد الافراد . و هذا هو الدور الذى يجب ان يكون في المستقبل .

ب – دور الاجتهاد في المستقبل.

بعد ان عرفنا خطيئة الماضى بشأن الاجتهاد اتضح الدور الواجب ان يأخذه الاجتهاد في المستقبل . لقد كان الاجتهاد الفردى ضرورة في الماضى، وهو اليوم ضرر كبير . فالمحاذير التى كانت مخاوف يخشى وقوعها في القرن الرابع الهجرى ولاجلها اغلق فقهاء المذاهب باب الاجتهاد قد اصبحت اليوم امرا واقعا .

فقد كثر المتاجرون بالدين . و لعل كثيرا منهم اغزر علما واقوى بيانا من العلماء الصالحين الاتقياء . وقد وجد اليوم من خريجى الازهر من اصدر كتبا و فتاوى غرارة تدل على ان اصحابها قد وضعوا علمهم تحت تصرف اعداء الاسلام في الداخل والخارج، ليهدموا دعائم الاسلام تهديما لا يستطيعه اعداوءه، تحت ستار الاجتهاد و حرية التفكير، وهم يجنون من وراء ذلك ارباحا و منافع عظيمة مغرية لايبالون معها سخط الله .

فاذا اردنا ان نعيد للشريعة و فقهها روحها و حيويتها بالاجتهاد الواجب استمراره في الامة شرعا، والذى هو السبيل الوحيدة لمواجهة المشكلات الزمنية الكثيرة بحلول شرعية جريئة، عميقة البحث، متينة الدليل، بعيدة عن الشبهات والريب والمطاعن، قادرة على ان تهزم الآراء والعقول الجامدة و الجاحدة على السواء، فان الوسيلة الوحيدة الى ذلك هى ان نؤسس اسلوبا جديدا للاجتهاد هو اجتهاد الجماعة بدلا من الاجتهاد الفردى . و بذلك نرجع بالاجتهاد الى سيرته الاولى في عصر أبى بكر و عمر (رضى الله عنهما)

و طريقة ذلك ان يؤسس مجمع للفقه الاسلامى على طريقة المجامع العلمية واللغوية (الاكاديميات). و يضم هذا المجمع من كل بلد اسلامى اشهر فقهائه الراسخين ممن جمعوا بين العلم الشرعى، والاستنارة الزمنية، و صلاح السيرة والتقوى.

و يضم الى هؤلاء علماء مسلمون موثوقون في دينهم من مختلف الاختصاصات الزمنية اللازمة فى شؤون الاقتصاد والاجتماع و القانون والطب و نحو ذلك، ليكونوا بمثابة خبراء يعتمد الفقهاء رايهم فى الاختصاصات العلمية غير الفقهية .

و يتفرغ عدد كاف من اعضاء هذا المجمع الفقهى الاسلامى لهذا العمل، و يكون بقيه اعضائه .وازرين غير منازعين و يزود المجمع بمكتبة حافلة، و تجرى على المتفرغين من أعضائه رواتب كافية، و ينصرفون للدراسة والبحوث والآراء الاجتهادية لتقرير حكم الاسلام فى كل ما تدعو الحاجة الى بحثه عن موضوعات و مشكلات زمنية، كما يقومون باصدار مجلة لبحوثهم.

وأهم ما يجب البدء به انشاء موسوعة للفقه الاسلامى تعرض فيها احكام الفقه الاسلامى المدونة فى جميع المذاهب الفقهيه المعتبرة مع العزو والاحالة فى كل مسألة ورأى على مرجعه المذهبى، و تأتى فيها الموضوعات الفقهية وأحكامها تحت عناوين مرتبة بحسب حروفها ترتيبا هجائيا (الفبا على غرار الموسوعات القانونية الأجنبية (انسيكلوبيديا) .

والى جانب مشروع هذه الموسوعة الفقهية العامة يقوم المجمع بفهرسة هجائية أيضا لأمهات الكتب الفقهية من مختلف المذاهب لتسهيل مراجعتها على الباحثين. . الى غير ذلك من الخدمات الفقهية التى يستدعيها العصر الحاضر دعما للاجتهاد الجماعى، و تمهيدا له، و تعبيدا لطريقه .

و هذا المشروع يحتاج الى موازنة ضخمة كافية لايستطاع تأمينها الا بأحد طريقين :—

—اما جباية شعبية من الشعوب الاسلامية كافة (و هذا مستحيل الآن، للتفكك الملحوظ و قلة الوعي في جماهير المسلمين، وقلة الحرص على الاسلام في طبقاتهم المثقفة، وان كان هذا هو الطريق الاصلى المفضل لتمويل هذا المشروع العظيم الاهمية، كيلا يقع المجمع الفقهى تحت نفوذ احد من الحكام الزمنيين).

—واما بان تبنى هذا المشروع دولة فاكثر من الدول الاسلامية، و ترصد له المال اللازم في ميزانيتها.

هذا، وقد كان تقرر انشاء مثل هذا المجمع الفقهى في المؤتمرين الاسلاميين اللذين عقدا في كراتشى العاصمة السابقة لباكستان في سنتى ١٩٤٩ — ١٩٥١ وكنت انا مشتركا فيهما. و لكن هذا القرار اعوزته وسائل التنفيذ، فبقى حبرا على ورق لأن الدول الاسلامية اليوم — مع الاسف — تسخو بالمال في كل سبيل الافى سبيل الاسلام.

على ان هذين المشروعين الكبيرى الاهمية اعنى مشروع الموسوعة الفقهية، و مشروع المجمع الفقهى قد بدئ بتنفيذهما فعلا في بعض البلاد العربية منذ سنوات

(أ) فالموسوعة الفقهية قد تألف لها منذ اكثر من عشرين عاما، لجنة رسمية بمرسوم تنظيمى، فيكلية الشريعة بجامعة دمشق و باشرت تلك اللجنة الاعداد والدراسة اللازمة لمشروع الموسوعة بخطوات رصينة، و كنت انا من اعضائها.

ثم في عهد الوحدة بين مصر و سورية عام ١٩٥٨ أخذت وزارة والا وقاف في الاقليم المصرى على عهدتها متابعة هذا المشروع و تمويله، و الفت لجنة جديدة مشتركه من فقهاء الشريعة فيالاقليمين السورى والمصرى. فعملت هذه اللجنة بصورة جدية، و قطعت مسافة مناسبة في طريق تنفيذ المشروع.

و لكن انفصام الوحدة بين مصر و سورية عام ١٩٦١ وقف به المشروع في الأقليمين.

ثم بعد ذلك قامت وزارة الاوقاف بدولة الكويت في اواخر عام - ١٩٦٦ يتبنى مشروع الموسوعة الفقهية واستعارتني من جامعة دمشق للقيام على تنفيذه، و استمر العمل فيه قرابة خمس سنوات أنجزنا فيها من المشروع جانبا كبيرا، و لكن وزيرا جديدا جاء للاوقاف في عام ١٩٧١ فألغى المشروع، و وقف العمل فيه ! !

اما في مصر فاستؤنف العمل في الموسوعة الفقهية منذ ان تحركت دولة الكويت له، و لكنه استؤنف في مصر بروح المنافسة والمسابقة، فقطعوا فيه بالكتابة والاخراج مرحلة بارزة، و لكن ينقصها إتقان العمل وفقا للطريقة الموسوعية الدقيقة.

ثم اخيرا، بتبدل الوزارت في الكويت، و مجئ وزراء جدد للأوقاف، أدركت الكويت الخطيئة الكبرى التي ارتكبها الوزير السابق الذي الغي المشروع، فأعلن الوزراء الجدد الذين تعاقبوا على الاوقاف، استئناف العمل في مشروع الموسوعة الفقهية بجدية و اهتمام و اخلاص للفكرة وألفوا لجنة خاصة لادارة المشروع، وجهازاً علميا للعمل فيه. و وزارة الاوقاف الكويتية اليوم بهمة وزيرها الحالي واخلاصه، سائرة في طريق الانجاز سيرا موفقا مشكورا باذن الله.

(ب) — واما مشروع المجمع الفقهي فقد وجد فيه الى اليوم نموذجان:

(الاول) — مجمع البحوث الاسلامية، في النظام الجديد للجامع الازهر بمصر، في اول الستينات من هذا القرن قبل نحو عشرين عاما. وله دورة سنوية مدتها شهر. وقد كان يؤمل أن يكون نواة صالحة تنبت الكيان الكامل للمجمع الفقهي العالمي المطلوب، لولا وقوعه منذ تأسيسه تحت نفوذ النظام الحاكم و توجيهه.

والنموذج الثاني هو المجمع الفقهي الذي أسسته رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة منذ عامين، و اختارت له مجلسا من علماء الشريعة من المملكة السعوديه و من خارجها. و لكن اعضاءه غير متفرغين، بل يجتمعون في دورة انعقادية مدتها اسبوعان في كل عام، و يهيئون بحوثا في موضوعات مختلفة من قضايا الساعة، مما يحتاج

الى معالجته ومعرفة حكمه في فقه الشريعة، و يتبنى المجمع رأى اكثرية اعضائه الحاضرين في القضايا والبحوث التى تعرض في دورته، فسيتخذ فيها قرارات. وهو الآن فى بداية الطريق الى تنظيم العمل المجمعى المتكامل باذن الله .

وقد شرفنى المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى فى مكة باختياره اياى لاكون عضوا فى هذا المجمع الفقهى .

هذا، وفى واقع العالم الاسلامى اليوم لا يوجد منظمة اسلامية مؤهلة لان تحتضن مشروع المجمع الفقهى، و تغذيه التغذية المطلوبة الكافية تمويلا و جهازاً للقيام بمهمة الاجتهاد الجماعى على اكمل وجه ممكن فى ظروفنا الحالية، أجدر من رابطة العالم الاسلامى بمكة، و من منظمة المؤتمر الاسلامى التى اقيمت على مستوى الدول الاسلامية، اذا أخذت هذه المنظمة المذكورة على عاتقها هذا المشروع بتجرد و اخلاص للمصلحة العلمية الاسلامية، الى جانب الهدف السياسى البارز فى أهداف هذه المنظمة الاسلامية الكبرى .

والأمل معقود، باذن الله تعالى، ان يأخذ المجمع الفقهى، على يد رابطة العالم الاسلامى الآن، طريقه السوى بخطى ثابتة رشيدة، الى جهاز متكامل متفرغ، يتحقق به المطلوب للعالم لاسلامى. والله سبحانه و تعالى هو ولى التوفيق.

❖ ❖ ❖

الهجرة والقرن الخامس عشر الهجرى

للاستاذ محمد جعفر شاه الفلوارى
كـــراتشـــــى

بدأ الاسلام فى ارض مكة المكرمة التى فيها جبل حراء . وعلى حراء غار جاء فيه جبرائيل عليه السلام بالقرآن وهذا أول وحى نزل به الروح الامين . فمبدأ الاسلام هو مكة المكرمة. آمن به من آمن حتى صاروا أمة قليلة . لم يزالو فيها مقهورين مظلومين مغلوبين ضعفاء لا يدافعون ولا يذبـون عن اعـراضهم وأموالهم وانفسهم . وان الشدائد التى تحملوها تقشعر من ذكرها الجلود وترتعد من بيانها الفرائص . وما زالوا على تلك الحالة بضع سنين حتى اذن لهم فى الهجرة أول مرة الى الحبشة وأول وفد هاجر الـى ارض الحبشة كان فيهم سيدنا عثمان بن عفان سلام الله عليهما مع زوجته السيدة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وعلى أمته وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول رجل هاجر الى الله مع زوجه بعد لوط عليه الصلوة والسلام (أو كما قال عليه الصلاة والسلام)

فالمهاجرون الى الحبشة أمنوا اذى قريش مكة وأما المؤمنون الذيـن مكثوا فى مكة لم يأمنوا اذاهم بل زادوا ايلامهم وتعذيبهم . بقيت حالتهم هذه الى العام الثالث عشر من سنة النبوة . فأخذوا يهاجرون من مكة الى المدينة واحداً تلو الآخر . كلهم هاجروا خفية الا عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فانه اعلن فى

مطاف الكعبة وفي يده قوس وسهام اني اهاجر علانية لاسرا فمن أراد أن تثكله امه فليلقنى خارج الحَرم .

فهجرة أهل الاسلام من مكة الى المدينة بدئت من شهر المحرم ومن هذا الشهر ابتدأت السنة الهجرية التى امضاها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى زمن خلافته ولم تكن قبل ذلك اية سنة اسلامية لاهل الاسلام .

ويسأ هناك سؤال انه لم لم يمض عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة غير سنة الهجرة ؟ كان يمكن له ان يمضي سنة ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم أو سنة بعثه أو سنة فتح بدر أو سنة فتح مكة أو سنة وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من السنوات فلم ترك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كل ذلك واختار سنة الهجرة ؟ اختارها لأن أحوال المسلمين كانت قد تحولت بعد الهجرة . كانوا مقهورين ضعفاء فى مكة ثم بعد ماهاجروا أصبحوا آمنين سالمين عن أذا هم وعذابهم وأعطاهم الله سبحانه نوعا من التمكن فى الأرض ولم يكن لهم من قبل ما يدافعوا به عن انفسهم وأموالهم وعشيرتهم حتى أذن لهم فى القتال بعد الهجرة وكذلك ازدادوا قوة وعددا وتمكنا وغلبة وقهرا ونصرة وانتصاراً . وأصبح أعداؤهم مغلوبين مقهورين مفتوحين الى ان اسلموا أوفنوا . . . . لذلك التحول ولتغير أحوال المسلمين اختار عمر بن الخطاب رضى الله عنه الهجرة النبوية سنة لاهل الاسلام وأجمعت الصحابة عليه بلا ادنى اختلاف رضوان الله عليهم أجمعين .

وفى الهجرة نكتة نادرة لا ينبغى لاحد من المسلمين ان ينساها . وهى أن الاسلام لا يتمّ ولا يكمل الا بعد الهجرة . فان الناس يفدون أموالهم وانفسهم واعراضهم وكل سيء يحبونه على وطنهم فكانّ الوطن الههم وان اهل الاسلام يفدون وطنهم على سيء أعلى من الوطن وهو وجه الله ورضاؤه سبحانه . فالوطن

عند عامة الناس اله اعلى من كل اله وصنم أحب من الاصنام كلها . فلا يستكمل الايمان الا بعد ماجعل هذا الصنم جذاذا . وليس الوطن بشيء عند أهل الاسلام الا ما كان لهم من الأرض يطيعون الله فيها ولا يصدهم أحد عن سبيل الله . ولذا نرى ان الانبياء هاجروا مع الذين أمنوا معهم . ولذلک قال الله سبحانه فی القرآن الكريم .

١) .... والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من سيء حتى يهاجروا وان استنصروكم فی الدين فعليكم النصر الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق ... (٨ : ٧٢) و (٤ : ٨٩) .

فهذه الآية الشريعة تشير الى ان مجرّد الايمان لايكفی وان المهاجرة واجبة لكل من آمن اذا وجدت شروطها .

وجدير بالذكر ان الله عزوجل احلّ للنبی صلی الله عليه وعلى أزواجه وسلم بعض النساء واشترط حلّتهنّ بشرط هجرتهن . قال الله تعالى :

٢) يايها النبی انا أحللنا لک ازواجک الّٰتی آتيت اجورهن وما ملكت يمينک مما افآء الله عليک وبنت عمک وبنٰت عمّتک وبنٰت خالک وبنت خٰلتٰک الّٰتی هاجرن معک ... (٣٣ : ٥٠) .

فبنات العم والعمات والخال والخالات حلال لنا وليس بحلال للنبی صلی الله وعلى أزواجه وسلم الا اذا هاجرن بعد ما اسلمن . ولذا لم تحل له صلی الله عليه وعلى أزواجه وسلم أم هانی وهی بنت عمه لانها لم تسلم الا بعد الفتح ولم تهاجر مع النبی صلی الله عليه وعلى أزواجه وسلم . وبناء على هذه الآية نقول ان اخاها عليا رضی الله عنه بن عبد مناف لم يكن يجهل مافی هذه الآية ولم يعرض على النبی صلی الله عليه وعلى ازواجه وسلم نكاح اختها رضی الله تعالى عنها

لانها حرمها الله تعالى عليه صلى الله تعالى عليه وعلى أزواجه وسلم .

فكل ما قلنا آنفا . يكفى لكون الهجرة من أهم الأمور الايمانية اذ لا يستكمل الايمان بدونه . ولا تصح ولا يتهم لاهل الاسلام ولا تحل للنبى صلى الله عليه وعلى أزواجه وسلم امرأة لم تهاجر ولو كانت من بنات العم أو العمات أو الخال أو الخالات .

وبعد ماظهر كون الهجرة من أهم الاجزاء الدينية ظهر بدون أدنى تأمل فضائل أصحاب الهجرة . واذا ترى ان الله سبحانه مدح و ذكر فضائل الانصار الذين آووا المهاجرين ونصروهم تزداد أهمية الهجرة والمهاجرين . ثم اذا ترى أن الخلفاء الراشدين المهديين كلهم من المهاجرين يزيدون فى أعيننا عظمة وشانا وقدرا واحتراما .

هلموا ننظر بعض آيات القرآن التى ذكر الله فيها فضائلهم المميزة :

١) .... فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقتلوا لاكفرن عنهم سيأتهم ولا دخلنهم جنٰت تجرى من تحتها الانهار ... (٣ : ١٩٥)

٢) ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم (٨ : ٧٤)

٣) الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون (٩ : ٢٠) .

٤) والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر ... (١٦ : ٤١) .

٥) والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين . ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم . (٢٢ : ٥٨ ، ٥٩) .

٦) والسبقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم بأحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنّٰت تجرى تحتها الانهر خلدين فيها ابدا ذلک الفوز العظيم . (٩ : ١٠٠) .

وحسبنا سهادة هذه الآيات من كتاب الله بفضائل المهاجرين وأنهم كفر عنهم سيأتهم وأنهم يدخلون جنات الخلد وأنهم مؤمنين حقا وهم أحق بالمغفرة والرزق الكريم واعظم درجة عند الله فائزين واهلا لمبوأ حسن فى الدنيا وأكبر أجر فى الآخرة مرزوقين من عند الله رزقا حسنا داخلين مدخلا يرضونه راضين عن الله مرضيا عنهم معدا لهم جنات خالدين فيها وذلک الفوز العظيم . والذى ينكر أى فضيلة من هذه الفضائل ـــــ والفضائل التى لم نذكرها ـــــ فانه لا يبقى مسلما مؤمنا بالقرآن الكريم ايأ كان فمن انكر ایّ نبى من الانبياء لا يكون مسلما وكذلک من انكر أى آية من آيات الكتاب لا يكون مؤمنا بالقرآن الكريم .

ومما هو جدير بالذكر انه لايستوى الذى ولد من الصحابة بعد الهجرة فى المدينة أو غيرها والمهاجرون المولودون من قبل الهجرة . ومن أمثلته سيدنا عبدالله بن الزبير الذى هو أول مولود بعد الهجرة .وأول شىء وقع فى فيه هو لعاب النبى صلى الله عليه وسلم . وله فضائل أُخرى ولكنه لا يستوى فى الدرجة أى رجل من المهاجرين لان الله سبحانه قال قولا فصلا . . . . أعظم درجة عند الله وأولئک هم الفائزون (٩ : ٢٠) . وهذا كما قال سبحانه :

١) لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله (٤ : ٩٥) .

٢) لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئک أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى . . . (٥٧ : ١٠) .

فلاتنسوا الفرق بينهما لن يستوى القاعدون والمجاهدون ولن يستوى الذين انفقوا وقاتلوا قبل فتح مكة والذين انفقوا وقاتلوا بعده فكيف يستوى الذين قاتلوا الكفار مع النبى صلى الله عليه وسلم والذين قاتلوا المؤمنين ؟ اذا تقاتل المسلمون فكل من الفريقين مؤمنون لايخرج من الايمان أحد من الفريقين قال الله سبحانه .

وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما . . (٤٩ : ٩) .

فكل واحد من الطائفتين المقاتلتين مؤمنة عند الله لا تخرج من نطاق الاسلام أما الذين قاتلوا النبى صلى الله عليه وسلم والذين معه فلا يكونون الا كافرين . فاذا تقاتل الفريقان من المسلمين فانه قتال بين الحقين أو على الاقل بين الحق وبين الأحق . لايكفر احدمنهما لايكون قتالهما قتالا بين الاسلام وبين الكفر ولا حربا بين النور وبين الظلمة ولا غزوة بين الحق وبين الباطل . ان مثل هذه الفكرة فكرة باطلة وظن واه وتصور لا أصل له . ليس بعد النبى صلى الله عليه وسلم أحد من الرجال يكون حربه كفرا مخرجا من الايمان .

وحاصل ماقلنا ان المهاجرين عليهم السلام والتحية لهم فضائل لاتعد ولا تحصى لأجل الهجرة من الوطن الميلادى الى الوطن الدينى . انهم تركوا وطنهم وديارهم أراضيهم وبيوتهم وأملاكهم وحوانيتهم وحدائقهم ومزارعهم

واقربائهم وعشيرتهم وكل شيء يحبه الانسان أنهم لم يتركوها الا لأبتغاء مرضاة الله . ان هذه الأشياء يتركها الانسان ويهجر وطنه لطلب المعاش ولطلب المرأة ولا بتغاء المناصب والمجد وغير ذلك من الاهداف والاغراض . فلا تكون هذه هجرة اسلامية . ليس معنى الهجرة فى لغة الاسلام بترک الوطن فقط أو بمحض الانتقال من أرض الى ارض انما الهجرة معناها ترک كل شيء يصد عن سبيل الله.

وآخر شيء يهجره العبد خالصا مخلصا لوجه الله هو الوطن . قال النبى لوط عليه الصلوة والسلام : انى مهاجر الى ربى فما معنى « الى ربى » ؟ انما معناه انى هجرت كل شيء لوجه الله ووجهت وجهى الى الله لايصد نى شيء عن طاعة ربى ـــ فمن وجه وجهه لله هجر كل شيء يصد عن سبيل الله . فهذه هى الهجرة . وكان يعرفه كل المعرفة أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما أوضحه على المنبر حيث قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انما الأعمال بالنيات ولكل أمرىء ما نوى فمن هاجر الى دنيا يصيبها أو الى أمرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه » . وهذا هو العلم بحقيقة الهجرة الذى حث سيدنا عمر بن الخطاب على أمضاء سنة الهجرة النبوية بأزاء السنوات الأخر . وان الله اصطفاه للشهادة بأوّل يوم من شهر المحرم الحرام فانه هو بدأ السنة الاسلامية ، وها نحن فى القرن الخامس عشر . جعل الله هذا القرن الجديد مبدأ للفوز والنجاح للعالم الاسلامى آمين .

أيها الاخوة المسلون لا سيما الباكستانيون !عرفنا فضائل الهجرة والمهاجرين وعلمنا ان القرن الرابع عشر قد خلا وابتدأ القرن الخامس عشر فمالنا به ؟ وماذا نفعل ؟ وماذا يجب لنا اليوم ؟ مضى مامضى من القرون ، وخلا ماخلا من الزمن والاحقاب . لانستطيع رجع الزمان ولا نقدر على تغيير ما قد وقع . فاى فائدة من ذكر ما مضى اذا لم نعتبر به ولم نصلح ما أخطأنا فى الماضى ولم نزين مستقبلنا ؟

هلموّا نجعل هذا القرن قرن النشأة الثانية لأهل الاسلام . نعرض بين أيديكم بعض اقتراحات هامة لأهل الباكستان خاصة ولمسلمي العالم عامة .

فأول اقتراح وهو أهم الاقتراحات ان الليسانس ((Licience)) اى الجواز القانونى للأسلحة يجب أن يلغى ويبطل ويمحى . أن الحكومة البريطانية كانت قد الزمت الليسانس لكى لا يكون لنا القدرة والقوة العسكرية فاستضعفتنا من كل جهة لئلا تكون القوة والتمكن الا لها . ونحن الآن على ذلك المنوال والطراز مع استقلال دولتنا ، وهذه علامة الاسترقاق الذهنى الذى لم نعتق منه .

الا نرى فى القرآن الكريم الذى أمرنا بأعداد القوة بالاسلحة ؟ قال سبحانه :

١) وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم . (٨ : ٦٠) .

٢) يايها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا . (٤ : ٧١) .

٣) واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر أوكنتم مرضى ان تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم ... (٤ : ١٠٢) .

فانظروا الى هذه الآيات الكريمة وتدبروها . ان الله الذى فرض الصلوة وكتب القتال أوجب أخذ الاسلحة واعداد القوة الى حد الاستطاعة البشرية وما

أجاز وضع الأسلحة فى مواقع القتال الا اذا كان اذى من مطر أو اذى من مرض . الصلوة تقصر اذا خيف لقاء العدو ولكن لاتقصر شيء من الأسلحة . فالقتال وأخذ الأسلحة واجب للمسلمين كما ان الصلوة واجبة فهل يجوز اللسيانس للصلوة المكتوبة ؟ فاذا لم يجز اللسيانس للصلوة فكيف يجوز للاسلحة وكلاهما واجب على السواء ؟

ويقول بعض اخواننا ان الاسلحة اذا عمت فى القوم فيكثر القتل والقتال بين أنفسهم . فنقول ان هذا زعم باطل وظن السوء . لأنه ليس فى اميريكا ولا فى المناطق القبلية فى باكستان وافغانستان ليسانس فهل افنى هؤلاء الأ قوام أنفسهم بالقتال بين أنفسهم . فهذا ظن محض ومخافة لا أصل لها .

انظروا وتفكروا أن نهابا يدخل فى بيت أحدنا وفى يده مسدس محمل فينهب ما يشاء ولايجترئ صاحب البيت ان يتكلم . وان تكلم قتله النهاب لانه مسلح بدون ليسانس وصاحب البيت ليس عنده ليساس للسلاح أو المسدس أو المدفع .

ومن اهم الامور التى تستحق التدبر ان المسلمين كل واحد منهم مجاهد جندى ومقاتل عسكرى ومكتوب عليه ان يعيش مسلحا كما انه مكتوب عليه الصلوة ومكتوب عليه القتال . اذا كانت عساكر الملك وجنوده لاتكفى فماذا يفعل القوم بغير أسلحتهم . كيف يدافعون عن أنفسهم وهم غير مسلحين الا انهم يخضعون بين ايدى أعدائهم مقهورين ؟

هذا اقتراح واحد من الاقتراحات العديدة ، سنذكرها بعد ان شاء الله سبحانه وتعالى وهذا للنشأة الثانية الاسلامية فى هذا القرن الخامس عشر . فهل من مدكر ؟

*****

المناهج الاسلامية

كيف كانت فى صدر الاسلام ، انحرافاتها فى عصور الظلام ، و سائل تصحيحها

دكتور احمد شلبى
استاذ ورئيس قسم التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ومقارنة الاديان
كلية دارالعلوم ، جامعة القاهرة

تكرم علينا سماحة الاستاذ الدكتور احمد شلبى بمقاله الذى القاه فى مؤتمر المناهج الاسلامية الذى عقدته الحكومة الباكستانية بمناسبة استقبال القرن الخامس عشر الهجرى باسلام آباد ونحن اذ ننشره نشكر الاستاذ الدكتور احمد شلبى كما نشكر مسئولى المؤتمر

ايها الاساتذه الاجلاء

هيّأ الله بكم الخير وجعلكم مصابيح هدى ووفقكم الله لخدمة دينه والسلوك بالمسلمين الى الصراط المستقيم.

ان مؤتمرا يعقَد للنظر فى المناهج الاسلامية لمؤتمر يرجى أن تحفه ملائكة الله ، وأن يشمله الله المعلم الأعظم بالهداية والتوفيق ، لأنه مؤتمر من أهم المؤتمرات الاسلامية ، ولاشك أننا جميعا نطمع أن نصل فيه الى قرارات علمية محدودة ، وأن نتابع هذه القرارات وهى تسلك طريقها الى معاهد العلم با لعالم

الاسلامى ، ثم وهى يتربى عليها الجيل الجديد الذى نطمع أن نذلل له الطريق ليسير فى خدمة الاسلام بوسائل أمثل وأسرع وأنجح.

اننا فى عصر يؤكد ان حضارة الشرق وحضارة الغرب عجزتا عن خلق الهدوء النفسى والأمن وعجزتا عن خلق الاستقرار فى الاسرة والقضاء على انحرافها الذى يزيد انتشارا من يوم الى يوم ، وعجزتا عن القضاء على القلق الذى يدفع الوساوس والحقد والدماء ، ومن أجل هذا ينبغى ان نعود الى الاسلام ونتخذ منه اساسا لانطلاقنا ، وقاعدة لتطورنا ، وسيمدنا الاسلام بالعناصر المهمة فى جميع المجالات التى تكفل حسن علاقة الانسان بربه ، وحسن علاقة الانسان بالانسان فى المجتمع.

وللوصول الى هذا الهدف ينبغى ان نسأل التساؤلات التالية التى تشغل اذهان المفكرين والباحثين المسلمين :

- هل المواد التى تدرس حاليا بالمعاهد والكليات الاسلامية تربّى فى الدارس روح الاسلام ؟
- لماذا لا يستطيع المتخرج فى الجامعات الاسلامية ان يقدم الاسلام لغير المسلمين ويدفعهم الى حبه والاقبال عليه ؟
- لماذا كثر بين المسلمين التراخى فى التمسك بالقيم الاسلامية وشاعت الرشوة والاهمال وعدم التعاون وغيرها من الصفات التى تتناقض مع الاسلام ؟
- لماذا يرى بعض الشبان أنهم وحدهم المسلمون وأن من سواهم من المسلمين ليسوا فى الحق مسلمين ؟

- لماذا يصل الأمر الى ان يقتل بعض المسلمين بعضا باسم الدين؟

- لماذا كثرت الفرق الاسلامية وأصبحت مركز صراع وسبب خلافات واسعة ؟

- وهل من الاسلام فى شىء أن يتصل قاضى القضاة الشافعى بالتتار عندما حاصر هؤلاء مدينة الرى ، ويتفق معهم ان يفتح لهم أبواب المدينة لينتقموا من غير الشوافع بها ؟

- وهل من الاسلام فى شىء أن تدمر قرى بأكملها كما يقول ياقوت الحموى بسبب الصراع بين اتباع المذاهب الاربعة ؟

هذه الاسئلة ومثيلتها الكثيرة استوقفتنى فترات طويلة ودفعتنى للبحث والدراسة وانتهت بى الى نتيجة يمكن أن تكون موضع اتفاق وهى أن الانحراف فى المناهج الاسلامية هو الذى سبب هذه الكوارث ، وسبب بطء انتشار الاسلام وأضعف جانب المسلمين فى مواجهة اعدائهم اذ انشغلوا بالصراع الداخلى بين بعضهم والبعض الآخر وشغلتهم الفروع عن الاصول ، ولهذا رحت بصبر أتساءل :

كيف كان الاسلام يعلّم فى صدر الاسلام ؟

كيف علّمه رسول الله صلوات الله عليه ؟

وكيف علمه مبعوثوه الى الامكنة المختلفة ؟

كيف علمه مصعب بن عمر فى يثرب ؟

وعلى بن ابى طالب فى اليمن ؟

ومعاذ بن جبل فى مكة عندما تركه الرسول بها عقب فتحها وعودة الرسول الى المدينة وأبوعبيدة بن الجراح فى نجران ؟ . . . . . . وغير هوءلاء

وكيف قدم علماء المسلمين الاسلام للأمم المفتوحة فى عصر عمر بن

عبد العزيز الذى يسمى عصر اسلام الشعوب المفتوحة ؟

وهكذا رحت أدرس تاريخ المناهج الاسلامية بكل الجهد وكل الصبر ، وقد تبين لى بعد دراسة طويلة للمصادر التارخية أن المناهج الاسلامية الاولى التى حققت أعظم نجاح ، حدثت فيها احداث خطيرة تسببت فيما نعـانيه الآن من اضطراب وخلل وقصور ، وقد جاء هذا الاضطراب من ثلاث نوافذ :

النافذة الاولـــــى :

اختفت من المناهج وبالتالى من المعاهد الاسلامية أنفع العلوم الاسلامية وأعظمها وأجلها قدرا ، تلك التى كانت تحمل الاسلام الى الناس وتجذبهم اليه وتجمع المسلمين حول فكر واحد ، ومن أهم هذه العلوم مقارنة الاديان والحضارة الاسلامية وفد عنى القرآن الكريم والاحاديث الشريفة بهذين العلمين ، وكانا من أهم العلوم التى أبرزت خصائص الاسلام ، كما ابرزت المآثر التى قدمها الاسلام للجنس البشرى ، وعندما نقول عنى القرآن الكريم والاحاديث الشريفة بموضوعات مقارنة الاديان والحضارة الاسلامية فان هذا يعنى ضرورة وضعهما فى قمة المناهج ، اذ أن العلوم الاسلامية انبثقت من الكتاب والسنة كما يفول ابن خلدون وسواهمن المفكرين.

النافذة الثـــانيــــة :

انحرفت عن الطريق الصواب علوم اسلامية اخرى فالمذاهب الفقهية التى تعد نعمة من نعم الاسلام أصبحت نقمة وسببا فى الاختلافات والأزمات ، كما كثرت الفروض فى الفقه ، بل وجدت فى بعض كتب الفقه الحيل لأخذ الربا ، والحيل للتخلص من دفع الزكاة وهكذا ، وفى الحديث الشـريف تقـول أعـداء الاسلام على الرسول صلوات الله عليه ونسبوا اليه ما لا يجوز أن ينسب اليه ،

واندس بعض ذلك فى كتب الحديث.وفى التاريخ الاسلامى كثرانحراف الاحداث وصور التاريخ على انه معارك ودماء فقط دون الاهتمام بتدوين الجانب الحضارى فيه . وفى اللغة العربية انتقل التعليم من اللغة الى القواعد ، ثم من القواعد الى شواذها مما أضعف التعر ف على اللغة العربية واجادتها.

النافذة الثـالثـــــة :

برزت علوم ادعت أنها اسلامية ، وهى فى الحق ليست كذلك مثل علم الكلام الذى يقول مؤلفوه ان موضوعه ذات الله. وهذا منكر يرده قوله عليه السلام «تفكروا فى آلاء الله ، ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا » ومثل المنطق الحافل بالغموض والجفاف وقد كنا نحفظه دون فهم لنؤدى فيه الامتحان ، ومثل الفلسفة التى ـ كما نقول ادق المصادر ـ انها لا تبدأبمسلمات مهما كان مصدرها ، ولا تجعل الايمان سندا (انظر دائرة المعارف الاسلامية : مآدة فلسفة)

وقد تلقت هذه الفلسفة عناصر كثيرة من الفلسفة اليونانية ، ومن أجل هذا هاجم الامام الغزالى الفلسفة فى كتابه «تهافت الفلاسفة » ولهذا كله لا تجعل بعض الدول الاسلامية الفلسفة فى مناهجها ، ومن أجل انحراف الفلسفة اتجه العلماء المسلمون الى محاولة بعث روح اسلامية بها وأسموها « فلسفة اسلامية ».

والعلاج الحقيقى أن نعود للمنهج الاسلامى الصحيح ، فنُحيى العلوم المفيدة التى اندثرت ، ونصحح مسار العلوم التى انحرفت ، ونحذف العلوم الدخيلة ولا نبقى منها الاما ثبتَ نفعه وضرورته.

ذلك مجمل الحديث عن المناهج الاسلامية فى رحلتها الطويلة وهو يبرز ما عانته من أثقال ، وما تعرضت له من مكائد ، وفيما يلى بعض التفصيل لما سبق من اجمال :

مقارنـــة الاديـــان

ان آيات قرآنية كثيرة ، ومواقف متعددة للرسول ترينا أهمية هذا العلم الذى يشمل الحديث فيه عدة قضايا مهمة مثل فضية الالوهية ، وقضية النبوة ، وقضية الكتاب المقدس ، وقضية البعث والنشور ، وقضية الحساب ، وغيرها ، ونبدأ بأن نذكر ان آيات القرآن الكريم قد رسمت الاهتمام بهذا العلم ، قال تعالى :

- وجادلهم بالتى هى احسن (سورة النحل الآية ١٢٥)
- ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن (سورة العنكبوت الآية ٤٦)

ومن الواضح ان مجادلة غير المسلمين بالحسنى هى علم مقارنة الاديان ، ولم يكتف القرآن الكريم بالحث على المجادلة بالحسنى ، بل اورد بعض الآيات التى تحمل اتجاه المقارنة كقوله تعالى :

أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ (سورة النحل الآية ٦٧)

فهذه الآية تجرى مقارنة بين الخالق الاعظم وبين الالهة التى لا تستطيع أن تخلق شيئا ومثل قوله تعالى :

- لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا (سورة الانبياء الآية ٢٢)

فهذه الآية تقارن بين الوحدانية وبين التعد د ، وتوضح ان التعدد يقود الى الفساد والدمار ، وقد تحدث القرآن الكريم عن جميع الاديان سماوية كانت أم وضعية : تحدث عن اليهود واليهودية ، وتحدث عن المسيح والمسيحية ، وتحدث عن عبدة الاصنام والطاغوت والملائكة والشياطين وسماها القرآن الكريم أديانا مع بطلانها ، قال تعالى : لكم دينكم ولى دين » (سورة الكافرون الآية الاخيرة).

فاذا ذهبنا الى سيرة الرسول وجدنا ان مقارنة الاديان كان فى قمة العلوم التى كان الرسول يقدم بها الاسلام لغير المسلمين و يثبته لدى المسلمين ، وخلال المناقشات التى أجراها الرسول وايدته الآيات الكريمة دخل كثيرون من عبدة الاصنام ومن اليهود ونصارى نجران دين الاسلام. وفيما يلى نماذج قصيرة لهذه المجادلات ولدينا منها الكثير :

كان الرسول والمسلمون يكثرون السخرية من عبادة الأصنام وكان القرآن الكريم يؤيدهم ويمدهم بأسمى المعانى فى ذلك ، ومن ذلك قوله تعالى : أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى ، ألكم الذكر وله الانثى ، تلك اذا قسمة ضيزى. ان هى الا اسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان (سورة النجم الآيات ١٩ ـ ٢٤) وقوله : «أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون » (سورة الصافات ٩٥ ـ ٩٦)

وكانت أصنام العرب وأوثانهم كثيرة متعددة ، ومن أجل هذا كانت دهشة العرب عميقة عندما قال محمد ﷺ بالوحدانية وأن لا اله الا الله ، ويروى القرآن الكريم تعجبهم بقوله : «أجعل الالهة الها واحدا ان هذا الشىء عجاب » (سورة ص الآية الخامسة) ولقد أجابهم الله بقوله : «الله لا اله الا هو الحى القيوم » (سورة البقرة الآية ٢٥٥) وقوله : «ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو ، كل شىء هالك الا وجهه » (سورة القصص ٨٨) وقوله : «ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من اله ، اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون » (سورة المؤمنون ٩١) ويقول المفسرون (تفسير البيضاوى والنسفى) عن هذه الآية : انها جواب المحاجة والمجادلة ، وهى تبين ان التعدد لو حدث لحدث التحارب والتغالب ، كما هو حال ملـوك الدنيا ، وعن طريق المجادلة وشرح الآيات دخل الكثيرون فى الاسلام.

وهناك محاورات ومناقشات كثيرة جرت بين الرسول صلوات الله عليه وبين اليهود تارة وبين المسيحيين تارة أخرى ، وبينه وبين عبدة الاصنام أحيانا ، وكانت هذه المحاورات ذات فائدة كبرى فى نشر الاسلام بين الكثيرين من هؤلاء، وقد اشار القرآن الكريم لبعض هذه المجادلات ومن ذلك قوله تعالى :

- انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (الانبياء ٩٨)

- أ أنت قلت للناس اتخذونى وأمى آلهين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لى أن اقول ما ليس لى بحق . . . . .(المائدة ١١٦)

- وأوحى الىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ، أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ، قل لا أشهد قل انما هو اله واحد وأنا برئ مما تشركون (الانعام ١٩)

وهناك حديث طويل أورده البخارى (ج ٥ص ٦٩) ويروى مجادلة ومناقشة بين الرسول وبين عبدالله بن سلام انتهت باسلام عبدالله.

وروت كتب تاريخية دخول الكثيرين من هؤلاء دين الاسلام.

ومن أجل اهمية علم مقارنة الاديان اهتم به المسلمون الاوائل اهتماما كبيرا ، وعقدوا له حلقات مجادلة ، وحلقات عرض ، وحققوا فيها نصرا مؤزرا ، وكتب فيه المسلمون فى وقت مبكر ، أى عندما كتبوا العلوم الاسلامية المختلفة ، ومن أشهر الكتاب المسلمين فى علم مقارنة الاديان النوبختى (ت ٢٠٢ هـ) الذى كتب كتابه ـ الاراء والديانات ، والمسعودى (ت ٣٤٦ هـ) وقد كتب كتابين عن الديانات ، والمسبحى (ت ٤٢٠) وكتب كتابه (درك البغية فى وصف الاديان والعبادات) وهو كتاب مطول يقع فى حوالى ٣٠٠٠ ورقة وكثر بعد ذلك التأليف فى

هذه المادة ومن ابرز الكتب التى كتبت عن الملل والنحل واتخذت هذه التسمية عنوانا لها كتاب (الملل والنحل) لابى منصور البغدادى (ت ٤٢٩ هـ) وكتاب (الفصل فى الملل والا هواء والنحل) لا بن حزم الاندلسى (ت ٤٥٦) وكتاب (الملل والنحل) للشهرستانى (ت ٥٤٨) وغيرها من الكتب. ولم يكن هذا العلم موجودا قبل الاسلام وانما ابتكره المسلمون ، ويذكر آدم متز (الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٣٦٦) ذلك بقوله : ان تسامح المسلمين مع اليهود والنصارى ، ذلك التسامح الذى لم يسمع بمثله فى العصور الوسطى كان سببا فى ظهور علم مقارنة الاديان ولم يكن هذا العلم وسيلة لدى المسلمين للحط من الاديان الاخرى وانما كان دراسة وصفية علمية لا تعصب فيها تؤدى الى نتائجها الطبيعية.

وقد اختفى هذا العلم من المناهج الاسلامية وانتقل زمامه الى الغرب واصبح يدرس باشراف جماعة لا يعترفون برسالة محمد ومن هنا فكثيرا ما تغيب الحيدة فى الدراسة.

الحضـــارة الاسلاميــة

الحضارة الاسلامية من اسمى العلوم الاسلامية واكثرها فائدة لانها تبرز ما قدمه الاسلام للجنس البشرى من مآثر وهى منحة الاسلام لهداية البشرية والحضارة الاسلامية قسمين :

حضارة الخلق :

وهى الحضارة الاسلامية الاصلية التى جاء بها الاسلام ولم تكن معروفة قبل الاسلام كالنهج الاسلامى فى السياسة وفى الاقتصاد وفى التربية والحياة

الاجتماعية والسلم والحرب وغيرها.

حضارة البعث أو الحضارة التجريبية :

وهى الحضارة التى كانت موجودة قبل الاسلام ثم ذبلت واختفت ثم احياها المسلمون وطوروها وابتكروا فى مجالاتها وهى الحضارة المرتبطة بالعلوم التجريبية كالطب والرياضة والفلك والزراعة والموسيقى وغيرها.

وعندما نتتبع القرآن الكريم والمعلمين الاول فى الاسلام نجد كثيرا من الاهتمام يوجه للحضارة الاسلامية وطبيعى ان الرسول كان المعلم الاول واحاديثه الشريفة ومواقفه المتعددة تعتبر خير دليل على اهتمامه بموضوعات الحضارة ففى المجال السياسى يتجه الرسول بدقة الى تنفيذ قوله تعالى :

- وشاورهم فى الامر (آل عمرن ١٥٩)
- وأمرهم شورى بينهم (سورة الشورى ٣٨)

فيستشير فى غزوة بدر وينزل على راى الحباب بن المنذر عندما ايده الاغلبية فى اختيار مكان الموقعة ، وفى غزوة الاحزاب ينزل على رأى سعد بن معاذ وأهل المدينة ، ويرجع عن رأيه هو فى المصالحة مع المهاجمين من أهل الطائف ، وتدلنا الروايات التاريخية على انه كان يكثر من استشارته لاصحابه ، حتى قال ابوهريرة : ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشاورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان ابوبكر وعمر فى مقدمة الصحابة الذين كان يعتمد عليهم ، وقد روى انه قال : «وايم الله لو انكما تتفقان على أمر ما خالفتكما فيه » ومن أجل هذا اتخذ الخلفاء الراشدون مجالس للشورى بعد الرسول ، وساروا على نهجه بكل دقة وعناية.

وفى المجال الاقتصادى تنطلق آيات كثيرة جدا لتلزم الغنى أن يعطى الفقير حقه مما يملك ، وقبل الاسلام كان الفقير هو الذى يعمل للغنى أو يقدم له كسبه ، ومع آيات الذكر الحكيم يقف المعلم الاول موقفا رائعا حين يقول :

- ما آمن بى رجل بات شبعان وجارة جائع وهو يعلم.
- أيما أهل عرصة أصبح فيهم أمرؤ جائعا فقد برأت منهم ذمة الله.
- من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد لـــه.

واذا جئنا الى مجال التعليم ظهر امامنا ان الاسلام فتح باب العلم للجميع بعد ان كان العلم خاصا بالكهنة ، قال تعالى : «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم » (سورة التوبة الآية ١٢٣) وفى مجال السلم والحرب كانت القوة هى المسيطرة على الناس وكان القوى يأكل الضعيف حتى جاء الاسلام فجعل السلم اساس الحياة ، وجعل الحرب للدفاع ورد العدوان ، وألزم فى حالة الحرب الا يقتل طفل أو شيخ أو امرأة ، ولا يهدم منزل ، ولا يحرق زرع ، ولا يؤذى حيوان ، وكانت تلك مآثر لم تعرفها البشرية من قبل ، بل لا يزال الكثيرون من الناس يجهلونها وبخاصة من غير المسلميـن ، والايـات والاحاديث فى ذلك أشهر من أن تورد هنا.

وكان للحضارة الاسلامية دور كبير فى تحرير الرقيق وتكريم المرأة وغير ذلك من موضوعات كثيرة ومن الواضح ان مبعوثى الرسول الى البلدان المختلفة اتبعوا نهجه فى عرض قضايا مقارنة الاديان والحضارة الاسلامية بالاضافة الى تعليم الصلاة وغيرها من التشريعات التى كانت قد نزلت ، فيروى أن الرسول عندما ارسل مصعب بن عمير الى يثرب قال له : اقرئهم القرآن وعلمهم الاسلام وأمهم

فى الصلاة ، وعندما بعث معاذ الى اليمن أوصاه بقوله علمهم مكان الاسلام بين الاديان ، ويسر ولا تعسر (ابن هشام ج ١ ص ٢٦٨ وانظر كذلك الصحيحين)

- بيت الحكمة ودوره فى الحضارة :

ويعتبر من معالم الحضارة الاسلامية انشاء بيت الحكمة ببغداد فى عهد هارون الرشيد ، ويعد هذا المعهد أهم مجمع علمى شيد فى القرن الهجرى الثانى ، وفى بيت الحكمة ترجمت أمهات الكتب من اللغات المختلفة ومن موضوعات متباينة الى اللغة العربية ، وجلس العلماء أمام هذه الكتب جلسات فكرية رائعة ، ذات مراحل متعددة ، ففى المرحلة الاولى أكملوا ما كان بها من نقص ، وفى المرحلة الثانية شرحوها ثم علقوا عليها ، وفى المرحلة الثالثة تدارسوها وقدموا افكارها للطلاب ، ثم وصلوا بعد ذلك الى قمة المراحل عندما ألفوا وابتكروا فى هذه الموضوعات فوضعوا فى الطب والرياضة والموسيقى والزراعة والبيطرة والادوية وغيرها مؤلفات قيمة كانت عماد الفكر فى تلك العصور ، وهى التى نقلت الى اروبا فوضعت اساس عصر النهضة ، وهكذا ازدهر فى بيت الحكمة ما اسميناه من قبل (حضارة البحث).

علوم أخرى مع مقارنة الاديان والحضارة الاسلامية :

استكمالا لمنهج الدراسات الاسلامية نقرر انه كانت هناك علوم أخرى مهمة بجانب مقارنة الاديان والحضارة الاسلامية ، وسنذكرها دون حاجة الى ان نطيل الوقوف معها لانها معروفة مشهورة ، وذلك كالفقة الاسلامى الذى يشرح التشريعات الاسلامية فى شئون العبادات والمعاملات ليستطيع المسلم ان يعبد الله كما يريد الله ، وليتعامل مع البشر معاملة تتفق مع التشريع الاسلامى ، وكتفسير القرآن الكريم الذى كان يقصد به ايضاح ما قد يغمض على الانسان من كلمات

الكتاب الحكيم أو عباراته ، وكدزاسة أحاديث الرسول للانتفاع بما بها من فكر وخلق ، وكعلوم اللغة التى تساعد على فهم كتاب الله وسنة رسوله ، والتى كتب بها الفكر الاسلامى.

ولكن ينبغى ان يتضح أن تعليم هذه إلدراسات كان يتم بروح اليسر ، وكان فيه كثيرا من القصد والاعتدال ، فقد علم الرسول الصلاة للمسلمين تعليما واقعيا فى فترة وجيزة ، اذ توضأ أمامهم وصلى ثم قال: صلوا كما رأيتمونى أصلى. وفى الحج قادهم الرسول لاداء الشعائر وقال لهم خذوا عنى مناسككم وفى تفسير القرآن كانت تغمض كلمة أو آية على بعض الناس فيسأل الرسول عن معناهـا فيجيبه عن ذلك ، وقد روى ان الرسول سئل عن معنى كلمة «ضيزى » فى قوله تعالى ، قسمة ضيزى » فقال «جائرة » ولما نزلت الآية الكريمة وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر » (سورة البقرة ١٨٧) سأل على بن حاتم رسول الله عن الخيطين فقال الرسول : هو الشعاع الاول من النهار الذى يطارد سواد الليل.

ومن تتبع تاريخ المناهج فى صدر الاسلام يتضح لنا ان الرسول كان لا يحب ان يسأل عن أشياء لا تدعو الحاجة اليها ، وكان ذلك اتباعا لقوله تعالى : «يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم » (سورة المائدة الآية ١٠١) وقد شاع عند المسلمين الاول هذا الخلق ، اى الا يسأل الرسول عن تفسير آية او ايضاح حكم لم تدع الضرورة له ، وقد روى عن ابن عباس أنه قال : ما رأيت قوما قط كانوا خيرا من أصحاب الرسول ﷺ : ما كانوا يسألونه الا عند الحاجة ، وكان عمر بن الخطاب يلعن من سأل عما لم يكن.

وينبغى ان نوضح ان التعليم عن طريق التجربة هو الذى لا يزال متبعا فى الحياة الواقعية حتى اليوم ، فالصبى يتعلم الصلاة والصوم من ذويه وهو حدث ،

ويعيش على ذلك حياته حتى لو اتجهت ثقافته الى الدراسات الدينية دون أن يجد التفاصيل والفروض التى يدرسها ما يستدعى اجراء اى تعديل ذى بال فيما تلقاه من ذوية فى مطلع العمر.

وقد صام الآباء والاجداد وصلوا ، وأدوا فريضة الحج ولا يزالون يفعلون وهم يتبعون التجربة العلمية التى سنّ الرسول صلوات الله عليه سنتها ، دون حاجة الى التفاصيل والفروض التى ادخلتها عصور الظلام.

تلك صورة سريعة للمناهج الاسلامية فى العصور الاسلامية الاولى ، وقد اثمرت هذه المناهج آنذاك واينعت ، وحملت الفكر الاسلامى عبر الآفاق الى ملايين الناس ، وقدمت الهداية الى جموع غفيرة من جموع المجتمع البشرى وجمعت المسلمين حول مركز واحد لا فِرَق فيه ولا مذاهب غموض فيه ولا فروض، وسنـــرى فيما يلى كيف امتدت يد الظلام الى المناهج فحولتها من حال الى حال.

عصـــــور الظـــــلام

وماذا فعلت بالمناهج الاسلامية

اتجهت عصور الظلام لمحاربة الفكر الاسلامى ، واستطاعت ان تحقق اقصى درجات النجاح ، فظهرت فى المناهج الانحرافاتُ التى اشرنا اليها آنفا وهي :

١ ـ اختفت من المناهج اهم العلوم الاسلامية كمقـارنة الاديـان والحضـارة الاسلامية ، فخسرتِ المناهج الاسلامية انفعَ العلوم للاسلام ، وكان اختفاء هذين العلمين احيانا بسبب نفوذ غير المسلمين فى القصور ، وأحيانا بسبب حرص بعض

الملوك على الحكم المطلق الذى لا يتيح للشورى طريقا وحرص الاغنيا وأصحاب النفوذ على المال وهكذا. أصبح الطالب المسلم فى كليات العلـ السياسية يدرس كل النظريات السياسية العالمية فى بما ذلك النظريات التى ثبـ فشلها كالنازية والفاشية ، ولكنه يدرس النهج السياسى فى الاسلام ، والطالب فى كليات التجارة والاقتصاد يدرس كل النظريات الاقتصادية حتى الشيوعية فى اخط مظاهرها ولكنه لا يدرس النهج الاسلامى فى الاقتصاد وقل مثل ذلك فيما يتعلق بكليات التربية وبالكليات العسكرية وكليات الخدمة الاجتماعية ، ثم ان طلبا كليات الطب والصيدلة لا يعرفون شيئا عن الرازى وابن زهر وطلبة كليات العلوم لا يعرفون شيئا عن جابر بن حيان وابن سينا وابن الهيثم والذين يدرسون الجغرافيا لا يعرفون شيئا عن الاصطخرى والبيرونى والادريسى . . . . وهكذا مما يدعو للخجل ويلزم بسرعة العلاج.

٢ ـ انحرفت علوم اسلامية أخرى كالفقه الذى اصبح مذهبا والذى اتجه اهتمامه للفروض التى لا تحدث ابدا كأن يستاك انسان بيد غيره ، أو يندر أن تحدث كالصور التى تذكر عند الطلاق أو الجبيرة او الاستحاضة ، والمحاولات التى ادخلت على الفقه للحيل بعدم دفع الزكاة. أو للحصول على الربا ، وكالتفسير الذى ازدحم بالاسرائيليات.

٣ ـ ظهرت علوم مدعية انها اسلامية وهى قليلة الصلة بالاسلام وأحيانا لا صلة لها بالاسلام ، وذلك كالمنطق الذى لم يعرفه صدر الاسلام والذى ظهر فى العالم الاسلامى لاول مرة فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، وكالفلسفة التى يقول عنها الدكتور بيصار شيخ الازهر الحالى : ان الفلسفات فكر دخيل كثيرا ما تنافرت مع الاسلام وان جمهور المسلمين فى العصور الاولى ينظرون لها نظرة شك وريبة وينبغى ان نتجه للقرآن والحديث لا للمذاهب الفلسفية التى اختلط فيها الحق بالباطل وتشابهت فيها معالم الطريق (مقال بصحيفة الاهرام فى ٢٦ / ١ / ١٩٧٩

مناهج عصور الظـــــلام
تنحـدر للعصـر الحاضـــــر

انحدرت مناهج عصور الظلام للعصر الحاضر ، فالعلوم التى اختفت لا تزال مختفية ، والعلوم المنحرفة لا تزال منحرفة ، والعلوم الغير الاسلامية لا تزال تدرس فى المعاهد الاسلامية.

اصـلاح المناهج الاسلاميــة

ايها العلماء الاجلاء :

نناديكم باسم الاسلام أن تتعاونوا لاصلاح مناهج التعليم الاسلامى ، واصلاحُ هذه المناهج يستلزم النقاط التالية :

١ ـ احياء علم مقارنة الاديان وعلم الحضارة الاسـلامية ولحسـن الحظ قد ظهرت مؤلفات كثيرة عن هذين العلميـن لقيـت اقبـالا رائعـا لدى الجماهير وخدمت الفكر الاسلامى أجـل الخدمـات ، ولكاتـب هذه السطور مؤلفات فى هذين المجالين.

٢ ـ الاهتمام بدراسة الفقه الاسلامى اكثر من الاهتمام بالفقه المذهبى مع تنقية الفقه من الحيل الفروض والتفاصيل غير اللازمة ، وقد كتب كثير من العلماء الاجلاء فقه السيرة وفقه السنة على هذا النمط.

٣ ـ تنقية تفسير القرآن الكريم من الاسرائيليات وكتابته باسلوب العصر ، وقد أصدر مجمع البحوث الاسلامية « التفسيـر الوسـيط » الـذى يوفـى بالفروض.

٤ ـ الاهتمام بالتاريخ الاسلامى بتنقيته من شطحات المستشرقين ، وبجعله شاملا للعالم الاسلامى كله وممتدا حتـى العهد الحاضـر ، وبابـراز الجانب الحضارى فيه . . . . . . ويشرفنى ان اذكر اننى كتبت موسوعة التاريخ الاسلامى فى عشـرة أجـزاء (٥٠٠٠ صفحة) حاولـت فيها

تحقيق هذه الاهداف ، كما التزمت بروح الاسلام فى عرض الاحداث.

٥ ـ الاهتمام باللغة العربية اهتماماكبيرا والاكتفاء فى قواعد اللغة بما يحمى اللسان من فاحش اللحن ، ومن جهل العوام كما يقول الجاحظ وابن حزم.

٦ ـ العلوم الدخيلة لا نُبقى منها الا ماتثبت ضرورته والحاجة اليه.

٧ ـ الاهتمام بمعاهد الدعوة التى غابت عن المحافل الفكرية عدة قرون لتخرج دعاة يأخذون نهج الدعاة الاول ، وقد بدأت معاهد الدعوة تظهر فى اقطار متعددة ، ولكنها للحق لا تزال قليلة ، ولا تزال فى حاجة الى ، اصلاح مناهجها والاخذ بيدها.

ايها العلماء الاجلاء :

لقد بدأ جيلنا يسير على الطريق الامثل ، ولا يبقى الا ان يتبنى مؤتمركم اتجاها يدفع بالقيم التربية الاسلامية الى الكمال أو ما يقرب منه لنفتح للدراسات الاسلامية صفحة جديدة تشرق بالاسلام على الكون فانتم صفوة المجتمع الاسلامى من كل صوب لتتعاونوا فيما يخدم الاسلام والمسلمين ولاهد ف لكم الا اعلان كلمة الله ، ومن هنا فالله معكم و لن يَتِركم اعمالكم.

* * * * *

فكرة الاستقراء فى القرآن الحكيم

محمد جميل قلندر
المحاضر بالقسم العربى
المعهد القومى للغات الحديثــة
اســـــلام آباد (باكستان)

ان القرآن أول كتاب فى تاريخ الصحافة الالهية من وجه اهتمام الانسان تجاه دراسة ما فى الأنفس والآفاق من الآيات ، ودعاه إلى أن يتناولها بألنظر والرؤية والمشاهدة بشكل نظامى. لقد تنبأ القرآن بأن الانسان سيحظى تدريجاً بلقاء الحق الملفوف فى آيات الكون عن طريق رؤية هذه الآيات كما ينطق به الكتاب : سنريهم آياتنا فى الآفاق فى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق (٤١ / ٥٣). معنى هذه الآية واضح وهو أن الحق لا يتبين الا بمشاهدة آيات الله المنعكسة فى الكون لأن مُنْعَجِن بها. ان الكون كما يؤكد القرآن الحكيم ، عبارة عن الآيات المحكمة والمتشابهة. ومن عجيب النُكت القرآنية أن ما يُتلى علينا من قبل الله فى القرآن الحكيم هو هذه الآيات. واليكم ما يقول القرآن نفسه فى هذا المضمار : (ان فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين. وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون. واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق فأحيابه الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون. تلك آيات الله نتلوها عليک بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون. ٤٥ / ٣ ـ ٦). يتبين من ذلک أن آيات الانفس والآفاق متلوة کآيات القرآن.

هناك نكتة لطيفة فى اختيار القرآن مصطلح الآيات لظواهر الكون فى محل مصطلح المادة وخواصّها. وهى أن مفهوم المادة متغير وقد تغير فعلا حتى يختلف عماكان عليه قبل النهضة العلمية الحديثة. ويبدو من دراسة العلوم الحديثة أنه لا يمكن التعبير عن ماهية المادة الا بلغة الرموز (Symbols). ومن المعلوم أن الطابع الرمزى قد تَغلّبَ على كثير من العلوم حتى معظم التعابير يسبك فى قوالب فارمولية. فهناك مثلاً عدة تعابير رمزيه عن المادة : هى عبارة اما عن احوال ذهنية او أفكار مكثفة او حوادث مترابطة او تركيب منطقى على حد تعبير بركلى وأسپنسكى ووهائيت هيد وبرتراند رَسل على الترتيب ، من العجيب أن الاكتشافات العلمية الحديثة خاصّة فى مجالى الكيمياء والفيزياء قد حوّلت كل ما نبصر ومالا نبصر من الكون الى المجال الكهر مغناطيسى (Electro - magnetic field).

نظراً الى كون مفهوم المادة وخواصّها متغيراً على هذا النحو من زمن الى زمن فإن القرآن لم يرجّح أى تعبير متداول عن المادة بل اختار مصطلح الآيات كمرادف لمصطلح الرموز ، ثم سكت عن وصفها العرضى المؤقت سكوتا حكيما وترك الأمر للبحث والاكتشاف وهو يأمرنا : «أنظروا ما ذا فى السموات والأرض » (١٠ : ١٠١). هو يندد بمن لا يبالون بآيات الكون قائلاً : وكأى من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » (١٢ : ١٠٥) ، وفى موضع آخر يقول : «وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها مُعْرضون » (٢١ : ٣٢).

ومما يدهشنا فى القرآن قوله أن هناك علاقة ايجابية بين الانسان والكون بحيث أن مشاهدة الأول للأخير تكشف عن مدة أجله الحضارى على الأرض. ان هذا المفهوم العميق كامن فى الآية القرآنية التى تقول : «أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيىء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم » (٧ : ١٨٥).

ان فكرة الأجل تتكرر فى القرآن لَظاهرة كونية وأممية. أما بخصوص علاقته بالأمم فان القرآن يقول : „ولكل أمة أجل „ (٧ : ٣٤) وان هذه الأجلية (Periodicity) تخضع بدورها لناموس معين كما ينطق به الكتاب : „لكل أجل كتاب „ (١٣ : ٣٨). ان قيد الموضوع لا يسمح ببحث مفصل فى فكرة الأجلية هذه كما وردت فى القرآن . ونترك معالجتها المبسوطة لكتابنا„مفهوم الربوبية الخلاقة فى القرآن „ وهو تحت التاليف.

وما يهمنا هُنا أن القرآن يقف من آيات الانفس والآفاق موقفا استقرائيا واقعيا تجريبيا. هو ينقد رأى الذين يقولون أن الكون ليس الا خداعاً ووهماً ، او ليس موجوداً فى الخارج ، فيسلبون منه صفة كونه مخلوقا بالحق. ان القرآن يقوم بنفى هذا الرأى الكفرى قائلا : وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً. ذالك ظن الذين كفروا. (٣٨ : ٢٧). أى الذين ستروا الحقائق فالحقوق. ان ستر الحقائق يترتب عليه ستر الحقوق الانسانية لقد اشار الامام على رضى الله عنه الى نفس الواقع اذ قال : „اتخذوا ستر الله ذريعة الى المعصية „.

بناء على موقفه الاستقرائى هذا فان القرآن لا يقبل أى ادّعاء علمى لا يستند الى شهادة الحواس والفؤاد ، بل يعتبره رجماً بالغيب أو ظناً لا يغنى من الحق شيئاً. ان العلم ، كما يؤكد القرآن ، عبارة عما يدركه الفؤاد (Seat of ratio-cination) عن طريق الحواس .أما مالا يحصل عن هذا الطريق فانه ظن ، وان القرآن ينهانا عن اتباعه قائلا : „لاتقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً „ (١٧ : ٣٦).

من المعلوم أن السمع والبصر كليهما يلعب دوراً هاماً فى عملية التعلم وان التساؤل عما هو الافضل منهما ، اذا قورن بينهما ، قد أثار كثيرا من البحث والاكتشاف. وما يبدو اقرب الى ما نطق به القرآن فى هذا الصدد هو الرأى القائل

أن السمع والبصر كليهما من أهم ذرائع التعلم ، ان القرآن لا يفرق بينهما حتى يفضل الواحد على الآخر كما يبدو من الآيات التالية : «لا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً » (١٧ : ٣٦).

«ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد » (٥٠ : ٣٧)

«ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة (٢ : ٧).

بغض النظر عما تحمل هذه الآيات من الايحاءات التعليمية فيجدر بنا أن نشير الى رسالة الأستاذ نيكولاس ريدكولينز (Nicholas Read - Collins) الانجليزية التى تتعلق بنفس الموضوع ، واليكم نصّها بالعربية :

عزيزى السيد قلندر

ان تلفنتك الحالية قد ذكّرتني بشيء كنت في حاجة اليه مذ مدة طويلة. ليت شعرى لو استطعت أن تقوم بمساعدتى .انى احاول العثور على مرجع او بحث يتعلق بنص قائل أن ألبصر من بين الحواس يلعب دورا رئيسيا فى عملية التعلم ، وأن السمع يلعب دوراً اقل منه فيها . . . . . .ليت شعرى لو صادفته اثناء دراساتك المهنية . . . . . .

. . . . نيكولاس ريدكولينز

يتوضح من هذه الرسالة مدى اهتمام الباحثين المعاصرين بدور السمع / البصر فى عملية التعلم ، وايضاً حكمة القرآن فى حثه المكرر على استعمال السمع والبصر وفى تركه ذكرَ غيرهما من الحواس بالاسم.

ان القرآن كما سبق آنفا لا يشجع أى ادعاء علمى لا ينتمى الى شهادة الحواس والفؤاد. هو يتخذ كليهما مسئولا عن العلم .وفكرة المسئولية هذه تتكرر فى موضع آخر من القرآن حيث يتبين معناها الحقيقى .كان فى العصر الجاهلى اعتقاد سائد بكون الملائكة اناثا. ان القرآن يعرض هذا الاعتقاد للانتقاد سائلا : أشهدوا خلقهم ـ ستكتب شهادتهم ويسئلون » (سورة الزخرف ٤٣ : ١٩). هذه الآية توحى بثلاث مراحل يجب أن يمر بها اختبار قول قائل ، وهى :

(١) المشاهدة (Observation)

(٢) كتابة مايشاهد (Recording of observation)

(٣) التساؤل (Inquiry)

ان هذه المراحــل الثــلاث تكون الطــريقة العلمية (Scientific method) بالضبط يكتب جيبسن (Gibson) فى كتابه (علم النفس التعليمى) أن الطريقة العلمية تجمع فيها ظواهر مقصودة مختصة وتشاهد كما هى تحدث ثم تكتب هذه الشهادات (Observations) بدقة وتستعمل فى الاجابة عن اسئلة مطروحة حول السلوك تحت البحث.

ان النبى عليه الصلوة والسلام أول مُعَلِّمٍ قَادَ الحضـارة البشـرية الـى استخدام هذه الطريقة من خلال مشاهدته لفتى يهودى مُصاب بمرض نفسى يُسَمى ابن صياد الذى استنطقة النبى عليه السلام فى البداية ثم قام بمشاهدته النظامية فى حالته الطبيعية. ذات يوم جاء النبى الى حديقة كان ابن صياد جالساً فيها، واختبأ وراء شجرة من النخل بحيث لا يرى وأخذ يشاهده ببالغ الاهتمـام. بينمـا كان مشغولا بهذه المشاهدة اذ جاءت أم ابن صياد ووقعت عينها عليه فحذرت ابنها من وجود النبى عليه السلام فانتبه وأَفَاقَ من غيبوبته. فقال النبى متأسفا : «لو تَركَتْه

وحيدا لتبين الأمر(١) ».ان الأستاذ ميكدونلد يسخر من موقف النبى تجاه ابن صياد ويقول : «هنالک فكاهة كافية فى هذا المنظر الذى يحاول فيه واحد من الانبياء أن يقوم باستقراء نبى آخر طبق طريقة مجمع البحوث النفسية. وأما بالنسبة للغلام فليس فيه ما يبعث على السخرية (٢) » .لقد غاب عن ذهن الأستاذ المذكور أن ما تدعو اليه روح حكمة القرآن الاستقرائية هو مثل ذلک الاستقراء. ولم يكن استقراء النبى لابن صياد الاّ تطبيقا عمليا لمبدأ التبين الذى تنطق به الآية : «ياأيها الذين آمنوا ان جاء كم فاسق بنباء فتبينوا » (٤٩ : ٦). ولكى يتبين مدى صدق قول ما فان القرآن يطالب قائله بنوعين من البينة :(١) نوع كتابى (Documentary) و (٢) نوع فى شكل آثار علمية (Scientific data). هو يخاطب من يصدرون حكما على شيىء قائلا : «ايتونى بكتاب من قبل هذا او آثارة من علم ان كنتم صادقين » (٤ : ٤٦). ان القرآن يولى النوع الأول من البينة أهمية كبرى ويعلل ذلک قائلا : «ذلک . . . . . ادنى ألا ترتابوا » (٢ : ٢٨٢). ان الله نفسه ، كما يتضح من دراسة القرآن ، قد احاط بكل شيىء علما عن طريق الاحصاء الكامل (enumeration Complete) الذى تكتب وتحصى فيه الجزئيات بأسرها تم تستنتج منها كلية أو كليات. واليكم بعض كليات القرآن الاحصائية فى هذا الصدد :

١ ـ كل كبير وصغير مستتطر . (٥٤ : ٥٣).

٢ ـ كل شيىء احصيناه فى امام مبين. (٣٦ : ١٢)

٣ ـ كل شيىء احصيناه كتاباً. (٧٨ : ٢٩)

٤ ـ لقد احصاهم وعدّهم عدّاً. (١٩ : ٩٤)

٥ ـ ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصناها ، (١٨ :٤٩). ويبدو من معالجة (الاستاذ جون بطريق دايو) لفكرة الاستنتاج عن طريق الاحصاء الكامل أنه قد قلل من أهميتها حتى اكتفى بنظرة عابرة فيها فى حين أنها فكرة عميقة وقيّمة من وجهة النظر الرياضية وخاصة بالنسبة للذهن المحيط بكل

شيىء الذى تفترضه هذه الفكرة سلفاً. ان وجود هذه الفكرة فى القرآن توحى بأن الله خلق الكون ، كما يرى بعض العلماء المعاصرين أيضاً ، حسب القوانين الرياضية والاحصائية. وكان بامكان الانسان فى نطاقة البشرى أن يتخلق باخلاق الله الرياضية والاحصائية تلك حتى يتحقق فيه قول الله : «وعلم آدم الاسماء كلها » (٢ : ٣١). ان فكرة تعليم الأسماء وفكرة تسخير الاشياء فكرتان عميقتان فى القرآن بحيث بقيتا تنتظران البحث والاكتشاف حتى حظى الزمن الحاضر بتفسيرهما.

ان استقراء آيات الكون نوع من العبادة يأتى به اليقين كما ينطق به القرآن : «اعبد ربك حتى يأتيك اليقين » (١٥ : ٩٩). وان العبادة تعنى الدراسة والمتابعة والملازمة لكلمات الله وسننه وآياته التى تنكشف فى الانفس والآفاق.

أما اليقين فقد قسمه القرآن الى ثلاث درجات : (١) علم اليقين (٢) و عين اليقين و (٣) حق اليقين. علم اليقين عبارة ، كما يرى ابن عربى (٣) ، عن مفهوم ذهنى عن حالة شيىء ، وعين اليقين عبارة عن مشاهدة شيىء كما هو فى الحقيقة ، وحق اليقين عبارة عن الفناء فى الحق (Reality) والبقاء به بثالوث العلم والمشاهدة والحال / الذوق (٢). بهذا الاعتبار فان هذه الدرجات من اليقين تعنى على الترتيب :

١ ـ اليقين المفهومى ـ العقلانى (Conceptual-national certainty)

٢ ـ اليقين الشعورى ـ التجريبى (Perceptual-empirical certainty)

٣ ـ اليقين الوجودى ـ الحقيقى (Existential-real certainty)

وذلك عن طريق المشاهدة أن الانسان يحظى بالدرجة الثانية من اليقين كما توحى بذلك قصة رؤية ابراهيم عليه السلام لملكوت السموات والأرض حيث

وردت الآية : «وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من المؤقنين. » (٦ : ٧٥). تجيب هذه الآية عن سؤال لماذا لجأ النبى عليه السلام الى مشاهدة ابن صياد المذكور آنفاً. وتشير أيضا الى أن ذلك بفضل مشاهدة ما فى السموات والأرض من الآيات أن ابراهيم قد حظى باليقين. ومما يبعث على الاهتمام أن القرآن يكشف الستار عن أسوة ابراهيمٌ الاستعلاميه ـ الاستقرائية باشارته الى طلبه عليه السلام : «رب أرنى كيف تحيى الموتى » (٢ : ٢٦٠). تلك هى بضع كلمات تعكس رغبة ابراهيم الملحة فى رؤية كيفية احياء الموتى. بالرغم من أنه نبى جليـــل فهـــو يطـــلب مثل هذا المستحيل العقلى ويعلّل طلبه قائلا : أريد أن أرى ذلك «ليطمئن قلبى ». يتضح من ذلك ان الاطمئنان القلبى لا يحصل الا عن طريق المشاهدة المباشرة. ومن الاعجب أن طلبه لم يرفض نظراً لكونه شيئاً طبيعياً يوجد كغريزة عند كل انسان.

فنرى أن الصلة بين الله وابراهيم كصلة بين أستاذ عطوّف شفيق وتلميذ رشيد متسائل. هذا يتساءل ملحاً وذلك يجيب مرشداً بحيث نتصور كأن كليهما فى مختبر ـ مختبر الطبيعة المفتوح ـ يرشد فيه الأستاذ التلميذ الى طريقة احياء الموتى.

لمّا هناك تشابه بين نفسية الحيوان ونفسية الانسان فيجب أن يأخذ ابراهيم أربعة من الطير ويجرى عليهن تجربة بحيث يمرهن بمراحل التعويد والامالة و التمرين ثم يترك جزاء منهن على كل جبل فيدعوهن فيأتينه بسرعة. كذلك ستؤدى طريقة التمرين والامالة والتعويد للحيوانات (Conditioning animal) الى الكشف عن طريقة احياء الموتى. نرى هنا أن القرآن يطبق نفسية الحيوان على نفسية الانسان ويوجهنا الى اختيار ما هو المناسب من طرق التعليم والتدريب والتمرين والتربية والتزكية لاحياء شعب ميّت. تلك أسوة ابراهيم التى قال فيها القرآن : «قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه » (٦١ : ٤).

ان القرآن يقص علينا قصة أخرى ترمى نفس المطلب ، و هى أن رجلاً مرّ

بقرية غارقة فى البؤس والشقاء والخراب فسئل متعجبا : «أنى يحيى هذه الله بعد موتها » (٢ : ٢٥٩). ان سؤاله هذا لم يجلب عليه أى سخط الهى بل لفى لطلب ابراهيم اجابة بشكل رمزى. فتوفى بحيث خيل اليه كانه لبث مئة عام ثم بعث ولم يكن وفاته وبعثه الا كوفاتنا بالليل وبعثنا فى النهار. لمّا رجع الى شعوره العادى فعلم أنه لبث يوماً أو بعض يوم . فقيل له : بل لبثت مئه عام حسب شعورك فى الرؤيا أثناء نومك ⁽¹⁾. ثم لفت انتباهه الى الاشياء التالية : (١) طعامه وشرابه الطازجين .(٢) حماره القائم على قوائمة .(٣) ظاهرة خلق العظام وكسوها باللحم كما هى تشاهد عند نشأة الجنين. ففى هذه الحكاية هناك ثلاث مقارنات : (١) الأولى بين حالة نائم يشعر أثناء رؤياه فى النوم بموته لمدة مئة عام وحالة قرية مصابة بموت اجتماعى لفترة محدودة. (٢) والثانية بين ما يملك ذلك النائم من الوسائل كالطعام والشراب والحمار واوضاع تلك القرية الخارجية (٣) والثالثة بين ظاهرة نشأة الجنين ونهضة القرية من جديد. ففى المقارنة الأولى كما يستبعد النائم فى نومه عودته الى حالته الأولى من الحياة فكذلك هو يستبعد فى يقظته احياء تلك القرية من جديد. فكما هو منخدع فى أمر ذاته أثناء النوم فكذلك هو منخدع فى أمر القرية أثناء اليقظة . وفى المقارنة كما الاعتبار ليس للوسائل والذرائع بل لمن يستخدمهافكذلك الاعتبار ليس لما فى القرية من العروش والفروش بل لمن يسكن فيها. وفى المقارنة الثالثة كما تنشأ العظام من المضغة ثم تكتسى باللحم فكذلك يمكن أن يزول جفاف تلك القرية وتعود الى حالتها الأولى من الحياة والحركة والبركة . بغض النظر عن روح التفاؤل التى تبثها هذه القصة فهى مطبوعة بطابع الاستقراء والاستدلال عن طريق القياس (Argumentation by analogy). بالاضافة الى ذلك فانها توحى بتبيين عملى (Demonstration)، فى مختبر الطبيعة المفتوح . لطريقة تشبة طريقة التنويم المغناطيسى لأجل تصوير الفرق بين النوعين من الشعور : (١) الشعور المقيد و (٢) الشعور المنطلق. فهى توضح أن

ذلك حسب الشعور المقيد أن احياء القرية يتراءى أمراً مستبعداً. وأما بالنسبة للشعور المنطلق فهو أمر مستقرب. تلك هى الفكرة العميقة التى تشير اليها الآية : «فاصبره صبراً جميلاً. انهم يرونه بعيداً. ونراه قريباً. (٧٠ : ٥ ـ ٧).

ما سبق من البحث يثبت أن القرآن أول كتاب فى تاريخ الصحافة الالهية يدعو الى النظر والابصار والمشاهدة والاستقراء والتبين. بناء على هذا الموقف فانه يعرف أولى الايمان بكونهم الذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعمياناً. (٢٥ : ٧٣). كان ذلك من نفخ روح الاسلام الاستقرائية أن حبلت الأرض من فلاسفة وعباقرة امثال النظام والجاحظ والكندى والفارابى وابن مسكوية وابن سينا وابن الهيثم وابى بكر الرازى والاشراقى وابن تيميه والغزالى وابن باجه وابن طفيل والبيرونى وابن رشد وابن خلدون الذين يتّراءى حكماء العالم اقزاماً أمام ما قاموا به من البحوث والاكتشافات. تلك هى الروح التى تتمثل فى أسوة النبى عليه الصلاة والسلام بشكل بارز، لاسيّما فى قوله المثلى الذهبى : ليس الخبر كالمعاينة.

****

المـــــراجع

١ ـ لقرآن

٢ ـ ابو داؤد (سنن)

٣ ـ فخرالدين الرازى : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)

٤ ـ ابن خلدون : المقدمة

٥ ـ لبخارى . الجامع الصحيح

٦ ـ Day, John Patrick, Inductive Probilility

٧ ـ De Boer, The History of Philosophy in Islam

٨ ـ Eddington, The Nature of the Physical World

٩ ـ Iqbal, The Reconstruction of Religious Thought in Islam

١٠ ـ Macdonald. Luncan Black, The Religious Attitude and Life in Islam

(١) صحيح البخارى : كتاب الآداب

(٢) Macdonald, Duncan Black, The Religious Attitude and Life in Islam. Beirut: Khayats, 90-94 Rue Bliss, 1965, .p 36

(١) ابن عربى . فصوص الحكم المقدمة) المترجم الى الأردية من قبل حافظ محمد بركة الله ، ص ١٥٨

(٢) ان نظرية الاعيان التى شرحها ابن عربى فى فصوص الحكم مبنية على فكره عين اليقين ولذلك لاصلة لها بالمثل الافلاطونية

(١) فيما يتعلق بحصول حيرة الموت تلك فى حالة النوم فقد وردت اشارة فى نصّ مروى عن ابن عباس نقله الرازى وهو أن عزير دخل بابل فسأل متعجبا : أنى يحيى هذه الله بعد موتها ، ذلك بعد أن طاف فيها ولم يجد فيها أحداً سوى اشجار مثمرة فأكل من ثمرها العنب والتين وشرب من عصير العنب ونام فأماته الله تعالى فى منامه منه عام .. انظر ص ٣٢٢ من الجزء الثانى للتفسير الكبير).

وظيفة العلماء المسلمين
(Muslim Scientist)
فى القرن الخامس عشر الهجرى

الدكتـور أبـوالفضل بخت روان
الكلية الرسمية فى لندى كوتل

الاسم الثانى للعلم Science هو الحقيقة وتعبر الحقيقة بالعلم أحيانا . وكل شيء فى الكون حقيقة فى نفسه ومن سأن الانسان ان يبتغى الحقيقة مهما كانت أو تكون فى مكان ما . واذا ينالها فيفرح ويرتاح بها ومن المعلوم ان وليدا اذا فتح عينيه يرى ماحوله فنجده مبتغيالتلك الحقيقة بفضل وجدانه الفطرى وجبلته الطبيعية يميز الحق من الباطل ويتخذ الحق ويرفض الباطل لأنه مكلف من عند الله بأن يفعل كذلك،وخير دليل على ما قلنا تميز بين ثدى أمه وأصابعها اذا وضعت فى فيه فهو يدرك أن الأول هو الحق والثانى هو الباطل.

والحيوان ليس بأقل ادراک من الانسان فى هذا المجال ولو نظرنا فى الطيور وامتحناها بالحبوب الطبيعية مثل الحمص ، والحبوب الاصطناعية من الحديد لوجدناها متخذة للحقيقة ورافضة لغيرها.

وهذا العمل جار وسار فى الجمادات كذلك،مثال ذلك أن الميكانيكى

لايقدر بتلصيق حجر مع خشب لأنها يختلفان فى الاصل والحقيقة كل منهما بطلب الحقيقة أى جنسه والحجر بالنسبة الى الخشب ليس بحقيقة وبالعكس وبعد هذا التمهيد القصير نعود الى موضوعنا.

فالحقيقة الكبرى أمام المسلمين خاصة وغيرهم عامة هى ذات الله عزوجل والوصول اليها مطلوب اما مباشرة أو غير مباشرة. عند كل من يخفق قلبه ويضطره وجدانه الى ذلك ومسئولية العلم (Science) هى أرشاد الناس الى هدفهم وايصالهم بالتدريج الى الحقيقة تلو الاخرى حتى الحقيقة الكبرى.

ومن العجيب ان العلماء لم يتوصلوا الى هذه الحقيقة لحد الآن لانهم يخترعون ويكشفون الأمور العلمية على أساس التفكير اليونانى وهذا هو تفكير وثنى يرشد صاحبه الى التشتت والانتشار ويبعده عن الحقيقة المطلوبة بعد المشرقين ، والعلماء المسلمون يتابعون تقاليدهم بلاهدى ولا يتخذون طريقا غير طريق اليونانيين المرتكزة فى الشرك والميثو لوجية اليونانية.

ففى القرن الخامس عشر الهجرى سوف يعدل علماؤنا المسلمون المناهج اليونانية ويطبقون العلم على اساس الاسلام وينظمون تحقيقاتهم وبحوثهم فى ضوء الارشادات القرآنية الناطقة بالبحث والتحقيق والتى تشجع العالم كله على الابتكار والاختراع ليتوصل الى الحقائق الهائلة والمدهشة والتى لم يبلغ اليها أحد من العلماء . وفى هذا القرن سوف يفسر علماؤنا العلوم القرآنية (Quranic Sciences)التى لم يتعرض لها المسلمون الاوائل الا فى القرن الاول والثانى والثالث من الهجرة.

ونود ، ان نقدم بعض الآيات القرآنية التى ترشد علماءنا فى ميدان البحث والاختراع ومنها :

١) خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون (٣ : ١٦) ان الله عزوجل «خلق الكون بالحق » أى بطريق علمى فعلينا متابعة خلقه بنفس الطريق حتى نكون خلفاء في الأرض.

٢) «خلق السموات والأرض بالحق ان فى ذلک لآية للمؤمنين (٤٤ : ٢٩) المؤمنون هم العلماء الذين اتقنوا ايمانهم فى خلق السموات والأرض بالطريق العلمى.

٣) وفى الآية التالية أعلن الله تعالى باجل مسمى للكون كما يظن العلماء وهى « وما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى»(٣٠ : ٨)

٤) «خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير».(١٣ :٦٤)

وفى الآية يشير الله عزوجل الى تكوين «الكون بالحق » اى بالطريق العلمى والشيء المهم هنا هو تصوير الانسان فى أحسن التصوير وهو نموذج عال فى عالم العلم والتكنولوجية. ومن شان العلماء ان يبذلوا جهودهم فى ميدان العلم حتى يتوصلوا الى انشاء شيء مثل الانسان.

والجدير بالذكر ان فى منطقة خويشكى بمحافظة بشاور ، أنا شخصيا رأيت مكينة لدفع المياه من السطح الأسفل الى السطح الاعلى وكانت تمشى وتجرى على طريق التنفس الانسانى بدون الكهرباء أو النفط أو غيرها من الوقود ، وزودنا مراقبها بالمعلومات بأنها من أختراع علماء المانيا والذين ألقى القبض عليهم فى الهند خلال الحرب العالمية الثانية وكانت تلك المكينة مشغولة منذ ٨٠ سنة.

٥) «وخلق السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون» (٤٢ : ٤٥)

والذين يبحثون عن الحق ويتفكرون فى انشاء الكون ويتبعون الحق ويدققون فى العلم فيجزيهم الله بقدر ما بذلوا جهودهم ماليا وروحيا.

٦) ولونظرنا فى قضاياالمسلمين وانحطاطهم تخلفهم فى مجال العلم والتكنولوجية لعرفنا ان عدم رعايتهم بالاختراع والابتكار سبب واضح من أسباب تدحرهم فى المجتمع العالمى ولو لم يعتنوا بهذا العمل الخلاقى فى القرون القادمة وعلى رأسها القرن الخامس عشر من الهجرة لأفناهم الله تعالى عن صفحة الدنيا ويأت بخير منهم كما يتحدانا الله :

«الم تر ان الله خلق السموات والأرض بالحق ان يشاء يذهبكم ويأت بخلق جديد».(١٩ : ١٤)

٧) «وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأن الساعة لآتية فأصفح الصفح الجميل» (٨٥ : ٣٩)

ويظهر من الآية الكريمة كأن الله تعالى جعل الحق أى التحقيق العلمى أساسا للسلام وللصفح الجميل ، لاغرو ان من يقوم بالبحوث العلمية يتوصل الى النتائج المفيدة فى الاختراع ، وعندما ينتشر استنباطه فى انحاء العالم وأرجائه يكون ارتكاز الناس على المنطق الموحد ميسورا.

ومن هنا تتبدل شكوكهم وشبهاتهم فيما بينهم بالايقان وجدالهم بالسلم.

من ذا الذى سيقوم بهذا الواجب المحترم ؟ جوابنا العلماء المسلمون. متى ؟ فى القرن الخامس عشر الهجرى.

٨) وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين . وما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لايعلمون »..

وقول الله تعالى : «ولكن أكثرهم لايعلمون ». ان عدم الاعتناء بالعلم والتكنولوجية مانع كبير فى فهم الكون واذا لم يعرف احد صنعة كيف يعترف بصانعها ، ولهذا الغرض يحرض الله الناس على العلم وقد تجا هلنا هذه الحقيقة فى القرون الماضية فخسرنا خسارة هائلة وسوف يداوى علماؤنا هذا الخسران القومى فى القرن الخامس عشر الهجرى.

٩) «لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون» (٧: ٢٢)

هذا تحذير لعلمائنا بأن يتوفروا الظروف لاستعمال القلب والبصر والسمع عبر خبراتهم العلمية والتكنولوجية وان يتوسعوا نطاق أجهزة البصر والسمع والقلب للعالم كله ، والا لنكونن من الغافلين والغافل اقبح من الكافر والظالم ، لانهما يعتبران من زمرة الانسان والغافل من الانعام بل أضلها.

واذا حقق ودقق علماؤنا الحقائق الكونية واستخرجوا واستنبطوا منها الوسائل الحيوية يملأون الدنيا سعادة واسعة ويسهل حل بعض المشاكل التى

يواجهها العالم من قبيل النفط والزراعة والصناعة والثروات المعدنية والتربية الجديدة والتسليح الجديد والاختراعات النووية المضادة للطاقات النووية الموجودة فى العالم حاليا وذلك لاجل السلام والرخاء والامن الدولى.

أما مشكلة النفط سوف يحلها علماؤنا فى المستقبل القريب وذلك فى القرن الخامس عشر الهجرى. أما من طريق الطاقة الشمسية أو عن طريق الزراعة لأن بعض البلدان الغربية نجحت فى استخدام الكحول مكان النفط والكحول يحصل من قصب السكر والنخيل أى التمور بمقدار وافر والجدير بالذكرهنا أن أكثر الدول الاسلامية زراعية وعلى رأسها باكستان وباستعدادها أن تزرع قصب السكر والنخيل بكمية متوفرة لهذا الغرض.

القرآن الكريم يشجعنا على احتضان الزراعة من أول يوم نزوله وخير دليل على ماقلنا هو قول الله عزوجل :

١) «هو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنابه نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخيل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه انظر الى ثمره اذا أثمر وينعه ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون» (٦ : ١٢)

٢) هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون. وينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون. وسخرلكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون. (١٦ :٩ ـ ١٢)

٣) وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون. (١٦ : ٦٧)

أنظر كيف حرض الله تعالى علماءنا ووجههم الى تسخير الكون بما فيه الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ، وجهت اليهم هذه الدعوة قبل ١٤٠٠هـ وشرع علماؤنا الاوائل يعملون ويخترعون تلبية لهذه الدعوة فى مجال الكيمياء والفزياء وعلم الحيوان والنبات وغيرها من العلوم. وكان حاليا من شأن المسلمين أن يكشفوا الحجاب عن القمر وعن الشمس والنجوم كما فعل غيرهم ولكنهم أبوا واستكبروا واصبحوا من الكسلانين.

ان الطاقة الشمسية وتسخيرها مهم جدا جدا ـ ففى القرن الخامس عشر سوف يتوجه علماؤنا الى استخدام هذه الطاقة التى هى ا ثمن من كل شىء فى العالم ، كما يقول العلماء ان الطاقة الشمسية لو سخرت كاملة لنجح العالم كله من متاعب الجوع والفقر والجهل والمرض والتخلف لأن تسخير الطاقة الشمسية يكون تسخير المناخ الجوى من البرودة والحرارة وتسخير السحاب الممطر والصالح للزراعة وهلم جرا.

أماالدول المتقدمةحظيت بنصيبهامن الطاقةالشمسية ولاتزال تحظى بهابما فيه أفران الحديد والمعامل التى بعضها نصبت لتحلية المياه البحرية ولحصول المياهالنقيةفىالبلدان المجاورة للبحار ، واستخدم علماء يابان تلك العلاقة فى تسخين المياه وتدفئة البيوت بها ، واخترعوا بطاريات السيارات لتحل هذه البطاريات محل النفط هذا من ناحية حرارة الشمس.

أما ضوئها المشار اليه فى القرآن „هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر

نورا وقدره منازل . . . . . (١٠ : ٥)

رأيت يا أخى العالم أن الله تعالى قد أخبر الانسانية منذ ١٤٠٠ قرن بأن القمر مستفيد من الشمس فى نوره وللقمر تأثير عميق فى أحوال الكون منها مدّ البحر وجزره ونضج الحرث وينعه.

أما الشمس بمثابة مركز للكون وتتأثر بالأشياء الكونية مباشرة وغير مباشرة ولضوئها ولحرارتها تدخل كامل فى تنظيم أمور الكون وعندما تنتهى وتغيب عن الدنيا فحينئذ تقوم القيامة.

وانى ـ كغير عالم بأسرارها ـ أقدم لكم قصة طريفة عن حقيقة ضوئها وهى : قبل ايام قليلة شاهدت على شاشة التلفزيون الباكستانى برنامج العالم الباكستانى الذى قد نجح فى انشاء المحطة الكهربائية الصغيرة وبامكانها ان تشتغل بضوء الشمس نهارا وليلا ، أما فى الليل عندما يغيب ضوء الشمس تعمل المحطة بالضوء المدخر من ضو ئها فى النهار وصرح العالم بأن هذه المحطة سوف تزود بالكهرباء قرية لم تتجاوز بيوتها عن الفين وتستطيع القرية أن يستنير أهلها بالكهرباء لسحب المياه بالمضخة من الآبار وادارة المصانع الخفيفة . وهذه بداية فى نهاية قرن ١٤٠٠هـ ويوصّل علماؤنا هذا الابتكار فى قرن ١٥٠٠هـ الى القرى الباكستانية خاصة والى قرى العالم الاسلامى عامة.

وأرضنا مليئة بالثروات الثمينة «اذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض اثقالها» (٩٨ :١ و ٢)

وماهى اثقالها ؟ فى رأيى هى ثرواتها.

ويعجبنى قول يوسف عليه السلام «اجعلنى على خزائن الأرض انى

حفيظ عليم » ويسرني ان اقدم تفسير هذه الآية المباركة الذى اورده شيخنا السيد ابوالحسن على الحسنى الندوى فى تأليفه قصص النبين للأطفال ج ١ ، ص ٤٩ ـ ٥٠ وهو كان يوسف يعلم أن الأمانة قليلة فى الناس وكان يوسف يعلم أن الخيانة كثيرة فى الناس ، وكان يوسف يرى ان الناس يخونون فى أموال الله وكان يرى ان فى الأرض خزائن كثيرة ولكنها ضائعة ، انها ضائعة لأن الأمراء لايخافون الله فيها ، فتأكل كلا بهم ولا يجد الناس ما يأكلون ، وتلبس بيوتهم ولا يجد الناس ما يلبسون ، ولا ينفع الناس بخزائن الأرض الا من كان حفيظا و عليما . ومن كان حفيظا وما كان عليما لا يعلم اين خزائن الأرض وكيف ينتفع بها ،ومن كان عليما وما كان حفيظا يأكل منها ويخون فيها ، وكان يوسف حفيظا وعليما . وكان يوسف لايريد ان يترك الامراء يأكلون أموال الناس ، وكان يوسف لايستحى من الحق شيئا ، فقال للملك :«اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم ».. هكذا كان يوسف امينا لخزائن أرض مصر واستراح الناس جدا وحمدوا الله (انتهى التفسير).

لأجل حسن عمله وحسن تدبره جعله الله تعالى حاكما وعالما ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلک نجزى المحسنين (١٢ : ٢٢) فحسن العمل ينتج حسن الجزاء.

والعلم فى مصطلح اليوم هو سائنس (Science) ومن واجبات علمائنا بأن يقضوا على المرض والجهل والفقر والتخلف فى قرن١٥٠٠هـ.والانسان وخاصة المسلم والمؤمن الذى جعله الله خليفة فى الأرض يجب عليه ان يقوم بوظيفته ولايبقى مريضا أو جاهلا أو فقيرا.

ومن زمان قديم أوضح لنا القرآن هذه النقطة حيث يقول : وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا : انى يكون له الملک علينا ونحن أحق بالملک منه ولم يؤت سعة من المال قال : ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة

فى العلم والجسم ، والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم (٢ : ٢٤٧)

وفى القرون الماضية صرف علماؤنا ورؤسائنا انظارهم عن الطرق التقدمية. وتخلفوا فى العلم والصناعة والتكنولوجية حتى استولى علينا الانكليز فى الهند وغيرهم فى الدول الاسلامية الأخرى وذلك بفضل مهارتهم فى العلم والتكنولوجية فأصبحنا محتلين ومستعمرين لهم وطال احتلالهم الى القرنين ورحم الله علينا فبعث فينا الزعماء كجمال الدين الافغانى ومحمد عبده ومحمد على جوهر ومهدى السودانى ومحمد اقبال ومصطفى كمال ومحمد على جناح وهم الذين حاولوا فى ايقاظ شعور المسلمين و تحرير بلادهم وحرضوا شعوبهم على الاتقان فى العلم والسعى لنيل التقدم فأسبغ عليهم الله نعمه ظاهرة وباطنة من النفط والغاز الطبيعى والذهب والفضة والزمرد والياقوت والمرجان واعطاهم فى بلآدهم البحار الحارة الصالحة للملاحة فى كل فصل من السنة هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى بأمكانهم ان يستفيدوا من أسماكها ومعادنها ومياهها.

هذه نبذة من الاقتراحات التى اقدمها الى علمائنا ليقوموا فى القرن الخامس عشر بانجازها ،والله ولى التوفيق.

* * * * *

خدمات اصلاحية لجمال الدين الافغانى

و

القرن الخامس عشر الهجرى

بقلم : الاستاذ فضل معبود فضل عليم
الاستاذ المشـــــارك
بقسم اللغـــة العـــربية
جامـــعة بشـــاور ـ باكستان

ان أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجرى كان عهد النكبة للعالم الاسلامى عامة ، حيث كان أكثر البلاد الاسلامية تحت السيطـرة الاجنبية مباشرة أو غير مباشرة ، وأما الخلافة العثمانية فكانت توصف بالرجـل المريض ، حيث كانت تدبر المؤامرات ضدها فى الداخل والخارج ، وكانت الدول الاجنبية شرقية كانت أو غربية تريد أن تنال منها ، وتزعزع كيانها فى الداخل والخارج معا. وتقطع منها قطعة بعد قطعة إضعافالها . وازالة لسلطانها من أكثر البقاع التى كانت تحت رايتها من البلاد الاسلامية.

هذا من الناحية السياسية ، ومن الناحية الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والدينية فحالة البـلاد الاسـلامية كان يؤسف لها ، كان الانهيـار الاقتصـادى. والتدهور الاجتماعى الخلقى. والتخلف العلمى ، والانحراف الدينى من حظ العالم الاسلامى خاصة . والشرق عامة ، وفى هذا الوقت ، وهذه الاوضاع نشأ شخص فى

منطقة كنر بأفغانستان عرف فيما بعد باسم السيد جمال الدين الأفغاني ، درس ما درس من العلوم الاسلامية والعربية في بلاده ،ثم ذهب الى الهند و تثقف بالثقافة الغربية الحديثة ، وذهب الى البلاد العربية لأداء فريضة الحج ، وتعرف أثناء ذلك بأحوال المسلمين وتفحص عن دائه وبحث عن دوائه ، ثم عاد الى بلاده ، ومكث مرة يحاول الاصلاح الا أن المؤامرات الداخلية والخارجية اقلقته ولم تمكنه من أن تقوم باصلاح البلاد ، وأخيرا شمر عن ساعد الجد ،و خرج من عرينه يقاوم عدو الله وعدو الاسلام وعدو الانسانية بكل ما في وسعه ، وطاف بالبلاد ، وقام بما قام به من الحركات التحررية والاجتماعية والدينية والعلمية والأدبية ، وأدى من الخدمات التى ايقظت بها العالم الاسلامى من سبات الغفلة ،وأيفظ الشرق من نوم الجهل ، ونبه الانسانية الى العزة والشرف ، ودعا العلماء الى أن يقوموا بواجبهم الدينى والعلمى والاجتماعى فى توضيح التعاليم الاسلامية الصحيحة ،ونبذ الخرافات والبدع ،ودعا القادة والزعماء السياسيين الى أن يقوموا على أقدامهم ،ويدعوا أممهم وشعوبهم الى أن يعملوا لأوطانهم بكل جد واخلاص ، ويحرروها من براثن الاستعمار ، ودعا الأمراء ، والسلاطين الى أن يتنبهوا الى مؤامرات الاعداء والاجانب ، وأن يراعوا مصالح البلاد والشعوب ويضحوا بأغراضهم الشخصية فى سبيل الاغراض العامة ، وأن يبذلوا كل غال ونفيس لخدمة الاسلام والمسلمين ،وأن يتعاونوا ويتضامنوا فيما بينهم ضد أعداء الاسلام والمسلمين.

كرس حياته لهذه المبادىء السامية ، ولم يستقر له بال ، وقاسى فى سبيل هذه المبادىء ماقاسى من المصائب والشدائد ، نفى من بلد الى بلد ،وشرد من مكان الى مكان ،وعومل بالشدة والبربرية الا أنه لم يتزعزع قيد شعرة عن موقفه السديد، لأنه كان صاحب مبدأ قويم ،لم يكن يطمع فى مال ولاجاه ولاملك وامارة ، وانما كان كل همه أن يرى المسلمين فى قوة وعزة وشوكة وعظمة وأن تكون كلمة الله هى العلياء وكلمة الذين كفروا السفلىء ولذلك لم يبن له بيتا ، ولم يستقر فى بلد

،وانما كانت أرض الله واسعة فطاف فى أرجائها داعيا الى الله والى دينه ، داعيا المسلمين الى العمل بالقرآن الكريم ، ليستردوا عزتهم وسلطانهم ، وأن لا يكونوا تحت ولاية الاجنبى الغاشم ، وبالاختصار أذكر بعض ما قام به السيد جمال الدين من الخدمات فى سبيل التعليم والاصلاح والسلوك الخلقى ومقاومة أعداء الدين ، والزعامة الاسلامية الدولية :

المنهـــج التعليمى

كان السيد جمال الدين يرى أن يوضع منهج يكون من شأنه تكوين فرد صالح للمجتمع فى جميع مجالات الحياة ،وأن يكون هذا الفرد بمنزلة لبنة صالحة فى بناء كيان الأمة ، ونهضتها نهضة كاملة متكاملة ، وفى كل ذلك جعل الدين أساسا ، لان السيد كان يعتبر الدين ضروريا لصالح الأمة ، وكان يرى أنه لا يمكن أن يتقدم أية أمة بدون الدين ،وكان يقول ان الدين الاسلامى أعظم الاديان حيث قال : «فتبين مما قررناه أن الدين ـ وان انحطت درجته بين الاديان ، ووهى أساسه . فهو أفضل من طريقة الدهريين ، وأمس بالمدنية ،ونظام الجمعية الانسانية وأجمل أثرا فى عقد روابط المعاملات ،بل فى كل شان يفيد المجتمع الانسانى ،وفى كل ترق بسرى الى أية درجة من درجات السعادة فى هذه الحياة الأولى . . . . فلن تبق ريبة فى أن الدين هو السبب الفرد فى سعادة الانسان ».

ويقـــــول :

«اذا نظرنا فيما بين أيدينا من الاديان وجدنا دين الاسلام قد أقيم على أساس من الحكمة متين ، ورفع بناؤه على ركن لسعادة البشر ركين ، ذلك أن عروج الأمم على معارج الحق الأعلى ،وتدرج الشعوب فى مدارج العلم الأجلى ، وصعود الأجيال على مراقى الفضائل ،واشراف طوائف الانسان على دقائق الحقائق

،ونيلهم للسعادة الحقيقية فى الدارين ،كل ذلك مشروط بأمور لا يتم الابها، وهذه الامور لا توجد الآ فى الاسلام. وهى من مزايا الاسلام. ولذا كان الاسلام أعظم الاديان ». وبين السيد هذه الامور فيقول :

أولا : صقل العقول بصقال. «التوحيد » وتطهيرها من لوث الأوهام.

ثانيا : ان الدين الاسلامى فتح أبواب الشرف فى وجوه الانفس ،وكشف لها عن غايته ،وأثبت لكل نفس صريح الحق فى أى فضيلة ،وأنبأ كل ذى نطق بوفرة استعداد لأى منازل الكرامة ،ومحق امتياز الأجناس ،وتفاصيل الأصناف ،وقرر المزايا البشرية على قاعدة الكمال العقلى والنفسى لاغير . . . . .

ثالثا : جعل العقيدة قائمة على الاقناع لا على التقليد ،واتباع ما كان عليه الآباء والدين الاسلامى كلما خاطب العقل »(١).

وكان السيد الافغانى يهتم لذلك بتعليم الطفل وتربيته أحسن تربية حيث يقول : «أما الأطفال والصبيان فأحسنوا للاول تربية الأم ،وأما الثانى (وهم الصبيان) فأغلقوا في وجوههم مدارس الحكومة ،(٢) وفتحوا لهم أبواب المكاتب الأهلية . . . . . وبالاختصار تجعلون المدارس الاهلية الوطنية دور علم وعمل ،ولتكن تلك المدارس بعيدة من مزدحم الخلق وفاسد الهواء ، فسيحة الأرجاء ، متنسقة تقسيم البناء ،فكما يكون فيها غرف لتلقين العلوم هكذا يكون فيها أما كن لمزاولة العمل »(٣).

هكذا كان السيد الافغانى يرى أن يكون المنهج التعليمى مبنيا على أساس العلم والعمل معا ،ويكون مأخوذا من صميم الدين الاسلامى الذى يدعو الى

الفضيلة والى الصدق والأمانة والحياة والكفاح.

العمـــل الاصلاحـــى

قام السيد الافغاني بكثير من الاصلاحات في البلاد الاسلامية والشرقية قاصدا من ورائها استرداد القوة والعزة والرفاهية للشرقيين عامة والمسلمين خاصة ومن هذه الاصلاحات ما قام به من تنظيم البريد ،وانشاء الجريدة وتحسين المرافق الاخرى في أفغانستان وتأليف رسالة الرد على الدهريين في الهند وتقديم اقتراح جامعة تدرس فيها العلوم باللغة الاردية في حيدرآباد دكن ،وتكوين جمعية أم القرى في مكة المكرمة لصلاح المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ،وتكوين الجمعية الخيرية في مصر .الجمعية التي أتت بأعجب العجب في فترة وجيزة من الزمن في اصلاح المجتمع ،وانشاء الجرائد المتعددة في مصر التي قامت بالنهضة العلمية والأدبية والفكرية. والتي أيقظت الناس الى حقوقهم ،والمقالات الجامعة في ايران وتركيا التي كان لها دوى في هذه البلاد ،واصدار مجلة العروة الوثقى من باريس التي كانت تدعو الى ايقاظ المسلمين ، وتدعوهـم الـى العـودة الـى الاسـلام ،والتمسك بالقرآن الكريم ،ونبذ ولاية الاجنبى فى أى ثوب كان ودعوتهم الى التضامن والتآخي ضد اعداء الاسلام والمسلمين ، المجلة التي كانت شواظا من النار على الاعداء ،كل هذه اشارات ورموز الى الاصلاحات التي ـ قام بها السيد الافغاني.

الســـــلوك الخلـــقى

كان السيد يرى أن يتزين كل فرد من أفراد المجتمع البشرى بالاخلاق الفاضلة ، ليكون بذلك فردا صالحا في بناء المجتمع الانساني ، ويكون موجبا للتقدم في جميع المجالات من مجالات الحياة ،وموجبا للسعادة الأبدية في الآخرة

،وأهم الخصال التي يكلن يدعو اليها هي : الحياء ،والأمانة والصدق ، وكان يراها موجبا للسعادة البشرية ، وهي الخصا ل التي يدعو اليها الدين الاسلامي ،يقول السيد في ذلك :

«ان الحياء أكثر تاثيرا في نظام الحياة البشرية ، ومنع النفوس عن ارتكاب الأمور القبيحة من مئات القوانين وآلاف الشرط ،والمحتسبين ، لأن من فاته الحياء يفعل ما يشاء لا يردعه الى شيء بعد ذلك من ارتكاب الدنايا والقبائح ولذا يلزم الحياء شرف النفس وعليه دائرة المعاملات. ونتصل به سلسله النظام وهو رأس مال الانسان في جميع المكارم. وهو مدعاه للناس الى العمل الشريف، وعمل كل ما من شانه يرفع الانسان الى العظمه في جميع ميادين الحياة ويقول:

«الامانة ضروريه جدا في جميع المعاملات ،وفي الواقع ان الامانة روح المعاملات والمعاوضات في منافع الاعمال سواء أكان بين الفرد والفرد ، أم بين الفرد والحكومة ، أم بين الحكومة والحكومه . وهي ضرورية في جميع قطاعات الحكومة من القواد ، والأمراء ، والوزراء ، والقضاه ، والولاة ، والحراس ، وجباة الاموال ، والصرف في وجوه مختلفه . لان الامانه اذا كانت موجودة فيهم ، قام كل قطاع وطبقة بعمله خير قيام ، والاقسام الفساد ، وضاعت الحقوق ، و صار الدمار في كل قطاع حليف الأمة ».

ويقـــــــول :

«الانسان في حياته كثير الاحتياجات والضروريات ، وليس عنده علم كاف بجميع ما يفيده في حياته ، وما يضره ، ولذا يحتاج الى الاستعانة بمشاعر أمثاله من بني جنسه ، والاستهداء بمعارفهم فيما يفيده ، ويمنع عنه ضره ، والاستهداء ، هذا يكون بالاستخبار ، ولا تتم فائدة الخير الا أن يكون من مصدر

صدق أى يكون الشخص الذى يخبر صادقا فيما يقول ، يحدث عن موجود ، ويحكى عن مشهود والاقلا فائدة.

وذلك أن الكاذب يرى البعيد قريبا ، والقريب بعيدا ، ويظهر النافع فى صورة الضار ، والضار فى صورة النافع ، فهو سبب المصائب كلها.

فعلى ما تقدم يعتبر الصدق ركنا ركينا للوجود الانسانى ، وعمادا للبقاء الشخصى والنوعى وموجبا للربط بين الناس ، ولا يمكن أن تتحقق الألفة مدنية كانت أو منزلية بدونه ، والأمة التى فقدت خصلة الصدق التصق بها الدمار والخراب .....

وكان السيد يرى الخراب والدمار ، والذل والمسكنة فى الكذب والوهم والجبن ، والخوف وكان يحذر الناس من ذلك أشد التحذير ، وكان يضرب أمثالا لذلك بالحوادث التاريخية والحقائق الثابتة مدعمة بأدلة وبراهين ساطعة.

مقاومـــــة أعـــداء الـــدين

كان السيد طول حياته يقاوم أعداء الدين فى أى شكل كانوا ، وفى أية صورة ظهروا : كان يقاومهم فى الداخل والخارج ، كان يقاوم مرة هؤلاء الذين كانوا يتلبسون بلباس الدين وفى الواقع كانوا بعيدين عن الدين الصحيح . كما كان يقاومهم تارة وهم متلبسون بصورة الدهريين ، وأخرى يقاومهم وهم فى صورة المبشرين ، وأخرى فى شكل الساسة والقادة ، كان يحاربهم محاربة شديدة ، ولم يكن يخاف فى ذلك لومة لائم ، ويصرح بذلك وينادى بأعلى الصوت بأن الدين الاسلامى دين لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهاک ما قاله السيد فى القضاء والقدر ردا على بعض أعداء الدين الاسلامى :

«هكذا ظنت طائفة من الأفرنج ، وذهب مذهبهم كثيرون من ضعفاء العقول فى المشرق ، ولست أخشى أن أقول : كذب الظان ، وأخطأ الواهم ، وبطل الزاعم ، وافتروا على الله والمسلمين كذبا ، لا يوجد مسلم فى هذا الوقت : من سنى ، وشيعى ، وزيدى ، واسماعيلى ، ووهابى ، وخارجى يرى مذهب الجبر المحض ، ويعتقد سلب الاختيار عن نفسه بالمرة ، بل كل من هذه الطوائف المسلمة يعتقدون بأن لهم جزءا اختياريا فى أعمالهم ، ويسمى بالكسب ، وهو مناط الثواب والعقاب عند جميعهم ، وانهم محاسبون بما وهبهم الله من هذا الجزء الاختيارى ، ومطالبون بامتثال جميع الأوامر الالهية والنواهى الربانية ، الداعية الى كل خير ، الهادية الى كل فلاح »(٥).

ومنها حواره الشديد مع الفيلسوف الفرنسى الشهير ارنست رينان ، حيث كان رينان القى محاضرة عن العلم والاسلام هاجم فيها أن الاسلام يحول دون التقدم العلمى ، وأن الاسلام سبب تأخر المسلمين فى ميدان العلم ، وكان السيد جمال الدين قد رد عليه ردا مفحما ، ودافع عن الاسلام دفاعا مبنيا على الحقائق والبراهين ، وأثبت أن الاسلام هو الدين الذى يدعو الى العلم والتفكر ، وهو دين يخاطب العقل ، وهو دين لايساوى بين العالم والجاهل ، وانما يفضل العالم على الجاهل واخيرا اقتنع رينان ، ولم يتمكن الا أن يعترف بفضل جمال الدين وسعة أفقه وتبحره فهذا رينان يقول :

«يخيل الى من حرية فكره ، ونبالة شيمه ، وصراحته ، وأنا أتحدث اليه أننى أرى وجها لوجه أحد من عرفتهم من القدماء الفلاسفة وانى أشهد ابن سينا ، وابن رشد أو أحد من عرفتهم من أساطين الحكمة الشرقين الذين ظلوا خمسة قرون يعلمون على تحرير الانسانية من الاسار » (٦)

الزعامة الدولية الاسلامية

كان السيد جمال الدين يرى أن يكون المسلم هو الذى يقود العالم ، ويكون هو زعيما لقيادة البشرية فى الحياة ، كما يأمره بذلك القرآن الكريم حيث قال الله تعالى :«كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر» حيث وصفها الله تعالى فى كتابه المجيد بخير أمة ، وخيريتها بأن أفراد هذه الأمة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وفى موضع آخر يقول سبحانه وتعالى : وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين فالعلو والرفعة للمؤمن ، وليس للكافر ، ويقول السيد جمال الدين فى ذلك :

«والديانة الاسلامية وضع أساسها على طلب الغلب والشوكة والافتتاح والعزة ورفض كل قانون يخالف شريعتها ، ونبذ كل سلطة لا يكون القائم بها صاحب الولاية على تنفيذ أحكامها »(٧).

ولذلك قام السيد جمال الدين بالدعوة الشاملة ، ودعا المسلمين الى العودة الى القرآن الكريم ، والتمسك بتعاليمه الحقة حيث يقول :

«ومادام القرآن يتلى بين المسلمين ، وهو كتابهم المنزل وامامهم الحق وهو القائم عليهم ، يأمرهم بحماية حوزتهم ، والدفاع عن ولايتهم ، ومغالبة المعتدين ، وطلب المنعة من كل سبيل لا يعين لها وجها ، ولا يخصص لها طريقا ، فاننا لا نرتاب فى عودتهم الى مثل نشأتهم ونهوضهم »(٨).

هكذا كان السيد جمال الدين فى أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر الهجرى يتعرف على أحوال المسلمين ، ويتفحص عن الداء ويصف الدواء ونص ما قال فى هذا :

«لقد جمعت ما تفرق من الفكر ، ولممت شعث التصور ، ونظرت الى الشرق وأهله ،فاستوقفتني الأفغان ، وهي أول أرض مس جسمي ترابها ، ثم الهند ، وفيها تثقف عقلي ، فايران بحكم الجوار والروابط ، فجزيرة العرب ، من حجاز ، هي مهبط الوحي ، ومن يمن وتبابعتها ، ونجد ، والعراق ، وبغداد وهارونها ومامونها ، والشام ودهاة الأمويين فيها ، والاندلس وحمراؤها ، وما آل اليه أمرهم ، فالشرق الشرق ، فخصصت جهاز دماغي لتشخيص دائه وتحري دوائه ، فوجدت أقتل أدوائه داء انقسام أهله ، وتشتت آرائهم ، واختلافهم على الاتحاد ، واتحادهم على الاختلاف ، فعملت على توحيد كلمتهم وتنبيههم للخطر الغربي المحدق بهم»(٩).

هكذا كانت حالة المسلمين في عهد جمال الدين الافغاني من التفرقة والاضمحلال ، والتشتت ، وفي الوقت الحاضر الحالة هي نفس الحالة لم تتغير ولم تتبدل في الواقع الا أن أكثرهم في عهد السيد كانوا تحت السيطرة الاجنبية مباشرة أو غير مباشرة والآن قد تحرروا جسميا الا انهم لم يتحرروا ذهنيا ، والامراض الخلقية الاجتماعية من التفرق والتشتت والبغض والحقد ، والخوف والجبن والوهم والأنانية والاثرة ، والجهل والكذب والنفاق والاختلاف على الاتحاد ، والاتحاد على الاختلاف منتشرة فيهم ، ونحن في حاجة شديدة في هذا القرن الخامس عشر الهجري الى أمثال السيد جمال الدين من جديد ، لان الاطماع الاجنبية في خيرات بلاد المسلمين ، والنيل من عقيدتهم الاسلامية ، والمؤامرات والدسائس لالقاء الخلاف بينهم هي هي ، فالى القرآن أيها المسلمون والى التمسك بتعاليمه والى التفكر والتدبر فيما قاله السيدجمال الدين الأفغاني رحمه الله ، كي نجعل القرن الخامس عشر الهجري قرن العزة و السؤدد ، والقوة والغلبة للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، والله على كل شيء قدير.

****

المـــــراجع

١) رسالة الرد على الدهريين . جمال الدين الافغاني ص ٦٠ ـ ٦٩.

٢) يقصد بالمدارس الحكومية المدارس الحكومية الاستعمارية في ذلك الحين.

٣) خاطرات ـ المخزومي ص ٢٠٠.

٤) رسالة الرد على الدهريين ص ٣٥ ـ ٣٨.

٥) العروة الوســـقى.

٦) جمال الدين الافغاني ـ باعث النهضة الفكرية في الشرق ، محمد سلام مدكور ، ص ١٣٩

٧) العروة الوثقى ص ٢٦

٨) ايضاً ص ٣٩

٩) ايضاً ص ٢